BOBST LIBRARY
3 1142 01108 6603



New York University
Bobst Library
70 Washington Square South
New York, NY 10012-1091

Phone Renewal:
212-998-2482
Web Renewal:
www.bobcatplus.nyu.edu

DUE DATE	DUE DATE	DUE DATE
ALL LOAN ITEMS ARE SUBJECT TO RECALL		

PHONE/WEB RENEWAL DATE		

149613

Samhūdī, ʿAlī ibn ʿAbd Allāh
/Wafāʾ al-wafāʾ bi-akhbār Dār al-Muṣṭafā/

وفاء الوفا

بأخبار دار المصطفى

تأليف

نور الدين على بن أحمد السمهودى

المتوفى فى عام ٩١١ من الهجرة

حققه ، وفصّله ، وعلق حواشيه

محمد محيى الدين عبد الحميد

عفا الله تعالى عنه !

الجزء الثالث

DS
248
.M5
S2
1955
v.3
c.1

الطبعة الأولى
فى سنة ١٣٧٤ من الهجرة — ١٩٥٥ من الميلاد

تطلب من الشيخ محمد النمنكانى ، المدنى
الكتبى بالمدينة المنورة

MAY 16 1985

مطبعة السعادة بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الخامس

فى مُصَلَّى النبى صلى الله عليه وسلم فى الأعياد ، وغير ذلك من المساجد التى صَلَّى فيها النبى صلى الله عليه وسلم ، مما عَلِمْتُ عينَه أو جِهَتَه ، بالمدينة وما حولها ، وما جاء فى مَقْبُرتها ومَنْ دُفِنَ بها ، والمشاهد المعروفة ، وفضل أُحُدٍ والشُّهَدَاء به . وفيه سبعة فُصولٍ:

الفصل الأول

فى المُصَلَّى فى الأعياد ، وفيه أطْرَاف

الأول : فى الأماكن التى صَلَّى فيها النبى صلى الله عليه وسلم العيد .

أول عيد صلاه النبى بالمصلى

قال الْوَاقِدِىُّ : أولُ عيدٍ صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمُصَلَّى سنةَ ثنتين من مَقْدَمه المدينةَ من مكة ، وحُملت له العَنَزَة وهو يومئذ يصلى إليها فى الفضاء ، وكانت العَنزَة للزبير بن العوام ، أعطاه إياها النَّجَاشى فوهَبَها للنبى صلى الله عليه وسلم ؛ فكان يخرج بها بين يديه يوم العيد ، وهى اليوم بالمدينة عند المؤذنين ، يعنى يخرجون بها بين يدى الأئمة فى زمانهم .

وروى ابن شبة عن جابر بن عبد الله قال : لما رجعنا من بنى قَيْنُقَاع ضحينا أولَ أضحى فى ذى الحجة صبيحة عشر ، فكان أول أضحى رآه المسلمون ، وذبح أهل اليُسْر من بنى سلمة ، فعددت فى بنى سلمة سبعَ عشرة أضحية .

وروى ابن زبالة وابن شبة عن أبى هريرة قال : أول فطر وأضحى صلى

مكان مصلى العيد

فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للناس بالمدينة بفناء دار حكيم بن العداء عند أصحاب المحامل .

وروى الثانى عن ابن أبى فروة أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى ذلك المكان.

وروى الأول عنه ما يقتضيه ؛ فإنه روى عن إبراهيم بن أبى أمية قال : أدركتُ مسجدا فى زمان عثمان عند حرف زاوية أبى يَسَار عند أصحاب المحامل ، وليس ثم مسجد غيره ، وذلك المسجد هو الذى صَلَّى فيه النبى صلى الله عليه وسلم يوم أضحى ، وضَحَّى هناك هو وأصحابه حتى احتملت ضحاياهم من عنده .

قال : وأخبرنى من رأى الأنصار يحملون ضَحَايَاهم من هناك ، ثم روى عن ابن أبى فَرْوَة قال : إن النبى صلى الله عليه وسلم صَلَّى فى ذلك المسجد وهو خلف المَجْزَرَة التى بفناء دار العداء بن خالد ، ويقال لها : دار أبى يسار .

قلت : فالروايات المذكورة مُتَّفقة على الصلاة بالمحلِّ المذكور ، ودارُ حكيم ابن العداء هى دار أبيه العداء بن خالد بن هوذة بن بكر بن هوازن ؛ فلا مخالفة فى ذلك ، ولم أعلم محل داره ، غير أن الظاهر من قوله « عند أصحاب المحامل » أنه موضع بأعلى السوق مما يلى المصلى، وفى أول الروايات المذكورة بيان أن الصلاة فيه كانت فى أول الأمر .

تعدد موضع صلاة العيد

وروى ابن زبالة أيضاً مايخالفه بالنسبة إلى الأولية عن إبراهيم بن أبى أمية عن شيخ من أهل السنِّ والثقة قال : أول عيد صَلاَّه رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى فى حارة الدوس عند بيت ابن أبى الجنوب ، ثم صلى العيد الثانى بفناء دار حكيم عند دار حفرة داخلا فى البيت الذى بفنائه المسجد ، ثم صلى العيد الثالث عند دار عبد الله بن درة المزنى داخلا بين الدارين دار معاوية ودار كثير بن الصَّلْت ، ثم صلى العيد الرابع عند أحجار كانت عند الحناطين بالمصلى ، ثم صلى داخلا فى منزل محمد بن عبد الله بن كثير بن الصلت ، ثم صلى حيث يصلى الناس اليوم .

وروى ابن شبة من طريق إبراهيم بن أبى أمية مولى بنى عامر بن لؤى، قال : سمعت ابن باكية يقول : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العيدَ عنـد دار الشفَّاء ، ثم صلى فى حارة الدوس ، ثم صلى فى المصلى ؛ فثبت يصلى فيه حتى توفاه الله تعالى .

وروى أيضاً عن ابن شهاب قال : صلى النبى صلى الله عليـه وسلم العيدَ فى موضع آل درة ، وهم حى من مُزَيْنَة ، ثم صلى دون ذلك فى مكان أطُم بنى زريق عند أذنه اليسرى .

قلت : قوله « ثم صلى فى المصلى فثبت يصلى فيه حتى توفاه الله تعالى » هو بمعنى قوله فى الرواية التى قبلها « ثم صلى حيث يصلى الناس اليوم » يعنى بالمسجد المعروف بمسجد المصلى .

بين مصلى العيد وباب السلام ألف ذراع

وقد نقل ابن شبة عن شيخه أبى غَسَّان وهو الـكنانى من أصحاب مالك أنه قال : ذرع مابين مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى عنده دار مروان ابن الحـكم و بين المسجد الذى يصلى فيه العيد بالمصلى ألف ذراع .

قلت : وقد اختبرته فكان كذلك ، وهذا المسجد هو المراد بقوله فى حديث ابن عباس فى الصحيح « إن النبى صلى الله عليه وسلم أتى فى يوم عيد إلى العَلَم الذى عند دار كثير بن الصلت ـ الحديثَ » وكأنهـم كانوا قبل اتخاذ المسجد بذلك المحل جعلوا لصلاة الشريف شيئاً يعرف به ، وهو المراد بالعَلَم بفتحتين .

وقال ابن سعد : كانت دار كثير بن الصلت قبـلة المصلى فى العيد ، وهى تطل على بطحان الوادى فى وسط المدينة ، انتهى . وليس المراد أنها متصلة بوادى بطحان ، بل بينهما بعد . ودار كثير هذه كانت قبله للوليد بن عقبة ، ثم اشتهرت بكثير بن الصلت ، وهو من التابعين ، ولد فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فوقع التعريف بداره ليقرب إلى ذهن السامع فَهْمُ ذلك ، وليس كثير بن الصلت هو

الذى اختطها ، خلافا لما وقع فى كلام الحافظ ابن حجر حيث قال : و إنما بنى كثير بن الصلت داره بعد النبى صلى الله عليه وسلم بمدة ، لكنها لما كانت شهيرة فى تلك البقعة وصف المُصَلّى بمجاورتها ، انتهى . ومأخذنا فيما قدمناه قول ابن شبة فى دور بنى عبد شمس ونوفل: واتخذ الوليدُ بن عقبة بن أبى مُعَيْط الدارَ التى فى مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم التى صلى إليها العيد ،وهى يصلى إليها اليوم لآل كثير ابن الصلت الكندى ، فجَلَدَ عثمانُ الوليدَ فى الشراب ، فحلف لا يساكنه إلا و بينهما بطن واد ، فعارض كثير بن الصلت بداره هذه إلى دار كثير ببطحان التى يقال لها دار الوليد بن عقبة فى شَفِير الوادى ، أى من العُدْوَة الغربية كما بينه فى موضع آخر .

تحديد المواضع التى صلى فيها العيد

وأما الموضع المذكور لصلاة العيد أولا عند أصحاب المحامل — وهم الذين يبيعون المحامل و يصنعونها — فيظهر أنه المسجد المعروف اليوم بمسجد على رضى الله تعالى عنه الآتى ذكره .

وأما الموضع المذكور فى الرواية الأخرى عند دار بن أبى الجنوب فلم أعلم محله ، غير أن دار ابن أبى الجنوب كانت بالحَرَّةِ الغربية التى غربى وادى بطحان كما يؤخذ مما سيأتى فى الخندق ومسجد الشجرة والمغرس .

وأما الموضع المذكور فى قوله « عند دار عبد الله بن درة المزنى إلى آخره » فقد تقدم أن منازل مُزَيْنة كانت فى غربى المصلى وفى قبلتها . وتقدم أن دار كثير بن الصَّلْت كانت قبلة المصلى ، ودار معاوية رضى الله تعالى عنه كانت فى مقابلتها ، وسيأتى فى بيان طريقه صلى الله عليه وسلم إلى قباء أنه كان يمر على المصلى ثم يسلك فى موضع الزقاق بين الدارين المذكورتين ؛ فيكون ذلك المحل فى قبلة المصلى اليوم : إما من المغرب ، و إما من المشرق ، والأول هو الأقرب .

وأما بقية المواضع المذكورة فلم أعرف جهاتها ، غير أن الذى يظهر أنها حول المصلى ، و بعضها بسوق المدينة ، لذكر الحناطين فيها ، وسيأتى فى مشهد مالك

أبن سنان أنه بطرف الحناطين ، والظاهر أن من هذه المواضع المسجد المعروف اليوم بمسجد أبى بكر رضى الله تعالى عنه بالحديقة المعروفة بالعريضية ، كما سيأتى عن المطرى .

وأما ما رواه الشيخان وأبو داود والترمذى والنسائى من حديث البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه قال : خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوم أضحى إلى البقيع فصلى ركعتين ثم أقبل علينا بوجهه وخطب وقال : إن أول ما نبدأ به فى يومنا هـذا أن نصلى ، ثم نرجع فننحر ـ الحديث ؛ فظاهره أن المراد بَقيع الغَرْقَد ، لـكنى أستبعده ؛ لأن المتقدمين من مؤرخى المدينة لم يذكروا ذلك مع اشتهار هـذا الحديث ، وكذلك المطرى ومن تبعه . وأغرب الحافظ ابن حجر فقال فى الـكلام على ترجمة البخارى للرجم بالمُصَلَّى : المراد المـكان الذى كان يصلى عنده العيد والجنائز ، وهو من ناحية بقيع الغرقد ، اه .

ومأخذه فى ذلك ظاهر هذا الحديث ، مع ما ورد من رواية أخرى من الرجم عند موضع الجنائز ، وقد تقدم أن موضع الجنائز فى شرقى المسجد عند باب جبريل ، وليس هو من البقيع ، وأما المصلى حيث أطلقت فإنما يراد بهـا الموضع المعروف الذى قدمناه فى غربى المدينة ، و بقيع الغرقد فى شرقيها ، وقد ذكره الحافظ ابن حجر فى موضع آخر على الصواب كما سيأتى عنه فى الطرف الثانى ، وعلى تقدير أن يكون المراد من حديث البَرَاء المتقدم بَقيع الغَرْقَد فهو من المواضع التى صلى فيها النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض السنين ، وليس هو المراد إذا أطلق المصلى جزما . والذى يترجح عندى أن المراد بالبقيع فى حديث البراء سوق المدينة ؛ لما قدمناه فيه من أنه كان يسمى بقيع الجبل ، وهو أحَدُ الأماكن المتقدم ذكرها لصلاة العيد ، وكذلك هو المراد من حديث ابن عمر « أنى أبيع الإبل بالبقيع بالدراهم وآخذ مكانها الدنانير » كما قدمناه .

وقال الجمال المطرى عقب نقله لما قدمناه عن ابن زبالة : ولا يعرف من

المساجد التى ذكر لصلاة العيد إلا هـذا المسجد الذى يصلى فيه اليوم ، ومسجد شماليه وسط الحديقة المعروفة بالعريضى المتصلة بقبة عين الأزرق ، ويعرف اليوم بمسجد أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ، ولعـله صلى فيه فى خلافته ، ومسجد كبير شمالى الحديقة متصل بها يسمى مسجد على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، ولم يرد أنه رضى الله عنه صـلى بالمدينة عيدا فى خلافته ؛ فتكون هذه المساجد الموجودة اليوم من الأماكن التى صلى فيها رسـول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العيد سنة بعد سنة وعيدا بعد عيد ؛ إذ لا يختص أبو بكر وعلى رضى الله عنهما بمسجدين لأنفسهما ويتركان المسجد الذى صلى فيه النبى صلى الله عليه وسلم ، انتهى .

قلت : ما ذكره من أنه لم يرد أن عليا رضى الله تعالى عنه صلى بالمدينة عيدا فى خلافته ، أى فلا تظهر نسبة المسجد المذكور إليه ، وكأنه لم يقف على ما رواه ابن شبة عن سعد بن عبيد مولى ابن أزهر قال : صليت العيدَ مع على رضى الله عنه وعثمان رضى الله عنه مَحْصُورٌ؛ فصلى ثم خطب بعد الصلاة.

وروى أيضا عن الزهرى قال: صلى سَهْل بن حُنَيف وعثمان محصور الجمعة، وصلى يوم العيد على بن أبى طالب ؛ فالظاهر أنه صلى حينئذ بذلك المكان لكونه أحَدَ المصلَّيات التى صلى فيها النبى صلى الله عليه وسلم، لا أنه ابتكر الصلاة فيه، والله أعلم .

مصلى العيد بالصحراء

ولم يكن المصلى فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم مسجداً ، بل كانت صَحْراء لا بِناء بها ، ونهى صلى الله عليه وسلم عن البناء بها كما سيأتى ، ولهذا وقع الرجم بها . وذهب بعض العلماء إلى أن المصلى يثبت لها حكم المسجد ، وإن لم يُوقَفْ ، وهو مردود ؛ فإن مَنْ شاهد مصلاه صلى الله عليه وسلم وما ذكر من امتدادها إلى سوق المدينة كما قدمناه فيه وما بها من الدور والشوارع علم عدم صحة ذلك ، وحَمْلُ الرجم المذكور فى الحديث على أنه وقع بالقرب منها خلافُ مُقتضى اللفظ . والمسجد المتخذ بها اليوم إنما هو فى بعضها ، وهو المحل الذى قام به النبى صلى الله

عليه وسلم ، وكذلك المسجدانِ الآخران ، والظاهر أن بناء الثلاثة كان فى زمن عمر بن عبد العزيز .

وقد قدمنا ذكر الأول منها ، وهو المعروف اليوم بمسجد المصلى فيما نقله ابن شبة عن أبى غسان من الذَّرْع ؛ لما بينه و بين المسجد النبوى .

والثانى المنسوب إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه بالحديقة المذكورة عن يساره مخزن لدواب الحديقة المذكورة ، ومدخل الدواب من باب المسجد الذى فى شاميه ، فيمتهنه أهل الحديقة بمرور البهائم منه ، ور بما حَبَسُوها فيه ، فدخلته مرة فوجدته كالمزبلة ، وهو فى غاية الامتهان قد امتلأ بِرَوْثِ الدواب وبَوْلها ، ولم أجد موضعاً للصلاة فيه فتكلمت مع شيخ الخدام الأمير إينال الناظر على الحديقة المذكورة فى أن يغير باب المخزن المذكور ، و يجعله من خارج المسجد ، فأمر فقيهه الفقيه الشهاب أحمد النوسى بالنظر فى ذلك ، فجعل على الموضع المسقف من المسجد المذكور الذى فيه المحراب جدارا فى شاميه يمنع من وصول البهائم إليه ، وكان فى جدار المسجد الغربى مما يلى القبلة هيئة باب مشبك ، فجعله بابا لذلك المحل ، و بقيت رحبة المسجد التى فى شاميه دهليزا للدواب ، فكلمته فى ذلك فذكر أنه قيل له : إن المسجد هو ذلك المسقف فقط ، وجدران المسجد شاهدة بخلاف ذلك ، فليتنبه له .

والمسجد الثالث المنسوب لعلى رضى الله تعالى عنه كان قد تَهَدَّم ودَثَر حتى صار بعض الحجاج يدفن فيه مَنْ يموت فى زمن الموسم ، فإنه إلى جانب منزلة الحجاج ، فجدد بناءه الأمير زين الدين ضغيم المنصورى أمير المدينة الشريفة سنة إحدى وثمانين وثمانمائة[1] .

وأما المسجد الأول المعروف اليوم بمسجد المصلى فلم يزل مَصُونا ، وكان بابه لا يزال مفتوحا فربما يقع له انتهاك ، فأمر شيخ الخدام بغلقه ، وعمارته الموجودة اليوم لا أدرى لمن تنسب ، إلا أنى رأيتُ على بابه حجرا قد امحى بعضُ الكتابة

(١) جدده السلطان عبد المجيد العثمانى فى سنة ١٢٦٨ (حسب الله)

منه ، وفيه « أمر بتجديد هذا المسجد المنسوب للنبى صلى الله عليه وسلم بعد خرابه وذهاب عز الدين شيخ الحرم الشريف النبوى ، وذلك فى أيام السلطان الملك الناصر حسن بن السلطان محمد بن قلاون الصالحى » وما بعد ذلك قد انمحى . وابتداء ولاية السلطان حسن المذكور فى سنة ثمان وأربعين ، واستمر إلى أثناء سنة اثنتين وستين وستين وسبعمائة ، وهذا المسجد بابُهُ فى حائطه الشامى قريبا من محاذاة محرابه ، ومن خارج بابه على يمين الداخل منه درج يصعد إلى موضع لطيف على ميمنة الباب المذكور ، وقد أصلح ما تَشَعَّثَ من هذا المسجد الأمير بردبك المعمار سنة إحدى وستين وثمانمائة فى دولة الأشرف إينال ، وأحدث لذلك الموضع المتقدم وصفه فى ميمنة الباب المذكور درجة أخرى يتوصل بها إليه من داخل المسجد ، وذلك الموضع هو الذى يقوم عليه الخطيبُ فى يوم العيد ، وأحدث الأمير بردبك أيضا أمام ذلك الموضع من خارج المسجد مسقفا ليجلس عليه المبلغون أمام الخطيب ، وفى يوم العيد يجتمع أهل السنة من أهل المدينة وأعيانهم بالمصلى المذكور ، بحيث لا يبقى خارجه من أهل السنة إلا اليسير مع شيخ الخدام وجماعته ، لأن العادة جَرَت بأن يكون صفهم أمام الخطيب فى الجمعة والعيد؛ لما ذكره البدر ابن فرحون من أن أول قاض ولى لأهل السنة القاضى الإمام العلامة السراج عمر بن أحمد الخضر سنة اثنتين وثمانين وستمائة فى دولة المنصور قلاوون الصالحى ، وكان القضاة قبل ذلك من الشيعة آل سنان ، وكانت الخطابة بأيديهم ، فانتزع السلطان المشار إليه ذلك منهم للسراج ، فكانوا يؤذونه أذى شديدا .

قال ابن فرحون : أدركت من أذاهم له أنهم كانوا يرجمونه بالحَصْباء وهو يخطب على المنبر ، فلما كثر ذلك منهم تقدم الخدام وجلسوا بين أيديهم أمام المنبر ، فذلك هو السبب فى إقامة صَفّ الخدام قبالة الخطيب ، وخلفهم غلمانهم وعبيدهم ، اهـ .

وقد استمر ذلك إلى اليوم ، فإذا صلى الإمام بأهل المسجد المذكور صلاةَ العيد انصرف ، وخرج من بابه المذكور مخترقا للصفوف متخطِّيا للرقاب إلى أن

يصعد فى أعلى تلك الدرج ، فيستدبر القبلة و يستقبل جهة الشام على عادة الخطباء ، ثم يخطب هناك ، فيصير جميع مَنْ فى المسجد خلف ظهره ، ثم إن أهل المسجد يستدبرون القبلة و يستقبلون ظهره وغالبُ من يصلى خارج المسجد لا يشاهده أيضاً لحيلولة المسقف المحدث أمام ذلك الموضع ، وهذا كله مخالف للسنة ، ولما ثبت من فعله صلى الله عليه وسلم فى هذا المحل من قيامه فى مُصَلاه مستقبلا للناس وهم على صفوفهم كما سنوضحه ، ومَنْ زعم أن هذا الوضع فى محل قيام النبى صلى الله عليه وسلم وأنه صلى بذلك المحل على هـذه الصفة الموجودة اليوم فقد أخطأ خطأ عظيما وأساء الأدب ، فكيف يظن به صلى الله عليه وسلم أنه ينصرف عن أصحابه حتى يستدبرهم أو الكثير منهم ثم يخطب لهم ؟ وتترك الصحابة رضى الله تعالى عنهم طلعته البهية و يرضون باستدباره صلى الله عليه وسلم مع قيامه لمخاطبتهم ، وهم أعظم الناس أدبا وحرصا على رؤيته الشريفة ، وكيف يتفق علماء الإسلام على أن السنة خلافُ ذلك كما سيأتى ؟ فالمتعين تغيير هذه الهيئة ، والله أعلم .

الطرف الثانى : فيما جاء من أن النبى صلى الله عليه وسلم قام بالمصلى على غير منبر مستقبلا للناس .

كيف صلى الرسول العيد؟

قال البخارى فى صحيحه ، باب الخروج إلى المصلى بغير منبر ، ثم روى فيه حديث أبى سعيد الخدرى قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى ، فأول شىء يبدأ به الصلاة ، ثم ينصرف فيقوم مُقَابل الناس والناسُ جلوسٌ على صفوفهم ، فيَعِظهم و يوصيهم و يأمرهم ، فإن كان يريد أن يقطع بعثا قطعه ، أو يأمر بشىء أمر به ، ثم ينصرف ، فقال أبو سعيد : فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجْتُ مع مروان وهو أمير المدينة فى أضحى أو فطر ، فلما أتينا المصلى إذا منبر بَنَاه كثير بن الصلت ، و إذا مروان يريد أن يرتقيه قبل أن يصلى ، فجبذته بثوبه ، فجبذنى ، فارتفع فخطب قبل الصلاة ، فقلت له : غيرتم والله ، فقال : أبا سعيد قد ذهب ما تعلم ، فقلت : ما أعلم والله خير مما لا أعلم ،

فقال : إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة ، فجعلتها قبل الصلاة ، هذا لفظ رواية البخارى .

قال الحافظ ابن حجر : المراد بقوله إلى المصلى المصلى المعروف بالمدينة بينه و بين باب المسجد ألف ذراع ، قاله عمر بن شبة عن أبى غسان صاحب مالك ، وفى رواية ابن حبان من طريق داود : فينصرف إلى الناس قائما فى مُصَلاّه.

قلت : وهذا معنى قوله فى رواية البخارى «ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس» يعنى أنه يستدبر القبلة و يقف فى مصلاه ، وقد ترجم البخارى لاستقبال الإمام الناسَ فى خطبة العيد ، وأورد فيه طرفا من حديث أبى سعيد المذكور، وقد صرح الأئمة بأن ذلك هو السنة .

قال الزين ابن المنير : و إنما أعاد البخارى هذه الترجمة مع أنه قدم نظيرها فى الجمعة لدفع احتمال توهم أن العيد يخالف الجمعة فى ذلك ، وأن استقبال الإمام فى الجمعة يكون ضروريا لكونه يخطب على منبر ، بخلاف العيد فإنه يخطب فيه على رجليه لحديث أبى سعيد المذكور ، فأراد أن يبين أن الاستقبال سُنَّة على كل حال .

من أحدث منبر المصلى العيد

قال الحافظ ابن حجر : وهذا يقتضى أنه لم يكن فى المُصَلَّى فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم منبر إلى أن اتخذ لمروان ، و يدل عليه قول أبى سعيد «فلم يزل الناس إلى آخره » . ووقع فى المدونة لمالك ، ورواه ابن شبة عنه قال : أول مَنْ خطب الناسَ فى المصلى على منبر عثمان بن عفان ، كلهم على منبر من طين بَنَاه كثير بن الصلت ، وهذا مُعْضَل ، وما فى الصحيحين أصح ؛ فقد رواه مسلم بنحو رواية البخارى ، ويحتمل أن يكون عثمان فعل ذلك مرة ثم تركه حتى أعاده مروان ، ولم يطلع على ذلك أبو سعيد ، انتهى .

قلت : لكن روى أبو داود وغيره فى حديث ذكر أنه غريب وأن سنده جيد عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : شكا الناسُ إلى رسول الله صلى الله

عليه وسلم قُحُوط المطر ، فأمر بمنبر فوضع له بالمصلى . وفى رواية للترمذى أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج إلى الاستسقاء حتى أتى المصلى فرقى على المنبر ؛ فهذا يقتضى أن النبى صلى الله عليه وسلم خَطَب فى الاستسقاء بالمصلى على منبر ، وكأن ذلك هو المستند لمن أحدث المنبر فى خطبة العيد قياسا على الاستسقاء ، ويحتمل أنه صلى الله عليه وسلم خَصَّ الاستسقاء بذلك لتيسر رؤيته لعامة الناس فيها ، فيقتدون به فى تحويل الرداء عند تحويله ، وفى كيفية رفع اليدين فى الدعاء ، ونحو ذلك مما يختص بخطبة الاستسقاء .

قال الحافظ ابن حجر : وقول أبى سعيد « غيرتم والله » صريحٌ فى أنه هو المنكر ، ووقع فى رواية مسلم « فقام إليه رجل فقال : الصلاة قبل الخطبة ، قال : قد ترك ما هنالك ، فقال أبو سعيد : أما هذا فقد قضى ما عليه » فيحتمل أن يكون المنكِرُ أبا مسعود الذى وقع فى رواية عبد الرزاق أنه كان معهما ، ويحتمل أن يكون القصة تعددت ، ويدل على ذلك المغايرة بين روايتى عياض ورجاء ، ففى رواية عياض أن المنبر بُنِىَ له بالمصلى ، وفى رواية رجاء أن مروان أخرج المنبر معه ، ولأن إنكار أبى سعيد كان بينه وبينه ، وإنكار الآخر وقع على رؤوس الناس .

وقوله « إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة » يشعر بأن ذلك باجتهاد من مروان .

أول من خطب قبل صلاة العيد

وقد اختلف فى أول من خطب قبل الصلاة ، فرواية الصحيحين عن أبى سعيد مصرحة بأنه مروان .

وروى ابن المنذر بإسناد صحيح عن الحسن البصرى قال : أول من خطب قبل الصلاة عثمان ، صلى بالناس ثم خطبهم ، يعنى على العادة ، فرأى ناسا لم يدركوا الصلاة ، ففعل ذلك ، أى صار يخطب قبل الصلاة . وهذه العلة غير التى اعتلَّ بها مروان ؛ لأن عثمان رضى الله تعالى عنه راعى مصلحة الجماعة فى

إدراكهم للصلاة ، وأما مروان فراعى مصلحتهم فى استماعهم الخطبة ، لـكن قيل : إنهم كانوا فى زمن مروان يتعمدون ترك سماع خطبته لما فيها من سَبِّ مَنْ لا يستحق السب ، والإفراط فى مدح بعض الناس ، فعلى هذا إنما راعى مصلحة نفسه . ويحتمل أن يكون عثمان فعل ذلك أحيانا ، بخلاف مروان فواظب عليه فلذلك نسب إليه .

وقد أوردنا بقية كلام الحافظ ابن حجر وغيره من الفوائد المتعلقة بذلك فى كتابنا الموسوم « بالوفا ، بما يجب لحضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم » وبينا فيه أن الدرج الموجودة التى يقوم عليها الخطيب اليوم ليست فى الموضع الذى بنى لمروان ؛ لأن مروان وإن قَدَّم الخطبة على الصلاة فلما له فى ذلك من المقصد . وأما جعله المنبر على خلاف السنة وجعله القومَ أو بعضَهم خلف ظهره فلا ثمرة له ، وأيضاً فيبعد إقرار مَنْ جاء بعده على ذلك ، وأيضاً لو كان ذلك من فعله لأنكر عليه كما أنكر عليه ما تقدم ، ولو سلم أن تلك الدرج فى موضع منبر مروان فالسنة تغيير ذلك واتباع ما صح من فعله صلى الله عليه وسلم ، كما خولف فى أمر الخطبة واتبع بها فعله صلى الله عليه وسلم حيث جعلت بعد الصلاة ، والتشبث باستمرار أفعال الناس إنما يكون فى شىء لم يعلم حكمه من جهة الشرع ، أما ما علم حكمه فالواجب اتباعُ الشرع فيه ، واعتقاد حدوث ما عليه الناس ، وتقديره بأقرب زمان ، وقد ذم الله تعالى قوما تمسكوا فى جَحْد الحق بفعل سَلَفهم حيث قال حكاية عنهم : (إنا وجدنا آباءنا على أمة ، وإنا على آثارهم مقتدون) فمن الواجب تطهير هذا المحل الشريف المنسوب للمصطفى صلى الله عليه وسلم عن هذه البدعة الشنعاء ، ولذلك بينا بعض الدرج عن يمين القائم فى محراب المسجد المذكور كما ذكر العلماء أنه السنة ، وتكون مرتفعة بحيث يرى القائم عليها من خارج المسجد ، والذى يظهر أن تلك الدرج إنما جعلت للمبلغ ، وأن الخطيب إنما كان يقوم فيه على الأرض ؛ لأنه الثابت من فعله صلى الله

عليه وسلم ، فكأن بعض الخطباء قام عليها بعد ذلك فاستمر الأمر على ذلك ، والله أعلم .

فضل المصلى

الطرف الثالث : فيما جاء فى فضل المصلى الشريف ، والدعاء به ، ونهيه صلى الله عليه وسلم عن تضييقه والبناء به .

أورد ابن شبة فى ترجمة المصلى عن جناح النجار قال : خرجت مع عائشة بنت سعد بن أبى وقاص إلى مكة ، فقالت لى : أين منزلك ؟ فقلت لها : بالبلاط ، فقالت لى : تمسك به فإنى سمعت أبى يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما بين مسجدى هذا المسجد ومصلاى روضة من رياض الجنة » .

وقوله فى هذه الرواية « ما بين مسجدى هذا المسجد ـ إلى آخره » يدفع تأويلَ مَنْ أوَّلَ حديث الأوسط للطبرانى بلفظ « ما بين حجرتى ومُصَلَّاى » والحديث الذى رواه ابن زبالة من طريق عائشة بنت سعد عن أبيها بلفظ « ما بين منبرى والمصلى » بأن المراد مُصَلَّاه الذى يصلى فيه فى المسجد ؛ لأنه لا يصح أن يقال : ما بين هذا المسجد والمصلى الذى فيه ، ولهذا استدلّتْ به عائشةُ بنت سعد على الحث على التمسك بالدور التى بالبلاط ، يعنى الآخذة من باب السلام إلى المصلى ؛ لأنها فيما بين المسجد ومصلى العيد ، وإذا كان ما بين المسجدين المذكورين روضة فمماروضة من باب أولى ؛ لأن ذلك الفضل إنما حصل لما بينهما بحصوله صلى الله عليه وسلم فى ذلك وتردده صلى الله عليه وسلم فيما بينهما، فكيف بمحلّ سجوده وموقفه الشريف ؟

وروى ابن شبة عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا قَدِمَ من سفر فمر بالمُصَلَّى استقبل القبلة ووقف يدعو .

وعن أبى عطاء عن أبيه قال : قال لى سعيد بن المسيب : يا أبا محمد ، أتعرف موضع دار كثير بن الصلت ؟ قلت : نعم ، قال : فإن النبى صلى الله عليه وسلم

خرج حتى انتهى إلى ذلك الموضع فقام وَصَّف أصحابه خلفه فصلى على النجاشى حين مات فى أرض الحبشة .

وعن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى المصلى يَسْتَسْقِى ، فبدأ بالخطبة ، ثم صلى وكبر واحدةً افتتح بها الصلاة وقال : هـذا مجمعنا ومُسْتَمْطَرُنَا ومدعانا لعيدنا ولفطرنا وأضحانا ؛ فلا يبنى فيه لبنة على لبنة ولا جهة ، ورواه ابن زبالة إلا أنه قال : ثم قال : هذا مجتمعنا ومستمطرنا ومدعانا لعيدنا لفطرنا وأضحانا ، الحديثَ .

وروى يحيى عن داود بن أبى الفرات قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المصلى فقال : هـذا مستمطرنا ومُصَلَّانا لأضحانا وفطرنا ، لا يضيق ، ولا ينتقص منه شىء .

وسيأتى فى ترجمة أحجار الزيت أن النبى صلى الله عليه وسلم استسقى عندها قريبا من الزوراء .

بيان طريق ذهاب النبى للمصلى ورجوعه

الطرف الرابع : فيما جاء من أنه صلى الله عليه وسلم : كان يذهب إلى هذا المصلى الشريف من طريق ويرجع فى أخرى ، وبيان كل من الطريقين .

روينا فى صحيح البخارى فى باب مَنْ خالف الطريق إذا رجع يوم العيد عن جابر رضى الله تعالى عنه قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم عيد خالف الطريق .

وروى ابن شبة عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم أخذ يومَ العيدِ فى طريق ورجع فى طريق آخر ، وفى رواية « كان يأخذ يومَ العيدِ فى طريق ويرجع فى طريق آخر » .

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا خرج إلى العيد فى طريق لم يرجع فيه .

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم « كان إذا خرج إلى العيد رجَعَ فى غير الطريق الذى أخذ فيه » .

وعنه رضى الله تعالى عنه أنه قال : ركن باب دارى هـذا أحَبُّ إلىّ من زِنتها ذهبا ، سَلَكَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على دارى إلى العيد ، فجعلها يَسَارا ، فمر على عضادة دارى مرتين فى غداةٍ واحدة .

قلت : ولا مخالفة بين هذا و بين الرواية الأولى لأن دار أبى هريرة كانت بالبلاط عنـد زقاق عبد الرحمن بن الحارث كما قدمناه فى الدور المحيطة بالبلاط الأعظم ، و بعدها إلى جهة المصلى قريبا منها دارُ سعد بن أبى وقاص .

وقد روى ابن شبة عن يحيى بن عبد الرحمن عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يأتى العيد ماشيا على باب سعد بن أبى وقاص ، ويرجع إلى أبى هريرة » وحينئذ فيمر على دار أبى هريرة فى ذهابه ثم فى رجوعه ؛ لأن الشافعى روى فى الأم ومنهـا نقلت عن المطلب بن حنطب أن النبى صلى الله عليه وسلم « كان يغدو يوم العيد إلى المصلى من الطريق الأعظم ، فإذا رجع رجع من الطريق الأخرى على دار عمار بن ياسر » .

ورواه ابن زبالة عن محمد بن عمار بلفظ « كان يخرج إلى المصلى من الطريق العظمى على أصحاب الفساطيط ، ويرجع من الطريق الأخرى على دار عمار ابن ياسر » وقد قدمنا أن دار عمار بن ياسر فى زقاق عبد الرحمن بن الحارث الذى يسلك إلى البلاط عند دار أبى هريرة بابُهَا يقابل دار عبد الرحمن بن الحارث ، ولها خَوْخة فى كُتَّاب عروة ، فصَحَّ مروره صلى الله عليه وسـلم عليها مرتين فى غداة واحدة مع ذهابه من طريق ورجوعه فى أخرى .

وسيأتى فى ذكر طريقه صلى الله عليه وسلم إلى قباء ذهابا و إيابا ما يصرح بأنه إذا رجع يمر على مسجد بنى زريق من كُتَّاب عروة حتى يخرج إلى البلاط ، يعنى من الزقاق المذكور ؛ لما قدمناه فى وصف البلاط .

والطريق العظمى — كما قال المطرى — هى طريقُ الناسِ اليوم من باب المدينة : أى الدرب المعروف بدرب سويقة إلى مسجد المصلى ، ولم يتعرض لبيان الطريق الأخرى ، وقد مَنَّ الله سبحانه وتعالى ببيانه فله الحمد على ذلك . وهذه الطريق هى المرادة بما رواه ابن زبالة عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يذبح أضحيته بيده إذا انصرف من المصلى على ناحية الطريق التى كان ينصرف منها » وتلك الطريق والمكان الذى كان يذبح فيه مقابل المغرب مما يلى طريق بنى زريق ، أى أنه إذا انصرف من المُصَلَّى أتى موضعا فى غربى طريق بنى زريق فذبح ، ثم سلك فى تلك الطريق ، وهى سالكة فى بنى زريق آخذة من قبلة المصلى إلى أن يمر بدار أبى هريرة كما تقدم ، ولهذا روى الواقدى عن عائشة وابن عمر وغيرهما أنه صلى الله عليه وسلم « كان يذبح عند طرف الزقاق عند دار معاوية » أى المتقدم ذكرها . وسور المدينة اليوم مانع من سلوك هذه الطريق فى الرجوع . ويستفاد من هذا أن المخالفة بين الطريقين لم تكن فى جميعهما ، إلا أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا وصَلَ إلى محل البلاط الذى عند دار أبى هريرة لم يسلك فى بقية الطريق العظمى ، وهى الشارعة اليوم إلى باب السلام ، بل يأخذ فى ميسرة البلاط إلى الشام ؛ لأن الظاهر أن غالب تلك الأماكن كانت بَرَاحاً ثم يعرج إلى جهة داره بعد ذلك . على أن ما ذكرناه فى وَصْف هذه الطريق مُقْتَضٍ لأن طريقه صلى الله عليه وسلم فى ذهابه أقْصَرُ من طريق رجوعه كما لا يخفى ؛ فيعكر على القول بأن المستحب أن يذهب فى أطْوَل الطريقين ويرجع فى أقصرهما .

وقد روى الشافعى رحمه الله تعالى فى الأم عقب ما قدمناه عنه وصف طريق أخرى الرجوعُ فيها أبعدُ من الذهاب أيضاً بكثير جداً ؛ فإنه روى عقب ذلك عن معاذ بن عبد الرحمن التيمى عن أبيه عن جده أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم رَجَعَ من المصلى يوم عيد فسلك على التمارين من أسفل السوق ، حتى إذا

كان عند مسجد الأعرج الذى هو عند موضع البركة[1] التى بالسوق قام فاستقبل فج أسلم فدعا ثم انصرف .

قال الشافعى عقبه : وأحبُّ أن يصنع الإمام مثل هذا ، وأن يقف فى موضع فيدعو الله مستقبل القبلة ، وإن لم يفعل فلا كفارة ولا إعادة عليه ، هذا لفظ الأم ومنها نقلت .

ويؤيد هذا ما رواه يحيى عن محمد بن طلحة بن طويل قال : رأيت عثمان ابن عبد الرحمن ومحمد بن المنكدر ينصرفان من العيد فيقومان عند البركة التى بأسفل السوق ، قال : وسألت عثمان بن عبد الرحمن عن ذلك فقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقف عند ذلك المكان إذا انصرف من العيد .

وقد قدمنا عن ابن زبالة فى سوق المدينة أن محمد بن المنكدر وعثمان بن عبد الرحمن وجماعة كانوا يقومون بفناء بركة السوق مستقبلين ، وأن عثمان بن عبد الرحمن قال : قد اختلف علينا فى ذلك ؛ فقائل يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو هنالك ، وقائل يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم هنالك فينظر إلى الناس إذا انصرفوا من العيد .

قلت : وقد بيَّنتْ روايةُ الشافعى المذكور أنه كان يدعو هنالك إذا انصرف من العيد ، ولا مانع من كونه مع ذلك ينظر إلى الناس المنصرفين من العيد أيضاً فلا اختلاف . وقد بينا هنالك ما يقتضى أنه كان يسلك على سوق التمارين ، وهو فى شامى المصلى مما يلى المغرب ، وبينا أيضاً أن منازل أسْلَم كانت فى غربى سوق المدينة إلى الشام بعد التمارين ، وذلك عند حصن أمير المدينة وما سفل منه إلى جهة الشام مما يلى غربى سوق الشاميين عند منزل الحاج الشامى بالموسم ، وبينا أن بركة السوق هى المنهل المدرج الذى على يسار المتوجه إلى ثَنِيَّة الوَدَاع عند مشهد النفس الزكية ، والقائم عندها إذا استقبل فَجَّ أسلم كان مستقبلا للقبلة ، ولعل مسجد الأعرج الذى أشار الشافعى فى روايته إلى أنه عندها هو الموضع الذى

(١) هى المنهل الذى بقرب مشهد النفس الزكية، ويقال لها اليوم «عين الزكى» (حسب الله) .

هو قبلة مشهد النفس الزكية ، فإنه مسجد،وهو عند موضع البركة ، وماعلمتُ المرادَ بالأعرج الذى نسب إليه المسجد المذكور .

وقد أنشأ قاضى الحرمين السيد الشريف العلامة محيى الدين عبد القادر الحنبلى الفاسى المكى مسجدا بمنزلة الحاج الشامى بالقرب من المنهل المذكور فى جهة قبلته[1] .

إذا علمت ذلك فهذه الطريق تزيد على الطريق العظمى إلى المصلى بنحو ضعفها ، ويمكن سلوكها اليوم فى الرجوع من المصلى ، بخلاف الطريق السابقة ؛ لحيلولة السورِ .

وأهلُ المدينة اليوم يذهبون من الطريق العظمى ، ويرجعون فى بعض تلك الطريق السابقة ؛ لأنهم يأخذون من جهة قبلة المصلّى إلى المشرق خارج سور المدينة ، فيدخلون من درب البقيع ، وطريقهم هذه فى الرجوع أطول من الذهاب أيضاً ، ولو سلكوا الطريقَ المذكورة فى رواية الشافعى الثانية لكان أولى ، وليحصل الدعاء بذلك المحل الشريف اقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم ومن تقدم ذكره من السلف الصالح .

وقد فعلتُ ذلك فى عامنا هذا ، فسلكت فى الذهاب إلى المُصَلّى من الطريق العظمى ، ورجعت من أسفل السوق إلى أن قمت بفناء بركته المذكورة ، ثم انصرفت فدخلت المدينة من الباب الذى يلى حصن أمير المدينة ، والخيرُ كله فى الاتباع ومجانبة الابتداع ، وأى بركة أعظم من ذهاب الإنسان إلى المصلى فى ذلك اليوم السعيد فى طريق ذهب منها النبىُّ صلى الله عليه وسلم ؟ ثم صلاته بمُصَلاّه الشريف ، ثم رجوعه فى طريقه التى رجع منها .

وقد قال المجد : وإذا ثبت بما رويناهُ ـ يعنى من الأحاديث المتقدمة ـ أن المصلّى الموجودَ هو مصلى النبى صلى الله عليه وسلم فى الأعياد ، فالصلاةُ فيه تزداد فضلا ومزية على كل مصلى أىّ ازدياد ، ويخص الفائزون بالصلاة فيه من الله تعالى

(١) يعرف اليوم بمسجد السبق (حسب الله) .

بأسبغ نِعَم وأياد ، ويمنح الحائزون فضل الحضور إليها فواضل قصرت عنها معالى معد وأيادى إياد .

قلت : وأخبرنى جماعة من المشايخ منهم شيخنا الكمال أبو الفضل محمد ابن العلامة نجم الدين المرجانى وأخته المسندة أم كمال كماليه والمسندة أم حبيبة زينب ابنة الشهابى أحمد الشونكى وغيرهم إذنا عن المجد المشار إليه قال عقب ما تقدم عنه : أنشدنى أبو عمر عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم الحموى كتابة عن أبى البركات أيمن بن محمد بن محمد بن محمد الغرناطى لنفسه :

إنَّ عيداً بطيبة وصلاةً ... بمُصَلَّى الرسولِ فى يوم عيد
نِعَمٌ ضاق واسعُ الشكرِ عنها ... فَهْىَ بُشْرَى لكل عبد سعيد
كم تمنيتها فنِلْتُ التمنى ... آخِرَ العمر من مكان بعيد
وإذا كان فى البقيع ضَرِيحى ... وتوسَّدْتُ طِيبَ ذاك الصعيد
فاشْهَدُوا لى بكلِّ خير وبشرٍ ... عند ربى ومُبْدِئى ومعيدى

والمسئول من فضل الله تعالى أن يكمل لأهل هـذا المصلى الشريف عظيمَ منته بجعل منبره المنيف على طريقته صلى الله عليه وسلم وسنته ، بمنه وكرمه ، آمين

الفصل الثانى

فى مسجد قباء ، وفضله ، وخبر مسجد الضِّرَار

تأسيس مسجد قباء

تقدم تأسيس النبى صلى الله عليه وسلم لمسجد قباء فى الفصل العاشر من الباب الثالث ، عند مقدمه صلى الله عليه وسلم قباء ، وبَسَطْنا ذلك هناك ، فراجعه وذكرنا هناك ما جاء من أن النبى صلى الله عليه وسلم عمل فيه بنفسه ، وأنه أسَّسه وجبريل يؤُمُّ به البيت ، وأنه كان يقال : إنه أقْوَمُ مسجد قبلةً ، وأنه صلى الله عليه وسلم أسسه ثانيا بعد تحويل القبلة ، وقدمنا أيضاً قول عروة فى الصحيح

فى حديث الهجرة الطويل « فَلَبِثَ فى بنى عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة ، وأسس المسجد الذى أسس على التقوى » .

وفى رواية عبد الرزاق عنه قال « الذين بنى فيهم المسجد الذى أسس على التقوى هم بنو عمرو بن عوف » وكذا فى حديث ابن عباس عند ابن عابد ولفظه « ومكث فى بنى عمرو بن عوف ثلاث ليال ، واتخذ مكانه مسجدا فكان يصلى فيه ، ثم بناه بنو عمرو بن عوف ، فهو الذى أسس على التقوى » وقدمنا أيضاً أنه أول مسجد بناه النبى صلى الله عليه وسلم وصلى فيه بأصحابه جماعة ظاهرا .

المسجد الذى أسس على التقوى

قال الحافظ ابن حجر : اختلف فى المراد بقوله تعالى (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه) فالجمهور على أن المراد مسجد قباء ، وهو ظاهر الآية ، وتقدم فى فضل المسجد النبوى حديث مسلم المشتمل على أن أبا سعيد سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذى أسس على التقوى فقال « هو مسجدكم هذا » وفى رواية لأحمد والترمذى عنه : اختلف رجلان فى المسجد الذى أسس على التقوى ، فقال أحدهما : هو مسجد المدينة ، فسألاه عن ذلك ، فقال : هو هذا ، وفى ذلك ـ يعنى مسجد قباء ـ خير كثير ، وقدمنا أيضاً الجمع بأن كلا من المسجدين قد أسس على التقوى من أول يوم تأسيسه ، وأنهما المراد من الآية ، وأن السر فى اقتصاره صلى الله عليه وسلم على ذكر مسجد المدينة دفع توهم اختصاص ذلك بمسجد قباء ، كما هو ظاهر ما فهمه السائل وتنويهها بمزية مسجده الشريف .

قال الحافظ ابن حجر : والحق أن كلا منهما أسس على التقوى ، وقوله تعالى فى بقية الآية (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) يؤيد كون المراد مسجد قباء .

وعند أبى داود بإسناد صحيح عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : نزلت (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) فى أهل قباء ، قال : كانوا يستنجون بالماء ، فنزلت فيهم هذه الآية .

قال الحافظ ابن حجر : فالسر فى جوابه صلى الله عليه وسلم بما تقدم دفع توهم أن ذلك خاص بمسجد قباء .

قال الداودى وغيره : ليس هذا اختلافا ؛ لأن كلا منهما أسس على التقوى وكذا قال السهيلى وزاد أن قوله تعالى (من أول يوم) يقتضى مسجد قباء ؛ لأن تأسيسه كان فى أول يوم حَلَّ النبى صلى الله عليه وسلم بدار الهجرة .

روى أحمد وابن شبة ، واللفظ لأحمد ، عن أبى هريرة قال : انطلقت إلى مسجد التقوى أنا وعبدُ الله بن عمر وَسُمَرة بن جندب ، فأتينا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا لنا : انطَلَقَ نحو مسجد التقوى ، فانطلقنا نحوه ، فاستقبَلَنا يَدَاه على كاهلَىْ أبى بكر وعمر ، فثرنا فى وجهه فقال : مَنْ هؤلاء يا أبا بكر ؟ فقال : عبد الله بن عمر ، وأبو هريرة ، وسمرة .

وروى ابن شبة من طرق ماحاصله أن الآية لما نزلت أتى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أهلَ قباء ، وفى رواية أهل ذلك المسجد ، وفى رواية بنى عمرو بن عوف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله قد أحْسَنَ عليكم الثناء فى الطهور ، فما بلغ من طهوركم ؟ قالوا : نستنجى بالماء » .

وذكر أبو محمد المرجانى الجمع بأن كلا من المسجدين أسِّسَ على التقوى ، ثم قال : فقد رُوِى عن عبد الله بن بُرَيْدة فى قول الله عز وجل (فى بيوتٍ أذِنَ الله أن ترفع) قال : إنما هى أربعة مساجد ، لم يبنهنَّ إلا نبى : الكعبة بناها إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام ، و بيت أريحاء بيت المقدس ، بناه داود وسليمان ، ومسجد المدينة ومسجد قباء اللذين أسِّسَا على التقوى ، بناها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قلت : وقال يحيى بن الحسين فى أخبار المدينة : حدثنا بكر بن عبد الوهاب أنبأنا عيسى بن عبد الله عن أبيه عن جده عن على بن أبى طالب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « المسجدُ الذى أسِّسَ على التقوى من أول يوم هو مسجد قباء ،

قال الله جل ثناءه (فيـه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) وبكر ابن عبد الوهاب هو ابن أخت الواقدى صدوق ، وعيسى بن عبد الله يظهر لى أنه عيسى بن عبد الله بن مالك وهو مقبول ؛ فيـكون جده حينئذ عبد الله بن مالك ، وهو شيخ مقبول يروى عن على وابن عمر ؛ فالحديث حسن ؛ فتعين الجمع بما تقدم والله أعلم .

ما جاء فى أن الصلاة فيه تعدل عمرة

روى الترمذى عن أسيد بن حضير الأنصارى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الصلاةُ فى مسجد قباء كعمرة » قال الترمذى : وفى الباب عن سهل ابن حنيف ، وحديث أسيد حديث حسن غريب ، ولا يعرف لأسيد شىء يصح غير هذا الحديث .

قلت : وأخرجه البيهقى وابن ماجه من طريق أبى بكر بن شيبة بإسناد الترمذى ، وهو جيد ، بلفظ « الصلاة فى مسجد قباء كعمرة » .

وأخرج ابن حِبَّانَ فى صحيحه عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه شهد جنازة بالأوساط فى دار سعد بن عبادة ، فأقبل ماشيا إلى بنى عمرو بن عوف بفناء بنى الحارث بن الخزرج ، فقيل له : أين تؤم يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : أهل هذا المسجد فى بنى عمرو بن عوف ؛ فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مَنْ صَلى فيه كان كعدل عمرة » .

ورواه ابن زبالة موقوفا ، ولفظه أن عبد الله بن عمر شهد جنازة فى الأوساط من بنى الحارث بن الخزرج ، ثم خرج يمشى ، فقالوا له : أين تريد يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : أريد مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء ؛ ه مَنْ صلى فيه ركعتين كان كعدل عمرة .

وأخرج ابن ماجه وعمر بن شبة بسند جيد عن سهل بن حنيف قال : قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ تطهر فى بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة كان له كأجر عمرة » .

ورواه أحمد والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

ورواه يحيى من طريقين فيهما مَنْ لم أعرفه بلفظ « مَنْ توضأ فأسبغ الوضوء ثم جاء مسجد قباء فصلى فيه ركعتين كان له عدل عمرة » .

ورواه الطبرانى فى الكبير عن سهل من طريق موسى بن عبيدة — وهو ضعيف — بلفظ « مَنْ توضأ فأحسن الوضوء ثم دخل مسجد قباء فيركع فيه أربع ركعات كان ذلك عدل رقبة » .

ورواه ابن شبة عن سهل من طريق موسى بن عبيدة المذكور بلفظ « مَنْ توضأ فأحسن وضوءه ثم جاء مسجد قباء فركع فيه أربع ركعات كان له عدل عمرة » .

ورواه أيضاً بسندٍ فيه يوسف بن طهمان — وهو ضعيف — عن سَهْل ابن حُنَيف عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما من مؤمن يخرج على طهر إلى مسجد قباء لا يريد غيره حتى يصلى فيه إلا كان بمنزلة عمرة » .

وروى الطبرانى فى الكبير بسند فيه يزيد بن عبد الملك النوفلى — وهو ضعيف — عن كعب بن عجرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مَنْ تَوَضَّأَ فأسبغ الوضوء ثم عَمَدَ إلى مسجد قباء لا يريد غيره ، ولا يحمله على الغُدُوِّ إلا الصلاة فى مسجد قباء ، فصلى فيه أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة بأم القرآن كان له كأجر المعتمر إلى بيت الله » .

وقال عمر بن شبة : حدثنا سويد بن سعيد قال : حدثنا أيوب بن صيام عن سعيد بن الرقيش الأسدى قال : جاءنا أنس بن مالك إلى مسجد قباء فصلى ركعتين إلى بعض هذه السوارى ثم سلم وجلس وجلسنا حوله ، فقال : سبحان الله ! ما أعْظَمَ حَقَّ هذا المسجد ، لو كان على مسيرة شهر كان أهلا أن يؤتى ،

مَنْ خرج من بيته يريده معتمداً إليه ليصلى فيه أربعَ ركعاتٍ أقلبه الله بأجرِ عُمْرة » .

قال ابن شبة : قال أبو غسان : ومما يُقوِّى هذه الأخبار ويدل على تظاهرها فى العامة والخاصة قولُ عبد الرحمن بن الحكم فى شعر له :

فإن أهْلِكْ فقد أقررْتُ عيناً من المتعمرات إلى قباء
مِنَ اللاتى سَوَالِفُهُنَّ غيد عَلَيْهِنَّ المَلاَحَةُ بالبَهَاء

تفضيل الصلاة فى مسجد قباء على بيت المقدس

ما جاء فى تفضيل الصلاة فيه على بيت المقدس ، ومغفرة ذنوب مَنْ صلى فيه مع المساجد الثلاثة .

روى ابن شبة بسند صحيح من طريق عائشة بنت سعد بن أبى وقاص قالت: سمعت أبى يقول : « لأن أصَلِّىَ فى مسجد قباء ركعتين أحَبُّ إلىّ من أن آتىَ بيت المقدس مرتين ، لو يعلمون ما فى قباء لضربوا إليه أكباد الإبل » .

ورواه الحاكم عن عامر بن سعد وعائشة بنت سعد سمعا أباهما يقول : لأن أصلىَ فى مسجد قباء أحَبُّ إلىّ من أن أصلى فى مسجد بيت المقدس ، قال الحاكم : وإسناده صحيح على شرطهما . وهذا شاهد لما روى عن محمد بن مسلمة المالكى أنه قال : إن إتْيانَ مسجد قباء يلزم بالنذر ، وجمهور العلماء أن ذلك وإن كان قربة لا يلزم بالنذر .

وعن عاصم قال : أخبرنا أن مَنْ صلى فى المساجد الأربعة غُفِرَ له ذنبه ، فقال له أبو أيوب : يا ابن أخى أدلُّكَ على ما هو أيسر من ذلك ، إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مَنْ توضأ كما أمر ، وصلى كما أمر ، غفر له ما تقدم من ذنبه » أخرجه أبو حاتم وقال : المساجد الأربعة : المسجدُ الحرام ، ومسجد المدينة ، ومسجد الأقصى ، ومسجد قباء .

إتيان الرسول مسجد قباء

ما جاء فى إتيان النبى صلى الله عليه وسلم له راكبا وماشيا ، وصلاته فيه ، وتعيين الأيام التى كان صلى الله عليه وسلم يأتى قباء فيها هو وغيره من الصحابة .

روينا فى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يَزُورُ قباء ، أو يأتى قباء ، راكبا وماشيا .

زاد فى رواية لهما : فيصلى فيه ركعتين .

وروى ابن شبة عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه كان انطلق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مسجد قباء ، فصلى فيه ، فجعلت الأنصار يأتُونَ وهو يصلى ، فيسلِّمُونَ عليه ، فخرج عَلَىَّ صُهَيْبٌ فقلت : يا صُهَيْب كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يردُّ على مَنْ سلم ؟ قال : يُشير بيده .

وفى رواية للبخارى والنسائى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يأتى مسجد قباء كل سبت راكبا وماشيا » وكان عبد الله يفعله .

وفى رواية لابن حِبَّان فى صحيحه « كل يوم سبت » . وفيها رد على من قال : إن المراد بالسبت الأسبوع .

وروى ابن شبة عن سعيد بن عمرو بن سليم مرسلا أن النبى صلى الله عليه وسلم « كان يُطْرَحُ له على حمار أنبجانىّ لكل سبت ، ثم يركب إلى قباء » .

ورواه ابن زبالة بنحوه ، وزاد « ويمشى حوله أصحابه » .

وروى ابن شبة عن شريك بن عبد الله بن أبى نمر مرسلا أن النبى صلى الله عليه وسلم « كان يأتى قباء يوم الاثنين » .

وعن محمد بن المنكدر مرسلا قال « كان النبى صلى الله عليه وسلم يأتى قباء صبيحة سبع عشرة من رمضان[1] » .

ورواه يحيى عن ابن المنكدر عن جابر متصلا . وفى كتاب رزين عن ابن المنكدر قال : أدركت الناس يأتون مسجد قباء صبيحة سبع عشرة من رمضان .

وروى يحيى عن ابن المنكدر نحوه أيضاً .

وعن أبى غزية قال : كان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يأتى قباء يوم الاثنين ويوم الخميس ، فجاء يوماً من تلك الأيام فلم يَجِدْ فيه أحداً من أهله ،

(١) هذا باق إلى زماننا والناس يسمون ذلك العمرة (حسب الله) .

فقال : والذى نفسى بيده لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر فى أصحابه يَنْقُلُ حجارتَهُ على بطوننا، يؤسِّسُه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بيده ، وجبريل يؤم به البيتَ ، ومحلوف عمر بالله لو كان مسجدنا هـذا بطرف من الأطراف لضرَبْنَا إليه أكباد الإبل ، ثم قال : اكسروا لى سَعَفَه واجتنبوا العَوَاهن ، أى ما يلى القلب من السَّعَف ، فقطعوا السعفة ، فأتى بها ، فأخذ رزمة فرَبَطها فمسحه ، قالوا : نحن نكفيك يا أمير المؤمنين ، قال : لا تكفونيه .

وفى رواية لرزين عقب قوله « وجبريل يؤم به البيت » ثم أخذ أى عمر رضى الله تعالى عنه جَرَائدَ فجعل يمسح جُدْرَانه وسطحه ، فقيل له : نكفيك يا أمير المؤمنين ، فقال : لا تكفونيه ، أنا أريد أن أكفيكم أنتم مثل هـذا ، وإن شئتم اعملوا مثل ما أعمل .

وقد استشكل الزين المراغى قوله «وجبريل يؤم به البيت » بأن ذلك كان قبل تحويل القبلة ، وقد أشَرْنَا فيما تقدم لجوابه .

وأسند ابن زبالة عن شيخ من بنى عمرو بن عوف قال : أتانا عمرُ بن الخطاب بقباء فقال لخياط بسُدَّة الباب : انْطَلِقْ فأتِنِى بجريدة وإياك والعَوَاهنَ ، فأتاه بجريدة ، فقَشَرها وترك لها رأسا فضرب به قبلة المسجد حتى نفض الغبار .

ورواه ابن شبة ، إلا أنه قال : عن شيوخ من بنى عمرو بن عَوْف أن عمر رضى الله تعالى عنه جاءهم بقباء نصفَ النهارِ ، فدخل مسجد قباء ، فأمر رجلا يأتيه بجريدة رَطْبة ، الخبرَ بنحوه .

وروى ابن زبالة عن زيد بن أسلم قال : الحمد لله الذى قَرَّبَ منا مسجد قباء ، ولو كان بأفُقٍ من الآفاق لضرَبْنَا إليه أكباد الإبل .

وفى صحيح البخارى : كان سالم مولى أبى حُذَيفة رضى الله تعالى عنهما يؤم المهاجرين الأولين من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى مسجد قباء ، فيهم أبو بكر وعمر .

ورواه ابن شبة عن ابن عمر ، ولفظه : وكان سالم مولى أبى حُذَيفة يؤم المهاجرين الأولين وأصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار فى مسجد قباء ، فيهم أبو بكر وعمر وأبو سَلمة وزيد وعامر بن ربيعة رضوان الله عليهم .

وروى أيضاً عن أبى هاشم قال : جاء تميم بن زيد الأنصارى إلى مسجد قباء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر مُعَاذا أن يصلى بهم ، فجاء صلاة الفجر وقد أسْفَرَ فقال : ما يمنعكم أن تُصَلوا ؟ ما لكم قد حبستم ملائكة الليل وملائكة النهار ؟ قالوا : يمنعنا أنا نَنْتَظر صاحبَنَا ، قال : فما يمنعكم إذا احتبس أن يصلى أحدكم ؟ قالوا : فأنت أحَقُّ من يصلى بنا ، قال : أترضون بذا ؟ قالوا : نعم ، فصلى بهم ، فجاء معاذ فقال : ما حَمَلَكَ يا تميم على أن دخلت علىَّ فى سِرْبَال سَرْبَلنيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : ما أنا بتاركك حتى أذهب بك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله إن هذا تميمٌ دخل فى سربالٍ سَرْبَلْتَنِيه ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ما تقول يا تميم ؟ فقال مثل الذى قال لأهل المسجد ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : هكذا فاصْنَعُوا مثل الذى صنع تميم بهم ، إذا احتبس الإمام .

وروى ابن زبالة عن عويم بن ساعدة أن سعد بن عويم بن قيس بن النعمان كان يصلى فى مسجد قباء فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى زمان أبى بكر حتى توفى ،[وفى] زمان عمر بن الخطاب فأمر عمر مجمع بن حارثة أن يصلى بهم بعد أن رَدَّه ، وقال له : كنت إمام مسجد الضِّرَار ، فقال :يا أمير المؤمنين كنت غلاما حَدَثا ، وكنتَ أرى أن أمرهم على أحْسَن ذلك ، وقَدَّمُونى لما معى من القرآن ، فأمَرَهُ فصلّى بهم .

المكان الذى كان الرسول يصلى فيه بمسجد قباء

ما جاء فى تعيين مُصَلاَّه صلى الله عليه وسلم منه ، وصفته ، وذَرْعِهِ

روى ابن زبالة أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلى إلى الأسطوان الثالثة فى مسجد قباء التى فى الرحبة .

ونقل ابن شبة عن الواقدى أنه قال : عن مجمع بن يعقوب عن سعيد بن عبد الرحمن بن رقيش قال : كان المسجدُ فى موضع الأسطوان المخلَّقة الخارجة فى رحبة المسجد .

وعن ابن رقيش قال : بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد قباء ، وقدَّم القبلة إلى موضعها اليوم ، وقال : جبريلُ يؤم بى البيت . قال ابن رقيش : فحدثنى نافع أن ابن عمر كان بعدُ إذا جاء مسجد قباء صلى إلى الأسطوان المخلَّقة يقصد بذلك مسجدَ النبى صلى الله عليه وسلم الأول .

قال ابن شبة : قال أبو غسان : وأخبرنى مَنْ أثِقُ به من الأنصار من أهل قباء أن موضع قبلة مسجد قباء قبل صَرْف القبلة أن القائم كان يقوم فى القبلة الشامية فيكون موضع الأسطوان الشارعة فى رَحْبة مسجد قباء التى فى صفّ الأسطوان المخلَّقة المقدمة التى يقال لها إن مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حرْفها .

قال : وأخبرنى أيضاً أن مُصَلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد قباء بعد صَرْف القبلة كان إلى حرف الأسطوان المخلَّق كثير منها المقدمة إلى حرفها الشرقى ، وهى دون محراب مسجد قباء عن يمين المصلى فيه .

وروى ابن زبالة عن عبد الملك بن بكر بن أبى ليلى عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلّى فى مسجد قباء إلى الأسطوان الثالثة فى الرحبة إذا دخلْتَ من الباب الذى بفناء دار سعد بن خيثمة .

قلت : والباب المذكور هو المسدود اليوم يظهر رَسْمُه من خارج المسجد فى جهة المغرب ، وكان شارعاً فى الرواق الذى يلى الرحبة من المسقف القبلى ؛ فالأسطوان الثالثة فى الرحبة هى الأسطوان التى عندها اليوم محراب فى رحبة المسجد ؛ لانطباق الوَصْف المذكور عليها ؛ فهى المراد بقول الواقدى « كان المسجدُ فى موضع الأسطوان المخلَّقة الخارجة فى رحبة المسجد وهى التى كان ابن عمر يصلى

إليها . ومقتضى ما تقدم عن أبى غسان أن هذه الأسطوانة عندها مصلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم الأول قبل تحويل القبلة ، وأن مصلاه بعد التحويل كان إلى الأسطوانة التى فى صفّ هذه الأسطوانة مما يلى القبلة ، وهى الثالثة من أسطوان الرحبة المذكورة ؛ فإنها الموصوفة بما ذكره من كونها دون المحراب على يمين المصلى فيه ، والمصلى إلى حرفها الشرقى يكون محاذيا لمحراب المسجد ؛ فالرواق القبلى مَزِيد فى المسجد ، وجعلوا المحراب به فى محاذاة المصلى الشريف من الأسطوان المذكورة . لكن قوله فى الرواية الأخرى « وقدم القبلة إلى موضعها اليوم » يقتضى أنه لم يزد أحدٌ فى جهة القبلة بعد النبى صلى الله عليه وسلم ؛ فينبغى أن يتبرك بالصلاة عند محراب القبلة ، وعند المحلين من الأسطوانتين المذكورتين .

وقد اقتصر يحيى فى بيان مصلى النبى صلى الله عليه وسلم على الأسطوان التى فى الرحبة ؛ فذكر رواية ابن زبالة ، ثم روى عن معاذ بن رفاعة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى إلى الأسطوان الخارجة ، وهى فى صفّ المخلّقة ، وإنما كان موضعها يومئذ كهيئة العريش . ثم ذكر أن موسى بن سلمة حدثه أنه رأى أبا الحسن على بن موسى الرضى يصلى إلى هذه الأسطوانة الخارجة . ثم قال يحيى : ورأيت غيرَ واحدٍ من أهل بيتى منهم عبدُ الله وإسحاق ابنا موسى بن جعفر وحسين بن عبد الله بن عبد الله بن حسين يصلون إلى هذه الأسطوانة الخارجة إذا جاءوا قباء ، ويذكرون أنه مُصَلّى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم . قال : ورأيت من أهل بيتى مَنْ يأتى قباء فيصلى إليها ممن يُقْتَدَى به ممن لا أبالى أن لا أرى غيرَه فى الفقه والعلم ، انتهى .

وعن يمين مستقبل الأسطوانة المذكورة هيئة محاريب فى رحبة المسجد لم أعلم أصلَها ، وبالرواق الذى يلى الرحبة قريبا من محاذاة محراب المسجد دِكّة مرتفعة عن أرض المسجد يسيراً أمامَها محرابٌ فيه حجر منقوش فيه قوله تعالى (لمسجد أسِّسَ على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ـ الآية) وبعدها ما لفظه :

هذا مقامُ النبى صلى الله عليه وسلم ، جُدِّد هـذا المسجد فى تاريخ سنة إحدى وسبعين وستمائة ، ولم يتبين اسمُ مَنْ جدد المسجد . وظاهر حال مَنْ صنع ذلك فى هذا المحل أنه محلُّ المصلَّى الشريف ، وفيما قدمناه ما يرده ، وقد اغترَّ المجدُ بذلك فجزم بأن تلك الدكة هى أول موضع صلى فيـه النبى صلى الله عليه وسلم ، وكأنه حين ألَّفَ كتابه كان غائبا عن المدينة ، فوصف تلك الدكة بقوله : وفى صَحْنه ممـا يلى القبلة شِبْهُ محرابٍ على مصطبة هو أول موضع ركَعَ فيه النبى صلى الله عليه وسلم ، وكأنه وصفها بأنها فى صحن المسجد ليجامع ما تقدم عن المؤرخين فى وصف المصلى الشريف . ولا يصح القول بأنها كانت أولا فى رحبة المسجد ؛ لاحتمال أنه زيد بعده فى المسقف القبلى رواق ؛ لمـا سنبينه من أن أرْوِقَةَ المسجد ورحْبته كانت على ما هى عليه اليوم ، لم يزد فيها شئ بعد ما ذكره المؤرخون .

ثم رأيت ما ذكره المجد بحدوثه فى رحلة ابن جُبير ، وكانت عام ثمان وسبعين وخمسمائة ، فتلك الدكة التى يعنيها ابن جبير كانت فى صحن المسجد عند الأسطوانة التى إليها اليوم المحراب فى رحبة المسجد ، فيوافق ما أطبق عليه الناسُ وكأنها دَثَرَتْ على طول الزمان ، ثم أعيدت فى غير محلها ؛ فإنه ذكر أنها بصحن المسجد مما يلى القبلة ،ووصف أروقة المسجد بما هى عليه اليوم ؛ فليست الدكة الموجودة اليوم لحدوثها بعده .

وأما الحظيرة التى بصحن المسجد فلم أرَ فى كلام المتقدمين تعرضا لذكرها ، والشائعُ على ألسنة أهل المدينة أنها مَبْرَكُ ناقة النبى صلى الله عليـه وسلم ، وبه جزم المجد تبعا لابن جبير فى رحلته ؛ فقال : وفى وسط المسجد مَبْرَكُ الناقة بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وعليه حظيرة قصيرة شبه روضة صغيرة يتبرك بالصلاة فيه ، انتهى .

وهو محتمل ؛ لأن أصل مسجد قباء كان مِرْبَداً لـكلثوم بن الهدْم ، وعليه

نزل النبي صلى الله عليه وسلم على ما أسلفناه ، فأعطاه النبيّ صلى الله عليه وسلم فأسّسه مسجدا . وقيل فيه غير هذا مما قدمناه .

وقال ابن زبالة : حدثنا عاصم بن سويد عن أبيه قال : وكان مسجد قباء على سبع أساطين ، وكانت له درجة لها قبة يؤذن فيها يقال لها النعامة ، حتى زاد فيه الوليد بن عبد الملك بن مروان بعد ذلك .

قلت : وعدد كل صف من أساطينه اليوم بين المشرق والمغرب سبع أيضا .

وقال الزين المراغى عقبَ نَقْلِ ذلك عن ابن زبالة : فيحتمل أن هذه — يعنى الصفة المذكورة فى كلام ابن زبالة — صفة بنائه عليه الصلاة والسلام ، ويؤكده قولهم « ولم يزل مسجد قباء على ما بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن بناه عمر بن عبد العزيز » أى زمن الوليد .

قلت : وما أيد به الاحتمالَ المذكور لم أرَهُ فى كلام أحد من المؤرخين غير المطرى ومن تبعه .

وقد روى ابن شبة ما يصرح بخلافه عن أبى سلمة بن عبد الرحمن ، قال : إن ما بين الصومعة إلى القبلة زيادة زادها عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه .

قلت : والصومعة هى المَنارة التى فى ركنه الغربى مما يلى الشام ، وسيأتى فى ترجمة غرة أنه اسم أُطُم لبنى عمرو بن عوف ابتنيت المنارة فى موضعه .

وقال ابن النجار : كان النبى صلى الله عليه وسلم نزل بقباء فى منزل كلثوم بن الهدم ، وأخذ مربَدَهُ فأسسه مسجدا وصلى فيه ، ولم يزل ذلك المسجد يزوره صلى الله عليه وسلم ويصلى فيه أهلُ قباء ، فلما توفى صلى الله عليه وسلم لم تزل الصحابة تزوره وتُعَظمه .

تجديد مسجد قباء

ولما بنى عمر بن عبد العزيز مسجد النبى صلى الله عليه وسلم بنى مسجد قباء ووسّعه ، وبناه بالحجارة والجص ، وأقام فيه الأساطين من الحجارة بينها عواميد الحديد والرصاص ، ونقشه بالفُسَيْفِسَاء ، وعمل له منارة ، وسقفه بالساج ، وجعله

أروقة ، وفى وسطه رحبة ، وتهدَّم على طول الزمان حتى جَدَّد عمارته جمالُ الدين الأصفهانى وزير بنى زَنْكِى الملوك ببلاد الموصل .

قلت : وكان تجديد الجَوَاد لمسجد قباء فى سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، كما قاله المطرى .

وفيما قدمناه من صورة ما كتب فى محراب الدكة التى بالرواق الذى يلى الرحبة ما يقتضى أنه جدد بعد ذلك فى سنة إحدى وسبعين وستمائة .

وبالمسجد منقوش أيضا ما يقتضى أن الناصر بن قلاوون جدَّد فيه شيئاً سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة ، وجدد غالب سقفه الموجود اليوم الأشرفُ برسْبَاى على يد ابن قاسم المحلى أحد مشايخ الخُدَّام سنة أربعين وثمانمائة .

وقد سقطت منارته سنة سبع وسبعين وثمانمائة ، فجدَّدها متولى العمارة فى زماننا الجناب الخواجكى الشمسى بن الزمن ـ عامله الله بلطفه ـ فى سنة إحدى وثمانين وثمانمائة فى أثناء عمارته السابقة بالمسجد النبوى بعد هدمها إلى الأساس ، وهدم الأسطوانة التى كانت لاصقةً بها ، وكانت تلك الأسطوانة محكمة بالرصاص ، وأعيدت بغير رصاص ، وأبدلوا من أحجارها ما قدمنا أنهم أدخلوه فى أسطوان الصندوق التى فى جهة الرأس الشريف بالمسجد النبوى .

وهدم متولى العمارة أيضا ما يلى المنارة المذكورة من سور المسجد إلى آخر بابه الذى يليها فى المغرب ، وأعاد بناء ذلك ، وجدد بعض سقفه ، وبنى السبيل والبركة المقابلين للمسجد فى المغرب بالحديقة المعروفة بالسراج العينى الموقوفة على قرابته ، وقد كانت المنارة الأولى ألطفَ من هذه فزاد فى طولها ؛ فإن ابن النجار قال : وطول منارته من سطحه إلى رأسها اثنان وعشرون ذراعا ، وعلى رأسها قبة طولها نحو عشرة أذرع ، قال : وعرض المنارة من جهة القبلة عشرة أذرع شافَّة ، ومن المغرب ثمانية ، وذكر قبل ذلك أن ارتفاع المسجد فى السماء عشرون ذراعا ؛

فيكون جملة طول المنارة الأولى اثنين وخمسين ذراعا من أعلاها إلى أسفل الأرض ، وهو يقرب لما نقله ابن شبة فى وصف المنارة المذكورة ، فإنه قال : وطول منارته خمسون ذراعاً ، وعرضها تسعة أذرع وشبر فى تسعة أذرع ، انتهى . وذَرْعُ هـذه المنارة المجددة اليوم من الأرض الخارجة عن المسجد إلى أعلى قبتها أحَدٌ وستون ذراعا ، وعرضها تسعة أذرع فى المشرق والقبلة ، وهناك بابها .

ونقل ابن شبة عن أبى غسان أن طول مسجد قباء وعرضه سواء ، وهو ست وستون ذراعا . قال : وطول ذَرْعه فى السماء تسعة عشر ذراعاً ، وطول رحبته التى فى جوفه ـ يعنى صحنه ـ خمسون ذراعا ، وعرضها ستة وعشرون ذراعا . وذكر ابن النجار نحوه ، فقال : طوله ثمانية وستون ذراعا تشف[1] قليلا ، وعرضه كذلك .

قلت : وقد اختبرت ذلك فكان ذرع طوله من المشرق إلى المغرب مما يلى الشام ثمانية وستين ذراعا ونصفا ، وكان عرضه من القبلة إلى الشام تسعة وسبعين ذراعاً ، وذَرْعُ طوله بين المشرق والمغرب مما يلى جدار القبلة أرْجَحُ من سبعين ذراعاً بيسير ، وطول ذَرْعِهِ فى السماء من أرض المسجد إلى سَقْفه تسعة عشر ذراعاً ، وطولُه من خارجه من البلاط الذى فى غربيه إلى أعلى شَرَارِيفه أربعة وعشرون ذراعا ، وذَرْعُ طول صَحْنه من المشرق إلى المغرب أحد وخمسون ذراعاً ، وعرض صحنه من القبلة إلى الشام ستة وعشرون ذراعا وربع ، وهذا الصحن هو الذى عبر عنه أبو غسان بالرحبة فى جوفه ؛ فصح بذلك أن رحبة المسجد اليوم على ما كانت عليه فى زمن أبى غسان وغيره من المؤرخين الذين قدمنا كلامهم ، وأن ما قدمناه فى بيان مُصَلَّى النبى صلى الله عليه وسلم بكونه عند المحراب الذى بجانب الأسطوانة التى فى رحبة المسجد اليوم صحيح ، وأن ماقاله المجدُ من كون تلك الدكة المتقدم وَصْفُها بصحن المسجد غير صحيح .

---

(١) تشف تنقص .

وقال ابن جبير فى رحلته : إن مسجد قباء سبع بلاطات ، يعنى أروقة كما هو فى زماننا ، و بيانه أن المسقف القبلى ثلاثة أروقة ، والشامى اثنان ، وفى المغرب رواق واحد يلى باب المسجد اليوم ، وفى المشرق فى مقابلته رواق واحد أيضاً .

وذكر ابن النجار فى عدد أساطينه ما يوافق كونه على سبعة أروقة أيضاً ؛ فقال : وفى المسجد تسعة وثلاثون أسطواناً ، بين كل أسطوان وأسطوان سبعة أذرع شافَّة .

قلت : وعددُها اليوم كذلك ؛ لأن جهة القبلة ثلاثة صفوف كل صف سبعة أساطين بين المشرق والمغرب ، وجهة الشام صفان كل صف سبعة أيضاً ، وفيما يلى الرحبة من المغرب أسطوانتان ، وفيما يليها من المشرق أسطوانتان ، وجملة ذلك ما ذكره .

ووقع فيما نقله ابن شبة عن ابن عساكر فى النسخة التى وقعنا عليها تصحيف فى عدد الأساطين ، وما قدمناه هو الصواب .

قال ابن النجار : وفى جُدْرَانه طاقات نافذة إلى خارج فى كل جانب ثمان طاقات ، إلا الجانب الذى يلى الشام فإن الثامنة فيها المنارة .

قلت : ولما أعادوا بناء ما هَدَموه مما حول المنارة المذكورة فى زماننا سَدُّوا من الجهة الشامية طاقة أخرى مما يلى المنارة المذكورة ، وسَدُّوا مما يليها من جهة المغرب ثلاث طاقات أيضاً ، فإنهم جعلوا الجدار فى بنائهم مُصْمَتا كله ، والله أعلم .

بيان ما ينبغى أن يُزَار بقباء من الآثار تتميما للفائدة

دار سعد ابن خيثمة

منها : دار سعد بن خَيْثَمة ، وقد تقدم أن باب مسجد قباء المسدود فى المغرب بفناء دار سعد بن خيثمة ، وهى فى قبلة مسجد قباء ، والجانب الذى يلى هذا الباب المسدود منها يدخله الناس للزيارة و يسمونه مسجد على رضى الله تعالى عنه ، وكأنه المراد بما سيأتى فى الفصل الرابع فى مسجد دار سعد بن خيثمة .

وروى ابن شبة عن أبى أمامة عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم « اضطجع فى البيت الذى فى دار سعد بن خيثمة بقباء » وعن ابن وقش أن النبى صلى الله عليه وسلم « دخَلَ بيت سعد بن خيثمة بقباء ، وجلس فيه » وروى ابن زبالة عنه أنه قال : يزعمون أن النبى صلى الله عليه وسلم توضأ من المُهْرَاس الذى يلى دار سعد بن خيثمة بقباء .

دار كلثوم ابن الهدم

ومنها : دار كلثوم بن الهدم ، وهى إحدى الدور التى قبلى المسجد أيضا ، يدخلها الناسُ للزيارة والتبرك . وقد قدمنا نزوله صلى الله عليه وسلم على كلثوم ابن الهدم بداره لمَّا قدم قباء ، وكذلك أهله وأهل أبى بكر حين قدموا .

بئر أريس

ومنها بئر أريس ، وسيأتى ما جاء فيها فى الآثار، قال ابن جبير فى رحلته : و بإزائها دار عمر، ودار فاطمة ، ودار أبى بكر ، رضى الله تعالى عنهم !. ولعله يريد أماكن نزولهم قبل التحوُّل إلى المدينة ، والله أعلم .

طريق النبى إلى قباء ذاهبا وراجعا

ما جاء فى بيان طريقه صلى الله عليه وسلم إلى قباء ذاهبا وراجعا

قال أبو غسان فيما نقله ابن شبة : أخبرنى الحارث بن إسحاق قال : كان إسحاق بن أبى بكر بن إسحاق يحدث أن مبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مركبه إلى قباء أن يمر على المصلى ، ثم يسلك فى موضع الزقاق بين دار كثير ابن الصَّلْت ودار معاوية بالمصلى ، ثم يرجع راجعا على طريق دار صَفْوَان بن سلمة التى عند سقيفة محرق ، ثم يمر على مسجد بنى زريق من كُتَّاب عُرْوَة حتى يخرج إلى البلاط ، قال : فذكر إسحاق أنه رأى الوليد بن عبد الملك سَلَك هذه الطريقَ على هذه الصفة فى مبدئه ورجعته من قباء .

قلت : وهو يقتضى أن طريقه صلى الله عليه وسلم كانت من جهة الدَّرْب المعروف اليوم بدَرْب سويقة فى الذهاب والرجوع ؛ لأن المصلى ومسجد بنى

زريق فى جهته ، وقد سبق فى المصلى أن دار كثير بن الصَّلْت كانت قبلة المصلى ، وسبق ما يؤخذ منه أن دار معاوية رضى الله عنه كانت مقابلها .

وقوله « حتى يخرج إلى البلاط » أى الآخذ من باب السلام إلى جهة درب سويقة ؛ لما سبق فى الكلام على المصلى من رجوعه صلى الله عليه وسلم على مسجد بنى زريق من كُتَّاب عُرْوَة حتى يخرج إلى البلاط من زقاق دار عبد الرحمن بن الحارث المتقدم بيانُه فى الدور التى فى ميمنة البلاط المذكور ، وكثيرٌ من الناس اليوم يسلكون إلى قباء من طريق دَرْب البقيع ؛ لكونها أقصد يسيراً .

ذرع الطريق

وقد ذَرَعْتُ الطريقَ من هذه الجهة فكان بين عَتَبة باب المسجد النبوى المعروف بباب جبريل وعتبة باب مسجد قباء سبعة آلاف ذراع ومائتا ذراع بذراع اليد المتقدم تحريره يَشِفُّ يسيرا ، وذلك ميلان وخمسا سبع ميل . وسيأتى فى ترجمة قباء ما وقع للناس من الخبْط فى بيان هذه المسافة ، فإن أسقطْتَ حصة ما بين باب جبريل و باب درب البقيع من ذلك كانت المسافة بين باب سور المدينة المذكور و باب مسجد قباء ميلين إلا مائتى ذراع وثلاثا وثلاثين ذراعا ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ما جاء فى مسجد الضِّرَار مما يُنَوَّه بقدر مسجد قباء

بناة مسجد الضرار

روى البيهقى فى الدلائل عن ابن عباس فى قوله تعالى : (والذين اتخذوا مسجدا ضراراً) هم أُناس من الأنصار ابْتَنَوا مسجدا فقال لهم أبو عامر : ابنُوا مسجدكم ، واستعدوا بما استطعتم من قوة ومن سلاح ، فإنى ذاهب إلى قيصر ملك الروم فآتِى بجند من الروم ، فأخرجَ محمداً وأصحابه ، فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا : إنا فرغْنا من بناء مسجدنا فنحبُّ أن تصلى فيه وتدعو بالبركة فأنزل الله عز وجل : (لا تَقُمْ فيه أبداً ، لمسجد أُسس على التقوى من أول يوم)

يعنى مسجد قباء (أحق أن تقوم فيه) إلى قوله : (على شفا جُرُفٍ هارٍ فانهار به فى نار جهنم) يعنى قواعده (والله لا يهدى القوم الظالمين) .

وروى ابن شبة عن هشام بن عُرْوة عن أبيه قال : كان موضعُ مسجد قباء لامرأة يقال لها لية ، كانت تربط حماراً لها فيه ، فابتنى سَعْدُ بن خَيْثَمة مسجداً ، فقال أهل مسجد الضرار : أنحن نصلى فى مَرْبط حمار لية ؟ لا ، لعمر الله ، لكنّا نَبْنِى مسجداً فنصلى فيه حتى يجىء أبو عامر فيؤمّنا فيه ، وكان أبو عامر فرّ من الله ورسوله فلحق بمكة ، ثم لحق بعد ذلك بالشام فتنصر فمات بها ، فأنزل الله تعالى : (والذين اتخذوا مسجداً ضِرَاراً وكفرا) الآيات .

وعن سعيد بن جُبَيْر أن بنى عمرو بن عوف ابتنوا مسجداً ، وأرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعَوْهُ ليصلىَ فيه ، ففعل فأتاهم فصلّى فيه ، فحَسَدَهم إخوتهم بنو فلان بن عمرو بن عوف ، يشك ، فقالوا : لا ، نبنى نحنُ مسجداً وندعو النبىّ صلى الله عليه وسلم فيصلى فيه كما صلى فى مسجد إخوتنا ، ولعل أبا عامر يصلى فيه ، وكان بالشام ، فابتنوا مسجداً ، وأرسلوا إلى النبى صلى الله عليه وسلم ليصلى ، فقام ليأتيهم ، وأنزل القرآن (والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفرا وتفريقاً بين المؤمنين و إرصاداً لمَنْ حارَبَ اللهورسوله من قبل ، وليحلفُنّ إن أردنا إلا الحسنى ، والله يشهد إنهم لكاذبون ، لا تقم فيه أبداً ، لمسجدٌ أُسِّسَ على التقوى من أول يوم أحَقُّ أن تقوم فيه ، فيه رجالٌ يحبون أن يتطهروا ، والله يحب المطهرين ، أفمن أسّسَ بنيانه على تقوى من الله ورضوان خيرٌ أم من أسّسَ بنيانه على شفَا جُرُفٍ هارٍ فانهار به فى نار جهنم ؟ والله لا يهدى القوم الظالمين لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم) قال : قال عكرمة: إلى أن تقطع قلوبهم (والله عليم حكيم) .

وأسند الطبرى فيما قاله ابن عطية عن ابن إسحاق عن الزهرى وغيره أن النبى

حرق مسجد الضرار

صلى الله عليه وسلم « أقبلَ من غزوة تَبُوك حتى نزل بذى أوان بلدٍ بينه و بين المدينة ساعة من نهار ، وكان أصحابُ مسجد الضِّرار قد كانوا أتَوْهُ وهو يتجهَّزُ إلى تَبُوك فقالوا : يارسول الله إنا قد بنينا مسجداً لِذِى العِلّة والحاجة والليلةِ المَطِيرة ، و إنا نحبُّ أن تأتينا فتصلى لنا فيه ، فقال : إنى على جَنَاح سَفَرٍ وحالِ شغلٍ ، ولو قدمنا إن شاء الله أتيناكم فصلينا لكم فيه ، فلما قَفَلَ ونزل بذى أوان نزل عليه القرآن فى شأن مسجد الضرار ، فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مالكَ ابن الدخشم ومَعْن بن عدى ، أو أخاه عاصم بن عدى ، فقال : انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهلُه فاهْدِماه وحَرِّقاه ، فانطلقا مسرعين ففعلا وحرقاه بنار فى سَعَف .

وفى رواية ذكرها البغوى أن الذين أمَرَهم النبى صلى الله عليه وسلم بهَدْمه و إحراقه انطلقوا سريعاً حتى أتوا سالم بن عوف ، وهم رَهْطُ مالك بن الدخشم فقال مالك : أنظِرُونى حتى أخرج إليكم بنار من أهلى ، فدخل أهله فأخذ سَعَفاً من النخيل ، فأشعل فيه ناراً ثم خرجوا يَشْتَدُّون حتى دخلوا المسجد وفيه أهله فحرقوه وهَدَموه ، وتفرق عنه أهله ، وأمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يتخذ ذلك كناسة تُلْقَى فيها الجيفُ والنتن والقُمَامة .

وقال ابن النجار : هذا المسجد بناه المنافقون مُضَاهاة لمسجد قباء ، وكانوا يجتمعون فيه ويَعِيبُون النبى صلى الله عليه وسلم ، ويستهزئون به .

أسماء بناة مسجد الضرار

قال ابن إسحاق : وكان الذين بَنَوْهُ اثنى عشر رجلا : خدام بن خالد ، وهو من بنى عبيد بن زيد بن مالك ومن داره أخرجه ، وثعلبة بن حاطب من بنى أمية بن زيد أى أحد بنى عمرو بن عوف ، ومُعَتِّب بن قشير من بنى ضبيعة ابن زيد ، وأبو حبيبة بن الأذعر ، وعياد بن حنيف من بنى عمرو بن عوف ، وجار بن عامر ، وابناه مجمع وزيد ، ونبتل بن الحارث ، ومخرج ومجاد بن

عثمان ، سبعتهُمْ من بنى ضبيعة ، ووديعة بن ثابت من بنى أمية بن زيد ، انتهى .

وقال بعضهم : إن رجالا من بنى غنم بن عوف و بنى سالم بن عوف كان فيهم نِفَاق حَسَدُوا قومهم بنى عمرو بن عوف ، وكان أبو عامر المعروف بالراهب — وسماه النبى صلى الله عليه وسلم بالفاسق — منهم .

قلت : وهو من بنى ضبيعة أحد بنى عمرو بن عوف من الأوس ، وتقدم أن بنى غنم بن عوف و بنى سالم بن عوف من الخزرج وليسوا بقباء ، ففى هذا القول نظر .

قال : فكتب أبو عامر وهو بالشام إلى المنافقين من قومه أن يبنوا مسجداً مُقَاومة لمسجد قباء وتحقيراً له ، فإنى سآتى بجيش أخرج به محمداً وأصحابه من المدينة فبنوه وقالوا : سيأتى أبو عامر و يصلى فيه ، ونتخذه متعبداً ، وذلك هو المشار إليه بقوله تعالى (و إرصاداً لِمَنْ حَارَبَ الله ورسوله) .

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت (لا تقم فيه أبداً) كان لا يمر بالطريق التى فيها المسجد ، وهذا مما يؤيد ما قدمناه من أن المراد من قوله تعالى (لمسجد أُسِّسَ على التقوى) مسجد قباء .

وقال ابن عطية : روى عن ابن عمر أنه قال : المرادُ بالمسجد المؤسَّس على التقوى هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمراد يعنى بقوله تعالى :(أفمن أسَّس بنيانه على تقوى من الله ورضوان) هو مسجد قباء ، وأما البنيان الذى أُسِّسَ على شَفَا جُرُفٍ هار فهو مسجد الضِّرار بالإجماع .

وقوله « فانهار به فى نار جهنم » قال ابن عطية: الظاهِرُ منه ومما صح من خبرهم وهَدْم رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجدَهم أنه خارج مخرج المثل لهم : أى حالهم كمن ينهار بنيانه فى نار جهنم . وقيل : بل ذلك حقيقة ، وأن ذلك المسجد

بعينه انهارَ فى نار جهنم ، قاله قتادة وابن جريج . وروى عن جابر بن عبد الله وغيره أنه قال : رأيتُ الدخانَ يخرج منه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رآه حين انْهَارَ حتى بلَغَ الأرض السابعة ، ففزع لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . وروى أنهم لم يُصَلّوا فيه أكثرَ من ثلاثة أيام ، وانهار فى الرابع . قال ابن عطية : وهـــذا كله بإسناد لين ، والأول أصح .

وأسند الطبرى عن خلف بن يامين أنه قال : رأيت مسجدَ المنافقين الذى ذكر فى القرآن ، ورأيت فيه مكاناً يخرج منه الدخان ، وذلك فى زمن أبى جعفر المنصور .

وقيل : كان الرجل يدخل فيه سَعَفَة فتخرج سوداء محترقة ، ونقل عن ابن مسعود أنه قال : جهنم فى الأرض ، ثم تلا (فانهار به فى نار جهنم) .

الخلاف فى موضع مسجد الضرار

قال الجمال المطرى : وأما مسجد الضِّرَار فلا أثر له ، ولا يعرف له مكان فيما حول مسجد قباء ، ولا غير ذلك .

قلت : وهو كذلك ، لـكن بالنسبة إلى زمنه وزمننا ؛ فقد قال ابن جُبَير فى رحلته : وهذا المسجد مما يتقرب الناسُ إلى الله برَجْمه وهَدْمه وكان مكانه بقباء عارض به اليهودُ مسجدَ قباء .

وقوله « اليهود » صوابه المنافقون .

وقال ابن النجار : وهذا المسجد قريب من مسجد قباء ، وهو كبير ، وحِيطانُه عالية ، وتؤخذ منه الحجارة ، وقد كان بناؤه مليحاً ، انتهى .

وهذا يقتضى وجودَه فى زمن ابن النجار على تلك الحالة ، وقد قال المطرى : إنه وَهَم لا أصل له ، وتعقبه المجد بأنه لا يلزم من وجوده زمانَ ابن النجار كذلك استمراره ، وقد تبع ابن النجار فى ذلك غيره إن لم يكن شاهَدَه ، فهذا البشارى

يقول : ومنها مسجد الضِّرَار يتطوَّعُ العوام بهَدْمه ، وتبعه ياقوت فى معجمه ، وابن جبير فى رحلته ، انتهى .

وقال ابن النجار أيضاً ، فى ذكر المساجد المعروفة فى زمنه ما لفظه : واعلم أن بالمدينة مساجدَ خَرَاباً فيها المحاريب و بقايا الأساطين وتنقض وتؤخذ حجارتها : منها مسجدُ بقباء قريب من مسجد الضِّرَار فيه أسطوان قائمة .

قلت : وهذا غيرُ معروفٍ اليوم ، وهو صريح فى أشتهار مسجد الضرار فى زمنه بقباء حتى عرف به المسجد المذكور .

ووقع فى كلام عياض فى المشارق ، وتبعه المجدُ ، ما يقتضى أن مسجد الضِّرار بذى أوان ؛ فإنه قال فى ذروان : إن روايته بلفظ ذى أوان وَهَم . قال : وهو موضع آخر على ساعة من المدينة ، هو الذى بنى فيه مسجد الضرار ، هذا لفظه .

ولعل مراده هو الذى وقع ذكر بنائه به فى حديث مسجد الضرار ؛ لما قدمناه من أن أصحابه جاءوا للنبى صلى الله عليه وسلم وهو بذى أوان ، وأخبروه ببنائه ، والله أعلم .

الفصـــــل الثالث

فى بقية المساجد المعلومة العين فى زماننا بالمدينة الشريفة وما حولها

اعلم أن الاعتناء بهذا الغرض متعين ؛ فقدقال البغوى من الشافعية :المساجد التى ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلى فيها لو نَذَر أحدٌ الصلاةَ فى شىء منها تعين كما تتعين المساجد الثلاثة ، واعتناء السلف بتتبع آثار النبى صلى الله عليه وسلم معلومٌ ـ سيما ما جاء فى ذلك عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ـ وقد استفرغنا الوسع فى تتبعها .

مسجد الجمعة

فمنها :مسجد الجمعة ، ويقال «مسجد الوادى» قد تقدم فى الفصل الحادى عشر

من الباب الثالث أن النبى صلى الله عليه وسلم لما خَرَج من قباء مَقْدمه المدينة أدركته الجمعة فى بنى سالم بن عوف فصلاها فى بطن الوادى ، وادى ذى صُلب — بضم أوله — وأن ابن إسحاق قال : إن الجمعة أدركته فى وادى رَانونا ، يعنى ببنى سالم ، وكانت أول جمعة صلاها بالمدينة ، وفى رواية لابن زبالة « فمر على بنى سالم فصلى فيهم الجمعة فى القبيب [1] ببنى سالم ، وهو المسجد الذى فى بطن الوادى » وفى رواية له « صلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أول جمعة بالناس فى القبيب [1] ببنى سالم فهو المسجد الذى بناه عبد الصمد » .

والمراد أن موضع المسجد يسمى بالقبيب [1] ، وسيأتى فى أودية المدينة أن سَيْلَ ذى صُلَب وسيل رَانونا يَصِلاَنِ إلى موضع مسجد الجمعة ، فلا مخالفة بين هذه العبارات ، وإنْ غَلَبَ اشتهار اسم رانونا على ذلك الموضع دون بقية الأسماء .

وروى ابن شبة عن كعب بن عجرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم « جَمَّعَ فى أول جمعة حين قدم المدينة فى مسجد بنى سالم فى مسجد عاتكة » وعن إسماعيل بن أبى فديك عن غير واحد ممن يَثِقُ به من أهل البلد أن أول جمعة جمعها النبى صلى الله عليه وسلم حين أقبلَ من قباء إلى المدينة فى مسجد بنى سالم الذى يقال له مسجد عاتكة .

وقال المطرى : فى شمالى هذا المسجد أُطم خراب يقال له « المزداف » أُطم عتبان بن مالك ، والمسجدُ فى بطن الوادى صغير جداً ، مبنى بحجارة قدر نصف القامة ، وهو الذى كان يحول السبيل بينه وبين عتبان بن مالك إذا سال ؛ لأن منازل بنى سالم بن عوف كانت غربىَّ هذا الوادى على طرف الحرة ، وآثارهم باقية هناك ، فسأل عتبان رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصلى له فى بيته فى مكان يتخذه مُصَلى ، ففعل صلى الله عليه وسلم .

قلت : قصة عتبان المشار إليها مَرْوية فى الصحيح بلفظ أن عتبان أتى رسول

---

(١) وقع فى الخلاصة « العسيب » وفى أصول هذا الكتاب « الغبيب » وكلاهما تحريف صوابه ما أثبتناه بالقاف وبباءين بينهما ياء على صورة التصغير (عن حسب الله)

الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، قد أنكرتُ بَصَرى ، وأنا أصلى لقومى ، فإذا كانت الأمطار سال الوادى الذى بينى وبينهم لم أستطع أن آتى مسجدهم فأصلى بهم ، الحديثَ .

وسيأتى فى المساجد التى لا تعلم عينها أن بنى سالم لهم مسجد آخر هو مسجدهم الأكبر ؛ فالذى يظهر أنه المراد من حديث عتبان ، وأما هذا فهو مسجدهم الأصغر وقد تهدم بناؤه الذى أشار إليه المطرى ، فجرده بعض الأعاجم على هيئته اليوم ، مُقدَّمه رِوَاقٌ مُسَقف فيه عقدان بينهما أسطوان ، وخلفه رحبة ، وطوله من القبلة إلى الشام عشرون ذراعاً ، وعرضه من الجدار الشرقى إلى الغربى مما يلى محرابه ستة عشر ذراعاً ونصف ، وكان سقفُه قد خَرِبَ فجدده المرحوم الخواجا الرئيس الجَوَاد المفضَّل شمس الدين قاوان تغمده الله برحمته .

ومصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت غسان ليس فى الأطم المذكور ، بل عند أصله كما سيأتى .

مسجد الفضيخ

ومنها : مسجد الفضيخ ـ بفتح الفاء وكسر المعجمة بعدها مثناة تحتية وخاء معجمة ـ قال المطرى : ويعرف اليوم بمسجد الشمس وهو شرقى مسجد قباء على شفير الوادى ، على نَشَزٍ من الأرض ، مَرْضُوم بحجارة سود ، وهو مسجد صغير .

وروى ابن شبة وابن زبالة ويحيى فى عدة أحاديث أن النبى صلى الله عليه وسلم « صلى بمسجد الفضيخ » :

وروى الأولان ـ واللفظ لابن شبة ـ عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال : حاصَرَ النبىُّ صلى الله عليه وسلم بنى النضير ، فضرب قبته قريباً من مسجد الفضيخ ، وكان يُصَلّى فى موضع مسجد الفضيخ ستَّ ليال ، فلما حرمت الخمر خرج الخبَرُ إلى أبى أيوبَ فى نفر من الأنصار ، وهم يشربون فيه فَضِيخاً ، فحلّوا وِكاء السِّقاء فهراقوه فيه ؛ فبذلك سمى مسجد الفضيخ .

قال الزين المراغى : وذلك قبل اتخاذ الموضع مسجداً ، أو كان الإعلام بنجاسة الخمر بعد ذلك ، لكن المشهور تحريم الخمر فى شوال سنة ثلاث ، ويقال أربع ، وعليه يتمشى ؛ لأن غزوة بنى النَّضِير سنة أربع على الأصح .

قلتُ : الحديثُ إنما تضمَّنَ صلاة النبى صلى الله عليه وسلم بذلك المحل فى حصار بنى النضير ، ولا يلزم من ذلك اتخاذُه مسجداً حينئذ ؛ فيجوز أن يكون بناؤه مسجداً تأخر إلى أن حُرِّمت الخمر ، على أن أحمد روى فى مسنده من حديث ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم يعنى أتى بفضيخ فى مسجد الفضيخ فشربه ، فلذلك سمى مسجد الفضيخ .

ورواه أبو يَعْلى ولفظه : أتى بجر فضيخ ينشّ[1] وهو فى مسجد الفَضِيخ فشربه ، فلذلك سمى مسجد الفضيخ ، وفيه عبد الله بن نافع مولى ابن عمر ، ضعَّفه الجمهور ، وقيل فيه : يُكْتَب حديثه ، وهو أولى بالاعتماد فى سبب تسمية المسجد المذكور بذلك ؛ لأن ابن زبالة ضعيف ، وأما ابن شبة فرواه من طريق عبد العزيز بن عمران وهو متروك ، ولم أرَ فى كلام أحد من المتقدمين تسمية المسجد المذكور بمسجد الشمس .

وقال المجد : لا أدرى لم اشتهر بهذا الاسم ، ولعله لكونه على مكان عالٍ فى شَرْقى مسجد قباء أول ماتطلع الشمس عليه ، قال : ولا يظن ظانّ أنه المكان الذى أعيدت الشمسُ فيه بعد الغروب لعلى رضى الله تعالى عنه ؛ لأن ذلك إنما كان بالصَّهْبَاء من خيبر ، قال عياض فى الشفاء : كان رأس النبى صلى الله عليه وسلم فى حِجْر على رضى الله تعالى عنه وهو يُوحَى إليه ، فغربت الشمس ولم يكن علىٌّ صلى العصر ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أصلَّيْتَ يا على ؟ قال : لا ، فقال : اللهم إنه كان فى طاعتك وطاعة رسولك ، فَارْدُدْ عليه الشمسَ ، قالت أسماء : فرأيتُها غربت ثم رأيتها طلعت بعدما غربت ، ووقعت على الجبال والأرض وذلك بالصهباء فى خيبر ، قال عياض : خرّجه الطحاوى فى مشكل الحديث ،

(١) ينش : يغلى ويفور ، وبابه ضرب (حسب الله) .

وقال : إن أحمد بن صالح كان يقول : لا ينبغى لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء ؛ لأنه من علامات النبوة .

قال المجد : فهذا المكان أولى بتسميته بمسجد الشمس دون ما سواه ، وصرح ابن حزم بأن الحديث موضوع ، قال : وقصة ردّ الشمس على علىّ رضى الله تعالى عنه باطلة بإجماع العلماء وسفه قائله .

قلت : والحديثُ رواه الطبرانى بأسانيد قال الحافظ نور الدين الهيتمى : رجالُ أحدها رجال الصحيح ، غير إبراهيم بن حسن ، وهو ثقة ، وفاطمة بنت على ابن أبى طالب لم أعرفها ، انتهى .

وأخرجه ابن منده وابن شاهين من حديث أسماء بنت عميس ، وابن مردويه من حديث أبى هريرة ، و إسنادهما حسن ، وممن صححه الطحاوى وغيره ، وقال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ، بعد ذكر رواية البيهقى له : وقد أخطأ ابن الجوزى بإيراده له فى الموضوعات ، انتهى .

وهذا المسجد مربع ذَرْعُه من المشرق إلى المغرب أحد عشر ذراعاً ، ومن القبلة إلى الشام نحوها .

مسجد بنى قريظة

ومنها : مسجد بنى قرَيظة ، وهو شرقى مسجد الشمس ، بعيد عنه ، بالقرب من الحَرَّة الشرقية ، على باب حديقة تعرف بحاجزة هى وقف للفقراء ، قاله المطرى وقد قدمنا فى منازل يهود أن أُطُمَ الزبير بن باطا كان فى موضع مسجد بنى قرَيظة وعنده خراب أبيات من دور بنى قريظة شمالى باب الحديقة المذكورة ، و بقربه ناس نزول من أهل العالية ، وقد روى ابن شبة من طريق محمد بن عقبة بن مالك عن على بن رافع وأشياخ قومه أن النبى صلى الله عليه وسلم « صَلّى فى بيت امرأة من الخضر ، فأدخل ذلك البيت فى مسجد بنى قريظة » فذلك المكان الذى صلى فيه النبى صلى الله عليه وسلم شرقى بنى قريظة عند موضع المنارة التى هُدِمت ، هذا لفظ ابن شبة ؛ فينبغى الصلاة فى مسجد بنى قريظة مما يلى محل المنارة فى شرقى المسجد .

وقد روى ذلك ابن زبالة عن محمد بن عقبة ، إلا أنه لم يعين المحل المذكور ، بل قال : فأدخل الوليد بن عبد الملك حين بنى المسجد ذلك البيتَ فى مسجد بنى قُرَيْظة ، ويحتمل أنه صلى الله عليه وسلم صلى فى مقدم المسجد أيضا ، وإلا لجعلوا ما عند المنارة مقدمة .

قلت : الظاهر أن هذا المسجد هو المذكور فى حديث الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال : نزل أهلُ قُرَيْظَة على حكم سَعْد بن مُعَاذ ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد ، فأتى على حمار ، فلما دنا قريباً من المسجد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنصار « قوموا إلى سَيِّدكم أو خيركم » ثم قال « إن هؤلاء قد نزلوا على حكمك » فقال : تقتل مُقَاتلتهم وتَسبِى ذريتهم ، الحديثَ .

فقوله « قريباً من المسجد » ليس المراد به مسجد المدينة ؛ لأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن به حينئذ ، ولذا قال الحافظ ابن حجر : وقوله « فلما بلغ قريبا من المسجد » أى الذى أعَدَّه النبى صلى الله عليه وسلم أيام مُحَاصرته لبنى قريظة للصلاة فيه ، وأخطأ مَنْ زعم أنه غَلَط من الراوى لظنه أنه أراد بالمسجد المسجد النبوى بالمدينة فقال : إن الصواب ما وقع عند أبى داود من طريق شعبة بإسناد الصحيح بلفظ « فلما دنا من النبى صلى الله عليه وسلم » انتهى . وإذا حمل على ما سبق لم يكن بين اللفظين اتفاق ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

قال ابن النجار : وهذا المسجد اليوم باقٍ بالعَوَالى ، كبير ، وفيه ست عشرة أسطوانة قد سقَط بعضها ، وهو بلا سقف ، وحيطانه مهدومة ، وقد كان مبنيا على شكل بناء مسجد قباء ، وحوله بساتين ومزارع .

وذكر فى ذَرْعه شيئاً الظاهرُ أنه تحريف فإنه قال : طوله نحو العشرين ذراعاً وعرضه كذلك ، وهذا لا يطابق ما عليه المسجد اليوم ، ولا ما قدَّمه هو من الوَصْف ولعله خمن أن ذَرْعَه كذلك فى حال غيبته عنه ، فقد قال المطرى : إن ذَرْعه نحو من خمسة وأربعين ذراعاً ، وعرضه كذلك .

قال : وكان فيه أساطين وعقود ومَنَارة فى مثل موضع منارة قباء ، فتهدَّم على طول الزمان ، ووقعت منارته ، وأثَرُها اليوم باقٍ تعرف به ، وأخذت أحجاره جميعاً . قال المطرى : و بقى أثره إلى العشر الأول بعد السبعمائة ، فجُدِّدَ و بنى عليه حَظِير مقدار نصف قامة ، وكان قد نسى فمن ذلك التاريخ عُرِف مكانه .

قلت : وهو اليوم على الهيئة التى ذكرها المطرى ، وقد اختبرتُ ذَرْعَه فكان من القبلة إلى الشام أربعة وأربعين ذراعا وربعا ، ومن المشرق إلى المغرب ثلاثة وأربعين ذراعا ، وقد جَدَّد بناء جداره الشجاعىُّ شاهين الجمالى شيخ الحرم النبوى وناظره عام ثلاث وتسعين وثمانمائة .

مشربة أم إبراهيم

ومنها : المسجد الذى يقال له « مَشْرُبة أم إبراهيم عليه السلام » .

وروى ابن زبالة ويحيى من طريقه وابن شبة من طريق أبى غسان عن ابن أبى يحيى عن يحيى بن محمد بن ثابت أن النبى صلى الله عليه وسلم « صَلَّى فى مَشْرُبة أم إبراهيم » .

وروى ابن شبة فيما جاء فى صَدَقَات النبى صلى الله عليه وسلم عن ابن شهاب أن تلك الصَّدَقات كانت أموالا لمُخَيْرِيق ، كما سيأتى ، وعَدَّ منها مَشْرُبَةَ أم إبراهيم ، ثم قال : وأما مشربة أم إبراهيم فإذا خَلَّفْتَ بيت مِدْرَاس اليهود فجئت مالَ أبى عُبَيْدة بن عبيدالله بن زمعة الأسدى فمشربةُ أم إبراهيم إلى جنبه ، و إنما سميت مشربة أم إبراهيم لأن أم إبراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم ولَدَتْه فيها ، وتعلَّقَتْ حين ضربها المَخَاضُ بخشبة من خشَب تلك المَشْرُبة ، فتلك الخشبة اليوم معروفة ، انتهى ما رواه ابن شبة عن ابن شهاب .

قال ابن النجار : وهذا الموضع بالعَوالى من المدينة بين النخيل ، وهو أكَمَة قد حُوِّط عليها بِلَبِن ، والمشربة : البستان ، وأظنه قد كان بستانا لمارِيَةَ القِبْطِية أم إبراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم .

قلت : قال فى الصحاح : المشربة بالكسر ـ أى بكسر الميم ـ إناء يشرب فيه ، والمَشْرُبة بالفتح : الغرفة ، وكذلك المشربة بضم الراء ، والمشارب : العَلالى، وليس فى كلامه إطلاق ذلك على البستان ، والظاهر أنها كانت عِلِّيَّة فى ذلك البستان ، وهو أحَدُ صَدَقَات النبى صلى الله عليه وسلم ، وهذا هو الذى يناسب ماتقدم من رواية ابن شبة فى سبب تسميتها بذلك .

وقال ابن عبد البر فى الاستيعاب : ذكر الزبيرُ أن مارية ولدت إبراهيم عليه السلام بالعالية فى المال الذى يقال له اليومَ مَشْرُبة أم إبراهيم بالفف .

وروت عَمْرَة عن عائشة حديثا فيه ذكر غَيْرتها من مارية ، وأنها كانت جميلة ، قالت : وأُعْجِبَ بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، وكان أنزلها أولَ ماقدم بها فى بيت لحارثة بن النعمان، وكانت جارتنا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم عامة النهار والليل عندها ، حتى قذعنا لها ـ والقذع الشتْمُ ـ فحوَّلَها إلى العالية ، وكان يختلف إليها هناك ، فكان ذلك أشدَّ ، ثم رزقها الله الولَدَ وحُرِمْناه منه .

قال المجد : والمشربة المذكورة مسجدٌ شمالىَ بنى قُرَيْظة قريب من الحَرَّة الشرقية فى موضع يعرف بالدشت ، بين نخل تعرف بالأشْرَاف القواسم ، من بنى قاسم بن إدريس بن جعفر أخى الحسن العسكرى ، قال : وذَرَعْته فكان طوله نحو عشرة أذرع وعرضه أقل من ذلك بنحو ذراع ، وليس عليه بناء ولا جدار، وإنما هو عُرَيصة صغيرة[1] على رويبية، وقد حُوِّط عليها برضم لطيف من الحجارة السود، قال : وعلى شمالى المشربة دار متهدِّمة لم يَبْقَ من معالمها سوى بعض الجدران ، يظن الناس أنه مكان دار أبى سيف القبر . والذى يغلب على ظنى أن ذلك بقايا أُطُمِ بنى زَعُوراء ، فإن الزبير بن بكار قال مانصه : وكان بنوزَعُورَاء عند مَشْرُبَة أم إبراهيم ، ولهم الأُطُم الذى عندها ، و بنوزَعُورَاء من قبائل اليهود.

قلت : دار أبى سيف القبر التى كان إبراهيم ابنُ النبى صلى الله عليه وسلم مسترضَعًا فيها إنما هى فى دار بنى مازن بن النجار كما سيأتى . وما ذكره فى وصف

(١) فى أصول هذا الكتاب وفى الخلاصة « عريضة » بالضاد معجمة ، وصوابه ما أثبتناه بالصاد مهملة بزنة التصغير (عن حسب الله) .

المسجد المذكور قريبٌ مما هو عليه اليوم ، لكنَّ ذَرْعَه من القبلة إلى الشام أحَدَ عشر ذراعا ، ومن المشرق إلى المغرب أربعة عشر ذراعا راجحة ، وفى جهة المشرق منه سقيفة لطيفة ، و بالقرب منه فى جهة المغرب نخيل تعرف بالزبيريات . وسيأتى أنها المالُ الذى كان للزبير بن العوَّام فتصدق به ، وفيه مسجده الآنى ، والله أعلم .

مسجد بنى ظفر

ومنها : مسجد بنى ظَفَر من الأوس ، ويعرف اليوم بمسجد البغلة ، وهو بطرف الحرة الشرقية فى شرقى البقيع[1] ، طريقه من عند القبة المعروفة بفاطمة بنت أسَدٍ أمِّ على رضى الله تعالى عنهما بأقصى البقيع ، وقد روى يحيى عن جعفر بن محمود ابن محمد بن مسلمة أن النبى صلى الله عليه وسلم « صَلَّى فى مسجد بنى معاوية » أى الآنى « ومسجد بنى ظَفَر » .

وقال ابن زبالة : إن إبراهيم بن جعفر حدثه بذلك عن أبيه جعفر المذكور .

وروى ابن شبة عن الحارث بن سعيد بن عبيد أن النبى صلى الله عليه وسلم « صَلى فى مسجد بنى حارثة ومسجد بنى ظَفَر » .

وروى يحيى عن إدريس بن محمد بن يونس بن محمد الظفرى عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « جَلَسَ على الحجر الذى فى مسجد بنى ظَفَر » وأن زياد بن عبيد الله كان أمر بقَلْعه حتى جاءته مشيخة بنى ظَفَر وأعلموه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جَلَسَ عليه ، فرده ، قال : فقلَّ امرأة نَزَر ولدها تجلس عليه إلا حملت . قال يحيى عقبه : مسجد بنى ظفر دون مسجد بنى عبد الأشهل ، قال : وأدركت الناسَ بالمدينة يذهبون بنسائهم حتى ربما ذهبوا بهنَّ بالليل فيجلسن على هذا الحجر .

قلت : ولم أزل أتأمل فى سر ذلك حتى اتضح لى بما رواه الطبرانى برجال ثقات عن محمد بن فضالة الظفرى ، وكان ممن صحب النبى صلى الله عليه وسلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتاهُمْ فى مسجد بنى ظَفَر ، فجلس على الصخرة التى فى مسجد بنى ظَفَر اليومَ ومعه عبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وأناس من

(١) لعل الأصل « شرقيه البقيع » (حسب الله) .

أصحابه ، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم قارئاً فقرأ حتى أتى على هذه الآية (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اضطرب[1] لحياه . فقال: « أيْ رَبِّ شهيد على مَنْ أنا بين ظَهْرَانيه ، فكيف بمن لم أر » ؟

قلت : ولم يزل الناس يصفون الجلوسَ على ذلك الحجر للمرأة التى لا تلد ، ويقصدون ذلك المسجدَ لأجله ، غير أنى لم أر فيه حَجَراً يصلُح للجلوس عليه ، إلا أن فى أسفل كتف بابه عن يسار الداخل حجراً مُثْبَتًا من داخله ، فكأنه هو المراد ، والناس اليوم إنما يقصدون حجراً من تلك الصخور التى هى خارجه فى غربيه فيجلسون عليه ، وهذا بعيد لأن الرواية المتقدمة مُصرِّحة بأنه فى المسجد .

وقال المطرى : وعند هذا المسجد آثار فى الحرة من جهة القبلة ، يقال : إنها أثرُ حافر بغلة النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى غربيه أى غربى أثر الحافر أثر على حجر كأنه أثر مِرْفَق يُذْكَر أن النبى صلى الله عليه وسلم اتَّكأ عليه ، ووضع مرفقه الشريفَ عليه ، وعلى حجر آخر أثر أصابع ، والناسُ يتبركون بها .

قلت : ولم أقف فى ذلك على أصل ، إلا أن ابن النجار قال فى المساجد التى أدركها خرابا مالفظه : ومسجدَانِ قريبَ البقيع ، وذكر ما سيأتى عنه فى مسجد الإجابة ، ثم قال : وآخَرُ يعرف بمسجد البغلة فيه أسطوان واحد ، وهو خرابٌ ، وحوله كثير من الحجارة فيها أثر يقولون: إنه أثر حافر بَغلة النبى صلى الله وسلم ، انتهى .

وقد بنى ماتهدم منه بعد ابن النجار ، إلا أنه لم يجعل له سقفا ، فليس به شىء من الأساطين . ورأيت فيه حجر رخام عن يمين محرابه قد كتب فيه ماصورته: خَلَّد الله ملك الإمام أبى جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين . عمر سنة ثلاثين وستمائة ، وذرعته فكان مربعا ، طولُه من القبلة إلى الشام أحد وعشرين ذراعا ، ومن المشرق إلى المغرب مثل ذلك ، والله أعلم .

مسجد الإجابة

ومنها : مسجد الإجابة ، وهو مسجد بنى معاوية بن مالك بن عَوْف من الأوس ، كما قدمناه فى المنازل مع بيان ماوقع للمطرى ومَنْ تبعه من الوَهْم فى جَعْلهم

(١) فى نسخة « اضطربت » (حسب الله) .

من بنى مالك بن النجار من الخزرج ، و بيان منشأ الوهم ، وما ناقض المطرى به كلامه عند ذكره مسجد بنى جديلة ، وهو مسجد أبىّ الآتى فى الفصل بعده .

وقد روينا فى صحيح مسلم من حديث عامر بن سعد عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أقْبَلَ ذات يوم من العالية ، حتى إذا مر بمسجد بنى معاوية دخل فركَعَ ركعتين ، وصلينا معه ، ودعا رَبَّه طويلا ، ثم انصرف إلينا فقال : سألتُ ربى ثلاثا فأعطانى اثنتين ، ومنعنى واحدة ، سألته أن لا يهلك أمتى بالسَّنَة فأعطانى ، وسألته أن لا يهلك أمتى بالغرق فأعطانيها ، فسألته أن لا يجعل بأسَهُم بينهم فمنعنيها ، فهذا سبب تسمية هذا المسجد بمسجد الإجابة .

وروى ابن شبة بسند جيد ، وهو فى الموطأ ، عن عبد الله بن عبد الله بن جابر ابن عتيك قال : جاءنا عبدُ الله بن عمر فى بنى معاوية ، وهى قرية من قرى الأنصار ، فقال : تَدْرُونَ أين صَلَّى النبى صلى الله عليه وسلم فى مسجدكم هذا ؟ فقلت : نعم ، وأشَرْتُ له إلى ناحية منه ، قال : فهل تدرون ما الثلاث التى دعا بهن فيه ؟ قلت : نعم ، قال : فأخبرنى ، قلت : دعا أن لا يظهر عليهم عدو من غيرهم ، وأن لا يهلكهم بالسنين ، فأعطيهما ، ودعا أن لا يَجْعَل بأسَهُم بينهم، فمنعها ، قال : صدقت ، فلن يزال الهرج إلى يوم القيامة .

وعن سعد بن أبى وَقّاص أنه كان مع النبى صلى الله عليه وسلم فمرَّ بمسجد بنى معاوية ، فدخل فركَعَ فيه ركعتين ، ثم قام فناجى رَبَّه ، ثم انصرف

ونقل ابن شبة أيضا عن أبى غسان عن محمد بن طلحة أنه قال : بلغنى أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى مسجد بنى معاوية على يمين المحراب نحواً من ذراعين .

قلت : فينبغى أن يتحرّى بالصلاة ذلك المحل ، وأن يكون الدعاء فيه قائما بعد الصلاة ؛ للرواية المتقدمة .

وهـذا المسجد هو المراد بقول ابن النجار فى المسجدين اللذين أدركهما خرابا قريب البقيع أحدهما يعرف بمسجد الإجابة وفيه أسطوانات قائمة ومحراب مليح وباقيه خراب .

قلت : ليس به اليوم شئ من الأساطين ، وقد رُمِّم ما تخرب منـه ، وهو فى شمالى البقيع على يسار السالك إلى العريض ، وسط تلول هى آثار قرية بنى معاوية ، وذَرَعْتُه فكان من المشرق إلى المغرب خمسة وعشرين ذراعا ينقص يسيرا ، وكان من القبلة إلى الشام عشرين ذراعا ينقص يسيرا .

مسجد الفتح

ومنها : مسجد الفتح ، والمساجد التى حوله فى قبلته ، وتعرف اليوم كلها بمساجد الفتح ، والأول المرتفع على قطعة من جبل سَلْع فى المغرب غربيه وادى بطحان ، وهو المراد بمسجد الفتح حيث أطلقوه ، ويقال له أيضا « مسجد الأحزاب » و« المسجد الأعلى » .

وروينا فى مسند أحمد برجال ثقات عن جابر بن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وسلم « دَعَا فى مسجد الفتح ثلاثا يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ، فاستُجِيبَ له يوم الأربعاء بين الصلاتين ، فعُرِفَ البِشْرُ فى وجهه » قال جابر : فلم ينزل بى أمر مهمّ غليظ إلا توخَّيْتُ تلك الساعة فأدعو فيها فأعرف الإجابة ، ورواه ابن زبالة والبزار وغيرهما .

وروينا فى مسند أحمد أيضا بإسناد فيه رجل لم يُسَمّ عن جابر أيضا أن النبى صلى الله عليه وسلم « أتى مسجدَ يعنى ، الأحزاب ، فوضع رداءه وقام ، ورفع يديه مدا يدعو عليهم ، ولم يصل ، ثم جاء ودعا عليهم وصلى » .

وروى ابن شبة عن جابر رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم «قَعَدَ على موضع مسجد الفتح وحَمِدَ الله ودعا عليهم وعرض أصحابه وهو عليه» .

وعن سعيد مولى المهديين قال « أقبل النبى صلى الله عليه وسلم من الجرف ، فأدركتُه صلاةُ العصر فصلاها فى المسجد الأعلى » .

وروى ابن زبالة ويحيى وابن النجار من غير طريقهما عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَرّ بمسجد الفتح الذى على الجبل وقد حضرت صلاة العصر ، فَرَقِيَ فصلى فيه صلاة العصر » .

وروى ابن زبالة عن المطلب مرسلا أن النبى صلى الله عليه وسلم « دَعَا فى مسجد الفتح يوم الأحزاب حتى ذهبت الظهر وذهبت العصر وذهبت المغرب ، ولم يصل منهن شيئًا ، ثم صلاهن جميعا بعد المغرب » .

قلت : وفيه بيان الشغل الذى أخر لأجْلِهِ تلك الصلاةَ ؛ فإن المعروف تأخيرها أو تأخير العصر فقط كما فى الصحيح من غير بيان هذا السبب ، وذلك كان قبل مشروعية صَلاَة الخوف .

وروى أيضا عن جعفر بن محمد عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم « دَخَلَ مسجدَ الفتح فخَطَا خطوة ثم الخطوة الثانية ، ثم قام ورفَعَ يديه إلى الله حتى رؤى بياض إبطيه ـ وكان أعْفَرَ الإبطين ـ فدَعَا حتى سقط رداؤه عن ظهره ، فلم يرفعه حتى دعا ودعا كثيرا، ثم انصرف » .

وعن جابر قال « صَلّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من وراء مسجد الفتح نحو المغرب » .

ورواه ابن شبة عنه بلفظ « دَعَا النبى صلى الله عليه وسلم على الجَبَل الذى عليه مسجد الفتح من ناحية المغرب ، وصلى من وراء المسجد » أى فى الرحبة .

قال ابن شبة : قال أبو غسان : وسمعتُ غيرَ واحدٍ ممن يوثق به يذكر أن الموضع الذى دعا عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من الجبل هو اليوم إلى الأسطوان الوسطى الشارعة فى رحبة المسجد .

قلت : و يستفاد منه أن الصلاة والدعاء هنالك يتحرّى بهما وسط المسجد فى الرحبة مما يلى سقفه ، ومقتضى الرواية الأولى أن تكون أقرب إلى جهة المغرب ، و إذا ضممت إلى ذلك الرواية المتقدمة من أنه صلى الله عليه وسلم « خَطَا خطوة

ثم الخطوة الثانية ، ثم قام ورفع يديه » ظهر لك أن طريقه صلى الله عليه وسلم كانت من جهة الدرجة الشمالية .

وروى يحيى عن هارون بن كثير عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « دَعَا يوم الخندق على الأحزاب فى موضع الأسطوانة الوسطى من مسجد الفتح » قال يحيى : فدخلتُ مع الحسين بن عبد الله مسجد الفتح ، فلما بلغ الأسطوانة الوسطى من المسجد قال : هذا مَوْضِعُ مُصَلّى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم الذى دعا فيه على الأحزاب ، وكان يصلى فيه إذا جاء مسجد الفتح .

وروى ابن شبة عن جابر قال : دعا النبى صلى الله عليه وسلم فى المسجد المرتفع ، ورَفَع يديه مدا .

وعن سالم أبى النصر قال : دعا النبى صلى الله عليه وسلم يوم الخندق « اللّهُمَّ منزل الكتاب ، ومُنْشئ السحاب ، اهزمهم وانصرنا عليهم » .

وروى ابن زبالة من طريق عمر بن الحكم بن ثوبان قال : أخبرنى مَنْ صلى وراء النبى صلى الله عليه وسلم فى مسجد الفتح ثم دعا فقال « اللهم لَكَ الحمد هدَيْتَنِي من الضلالة ، فلا مُكْرِم لمن أهَنْت ، ولا مُهِين لمن أكرمت ، ولا مُعِزَّ لمن أذللت ، ولا مُذِلَّ لمن أعْزَزْتَ ، ولا ناصر لمن خَذَلْت ، ولا خاذِلَ لمن نَصَرْت ، ولا معطى لما منعت ، ولا مانع لما أعطيت ، ولا رازِقَ لمن حَرَمْت ، ولا حارِم لمن رَزَقْت ، ولا رافع لمن خفضت ، ولا خافض لمن رفعت ، ولا خارق لمن سترت ، ولا ساتر لمن خرقت ، ولا مقرب لما باعدت ، ولا مباعد لما قربت » .

وذكر القرطبى دعاء آخر فى رواية يتضمن أن الدعاء وقع من النبى صلى الله عليه وسلم هناك فى الليلة التى أرسل الله فيها الريحَ على الأحزاب ، ولا مانع من أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم دعا فى تلك الليلة أيضا هناك ، ولفظه : ولما اشتد الأمر على المسلمين وطال المُقام فى الخَنْدق قام عليه الصلاة والسلام على التلّ الذى عليه مسجد الفتح فى بعض الليالى وتوقّع ما وعده الله من النصر . وقال : مَنْ

يذهب ليأتينا بخبرهم ؟ قال : فانطلق حُذَيفة بسلاحه ، ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يَدَه يقول « يا صَرِيخَ المَكْرُوبين ، ويا مُجيبَ المضطرين ، ويا كاشفَ همى وغمى وكربى ، فقد ترى حالى وحالَ أصحابى » فنزل جبريلُ فقال : إن الله سمع دَعْوتَكَ وكفاك هَوْلَ عدوك ، فخرَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على ركبتيه ، وبسط يديه ، وأرخى عينيه ، وهو يقول : شكراً كما رحمتنى ورحمت أصحابى ، وأخبره جبريل بأن الله مُرْسِل عليهم ريحاً ، فبشر أصحابه بذلك .

قلت : فينبغى أن يدعى بذلك كله هناك،فيقول : اللهم ياصريخ المستصرخين والمكروبين ، ويا غياث المستغيثين ، ويا مفرج كرب المكروبين ، ويا مجيب دعوة المضطرين ، صَلِّ على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، واكشف عنى كربى وغمى وحزنى وهمى ، كما كشفت عن حبيبك ورسولك صلى الله عليه وسلم كربه وحزنه وغمه وهمه فى هذا المقام ، وأنا أتشفع إليك به صلى الله عليه وسلم فى ذلك، يا حَنان يا مَنان ياذا الجودِ والإحسان .

ويقدم عليه ما فى الصحيح من حديث ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم « كان يَدْعو عند الكرب لا إلٰهَ إلا الله العظيم الحليم ، لا إلٰهَ إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله ربُّ السموات ورب الأرضين رب العرش الكريم » . وكذلك دعاء الشافعى رحمه الله تعالى الذى دعا به عند دخوله على الرشيد فى محنته فقد روى أبو نعيم بإسناد من طريق الشافعى أن النبى صلى الله عليه وسلم دعا به فى يوم الأحزاب،ورفعه غير صحيح كما قال البيهقى ، لكنه دعاء عظيم ، وفى ألفاظه اختلاف ، وقد جمعت بينها وهو « شَهِدَ الله أنه لا إلٰهَ إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم » ثم قال « وأنا أشهد بما شهد الله به ، وأستودع الله هذه الشهادة ، وهى وَدِيعة لى عند الله يؤدِّيها إلى يوم القيامة ، اللهم إنى أعوذُ بنور قُدْسِك وعظمة طهارتك وبركة جلالك من كل

آفةٍ وعاهةٍ ومن طوارق الليل والنهار، وطارق الجن والإنس، إلا طارقا يَطْرُقُ بخير، اللهم أنت غياثى فبك أغوث، وأنت ملاذى فبك ألوذ، وأنت عياذى فبك أعوذ، يامن ذلّتْ له رقاب الجبابرة، وخضعت له أعناق الفراعنة، أعوذ بجمال وجهك وكرم جلالك من خِزْيك وكشف سَترك، ومن نسيان ذكرك، والإضراب عن شكرك، أنا فى حِرزِك وكَنَفك وكلاءتك فى ليلى ونهارى، ونومى وقرارى، وظعنى وأسفارى، وحياتى ومماتى، ذكرك شِعارى، وثناؤك دثارى، لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، تنزيهاً لاسمك وعظمتك، وتكريماً لسُبُحات وجهك، أجرنى من خِزْيك ومن شر عبادك، واضرب علىّ سُرادقات حفظك، وقنى سيآت عذابك، وجُدْ على، وعِدْنى منك بخير يا أرحم الراحمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم الكريم، والصلاة على النبى المرتضى محمد وآله وصحبه وسلم».

قلت: ومما يدل على اشتهار الاستجابة بهذا المسجد فى يوم الأربعاء وقصد السلف له فى ذلك اليوم حتى النساء ما حكاه الأديب شهاب الدين أبو الثناء محمودٌ فى كتابه «منازل الأحباب» من رؤية عتبة بن الحباب بن المنذر بن الجَموح امرأةً ممن يزور هذا المسجد فى يوم الأربعاء مع نسوة المرةَ بعد الأخرى وذكر قصته فى تزوجه بها، وإنشاده:

يا للرِّجال ليَوْم الأربعاء أما ... يَنفَكُّ يحدث لى بعد النهى طَرَبا
ما إن يزال غزالٌ فيه يظلمنى ... يَهوى إلى مَسْجد الأحزاب مُنْتَقِبا
يخبِّرُ الناسَ أنَّ الأجر هِمَّتُهُ ... وما أتى طالبًا للأجر محتسبًا
لو كان يبغى ثَوَابًا ما أتى ظهراً ... مُضَمخًا بفتيتِ المسك مُختَضِبًا

وفى كلام الزبير بن بكار ما يقتضى نسبة هذه الأبيات مع زيادة فيها لعبد الله بن مسلم بن جندب الهذلى، وأنه كان إمامَ المسجد المذكور فإنه قال: ولما ولى الحسنُ بن زيد المدينة منعَ عبد الله بن مسلم بن جندب الهذلى أن يؤمَّ

الناسَ فى مسجد الأحزاب ، فقال له : أصلح الله الأميرَ لم منعتنى مقامى ومقام آبائى وأجدادى قبلى ؟ قال : ما منعكَ منه إلا يوم الأربعاء ، يريد قوله :

* يا للرِّجالِ ليوم الأربعاء *

وذكر الأبيات الأربعة المتقدمة وزاد عقبها أربعة أخرى ، وهى :

فإن فيــه لمَنْ يَبْغِى فَوَاضِلَهُ ... فَضْلاً وللطالب المرْتاد مُطْلَبَا
كم حُرَّة دُرَّة قَدْ كنْتُ آلَفُهَا ... تَسُدُّ من دونها الأبْوَابَ والحُجُبَا
قد ساغ فيه لها مَشْىُ النهار كما ... ساغ الشرابُ لعطشَان إذا شَرِبَا
أخرجن فيه ولا ترعين ذا كذب ... قَدْ أبْطَلَ الله فيه قولَ مَنْ كذبَا

قال المجد : وأما تسميته يعنى المسجد الأعلى بمسجد الفتح فيحتمل أنه سُمِّى به لأنه أجيبت فيه دعوة النبى صلى الله عليه وسلم على الأحزاب ، فكان فَتْحًا على الإسلام أو أنزل الله عليه صلى الله عليه وسلم سورة الفتح هناك ، انتهى .

قلت : وبالثانى جزم ابن جبير فى رحلته ، لكن جاء فى خبر أن النبى صلى الله عليه وسلم « كان قد تَقَنَّعَ بثوبه يوم الخندق واضطجع لما أتاه أصحابه بخبر بنى قريظة ، ثم إنه رَفَعَ رأسه فقال : بشروا بفَتْح الله ونصره » كما فى مغازى ابن عقبة ، فلعل ذلك كان فى موضع هذا المسجد ، فسمى بذلك لوقوع البشارة بالفتح فيه .

وأيضًا فقد روى القرطبى ما يقتضى أن النبى صلى الله عليه وسلم لما أرسل حُذَيفة ليأتيه بخبر الأحزاب كان بمحل هذا المسجد .

وقد قال ابن عقبة : إن حذيفة لما رجع وجد النبى صلى الله عليه وسلم قائما يصلى ، ثم انصرف إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ، فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قد فتح الله عز وجل لهم وأقر أعينهم ، اهـ .

وروى ابن شبة عن أسيد بن أبى أسيد عن أشياخهم أن النبى صلى الله عليه وسلم « دَعا على الجبل الذى عليه مسجد الفتح ، وصلى فى المسجد الصغير

الذى بأصل الجبل على الطريق حين يصعد الجبل» . وروى ابن زبالة عن معاوية ابن عبد الله بن زيد ، نحوه .

وعن معاذ بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « صَلّى فى مسجد الفتح الذى على الجبل وفى المساجد التى حوله » .

المساجد التى حول مسجد الفتح

قلت : وظاهره أن المساجد حوله ثلاثة لأنه أقل الجمع ، وهو ما صرح به ابن النجار فقال : إن مسجد الفتح على رأس جبل يصعد إليه بدَرَج ، وقد عمر عمارة جديدة ، أى عمارة ابن أبى الهيجاء الآتية فإنه أدركها .

قال: وعن يمينه فى الوادى نخل كثير ، ويعرف ذلك الموضع بالسيحى، أى بالياء آخر الحروف . ومساجد حوله ـ وهى ثلاثة ـ قبلة الأول منها خراب ، وقد هدم وأخذت حجارته ، والآخران معموران بالحجارة والجص ، وهما فى الوادى عند النخل ، انتهى .

وقال المطرى : إن المسجدين اللذَين فى قبلة مسجد الفتح تحته يعرف الأول منهما يعنى الذى يلى مسجد الفتح بمسجد سَلْمَان الفارسى . والثانى الذى يلى القبلة ـ يعنى فى قبلة مسجد سلمان ـ يعرف بمسجد أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، ثم ذكر ما تقدم عن ابن النجار من أنه كان معهما مسجدٌ ثالثٌ ، ثم قال : وهذا لم يبق له أثر .

قلت : وفى قبلة المسجد المعروف بأمير المؤمنين جانحا إلى جهة المشرق يلحق طرف جبل سَلْع الذى فى قبلة المساجد رضم من حجارة رأينا الناس يتبركون بالصلاة بينها . وقد تأملتها فوجدت فى طرفها مما يلى المشرق حَجَراً من المقام الذى يجعل منه الأساطين ، وهو مثبت فى الأرض بالجص ، فترجح عندى أنه أثر أسطوان ، وأن ذلك هو المسجد الذى يشير إليه ابن النجار ، وما ذكره المطرى من نسبة المسجدين المذكورين لسلمان وعلى رضى الله تعالى عنهما شائع على ألسنة الناس ، ويزعمون أن الثالث الذى ذكر المطرى أنه لم يبق له أثر مسجد أبى بكر

رضى الله تعالى عنه ، وبعض العامة يسمى مسجد سلمان بمسجد أبى بكر رضى الله عنه ، ولم أقف فى ذلك كله على أصل .

قال المطرى : ويصعد إلى مسجد الفتح بدرجتين شمالية وشرقية ، وكان فيه ثلاث أسطوانات من بناء عمر بن عبد العزيز ، فلذلك قال فى الحديث « موضع الأسطوانة الوسطى » .

قلت : والمراد أنها ثلاث أساطين بين المشرق والمغرب ، فسقفه رواق واحد فقط كما هو عليه اليوم ، قال المطرى : لكنه تهدَّم على طول الزمان فجدَّده الأمير سيف الدين الحسين بن أبى الهيجاء أحد وزراء العُبَيْدِيِّينَ ملوكِ مصر فى سنة خمس وسبعين وخمسمائة ، وكذلك جدد بناء المسجدين اللذين تحته من جهة القبلة فى سنة سبع وسبعين وخمسمائة .

قلت : واسمه اليوم مرسوم على مسن فى أعلى قبلة مسجد الفتح ، وفى أعلى قبلة المسجد الذى يليه . وفيه ذكر العمارة فى التاريخ المذكور .

وأما المسجد الآخر — وهو الذى فى قبلتهما ، المنسوب لأمير المؤمنين علىّ — فتهدَّمَ بناؤه ، فجدَّده الأميرُ زين الدين ضغيم بن حشرم المنصورى أمير المدينة الشريفة فى سنة ست وسبعين وثمانمائة ، وكان سقفه عَقْداً ، وفيه مسن عليه اسم ابن أبى الهيجاء كالمسجدين الآخرين ، فجعل سقفه خشبًا على أسطوان واحد ، وسقف كل من مسجد الفتح والذى فى قبلته رِوَاق واحد مَقْبوّ قبواً محكما ، وفى كل منهما ثلاث قناطر آخذة من المشرق إلى المغرب ، والظاهر أن الرحبة التى خلف الرواق المذكور لم تغير عن حالها القديم . وذَرْعُ المسجد الأعلى من القبلة إلى الشام عشرون ذراعا بنقص يسيرا ، ومن المشرق إلى المغرب مما يلى القبلة سبعة عشر ذراعا . وذَرْعُ المسجد الأسفل المنسوب لسلمان رضى الله تعالى عنه من القبلة إلى الشام أربعة عشر ذراعا شافة ، ومن المشرق إلى المغرب مما يلى القبلة سبعة عشر ذراعا . وذَرْع المسجد الذى يليه — وهو المنسوب لعلى رضى الله عنه — من القبلة إلى الشام ثلاثة عشر ذراعا شافة ، ومن المشرق إلى المغرب مما يلى القبلة ستة عشر ذراعا شافة .

مسجد بنى حرام الكبير

وينبغى لقاصد مساجد الفتح أن يزور مسجد بنى حرَام الكبير ، وهو غير مسجدهم الصغير الآتى ذكره ، وهذا المسجد هو الذى اتخذوه لشعبهم من سَلْع لما تحوَّلوا إليه على ما قدمناه فى ذكر المنازل ؛ لما فيه مما يقتضى أنهم تحلوا إليه بإذن النبى صلى الله عليه وسلم لهم .

وقد روى رزين عن يحيى بن قتادة بن أبى قتادة عن مشيخةٍ من قومه أن النبى صلى الله عليه وسلم « كان يأتى دور الأنصار فيصلى فى مساجدهم » .

وقدمنا هناك أيضاً أن عمر بن عبد العزيز زاد فيه على بناء أهله له مِدْمَاكَيْن من أعلاه ، وطابق سقفه ، وكان أولا بخشب وجريد ، وجعل فيه زيت مسجد رسولِ الله صلى الله عليه الله وسلم ؛ فهذا يقتضى أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فيه ، لكن تقدم أيضاً ما يقتضى أن بنى حرام إنما انتقلوا للشعب المذكور فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه .

وروى ابن شبة فى ذكر المساجد التى يقال إن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فيها ، ويقال إنه لم يصل فيها ، عن حرام بن عثمان أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يُصَلِّ فى مسجد بنى حرام الأكبر ، ثم روى ما قدمناه من الاختلاف فى وقت تحوُّلهم إلى ذلك المحل.

فيتلخص من ذلك أنه مما اختلف فى صلاة النبى صلى الله عليه وسلم فيه ، ولذلك لم يفرده بالذكر ، وقد ظهر لى محله فى قرية بنى حرام بشعبهم غربى جبل سَلْع على يمين السالك إلى مساجد الفتح من الطريق القبلية ، وعلى يسار السالك إلى المدينة من مساجد الفتح ، فإذا جاوَزْتَ البطن الذى فيه مساجد الفتح وأنت قاصدُ المدينة يَلْقَاكَ بعد ذلك بَطْن مُتَّسع من سَلْع فيه آثار قرية هى قرية بنى حرَام ، وذلك شعبهم ، وقد انهدم المسجدُ بأجمعه ، وبقى أساسه وآثار أساطينه من الحزر المكسر ، وفيها آثار الرصاص وعُمُد الحديد وآثار الرمل بأرضه ، ولعل الله تعالى يبعث له من يحييه .

كهف بنى حرام

وينبغى لقاصد المسجد المذكور أن يَزُور كهف بنى حرام قرب شعبهم المذكور ؛ لما سيأتى فى ذكر عين النبى صلى الله عليه وسلم عن عبدالملك بن جابر ابن عتيك أن النبى صلى الله عليه وسلم « تَوَضَّأ من العيينة التى عند كهف بنى حرام » قال : وسمعتُ بعضَ مشيختنا يقول : قد دخل النبى صلى الله عليه وسلم ذلك الكهف .

وفى رواية أنهم كانوا ـ يعنى الصحابة ـ يخرجون مع النبى صلى الله عليه وسلم ويخافون البيَات ، فيدخلونه كهف بنى حرام ، فيبيت فيه ، حتى إذا أصبح هَبَط ، وإنه نَقَر العيينة التى عند الكهف .

ولما روى ابن شبة عن يحيى بن النصر الأنصارى أن النبى صلى الله عليه وسلم « جَلَس فى كهف سَلْع » والمراد به كهف بنى حرام .

ولما روى الطبرانى فى الأوسط والصغير عن أبى قتادة قال : خرج مُعَاذ بن جبل فطلب النبى صلى الله عليه وسلم فلم يجده ، فطلبه فى بيوته فلم يجده ، فاتبعه فى سكة سكة حتى دُلَّ عليه فى جبل ثواب ، فخرج حتى رقى جبل ثواب فنظَر يمينًا وشمالا فبصر به فى الكهف الذى اتخذ الناس إليه طريقا إلى مسجد الفتح ، قال معاذ : فإذا هو ساجدٌ ، فهبطت من رأس الجبل وهو ساجد فلم يرفع حتى أسأتُ به الظن ، فظننته أنه قد قُبِضَتْ روحُه ، فقال : جاءنى جبريل بهذا الموضع فقال : إن الله تبارك وتعالى يقرئك السلام ويقول لك : ما تحبُّ أن أصْنَعَ بأمتك ؟ قلت : الله أعلم ، فذهب ثم جاء إلى فقال : إنه يقول : لا أسُوءكَ فى أمتك ، فسجدت فأفضل ما تقرب به إلى الله عز وجل السجود .

قلت : وجبل ثواب لم أقف له على ذكر ، ولكن يؤخذ من قوله فى هذا الكهف إنه الذى اتخذ الناس إليه طريقا إلى مسجد الفتح أنه جبل سَلْع ، والمراد اتخذ الناس إلى الكهف طريقًا إلى طريق مسجد الفتح ، فهو كهف بنى حرام بقرينة ماسبق ، والكهف كما فى الصحاح : شبه البيت المنقور فى الجبل ، وهذا

الكهف يظهر أنه الذى على يمين المُتوَجِّه من المدينة إلى مساجد الفتح من الطريق القبلية أيضا إذا قَرُبَ من البطن الذى هو شعب بنى حرام فى مقابلة الحديقة المعروفة اليوم بالنقبينة عن يساره.

وكذلك الحِصْنُ المعروفُ بحصن حمل يكون فى جهة يساره فهناك مجرى سائلة تسيل من سَلْع إلى بطحان ، فإذا دخل فى تلك السائلة وصعد يسيراً من سلع طالباً جهةَ المشرق كان الكهف المذكور على يمينه ، وعنده أثر نقر ممتد فى الجبل هو مجرى السائلة المذكورة ، وإذا صعد الإنسان من ذلك المجرى وكان فى أعلاه وجد كهفاً آخر ، لكنه صغير جداً ، والأول أقرب إلى كونه المراد ، ولعل ذلك النقر هو المراد فيما يتعلق بالعيينة ، وإذا حصل المطر بسَلْع سالَتْ تلك السائلة ، ويبقى هناك مواضع يتحصل فيها الماء ثم يجرى منها ؛ فينبغى التبرك بها ، والله أعلم.

مسجد القبلتين

ومنها : مسجد القبلتين ، قال رزين : وهو مسجد بنى حَرَام بالقاع ، وتبعه ابن النجار فمَنْ بعده ، وزاد المطرى وتبعه من بعده أنه الذى رأى النبى صلى الله عليه وسلم النخامة فى قبلته فحكّها بعُرْجُون كان فى يده ، ثم دعا بخَلُوق فجعله على رأس العُرْجُون ثم جعله فى موضع النخامة ، فكان أوّل مسجد خُلِّق ، وهذا كله مردود ؛ لأن ابن زبالة قال كما قدمناه فى المنازل : إن بنى سَوَاد بن غنم بن كعب نزلوا عند مسجد القبلتين ، ولهم مسجد القبلتين ، ونزل بنو عبيد بن عدى بن غنم ابن كعب عند مسجد الخربة ، ونزل بنو حَرَام من كعب بن غنم بن كعب عند مسجد بنى حرام الصغير الذى بالقاع ، وابتنوا أُطُماً يقال له جاعص كان فى السهل بين الأرض التى كانت لجابر بن عتيك وبين العين التى عملها معاوية بن أبى سفيان ، وحينئذ فلا يصح كون مسجد بنى حرام الصغير هو مسجد القبلتين . وكأن هؤلاء الجماعة فَهِمُوا من وصف مسجدهم هذا بالصغير أن مسجدهم الكبير هو مسجد القبلتين ، وليس كذلك ؛ لما قدمناه من أن مسجدهم الكبير نقل أن النبى

صلى الله عليه وسلم لم يُصَلِّ فيه ، وأنه الذى بشعب سَلْع ، وأيضا فقد صرح ابن زبالة بأن مسجد القبلتين لبنى سواد ، وأيضا فإنَّ القاع إنما يناسب ما قدمناه فى بيان منازل بنى حرام فى غربى مساجد الفتح ، فمسجد بنى حرام هذا من المساجد التى لا تعلم اليوم عَيْنُها ، ولكن تعلم جهتها . ومما يوضح المغايرة بين مسجد بنى حرام وبين مسجد القبلتين ، ويصرح بخطأ ما ذهب إليه مَنْ جَعَلهما متحدين أن ابن شبة روى عن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى مسجد الخربة ، وفى مسجد القبلتين ، وفى مسجد بنى حرام الذى بالقاع . ورواه أيضا ابنُ زبالة عن جابر بلفظ « صَلَّى فى مسجد القبلتين وفى مسجد بنى حرام بالقاع » ولم يذكر مسجد الخربة ؛ فاتَّضَح بذلك ما قلناه ، وتعين اجتناب ما عداه ، وما ذكره المطرى من كون مسجد القبلتين أول مسجد خُلِّقَ أخذه من ورود ذلك فى مسجد بنى حرام لظنه اتحادهما ؛ فاجتنبه .

وقال ابن زبالة : وحدثنى موسى بن إبراهيم عن غير واحد من مَشْيَخة بنى سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «صَلَّى فى مسجد القبلتين» وقد قدمنا فى الفصل الثالث من الباب الرابع الاختلافَ فى تعيين المسجد الذى وقع فيه تحويلُ القبلة وسَنَتِهِ والصلاةِ التى وقَعَ ذلك فيها ، وفى بعض تلك الروايات أن ذلك كان بمسجد القبلتين ، وأن الواقدىَّ قال : إن ذلك هو الثابت عنده .

وروى يحيى عن عثمان بن محمد بن الأخنس قال : زار رسولُ الله صلى الله عليه وسلم امرأة — وهى أم بشر من بنى سلمة — فى بنى سلمة ، فصنعت له طعاما ، قالت أم بشر : فهم يأكلون من ذلك الطعام إلى أن سألوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن الأرواح ، فذكر حديثها فى أرواح المؤمنين والكافرين ، ثم قال : فجاءت الظهرُ فصلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه فى مسجد القبلتين الظهر ، فلما أنْ صَلَّى ركعتين أُمِرَ أن يوجه إلى الكعبة ، فاستدار رسول الله صلى الله

عليه وسلم إلى الكعبة واستقبل الميزاب ؛ فهى القبلة التى قال الله تعالى «فلنولينك قبلة ترضاها» فسمى ذلك المسجد مسجد القبلتين .

وفى رواية له : فلما صلى ركعتين أُمِرَ أن يولى وجهه إلى الكعبة ، فاستدار رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة والمسجد مسجد القبلتين ، وكان الظهر يومئذ أربعا منها ثنتان إلى بيت المقدس وثنتان إلى الكعبة .

قلت : وهذا ما أشار إليه ابنُ سعدٍ بقوله : ويقال إنه صلى الله عليه وسلم زار أم بشر بن البراء بن مَعْرور فى بنى سلمة ، فصنعت له طَعَاماً وحانَتِ الظهرُ ، فصلى بأصحابه ركعتين ، ثم أُمِرَ أن يوجَّه إلى الكعبة ، فاستداروا إلى الكعبة ، فسمى المسجد مسجد القبلتين .

وتقدم ما قاله الزمخشرى من صَرْفِ القبلة فى هذا المسجد فى صلاة الظهر ، وإنه صلى الله عليه وسلم تحول فى الصلاة وحَوَّل الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال .

وروى ابن زبالة عن محمد بن جابر قال : صُرِفت القبلةُ ونفرٌ من بنى سلمة يصلون الظهر فى المسجد الذى يقال له مسجد القبلتين ، فأتاهم آتٍ فأخبرهم وقد صلوا ركعتين ، فاستداروا حتى جعلوا وجوهَهم إلى الكعبة ، فبذلك سُمِّى مسجد القبلتين .

قال المجد : فعلى هذا كان مسجد قباء أولى بهذه التسمية ؛ لما ثبت فى الصحيحين من وقوع نحو ذلك به .

وقد أطنب المجد هنا فيما جاء فى تَخْليق النبلة لتوهمه أن مسجد القبلتين هو المراد ، وذلك وَهَم لما أسلفناه ، وهذا المسجد — كما قال المطرى — بعيد من مساجد الفتح من جهة المغرب على رابية على شفير وادى العقيق ، يعنى العقيق الصغير .

قلت : وهو مرتفع عن شَفير وادى العقيق كثيرا ، وكأنه أراد بذلك بيانَ مناسبة ما ادَّعاه من تسمية موضعه بالقاع ، وقد جدد سقف هذا المسجد وأصلحه الشجاعى شاهينُ الجمالى شيخُ الخدامين عام ثلاث وتسعين وثمانمائة ، والله أعلم .

مسجد السقيا

ومنها : مسجد السقيا[1]، سُقْيَا سعد الآتى ذكرها فى الآبار، فى شامى البئر المذكورة قريبا منها جانحا إلى المغرب يسيرا فى طريق المار إلى الرقيقين من طريق العقيق ، وهذا المسجد ذكره أبو عبد الله الأسدى من المتقدمين فى مَنْسَكه فى المساجد التى تُزَار بالمدينة .

وروى ابن شبة فى ترجمة المواضع التى صلى فيها النبى صلى الله عليه وسلم ومساجده عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ، قال : عَرَضَ النبىُّ صلى الله عليه وسلم المسلمين بالسقيا التى بالحرة متوجها إلى بَدْرٍ وصلى بها .

وقد قدمنا فى الفصل الرابع من الباب الثانى ما رواه الترمذى وقال حسن صحيح عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كنا بحَرَّة السُّقْيا التى كانت لسعد بن أبى وقاص فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ائتونى بوَضُوء ، فتوضأ ثم قام فاستقبل القبلة فقال : اللهم إن إبراهيم كان عَبْدَكَ وخليلَكَ ودعاكَ لأهل مكة بالبركة ، وأنا عَبْدُك ورسولك أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم فى مُدِّهم وصاعِهم مثل ما باركت لأهل مكة مع البركة بركتين.

وقدمنا أيضا أن ابن شبة رواه بنحوه إلا أنه قال : حتى إذا كنا بالحرة بالسقيا التى كانت لسعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ائتونى بوَضُوء ، فلما توضأ قام فاستقبل القبلة ثم كبر ثم قال ، الحديثَ بنحوه .

وتقدم أيضا رواية الطبرانى له بسند جيد ، وأن أحمد روى برجال الصحيح عن أبى قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « صَلَّى بأرض سعد بأصْلِ الحَرَّةِ عند بيوت السقيا ، ثم قال : إن إبراهيم خليلَكَ وعَبْدَكَ ونبيك دَعَاكَ لأهل مكة ، وأنا محمد عبدك ورسولك أدعوك لأهل المدينة مثلى ما دعاك به إبراهيم لمكة ، أن تبارك لهم فى صاعِهم ومُدِّهم وثمارهم ، اللهم حَبِّبْ إلينا المدينةَ كما حببت

(١) هذا المسجد هو القبة التى فى خارج باب العنبرية اليوم (حسب الله) .

إلينا مكة ، واجعل ما بها من وَباء بخم ، اللهم إنى حَرَّمْتُ ما بين لاَبَتَيْهَا كما حرمت على لسان إبراهيم الحرم ».

وقال الواقدى فى غزوة بدر : لما نزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عند بيوت السُّقيا ، فحدثنى ابن أبى ذئب عن المقبرى عن عبد الله بن أبى قتادة عن أبيه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلَّى عند بيوت السُّقْيا ودعا يومئذٍ لأهل المدينة : اللهم إن إبراهيم عبْدك وخَليلك ونبيك ، الحديثَ .

وروى أيضا عن سعد بن أبى وقَّاص قال : خرجنا إلى بَدْر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعنا سبعون بعيرا ، وكانوا يَتَعَاقبون الثلاثة والأربعة والاثنان على بعير ، وكنت أنا من أعظم أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم غِنًى وأرْجَلِهم رُجْلَةً[1] وأرماهم بسَهم لم أركب خُطْوة ذاهباً ولا راجعا . وقال صلى الله عليه وسلم حين فَصَلَ من يثرب للسقيا : اللهم إنهم حُفَاة فاحْمِلْهم ، وعُرَاة فاكْسُهُمْ ، وجِيَاعٌ فأشْبِعْهُمْ ، وعَالَةٌ فأغْنِهِمْ من فضلك ، قال : فما رجَع أحد منهم يريد أن يركَبَ إلا وجَد ظهْرا للرجُلِ البعيرُ والبعيران ، واكتسى من كان عاريا ، وأصابوا طعاما من أزْوَادِهم ، وأصابوا فِدَاء الأسرى فأغنى به كل عائل .

وروى ابن زبالة عن عمر بن عبد الله الدينارى وعمار بن حفص أن النبى صلى الله عليه وسلم عَرَضَ جيش بدر بالسقيا ، وصلى فى مسجدها ، ودعا هنالك لأهل المدينة أن يبارك لهم فى صَاعِهم ومُدِّهم ، وأن يأتِيَهُم بالرزق من ههنا وههنا . قال : واسم البئر السقيا ، واسم أرضها الفلجان .

قلت : ولم يكن هذا المسجد معروفا ، ولم يذكره المطرى ، بل تردد فى البئر بين البئر التى فى المحل المذكور وبين البئر المعروفة بزمزم ، ومال إلى ترجيح أنها

(١) الرجلة — بضم الراء وسكون الجيم — الشدة ، والأرجل : الوصف منه

التى فى المحل المذكور ، فاتفق أنى جئت إلى ذلك المحل وتطلبت المسجد ، فرأيت محله رضما ، فأرسلت إليه بعضَ المعلمين وأمرته أن يتتبع الأساس بالحَفْر من داخله فظهر محراب المسجد وتربيعه و بناؤه بالحجارة المطابقة بالجص ، وقد بقى منه فى الأرض أزيد من نصف ذراع فيه بياض المسجد بالقَصَّة بحيث يَعْلم الناظر أنه من البناء العمرى ، وخرج الناس أفواجا لرؤيته والتبرك به ، ثم بُنى ولله الحمد على أساسه الأول ، وهو مربع ، مساحته نحو سبعة أذرع فى مثلها .

مسجد ذباب (الراية)

ومنها : مسجد ذباب ، و يعرف اليوم بمسجد الراية ، ولما لم يعرفه المطرى قال : وليس بالمدينة مسجد يعرف غير ما ذكر إلا مسجدا أعلى ثنية الوَدَاع عن يسار الداخل إلى المدينة من طريق الشام ، ومسجدا آخر على طريق السافلة ، ولم يرد فيهما نقل يعتمد عليه .

قال الزين المراغى فى بيان المسجد الأول : وكأنه يريد به المسجد المعروف بمسجد الراية .

قلت : هو مراده ؛ لوجوده فى زمنه ، ولم يعدَّه فى المساجد وأطلق على محل ثنية الوداع لقربه منها ، وهو مبنى بالحجارة المطابقة على صفة المساجد العمرية ، وكان قد تهدم فجدده الأمير جانبك النيروزى رحمه الله تعالى سنة خمس أو ست وأربعين وثمانمائة ، وقد اتضح لنا ما جاء فى هذا المسجد بحمد الله تعالى لأن الإمام أبا عبد الله الأسدى فى المتقدمين لما عدد فى كتابه الأماكن التى تزار فى المدينة الشريفة قال : مسجد الفتح على الجبل ، ومسجد ذباب على الجبل ، انتهى . وذباب : اسم الجبل الذى عليه المسجد المذكور كما سنوضحه .

وقد روى ابن زبالة وابن شبة عن عبد الرحمن الأعرج أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلّى على ذبَاب .

وروى الثانى عن ربيع بن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى قال : ضرب النبى صلى الله عليه وسلم قبّته على ذباب .

وعن الحارث بن عبد الرحمن قال : بعثتْ عائشة رضى الله تعالى عنها إلى مروان بن الحكم حين قتل ذبابا وصَلَبه على ذباب تقول : مَوْقِفٌ صلى عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم واتخذتهُ مَصْلَبا .

قال أبو غسان : وذباب رجل من أهل اليمن عَدَا على رجل من الأنصار ، وكان عاملا لمروان على بعض مساعى اليمن ، وكان الأنصارى عَدَا على رجل فأخذ منه بقرة ليست عليه ، فتبع ذباب الأنصارىَّ حتى قدم المدينة ، ثم جلس له فى المسجد حتى قتله ، فقال له مروان : ما حملك على قتله ؟ قال : ظلمنى بقرة لى ، وكنت امرأ خبيثَ النفسِ فقتلته ، فقتله مروان وصلَبه على ذباب .

وتقدم من رواية ابن شبة فى اتخاذ المقصورة فى المسجد ما يقتضى أن الرجل الذى ظلمه ساعى مروان اسمه دب ، وأنه إنما هَمَّ بقتل مروان ، فأخذهُ مروان ، فذكر له السبب المتقدم وأنه حبسه ثم أمر به فقتل .

وقال ابن شبة : قال أبو غسان : وأخبرنى بعضُ مشايخنا أن السلاطين كانوا يصلبون على ذباب ، فقال هشام بن عُرْوَة لزياد بن عبيد الله الحارثى : يا عجبا ، يصلبون على مَضْرِب قبة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فكفَّ عن ذلك زياد وكفت الوُلاَة بعده عنه .

قلت : وقد جعل المطرى فى الكلام على الخندق مَضْرِبَ قبَّة النبى صلى الله عليه وسلم هو محل مسجد الفتح من سَلْع ؛ لظنه أن الخندق لم يكن إلا فى غربى سَلْع ، وكأنه لم يطلع على ما هنا . ولم أر لما ذكره أصلا فى كلام غيره ، وقد غاير أبو عبد الله الأسدى بين مسجد الفتح ومسجد ذباب كما قدمناه ، وسيأتى ما يؤخذ منه أن الخندق كان شامى المدينة بين حرَّتيها الشرقية والغربية .

وفى اتخاذ المسجد على هذا الجبل رد لما أوّل به الطبرانى الصلاةَ عليه بالدعاء فإنه روى بسند فيه عبد المهيمن بن عباس بن سهل عن سهل بن سعد أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلى على ذباب ، قال الطبرانى عقبه : بلغنى أن ذبابا جبل بالحجاز

وقوله « صلى » أى بارك عليه .

قلت : صرح ابن الأثير بأنه جبل بالمدينة ، وفى الاكتفاء فى غزوة تبوك ما لفظه : فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على ثنية الوَدَاع وضرب عبد الله بن أبى معه على حِدَة عسكره أسفلَ منه نحو ذباب .

وقد قال الكمال الدميرى : إن فى كتب الغريب أن النبى صلى الله عليه وسلم صلب رجلا على جبل يقال له ذباب ، وإن البكرى قال : هو جبل بجبَّانة المدينة .

وتقدم فى منازل بنى الديل حول ثنية الوَدَاع ذكر الجبَّانة ، وكذا فى ذكر البلاط .

وقال الواقدى فى كتاب الحرة : إنهم لما اصطَفُّوا لقتال جيش الحَرَّة على الخندق ، وكان يزيد بن هرمز فى موضع ذباب إلى مربد النَّعَم معه الدهم من الموالى ، وهو يحمل رايتهم ، وهو أميرهم ، وقد صف أصحابه كَرَادِيسَ بعضها خلف بعض إلى رأس الثنية أى ثنية الوَدَاع .

وهذا كله صريح فى أن ذبابا هو الجبل المذكور ، ولعل السبب فى اشتهار مسجده بمسجد الراية ما ذكره الواقدى من أن يزيد بن هرمز كان فى موضعه ومعه راية الموالى .

وقد تقدم فى منازل يهود قول ابن زبالة : وكان لأهل الشوط الأطمُ الذى يقال له السرعى ، وهو الأطم الذى دون ذباب ، وسيأتى فى ترجمة الشوط أنه قريب من منازل بنى ساعدة ، وقد رأيت لذباب ذكرا فى أماكن كثيرة جدا ، وكلها متفقة على وَصْفه بما يدل على أنه الجبل الذى عليه مسجد الراية ، بحيث زال الشك عندى فى ذلك .

ويؤخذ مما سيأتى فى ترجمة الخندق أن الصخرة ـ التى خرجت من بطن الخندق وهم يحفرونه ، وضربها النبى صلى الله عليه وسلم بالمِعْوَلِ الحديثَ ـ كانت تحته ، لكنه سمى فى تلك الرواية ذو باب بزيادة واو ، والله أعلم .

مسجد القبيح

ومنها : المسجد اللاصق بجبل أحد على يمينك وأنت ذاهب إلى الشعب الذى فيه المهراس ، وهو صغير قد تهدم بناؤه .

قال الزين المراغى : ويقال : إنه يسمى مسجد القبيح .

قلت : وهو مشهور بذلك اليوم ، ويزعمون أن قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تَفَسَّحُوا فى المجالس ـ الآية) نزلت فيه ، ولم أقف على أصل لذلك .

وقال المطرى : يقال : إن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فيه الظهر والعصر يوم أُحُدٍ ، بعد انقضاء القتال ، وكأنه لم يقف فيه على شىء .

وقد روى ابن شبة بسند جيد عن رافع بن خديج أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلَّى فى المسجد الصغير الذى بأُحُدٍ فى شعب الحِرَار على يمينك لازق بالجبل .

مسجد فى ركن جبل عينين

ومنها : مسجد فى ركن جبل عينين الشرقى على قطعة منه ، وهذا الجبل كان عليه الرُّمَاة يوم أُحُدٍ ، وهو فى قبلة مشهد سيدنا حمزة رضى الله تعالى عنه ، وقد تهدم غالبُ هذا المسجد .

قال المطرى : يقال : إنه هو الموضع الذى طعن فيه حمزة رضى الله تعالى عنه .

قلت : وكذا هو مشهور اليوم ، وقد ذكر المجد هذا المسجد والذى بعده وقال : ينبغى اغتنامُ الصلاة فيهما ؛ لأنهما لم يبنيا إلا عَلَماً للزائرين ، ومشهداً للقاصدين ، وقول مَنْ قال إن الأول طعن مكانه حمزة والثانى صُرع فيه فوقع لم يثبت فيه أثر ، وإنما هو قول مستفيض .

ثم قال : ويذكر بعضُ الناس أن المسجد الأول ـ يعنى هذا ـ كُسِرَ فى مكانه ثَنِيَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ما كان من ابتلاء الله تعالى صفيه وخليله عليه الصلاة والسلام ، كل ذلك مقالات يذكرها أهل المدينة لم يَرِدْ بها نَقْل .

قلت : وكلامه وكلام المطرى صريح فى أنهما لم يقفا على ما جاء فيه .

وسيأتى فى قبر حمزة رضى الله تعالى عنه ما رواه ابن شبة من أنه لما قتل أقام فى مَوْضِعِه تحت جبل الرُّمَاة وهو الجبل المذكور ، ثم أمر به النبى صلى الله عليه وسلم فحُمِلَ عن بطن الوادى ، وهذا هو محل المسجد الثانى .

وأما هذا المسجد فقد روى ابن شبة فيه عن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى الظهر يوم أُحُدٍ على عينين الظرب الذى بأُحُدٍ عند القنطرة ، وكأنه يعنى بالقنطرة قنطرة العين التى كانت قديماً هناك . وأشار إليها المطرى بقوله عقب ذكر هذا المسجد : وقد تجدَّدَتْ هناك عين ماء ، جَدَّدها الأمير بدر الدين ودى بن جماز صاحب المد ، مفيضها بالقرب من هذا المسجد ، انتهى .

والعين اليوم دائرة ، وقد تقدم فى غزوة أحد أن النبى صلى الله عليه وسلم فى ذهابه إلى أُحُدٍ بات بالشيخان[1] وأدْلَجَ فى السحَر فانتهى إلى موضع القنطرة ، فحانت الصلاة فصلّى بأصحابه الصبحَ صفوفا عليهم السلاح ؛ فيحتمل أن المراد بذلك هذا المسجد ، ويحتمل — وهو الأظهر — أن يراد به المسجد الآتى ذكره عقبه ؛ لأن فى رواية ابن شبة ذكر صلاة الظهر وأن الموضع من نفس الجبل عند القنطرة ، وفى هذه الرواية صلاة الصبح وأن ذلك فى موضع القنطرة ، والله أعلم .

مسجد العسكر

ومنها : مسجد فى شمالى المسجد المذكور قبله قرب عينين أيضا ، على شفير الوادى ، قد تهدم أكثره ، وكان مبنيا بالحجارة المنقوشة المطابقة على هيئة البناء العمرى ، وفيه بقايا آثار الأساطين ، ولم أقف فيه على شىء سوى ما قدمته من الاحتمال الثانى فى الرواية المتقدمة .

وذكر المطرى أنه يقال : إنه مَصْرَع حمزة رضى الله تعالى عنه ، وإنه مَشَى بطَعْنته من الموضع الأول إلى هناك فصُرع رضى الله تعالى عنه .

---

(١) قال شارح القاموس: «وشيخان مبنياً على الكسر على ماضبطه ابن الأثير : موضع بالمدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وهو معسكره صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، وبه عرض الناس » اهـ

وقد أشرنا فيما سبق إلى أصل ما جاء فى أن الموضع الثانى مكانُ مَقْتَله ، وإنما أثبتُّه فى المساجد ـ مع ما قدمته من أنى لم أقف فيه على شىء صريح ـ لأن ابن شبة قال ما لفظه : قال أبو غسان : وقال لى غير واحد من أهل العلم من أهل البلد : إن كل مسجد من مساجد المدينة ونَوَاحيها مبنىّ بالحجارة المنقوشة المطابَقَة فقد صلى فيه النبى صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن عمر بن عبد العزيز حين بنى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم سأل والناسُ يومئذ متوافرون عن المساجد التى صَلّى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بناها بالحجارة المنقوشة المطابقة ، انتهى .

وقد ذكر هذا المسجد أبو عبد الله الأسدى من المتقدمين ، وسماه مسجد العسكر ، فقال فى تعديد المساجد : ومسجد العسكر ، ومسجد يمين هذا فى أصل الجبل ، انتهى ؛ فيتأيد ذلك الاحتمال الثانى المذكور فى الرواية المتقدمة لتسميته بمسجد العسكر ، على أنه قد ورد من حديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقَفَ على حمزة وقد قُتل ومُثِّل به فلم ير منظراً كان أوجع لقلبه منه ، فقال : رحمك الله أى عَمّ ، فلقد كنتَ وَصُولا للرحم ، فَعُولا للخيرات ، فوالله لئن أظفرَنى الله بالقوم لأمثِّلَنَّ بسبعين منهم ، فما برح حتى نزل : « وإن عاقبتم فعَاقِبُوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صَبَرْتم لهو خير للصابرين » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بَلى نصبر . وروى أيضا أن النبى صلى الله عليه وسلم وقَفَ على حمزة وصَلّى عليه حينئذٍ .

قلت : فهذا ما جاء فى أن الموضع المذكور مقتل حمزة كافٍ فى إثباته فى المساجد ، وسيأتى فى بيان المشاهد الخارجة عن البقيع عند ذكر مشهد حمزة رضى الله تعالى عنه بيانُ أن الحجَرَ المثبت على قبره اليوم أخطأ واضعه ، وأنه إنما نقل من هذا المسجد عند تهدُّمه ، وفيه مكتوب بعد البسملة (إنما يَعْمُرُ مساجد الله ـ الآية) هذا مصرع حمزة بن عبد المطلب ومُصَلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

عمره حسين بن أبي الهيجاء سنة ثمانين وخمسمائة ، وكأنه جدده فلما تهدم وسقط ذلك المسن نقل إلى المشهد المذكور كما سنوضحه .

وأما المسجد المقابل لمشهد سيدنا حمزة فى شرقيه وعند بابه فمحدَثٌ ، لم يذكره المطرى ولا غيره ، وليس له أصل فى المساجد المنسوبة للنبى صلى الله عليه وسلم .

مسجد أبى ذر الغفارى

ومنها : مسجد صغير جداً طوله ثمانية أذرع فى ثمانية أذرع على يمين طريق السالك إلى أحُدٍ من طريق الأسواق ، فإذا جاوز البقيع المعروف ببقيع الأسواق قليلا كان على يمينه طريق إذا مشى فيها يسيراً وجَدَ هذا المسجد عند النخيل المعروفة بالبحير ، وهو ثانى المسجدين اللذين ذكرهما المطرى بقوله : وليس بالمدينة مسجد يعرف غير ما ذكر إلا مسجداً على ثنية الوَدَاع ومسجداً آخر صغيراً جداً على طريق السابلة ، وهى الطريق اليمنى الشرقية إلى مشهد حمزة رضى الله تعالى عنه ، يقال : إنه مسجد أبى ذَرٍّ الغفارى رضى الله عنه ، ولم يرد فيهما نقل يعتمد عليه .

قلت : روى البيهقى فى شُعَب الإيمان عن مولى لعبد الرحمن بن عوف قال: قال عبد الرحمن : كنت نائماً فى رحبة المسجد ، فرأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم خارجا من الباب الذى يلى المقبرة ، قال : فلبثت شيئاً ثم خرجْتُ على أثره فوجَدْتُه قد دخل حائطا من الأسواق ، فتوضأ ثم صلى ركعتين فسجد سجدةً أطال فيها ، فلما تشهد تبدأت له ، فقلت : بأبى وأمى حين سجدت أشفقت أن يكون الله قد توفَّاكَ من طولها ، فقال : إن جبريل عليه السلام بَشَّرَنى أنه مَنْ صلى علىّ صلى الله عليه ، ومن سلم علىّ سلم الله عليه . قال البيهقى : وقد رويناه من وجه آخر عن محمد بن جبير عن عبد الرحمن ، ومن وجه آخر عن عبد الواحد ابن محمد بن عبدالرحمن بن عوف عن عبد الرحمن لم يذكر فيه الركعتين ، بل ذكر السجود فقط ، فزاد عبدالواحد فى حديثه : فسجدتُ لله شكراً . ورواه ابن زبالة بالطريق الأولى بلفظها ، إلا أنه قال: فقلت بأبى وأمى لقد سجدْتَ سجدةً أشفقت

إلى آخره . ورواه ابن أبى الدنيا وأبو يعلى والبزار ، إلا أن فى روايتهم : فجئته وقد خرج ، فاتبعته ، فدخل حائطاً من حيطان الأسواق ، فصلى فأطال السجود ، فقلت : قَبَضَ الله روحَ رسوله صلى الله عليه وسلم لا أراه أبداً ، فحزنت وبكيت ، فرفع رأسه ، فدعانى فقال : ما الذى بك ؟ أو ما الذى وراءك ؟ فقلت : يارسول الله أطلتَ السجودَ فقلت قبض الله رسوله لا أراه أبدا ، فحزنت وبكيت ، قال : سجدْتُ هذه السجدة شكراً لربى فيما أبلانى فى أمتى أنه قال : مَنْ صلى عليك منهم صلاة كتب له عشر حسنات ، وهذا اللفظ للبزار .

قلت : والأسواق قريبة من موضع هذا المسجد جداً ، ويحتمل أنه محل السجدة المذكورة ، بل هو الظاهر ؛ فلذلك أثبتناه . وحديث عبد الرحمن هذا أخرجه الإمام أحمد بلفظ : خَرَجَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فتوجَّه نحو صَدَقته فدخل فاستقبل القبلة ، فخر ساجداً فأطال السجود حتى ظننت أن الله قَبَض نفسه فيها ، فدنَوْتُ منه ، فرفع رأسه وقال : مَنْ هذا ؟ قلت : عبد الرحمن ، قال : ما شأنك ؟ قلت : يارسول الله سجدْتَ سجدة ظننت أن يكون الله قد قبض نفسك فيها ، فقال : إن جبريل أتانى فبشرنى فقال : إن الله عز وجل يقول : مَنْ صلى عليك صليت عليه ، ومن سلم عليك سلمت عليه ، قال البيهقى فى الخلافيات عن الحاكم قال : هذا صحيح ، ولا أعلم فى سجدة الشكر أصح من هذا الحديث ، انتهى .

وقوله « نحو صدقته » ينبغى حَمْله على الرواية المتقدمة ، ولا يمتنع أن يكون بعض حوائط الأسواق كان من صدقة النبى صلى الله عليه وسلم ، مع أن بالقرب منه موضعا يعرف قديما وحديثا بالصدقة ، أو أن القصة متعددة ، والله أعلم .

مسجد أبى بن كعب (بنى جديلة) (البقيع)

ومنها : مسجد على يمين الخارج من درب البقيع على ما ذكره البرهان ابن فرحون فإنه قال عقب ذكر المسجد المتقدم قبل هذا : إنه لم يرد فيه شىء يعتمد ، ثم قال : وكذلك المسجد الذى فى أول البقيع على يمين الخارج من دَرْب الجمعة ، انتهى .

قلت : يعنى الموضع الذى فى غربى مشهد عقيل وأمهات المؤمنين ، وبه اليوم أسطوان قائمة ، وبلغنى أنه كان به عقدان سَقَطا ، وبقاياه شاهدة بأنه كان مبنيا بالحجارة المنقوشة والقَصَّة كالبناء العُمَرى ، وقد اتخذ بعض الأشراف الوحاحدة رحبته التى فى شامى الأسطوان مقبرة .

وقد ذكر المرجانى أيضاً مسجداً بالبقيع ، وذكر من عند نفسه أنه موضع مُصَلَّى النبى صلى الله عليه وسلم العيد بالبقيع ، ولعله يعنى هذا المسجد ، وقد قدمنا فى ذكر المصلى ما يرده .

والذى ظهر لى أن هذا المسجد هو مسجد أبى بن كعب رضى الله عنه ، ويقال له : مسجد بنى جديلة ؛ لأنا قدمنا فى منازل بنى النجار أن بنى جديلة ابتنوا أطماً يقال له مشعط كان فى غربى مسجدهم الذى يقال له مسجد أبى ، وفى موضع الأطم بيتٌ يقال له بيت أبى نبيه ، وسيأتى فى ذكر قبور أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وابنته الزهراء رضى الله تعالى عنهن بالبقيع ما يقتضى أن فى أوله مما يلى هذه الجهة زقاقا يعرف بزقاق نبيه ، وخوخة تعرف بخوخة آل نبيه . وفى كلام ابن شبة ما يقتضى مجاورة البقيع لبنى جديلة واتصالهم به ؛ فنرجّح عندى أنه مسجد أبىّ رضى الله تعالى عنه ، وسيأتى عن المطرى ذكر مسجد أبى فيما علمت جهته ولم تعلم عينه من المساجد .

وروى عمر بن شبة عن يحيى بن سعيد قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يختلف إلى مسجد أبى فيصلى فيه غير مرة ولا مرتين ، وقال: لولا أن يميل الناسُ إليه لأكثرتُ الصلاة فيه .

وعن أبى بكر بن يحيى بن النضر الأنصارى عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يُصَلِّ فى مسجد مما حَوَتْه المدينةُ إلا مسجد أبىّ بن كعب ، ثم ذكر مساجد ستأتى .

وروى ابن زبالة عن يوسف الأعرج وربيعة بن عثمان أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلَّى فى مسجد بنى جديلة ، وهو مسجد أبىّ بن كعب .

وفى شامى مشهد عقيل أسفل الكومة مسجد صغير طريقه من بين الترب التى هناك أسفل محرابه موجود ، ولم يتعرض لذكره فى المساجد وليس هو على هيآت البناء العُمَرِى ، والله أعلم .

مساجد المصلى

ومنها : مساجد المُصَلَّى الثلاثة التى ذكرناها فى الفصل الأول فراجعه .

مسجد ذى الحليفة

ومنها : مسجد ذى الحليفة ميقاتِ أهلِ المدينة ، والمسجد الذى فى قبلته ، وسيأتيان فى المساجد التى صلى فيها النبى صلى الله عليه وسلم بين الحرمين مع بيان محلهما من وادى العقيق الكبير .

مسجد مقمل

ومنها مسجد مقمل ، ذكره المجد هنا ، والصواب ذكره فى المساجد الخارجة عن المدينة ؛ لأنه كما سيأتى على يومين منها ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

الفصل الرابع

فى المساجد التى عُلمتْ جهتها ، ولم تعلم عينها بالمدينة الشريفة

مسجد أبى بن كعب

منها : مسجد أبىّ بن كعب ببنى جديلة ، ويقال : مسجد بنى جديلة من بنى النجار ، على ما تقدم فى المسجد الذى بالبقيع عن المطرى من أن هذا المسجد لا تعرف عينه ، قال : ومنازل بنى جديلة عند بئر ماء شامى سور المدينة .

مسجد بنى حرام

ومنها : مسجد بنى حرام من بنى سلمة من الخزرج ، قد تقدم فى مسجد القبلتين توهيمُ مَنْ جعله إياه ، وما ورد من صلاة النبى صلى الله عليه وسلم بكل منهما . وروى ابن زبالة عن جابر بن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وسلم صلّى فى مسجد بنى حرَام الذى بالقاع ، وأنه رأى فى قبلته نُخَامة ، وكان لا يفارقه عُرْجُون ابن طابٍ يتخصّر به ، فحكّه ثم دعا بخَلوق فجعله على رأس العرجون ، ثم جعله على موضع النخامة ، فكان أول مسجد خُلِّق . ومنازل بنى حرام بالقاع فى غربى مساجد الفتح ووادى بطحان عند جبل بنى عبيد والعين التى أجراها معاوية رضى الله تعالى عنه .

مسجد الخربة

ومنها : مسجد الخربة لبنى عبيد من بنى سلمة ، وتقدم أن منازلهم كانت

عند مسجدهم هذا إلى الجبل الذى يقال له جبل الدويخل جبل بنى عبيد ، وذلك قرب منازل بنى حرام فى المغرب ، والقاصِدُ إلى مسجد القبلتين من جهة مساجد الفتح يمر بمنازلهما ، وقد تقدم فى مسجد القبلتين ما روى من صلاته صلى الله عليه وسلم بهذا المسجد . وروى ابن زبالة عن يحيى بن عبد الله بن أبى قتادة عن مشيخته أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان يأتى السلافة أم البَرَاء بن مَعْرور فى المسجد الذى يقال له مسجد الخربة دبر القرصة[1] ، وصلى فيه مرارا .

قلت : وسيأتى أن هناك نخل جابر بن عبد الله المذكورة قصته فى قضاء دينه هناك ، ولم يتعرض المطرى ومَنْ تبعه لذكر هذا المسجد . وقد روى يحيى بن الحسن فى كتابه خبر ابن زبالة المذكور ، ورأيته فى النسخة التى رواها طاهر بن يحيى عن أبيه يحيى لفظ: دبر القرصة[1] ، ثم قال عقبة ما لفظه : قال لنا طاهر بن يحيى : هذا فى بنى حارثة ، وكانت القرصة[1] ضيعة ، وهى عند بيت سعد بن معاذ ، انتهى وهو مخالف لما تقدم عن ابن زبالة فى المنازل ، والله أعلم .

مسجد جهينة

ومنها : مسجد جهينة وبَلِى ، وروى ابن شبة عن معاذ بن عبد الله بن أبى مريم الجهنى وغيره أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى مسجد جُهَينة ، وعن يحيى بن النضر الأنصارى أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يُصَل فى مسجد مما حَوَتْهُ المدينة إلا مسجد أبىّ ، ثم قال : ومسجد جهينة ، إلى آخر ما ذكره ، وعن جابر بن أسامة الجهنى قال : لقيتُ رسول الله صلى الله عليه سلم فى أصحابه بالسوق فقلت : أين تريدون ورسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : نخطُّ لقومك مسجداً ، فرجعت فإذا قومى قيام وإذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد خَطَّ لهم مسجدا وغَرَزَ فى القبلة خشبةً أقامها فيها ، وعنه أيضا قال : خَطَّ النبى صلى الله عليه وسلم مسجدَ جهينة لبلىّ . وروى ابن زبالة عن هشام بن عروة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خَطَّ المسجدَ الذى لجهينة ولمن هاجر من بَلِىّ ، ولم يصل فيه . وعن خارجة بن الحارث بن رافع بن مكيث الجهنى عن أبيه عن جده

(١) فى نسخة « القراصة » بزيادة ألف بعد الراء فى كل المواضع ، وانظر ص ٨١٤ الآتية .

قال : جاء النبى صلى الله عليه وسلم يَعُودُ رجلا من أصحابه من جهينة من بنى الربعة يقال له أبو مريم ، فعاده بين منزل بنى قيس العطار الذى فيه الأراكة و بين منزلهم الآخر الذى يلى دار الأنصار ، فصلى فى ذلك المنزل ، قال : فقال نفر من جهينة لأبى مريم : لو لَحِقْتَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فسألته أن يَخُطَّ لنا مسجدا ، فقال : احملونى ، فحملوه فلحق النبى صلى الله عليه وسلم فقال : مالك يا أبا مريم ؟ فقال : يا رسول الله لو خَطَطْتَ لقومى مسجدا ، قال : فجاء النبى صلى الله عليه وسلم مسجدَ جهينة ، وفيه خيام لبلىّ ، فأخذ ضلعا أو محجَنًا فخطّ لهم ، قال : فالمنزل لبلىّ ، والخطة لجهينة .

قال الجمال المطرى : وهذه الناحية اليوم معروفة غربى حصن صاحب المدينة ، والسور القديم بينها و بين جبل سلع ، وعنده آثار باب من أبواب المدينة خراب ، ويعرف إلى تاريخه — وهو سنة أربعين وسبعمائة — بدرب جهينة ، والناحية من داخل السور بينه و بين حصن صاحب المدينة ، انتهى .

قلت : قوله « من داخل السور » إن أراد به السور الموجود اليوم فليس بصحيح ؛ لأن ما كان داخل هذا السور فيما بينه و بين حصن صاحب المدينة فهو من السوق كما تقدم بيانه ، ومنازل هؤلاء كانت فى غربى السوق قبلى ثنية عثمث المنسوبة إلى سليع — وهو الجبل الذى عليه حصن أمير المدينة و يمتد فى جهة المغرب إلى بنى سلمة — وإن أراد أن الناحية المذكورة من داخل السور القديم فصحيح ، غير أن الداخل فيه بعضها لا كلها .

مسجد بنى غفار

ومنها : المسجد الذى عند بيوت المطرفى ، وهو المتقدم ذكره فى منازل بنى غفار .

روى ابن زبالة عن أنس بن عياض عن غير واحد من أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلّى فى المسجد الذى عند بيوت المطرفى ، عند خيام بنى

غفار ، وأن تلك المنازل كانت منازل آل أبى رهم كُلْثُوم بن الحصين الغفارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال المطرى : وليست الناحية معروفة اليوم .

قلت : عرف مما تقدم فى منازل بنى غفار وفى دار السوق أنها فى غربى سوق المدينة بالقرب من منزل جهينة الذى يلى ثنية عثعث من جهة القبلة .

مسجد بنى زريق

ومنها : مسجد بنى زُرَيْق — بتقديم الزاى كزبير — من الخزرج .

روى ابن زبالة عن عمر بن حنظلة أن مسجد بنى زرَيْق أول مسجد قرئ فيه القرآن ، وأن رافع بن مالك الزُّرَقى لما لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعَقَبة أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنزل عليه فى العشر سنين التى خلت ، قال : فقدم به رافع المدينة ، ثم جمع قومَه فقرأه عليهم فى موضعه ، وهو يومئذ كوم ، قال : وعجب النبى صلى الله عليه وسلم من اعتدال قبلته .

وعن مروان بن عثمان بن المعلى قال : أول مسجد قرئ فيه القرآن مسجد بنى زُرَيْق .

وعن يحيى بن عبد الله بن رفاعة قال : توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ، وعَجِبَ من اعتدال قبلته ، ولم يصل فيه .

وروى ابن شبة عن معاذ بن رفاعة الزُّرَقى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخَلَ فى مسجد بنى زريق ، وتوضأ فيه ، وعجب من قبلته ، ولم يصل فيه ، وكان أول مسجد قرئ فيه القرآن .

قلت : تقدم فى المنازل أن محل قرية بنى زريق فى قبلة المصلى وما والاها فى المشرق داخل السور وخارجه ، وتقدم فى ذكر الدور المحيطة بالبلاط الممتدّ من باب المدينة المعروف بدرب سويقة إلى باب السلام ما يبين أن هذا المسجد كان فى قبلة الدور التى عن يمين السالك من درب سويقة المذكور قريبا منه ، وهو

المذكور فى حديث السباق بين الخيل التى لم تضمر ، قال عياض : و بينه و بين ثنية الوداع ميل أو نحوه .

قلت : و بين ثَنِيَّة الوَدَاع و بين الموضع الذى ذكرناه نحو الميل ، وهو قريب من جهة محاذاة ثنية الوداع فى جهة القبلة .

وقد حدث فى جهة قبلة المُصَلَّى مما يلى المغرب مسجدان ، أحدثهما شمسُ الدين محمد بن أحمد السلاوى بعد الخمسين وثمانمائة : الأول منهما على شَفير وادى بطحان على عُدْوته الشرقية ، والثانى بعده فى جهة القبلة على رابية مرتفعة من الوادى أيضا فى غربيه فى مقابلة المطرية ، وكان موضعه فى تلك الرابية فكان يطبخ فيه الآجرُّ ، و إنما نبهت على ذلك لئلا يتقادم العهد بهما فيظن أن أحدهما مسجد بنى زريق ؛ لكون ذلك بالناحية المذكورة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

مسجدان لبنى ساعدة

ومنها : مسجدان لبنى ساعدة من الخزرج ، وسقيفتهم .

روى ابن شبة عن المطلب بن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلَّى فى مسجد بنى ساعدة ، وجلس فى سقيفتهم القصوى . وعن العباس بن سَهْل أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلَّى فى مسجد بنى ساعدة فى جوف المدينة . وعن سعد بن إسحاق بن كعب أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلَّى فى مسجد بنى ساعدة الخارج من بيوت المدينة . وعن سهل بن سعد أن النبى صلى الله عليه وسلم جَلَسَ فى سَقِيفة بنى ساعدة القُصْوى . وعن عبد المنعم بن عباس عن أبيه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم جَلَسَ فى السَّقِيفة التى فى بنى ساعدة ، وسقاه سهل بن سعد فى قَدَح .

وروى ابن زبالة حديثَ سهل بن سعد المتقدم ، ثم روى عن عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد عن أبيه عن جده قال : جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سقيفته التى عند المسجد ، ثم استسقانى فَخُضْتُ له وَطْبة ، فشرب ثم قال : زدنى ، فَخُضْتُ له أخرى فشرب ، ثم قال : كانت الأولى أطْيَبَ من الآخرة ، فقلت : هما يا رسول الله من شىءٍ واحد .

قوله « فخضت له » كذا هو فى نسخة ابن زبالة . ورواه المطرى كذلك ، وكذا كان فى خط الزين المراغى ، ثم رأيته مصلحا « فمخضت له » وكأن الذى ألحق الميم أخذ ذلك من كون الوَطْب سِقَاء اللبن ؛ فالمناسب له المخض ، ولا مانع من إطلاق الخَوْضِ على المخض .

وقد تلخص من ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلّى فى مسجدَىْ بنى ساعدة ، وجلس فى سقيفتهم ، والجلوس فى سقيفتهم مذكور فى الصحيح ، وهى السقيفة التى وقعت بَيْعَةُ أبى بكر رضى الله تعالى عنه فيها ، والظاهر أنها كانت عند دار سعد بن عبادة ، ويدل على ذلك ما فى الصحيح من حديث الجوينية — وهى العائذة — من حديث سهل بن سعد حيث ذكر دخول النبى صلى الله عليه وسلم عليها ، وخروجه من عندها ، ثم قال : فأقبل النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ حتى جلس فى سقيفة بنى ساعدة هو وأصحابه ، ثم قال : اسْقِنَا ياسهلُ ، فخرجْتُ لهم بهذا القَدَح فسقيتهم فيه ، الحديثَ . فطلبه صلى الله عليه وسلم من سهل بن سعد أن يسقيه وقد جلس فى سقيفتهم دالّ على قُرْب منزله منها ، ويدل لذلك أيضا اجتماعُ الأنصار بها عند سَعْد رضى الله تعالى عنه يوم السقيفة ، وكان سعد مريضا ، وقد أسلفنا فى منازل بنى ساعدة أنهم افترقوا فى أربعة منازل ؛ فمنزلهم الأول فى شرقى سوق المدينة وفيه بئر بُضَاعة هو المراد بحديث الصلاة فى مسجدهم الذى فى جوف المدينة .

وأما مسجدُهم الخارج عن بيوت المدينة فيظهر أنه فى منزلهم الرابع ، وأنه فى شامى ذباب الجبل الذى عليه مسجد الراية ؛ لما سيأتى فى ترجمة الشوط من أن فى رواية لابن سعد أن الجوينية أنزلت بالشوط من وراء ذباب فى أطم . وفى رواية أخرى « فنزلت فى أجم بنى ساعدة » .

سقيفة بنى ساعدة

وأما سقيفة بنى ساعدة فيظهر أنها فى منزلهم الثالث ، وهو منزل بنى أبى خزيمة بن ثعلبة بن طريف ؛ لأنهم رَهْطُ سعد ، ولأن جِرَاره التى كان يسقى

فيها الماء بعد وفاة أمه كانت لها ، وهو قريب من منزلهم الرابع ، كما يؤخذ مما قدمناه فى المنازل ، وذلك فى شامى سوق المدينة قرب ذباب .

وقد ترجَّح عندى الآن خَطأ ما قدمته هناك من احتمال أن تكون جرار سعد عند الموضع المعروف اليوم بسقيفة بنى ساعدة قرب مقعد الأشراف الوحاحدة من سويقة . وقد قدمنا قول المطرى إن قرية بنى ساعدة عند بئر بُضَاعة ، والبئر وسط بيوتهم ، قال : وشمالى البئر اليوم إلى جهة المغرب بقية أطم من آطام المدينة نقل أنه فى دار أبى دجانة الصغرى التى عند بئر بضاعة ، وأبو دجانة من بنى ساعدة ، ذكر ذلك فى بيان مسجد بنى ساعدة وسقيفتهم مقتصرا على مسجد واحد ، وقال : إنه مسجد بنى ساعدة رهط سعد بن عبادة ، وليس ما ذكره منزل رهط سعد ؛ لما قدمناه .

وأغرب رزين العبدرى فزعَم أن سقيفة بنى ساعدة معروفة بقباء ، وهو وهم

وروى ابن زبالة عن هند ابنة زياد زوجة سهل بن سعد الساعدى قالت : لما دخلْتُ على سهل رأيت المسجد فى وسط البيت فقلت : ألا إلى العريش أو إلى الجدار ، فقال : إن النبى صلى الله عليه وسلم جلس ههنا ، وهو البيت الذى صار لابن حمران .

مسجد بنى خدارة

ومنها : مسجد بنى خدارة إخوة بنى خدرة من الخزرج .

روى ابن شبة عن شيخ من الأنصار أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى مسجد بنى خدارة ، وحلق رأسه فيه . وعن هشام بن عُرْوَة أنه صلى الله عليه وسلم صَلَّى به . وعن عمرو بن شرحبيل أن النبى صلى الله عليه وسلم وضَعَ يدَه على الحجر الذى فى أجم سعد بن عبادة عند جِرَار سعد ، وصَلَّى فى مسجد بنى خدارة

قلت : قد تقدم ذِكْرُ جِرار سعد فى منزل بنى ساعدة الثالث ، وبيان أنها كانت حَدَّ سوقِ المدينة من جهة الشام قرب ثنية الوداع ، وأن منازل بنى خدارة كانت بجرار سعد .

وقال المطرى : هذه الدار قبلى دار بنى ساعدة وبئر بُضَاعة مما يلى سوق المدينة .

وإذا تأملت ما قدمناه فى منازل بنى ساعدة علمتَ أن هذه هى دارهم الثالثة التى بها رَهْط سعد ، وعندها السقيفة ، وليس بها لبنى ساعدة مسجد ، وينبغى أن لا يغفل عما قدمناه من حدوث مسجد فى منزلة الحاج الشامى قبلىّ المنهل الذى عند مشهد النفس الزكية ، أنشأه قاضى الحرمين العلامة محيى الدين الحنبلى هناك؛ فلا يتوهّم أنه أحدُ هذه المساجد ، والله أعلم .

مسجد راتج

ومنها : مسجد راتج ؛ لم يتعرض المطرى ومن تبعه لذكره .

وقد روى ابن شبة عن خالد بن رياح أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلّى فى مسجد راتج ، وشرب من جاسوم[1] ، وهى بئر هناك .

وروى ابن زبالة صلاتَه صلى الله عليه وسلم فى مسجد راتج عن خالد بن رباح عن رجل من بنى حارثة . وسيأتى أن جاسوم[1] بئر أبى الهيثم بن التيهان ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم صَلى فى حائطه . وراتج تقدم فى المنازل أنه أطم سميت به الناحية ، وأن بنى الشطية كانوا إحدى قبائل راتج الثلاث ، وأن ممن كان به بنى زَعُورَاء إخوة بنى عبد الأشهل ومنهم أبو الهيثم بن التّيهان ؛ ولهذا نقل الأقشهرى عن المحب الطبرى أنه ذكر المساجد التى كانوا يصلون فيها بأذان بلال فقال : ومسجد بنى راتج من بنى عبد الأشهل .

قلت : وصواب العبارة « مسجد راتج » وقد سبق ذكر راتج أيضاً فى منازل مزينة من المهاجرين حيث قال فيها : ونزلت بنو ذكْوَان من بنى سليم مع أهل راتج من اليهود ما بين دار قدامة إلى دار حسن بن زيد بالجبانة . وسيأتى ذكر الجبانة فى ترجمة ذباب . وسيأتى لراتج ذكر فى ترجمة الخندق ، ومنه يؤخذ أنه كان فى شرقى ذباب الذى عليه مسجد الراية جانحاً إلى جهة الشام ، وبعده فى المشرق منزل بنى عبد الأشهل .

---

(١) فى نسخة « جاسم » .

وقال المطرى : إن فى غربى وادى بطحان من جهة مساجد الفتح جبلين صغيرين : أحدهما يقال له راتج ، ويقال للذى إلى جنبه جبل أبى عبيد .

قلت : وإن صَحَّ ما ذكره فليس هو المراد هنا ؛ لأن تلك الجهة ليست فى منازل بنى عبد الأشهل وإخوتهم المذكورين . والذى صرح به ابن زبالة وغيره أنه اسْمُ أطُم كما قدمناه ، فهو المعتمد والله أعلم .

مسجد واقم

ومنها : مسجد بنى عبد الأشهل من الأوس ، ويقال له مسجد واقم .

روى أبو داود والنسائى عن كعب بن عجرة أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى مسجد بنى عبد الأشهل فصَلّى فيه المغربَ ، فلما قضوا صلاتهم رآهم يسجدون[1] بعدها ، فقال : هذه صلاة البيوت ، وإسناده جيد ، إلا أن فيه إسحاق بن كعب ابن عجرة مجهول الحال .

وروى ابن شبة عن محمود بن لبيد قال : صلى النبى صلى الله عليه وسلم صلاة المغرب فى مسجد بنى عبد الأشهل ، فلما فرغ من صلاته قال : صَلّوا هاتين الركعتين فى بيوتكم ، ومحمود بن لبيد من صغار الصحابة ، وجُلُّ روايته عن الصحابة ، وفى إسناده عَنْعَنة ابن إسحاق ، ورواه أحمد برجال ثقات ، ولفظه : أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجدنا فصَلّى بنا المغرب ، فلما سلّم منها قال : اركعوا هاتين الركعتين فى بيوتكم ، للسبحة بعد المغرب ، ورواه ابن ماجه عن محمود بن لبيد عن رافع بن خديج قال : أتانا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى بنى عبد الأشهل ، فصلّى بنا المغرب فى المسجد ، الحديثَ ، وفى إسناده متروك

وروى ابن شبة وابن ماجه عن عبد الله بن عبد الرحمن قال : جاءنا النبى صلى الله عليه وسلم فصَلّى بنا فى بنى عبد الأشهل ، فرأيته واضعًا يديه على ثوبه إذا سجد : وعبد الله بن عبد الرحمن ليست له صحبة ، قال الذهبى : وصوابه عن أبيه عن جده.

وقد روى ابن ماجه عقبه عن عبد الله بن عبد الرحمن بن ثابت بن الصامت

---

(١) فى نسخة « يسبحون بعدها » والمراد على كل حال باللفظين يصلون .

عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلّى فى بنى عبد الأشهل ، وعليه كساء مُلْتَفّ به يَضَعُ يديه عليه يَقِيهِ برد الحصى .

ورواه ابن شبة بنحوه ، وفى إسناد كل منهما ضعيف .

وروى ابن شبة عن إبراهيم بن إسماعيل بن أبى حبيبة ـ وهو ضعيف ـ عن أبيه مُعْضَلا قال : صَلّى النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى مسجد واقم فى بنى عبد الأشهل وعليه بَرْنَكَان[1] لم يفض بيديه من البَرْنَكَان إلى الأرض .

وعن أم عامر أنها رأت النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى مسجد بنى عبد الأشهل أتى بعرق فتعرّقه ، ثم صلى ولم يمسّ ماء .

ورواه ابن زبالة إلا أنه قال : إنها قالت : أتيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بعرق فتعرقه وهو فى مسجد بنى عبد الأشهل ، ثم قام فصلى ولم يتوضأ .

وروى يحيى عن بكر بن عبد الوهاب عن محمد بن عمر قال : قالوا : كان بالمدينة تسعةُ مساجدَ يسمعون فيها مؤذن النبى صلى الله عليه وسلم ؛ فيصلون فى مساجدهم ، ولا يأتون مسجد النبى صلى الله عليه وسلم ، إلا يوم الجمعة فإنهم كانوا يجمعون فيه ، وربما خَرَجَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى الظهر إلى مسجد بنى عبد الأشهل فيصلى العصر والمغرب فى مسجد بنى عبد الأشهل ، ولم تكن دار كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر لها غِشْيَانا من دار بنى عبد الأشهل قبل وفاة سعد بن معاذ و بعد وفاته .

قلت : والأخبار فى الصلاة فى هذا المسجد كثيرة ، وهو غير معروف اليوم ، وتقدم أن المطرى قال : إن دار بنى عبد الأشهل قبلى دار بنى ظَفَر مع طرف الحرة الشرقية المعروفة بحَرَّة واقم ، وكأنه أخَذَه من قول يحيى فى مسجد بنى ظفر : إنه دون مسجد بنى الأشهل ، ولا دَلالة فى ذلك على ما قاله ، والصواب

---

(١) هو كزعفران : ضرب من الأكسية اهـ من هامش الأصل .

ما قدمناه فى منازلهم من أنها كانت فى شامى بنى ظفر بالحرَّة المذكورة وما والاها بين بنى ظفر و بنى حارثة ، وسيأتى فى ترجمة الخندق ما يصرح بذلك . ويؤيده ما سيأتى فى مسجد القرصة من أنها ضيعة لسعد بن معاذ ، والقرصة معروفة اليوم بالجهة التى ذكرناها . و بنو عبد الأشهل هم رهط سَعْد بن مُعَاذ وأسيد بن حضير ، وقد رأيت قرب القرصة آثار منازل كثيرة الظاهرُ أنها منازلهم ، ويؤيده أن فيما نقله الواقدى عن كتاب مسرف بن عقبة إلى يزيد بعد مَقْتَلة الحرَّة «إنى فرقْتُ أصحابى على أفواه خنادقهم ؛ فوليت الحصين بن نمر ناحية ذباب وما والاها ، ووجهت حبيش بن دلجة إلى ناحية بقيع الغَرْقد ، وكنت ومَنْ معى من قواد أمير المؤمنين فى وجه بنى حارثة ، فأدخلنا عليهم الخيـل حين ارتفع النهار من ناحية بنى عبد الأشهل ، فما صليت الظهر إلا فى مسجدهم ، و إنا أوقعنا بهم السيوف فقتلنا مَنْ أشْرَفَ لنا منهم ، وتبعنا مُدْبِرَهم ، وأجْهَزْنَا على جريحهم ، وانتهبناها ثلاثاً » انتهى .

وقد تقدم فى الفصل الخامس عشر من الباب الثانى أن بعض بنى حارثة فتح لأهل الشام طريقاً من قبلهم ، وأنهم أتوا من قبل بنى حارثة . ونقل الواقدىُّ أن أول ما انتهبت والحربُ بعد لم تنقطع دار بنى عبد الأشهل ، أى لأنها التى كانت تليهم بعد الدخول من بنى حارثة ، والله أعلم .

مسجد القرصة

ومنها : مسجد القرصة — روى رزين عن يحيى بن قتادة عن مشيخة قومه أن النبى صلى الله عليه وسلم كَانَ يأتى دُورَ الأنصار فيصلى فى مساجدهم ، فصلى فى مسجد القرصة ، والقرصة : ضَيْعة لسعد بن معاذ ، قال الزين المراغى : فلعلها القرصة المعروفة اليوم بطرف الحرة الشرقية من جهة الشمال ؛ لأنها قريبة من منازل بنى عبد الأشهل رهط سعد ، غير أن المسجد لا يعرف فيها اليوم .

قلت : رأيت بها قرب البئر على رابية أثَرَ مسجدٍ ، والله أعلم .

مسجد بنى حارثة

ومنها : مسجد بنى حارثة من الأوس ـ روى ابن شبة عن الحارث بن سعد ابن عبيد الحارثى أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلّى فى مسجدِ بنى حارثة .

وروى ابن زبالة عن إبراهيم بن جعفر عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلّى فى مسجد بنى حارثةَ ، وقضى فيه فى شأن عبد الرحمن بن سهل ، يعنى المقتول بخيبر ، أخى عبد الله بن سهل أبنى عم حُوَيصة ومُحَيصة .

وتقدم فى المنازل أن بنى حارثة تحوّلوا قبل الإسلام من دار بنى عبد الأشهل إلى دارهم فى سَنَد الحرّة التى بها الشيخان شامىّ بنى عبد الأشهل ، خلاف ما ذكره المطرى من أن منازلهم بيثرب .

مسجد الشيخين (البدائع)

ومنها : مسجد الشيخين ، ويقال له « مسجد البدائع » .

روى ابن شبة عن المطلب بن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلّى فى المسجد الذى عند الشيخين ، وبات فيه ، وصلى فيه الصبح يوم أحُدٍ ، ثم غدا منه إلى أحد .

وعن ابن عباس عن سعد أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلى فى المسجد الذى عند البدائع عند الشيخين ، وبات فيه حتى أصبح ، والشيخان : أطمان .

وعن أم سلمة رضى الله تعالى عنها قالت:أتيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد البدائع بشِوَاء ، فأكله ، ثم بات حتى غدا إلى أحد .

وروى ابن زَبَالَة عن جعفر بن محمد عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلى فى المسجد الذى عند الشيخين ، وأنه عَدَل من ثمَّ يوم أحُدٍ إلى أحد .

ورواه يحيى من طريق ابن زبالة ، قال ابنه طاهر بن يحيى عقبه : ويعرف اليوم بمسجد العدوة .

وروى يحيى أيضاً عن محمد بن طَلْحة قال : المسجدُ الذى صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة حين راح أى إلى أحد من هٰهنا هو المسجد الذى على يمينك إذا أردت قناة ، أى وادى الشظاة ، صلى فيه النبىُّ صلى الله عليه وسلم

العَصْرَ والعشاء والصبح ، ثم غدا إلى أُحُـــدٍ يوم السبت .

وسيأتى فى الشيخين قولُ المطرى : إنه موضعٌ بين المدينة وجبل أحد على الطريق الشرقية مع الحرَّة إلى جبل أحد . وتقدم قول ابن زبالة : وكان لبعض مَنْ هناك من اليهود الأُطمان اللذان يقال لهما الشيخان بمُفْضَاهما المسجدُ الذى صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار إلى أحد .

مسجد بنى دينار

ومنها : مسجد بنى دينار بن النجار من الخزرج — روى ابن شبة عن يحيى بن النضر الأنصارى أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى مسجد بنى دينار ، وعن عبد الله بن عقبة بن عبد الملك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان كثيراً ما يُصَلِّى فى مسجد بنى دينار عند الغسالين .

وروى ابن زبالة عن أيوب بن صالح الدينارى أن أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه تزوَّجَ امرأة منهم ، فاشتكى ، فكان النبى صلى الله عليه وسلم يَعُوده ، فكلَّموه أن يُصَلى لهم فى مكانٍ يصلون فيه ، فصلى فى المسجد الذى ببنى دينار عند الغسالين .

وتقدم فى المنازل عن المطرى أن دارهم بين دار بنى جديلة التى عند بير حاء و بين دار بنى معاوية أهل مسجد الإجابة ، وأن ابن زبالة صرح بخلافه ، حيث قال : نزلوا دارهم التى خلف بطحان الذى فى شقه الغربى مما يلى الحرة .

قلت : و يؤيده ما سيأتى فى الخندق ، أنهم خَنْدَقُوا من مسجد القبلتين إلى دار ابن أبى الجنوب بالحرة ، وذلك لأن منازلهم فى تلك الجهة ، ولأن ابن زبالة قال : إن بنى سواد من بنى سلمة نزلوا عند مسجد القبلتين إلى أرض ابن عبيد الدينارى ، وسيأتى أن نَقْبَ بنى دينار هو طريق العقيق بالحرة الغربية ، و به السقيا كما قال الواقدى ، فإنما كانوا بالحرة الغربية ، وقد سمى الأسدى مسجدهم بمسجد الغسالين ؛ لما تقدم من أنه كان عند الغسالين .

وفى غربى وادى بطحان بالحرة موضع يعرف اليوم بالمغسلة[1] ، قال المجد : كان يغسل فيها ، قال : وهى اليوم حديقة كثيرة النخيل من أقرب الحدائق إلى المدينة ، انتهى . فاعمل ذلك فى موضع منازلهم .

وقد رأيت هناك حجراً عليه كتابة كوفية فيها ما لفظه : مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعنده آثار يظهر أنها من آثار المسجد ، وقد بنى صاحب المغسلة هناك مسجداً فى تلك الآثار ، وجعل الحجرَ فيه .

مسجد بنى عدى، ومسجد دار النابغة

ومنها : مسجد بنى عدى بن النجار ، ومسجد دار النابغة فى بنى عدى أيضاً — روى ابن شبة عن يحيى بن عمارة المازنى أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى دار النابغة ، واغتسل فى مسجد بنى عدى .

وعن يحيى بن النضر أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلى فى مسجد دار النابغة ومسجد بنى عدى .

وعن هشام بن عُرْوَة أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى مسجد بنى عدى وفى بيت صرمة فى بنى عدى .

ورواه ابن زبالة عنه بلفظ : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى فى مسجد دار النابغة وفى مسجد بنى عدى .

وتقدم عن المطرى أن منازل بنى عدى غربى المسجد النبوى ، ولم أر لغيره ما يوافقه ولا ما يخالفه ، إلا أن النضر والد أنَسٍ خادمِ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان منهم .

وسيأتى فى بئره ما يبين أن داره كانت شامى المسجد النبوى عند بنى جديلة .

ودار النابغة : هى المرادة بما رواه ابن شبة عن أبى زيد النجارى قال : قبرَ عبد الله بن عبد المطلب — يعنى والد رسول الله صلى الله عليه وسلم — فى دار النابغة قال عبد العزيز : ووصَفه لى محمد بن عبد الله بن كريم فقال : تحت عتبة البيت الثانى على يَسَار من دخل دار النابغة .

---

(١) المغسلة : موضع باق إلى اليوم معروف بهذا الاسم (حسب الله) .

وقال ابن عبد البر : توفى عبدُ الله والدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وقبرُه بها فى دار من دور عدى بن النجار ، قال ابن الجوزى : هى دار النابغة .

مسجد بنى مازن

ومنها : مسجد بنى مازن بن النجار — روى ابن زبالة عن يعقوب بن محمد أن النبى صلى الله عليه وسلم خَطَّ مسجدَ بنى مازن ولم يُصَلّ فيه .

وفى رواية عنه : وَضَعَ مسجد بنى مازن بيده ، وصَلّى فى بيت أم بردة فى بنى مازن .

قلت : أم بردة هذه هى مرضعة إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتوفى عندها ، وحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاته فى بيتها ، وظاهر ما سيأتى فى بقيع الزبير من قول ابن شبة فى بعض دوره على يَسَارك إذا أردت بنى مازن ، وكذا ما قدمناه عنه فى منازل مزينة ومن حل معها أن منازل بنى مازن قرب منازل بنى زريق مما يلى القبلة والمشرق ؛ لأنه قال بعد ذكر منازل بنى زريق مالفظه : إلى أن يلقى بنى مازن بن عدى بن النجار ، لكن قوله ابن عدى خطأ فى النسخة لأن مازنا هو ابن النجار نفسه ، وعدى أخوه .

وتقدم عن المطرى أن منازل بنى مازن قبلى بئر البصة فى الناحية المسماة اليوم بأبى مازن[1] ، قال : وكان إبراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم مسترضَعاً فيها عند امرأة أبى سيف العين .

مسجد بنى عمرو

ومنها : مسجد بنى عمرو بن مبذول بن مالك بن النجار — روى ابن زبالة وابن شبة عن هشام بن عروة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلى فى مسجد بنى عمرو بن مبذول.

وروى ابن شبة عن يحيى بن النضر نحوه ، ولم يذكر المطرى ومن تبعه هذا المسجد ، ولم يعد بنى مبذول فى بطون بنى النجار .

وتقدم فى المنازل أن منزلهم كان عند بقيع الزبير ؛ فتؤخذ جهته من المسجد بعده .

---

(١) أبو مازن لايعرف اليوم وهناك بئر تسمى زيانة لعله هو (حسب الله)

مسجد بقيع الزبير

ومنها : مسجد بقيع الزبير[1] — روى ابن زبالة عن عطاء بن يسار أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى الضحى فى بقيع الزبير ركعتين ، فقال له أصحابه : إن هذه الصلاة ما كنت تصليها ، قال : إنها صلاة رَغَب ورَهَب فلا تَدَعُوها .

وسيأتى فى بقيع الزبير أنه فى شرق بنى زريق ، مُجاور لدور بنى غنم إلى جانب البقال .

مسجد صدقة الزبير

ومنها : مسجد صدقة الزبير ببنى محمم — روى ابن زبالة عن هشام بن عروة أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى المسجد الذى وضعه الزبير فى بنى محمم .

ورواه ابن شبة عنه بلفظ : فى صدقة الزبير فى بنى محمم .

قلت : وذلك بالجزع المعروف بالزبيريات ، غربى مَشْرَبة أم إبراهيم ، وقبلتها بقرب خنافة والأعواف ، وهما من أموال بنى محمم .

وقال الشافعى رحمه الله : وصدقة النبى صلى الله عليه وسلم قائمة عندنا ، وصدقة الزبير قريب منها .

ونقل ابن شبة عن أبى غسان أن النبى صلى الله عليه وسلم أقْطَع الزبيرَ مالَه الذى يقال له بنو محمم من أموال بنى النضير ، فابتاع إليه الزبير أشياء من أموال بنى محمم ، فتصدق بها على ولده .

وفى سنن أبى داود عن أسماء بنت أبى بكر أن النبى صلى الله عليه وسلم أقْطَعَ الزبير نخلا .

وعن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم أقْطَعَ الزبير حُضْرَ فرسِه ، فأجرى فرسه حتى قام ، ثم رمى سوطه ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أعْطوه حيث بلغ السوط .

وفى الصحيح قصة الرجل الذى نازع الزبير فى السقى بشراج الحرة ، وسنبين أنها حرة بنى قريظة .

وروى الطبرانى أن ذلك الرجل من بنى أمية بن زيد ، ومنازلهم وأموالهم عند هذه الحرة .

---

(١) لعله داخل الرستمية (حسب الله) .

وفى حديث أسماء فى قصة حملها النوى من أرض الزبير أنها كانت على ميلين من المدينة ، وكله مؤيد لسكونها الموضع المعروف اليوم بالزبيريات .

ويؤيده أيضاً أن كثيراً منها بأيدى جماعة من ذرية الزبير بن العوام يعرفون اليوم بالسكاة .

مسجد بنى خدرة

ومنها : مسجد بنى خُدْرة إخوة بنى خدارة من الخزرج — روى ابن زبالة عن هشام بن عروة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلى فى مسجد بنى خُدْرة .

وعن يعقوب بن محمد بن أبى صعصعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلى فى بعض منازل بنى خُدْرة ؛ فهو المسجد الصغير الذى فى بنى خُدْرة مقابل بيت الحية .

وروى ابن شبة عن ربيع بن عثمان أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلى فى بيتٍ إلى جنب مسجد بنى خُدْرة .

وروى هو وابن زبالة عن ربيع بن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يُصَل فى مسجد بنى خُدْرة .

وتقدم فى المنازل أن بنى خدرة ابتنوا بدارهم أطماً يقال له الأجرد ، ويقال لبئره البصة ، كان لجد أبى سعيد الخدرى ، قال المطرى : وبعضُه باقٍ إلى اليوم

قلت : وهو الذى ابتَنَى عليه الزكوى بن صالح المنزلَ الذى عند بئر البصة التى اتخذ لها الدرجة الآنى ذكرها

وقوله فى رواية ابن زبالة « مقابل بيت الحية » كأنه يشير إلى البيت الذى اتفقت به قصة الحية المذكورة فى صحيح مسلم عن أبى السائب أنه دخل على أبى سعيد الخُدْرى فى بيته ، قال : فوجدته يُصَلى ، فجلست أنتظره حتى يقضى صلاته ، فسمعت تحريكا فى عراجينَ فى ناحيةِ البيت ، فالتفتّ فإذا هى حية ، فوثبت لأقتلها ، فأشار إلىّ أن أجلس ، فجلست ، فلما انصرف أشار إلى بيت فى الدار

فقال : أترى إلى هذا البيت ؟ فقلت : نعم ، قال : كان فتى منا حديث عهد بعُرْس ، قال : فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخندق ؛ فكان ذلك الفتى يستأذن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بأنصاف النهار فيرجع إلى أهله ، فاستأذنه يوما ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : خُذْ عليك سلاحَكَ فإنى أخشى عليك قريظة ، فأخذ الرجلُ سلاحَه ثم رجع ، فإذا امرأته بين البابين قائمة فأهْوَى إليها الرمح ليطعنها به ، وأصابته غيرة ، فقالت له : اكْفُفْ عليك رمحك وادخل البيت حتى تنظر ما الذى أخرجنى ، فدخل فإذا بحية عظيمة مُنْطَوِية على الفرش ، فأهوى إليها بالرمح فانتظمها ، ثم خرج فركزه فى الدار ، فاضطربت عليه فما يدرى أيهما كان أسْرَعَ موتا الحية أم الفتى ، قال : فجئنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا ذلك له ، وقلنا : ادع الله يُحْيِه لنا ، فقال : استغفروا لصاحبكم ، ثم قال : إن بالمدينة جِنًّا قد أسلموا ، فإذا رأيتم منهم شيئاً فآذنوه ثلاثة أيام ، فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فإنما هو شيطان .

مسجد بنى الحارث ومسجد السنح

ومنها : مسجد بنى الحارث بن الخزرج ، ومسجد السنح — روى ابن شبة عن هشام بن عروة أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى مسجد بنى خدارة وبالحبلى وبالحارث بن الخزرج ومسجد السنح ، ورواه ابن زبالة بلفظ : مسجد بنى الحارث بن الخزرج ومسجد السنح .

قلت : تقدم أن منازل بنى الحارث شرقى بطحان وتربة صعيب ، ويعرف اليوم بالحارث بإسقاط بنى ، وبالقرب منه السنح ، كان على ميل من المسجد النبوى ، وهو منازل جُشَم وزيد ابنى الحارث بن الخزرج ، وبه منزل أبى بكر رضى الله تعالى عنه بزوجته بنت خارجة .

مسجد بنى الحبلى

ومنها : مسجد بنى الحبلى رهط عبد الله بن أُبَيّ بن سَلولَ من الخزرج — روى ابن زبالة وابن شبة عن هشام بن عروة أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى مسجد بنى الحُبلَى . ورواه ابن شبة أيضاً عن سعد بن إسحاق بن كعب .

وتقدم عن المطرى أن دارهم بين قباء وبين دار بنى الحارث التى فى شرقى بطحان ، مع ماقاله ابن حزم فى منازلهم فراجعه .

مسجد بنى بياضة

ومنها : مسجد بنى بَيَاضة من الخزرج — روى ابن شبة ويحيى عن سعيد ابن إسحاق أن النبى صلى الله عليه وسلم صلّى فى مسجد بنى بياضة . وروى ابن زبالة عنه نحوه ، وعن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال : كنت أخْرُجُ أقود أبى بعد أن عمى إلى المسجد يوم الجمعة ، قال : فيسمع الأذان بالطريق ، فإذا سمعه قال : يرحمُ الله أسعد بن زرارة ، كان أول مَنْ جَمَّع بنا بهذه القرية ، ونحن يومئذ أربعون فى هزمة من حرة بنى بياضة .

وتقدم فى الفصل الثامن من الباب الثالث نحوه من رواية أبى داود .

وروى ابن زبالة أيضاً عن ربيعة بن عثمان أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى الحرة فى الرحابة .

وتقدم فى منازل بنى بياضة أن الرحابة مزرعة فى شاميها أطُمهم المسمى بعقرب ، وكانت لآل عاصم بن عطية بن عامر بن بياضة .

وذكر ابن زبالة أُطُماً آخر كان بين المزرعتين الرحابة والحيرة .

وتقدم أيضا أن دار بنى بياضة شامى دار بنى سالم أهل مسجد الجمعة إلى وادى بطحان قبلى دار بنى مازن بن النجار ، ممتدة فى تلك الحرة وبعضها فى السبخة .

وروى ابن زبالة عن إبراهيم بن عبد الله بن سعد عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وقعت هذه الليلة رحمة ؟ فيما بين بنى سالم و بنى بياضة ، فقالت بنو سالم و بنو بياضة : أننتقل إليها ؟ قال: لا ، ولـكن أقبروا فيها

مسجد بنى خطمة

ومنها : مسجد بنى خطمة من الأوس ، ومسجد العجوز .

روى ابن زبالة عن الحارث بن الفضل وهشام بن عروة أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى مسجد بنى خطمة .

ورواه ابن شبة عن هشام وعبد الله بن الحارث، وروى أيضا عن مسلمة بن عبيد الله الخطمى أن النبى صلى الله عليه وسلم صلّى فى مسجد العجوز فى بنى خطمة عند القبر، ومسجد العجوز الذى عند قبر البراء بن معرور ، وكان ممن شهد العقبة ، فتوفى قبل الهجرة ، وأوصى للنبى صلى الله عليه وسلم بثلث ماله ، وأمر بقبره أن يستقبل به الكعبة .

وروى ابن زبالة عن أفلح بن سعيد وغيره من أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلّى فى مسجد العجوز ببنى خطمة ، وهى امرأة من بنى سليم ثم من بنى ظفر بن الحارث .

وسيأتى فى الآبار عن عبد الله بن الحارث أن النبى صلى الله عليه وسلم توضأ من ذرع بئر بنى خطمة التى بفناء مسجدهم ، وصلى فى مسجدهم .

وتقدم عن المطرى أن الأظهر عنده أن منازلهم فى شرقى مسجد الشمس بالعوالى ، وأن الأظهر عندنا أنهم كانوا بقرب الماجشونية ؛ لقول ابن شبة فى سيل بطحان: إنه يَصُبُّ فى جفاف ، ويمر فيه حتى يُفْضى إلى فضاء بنى خطمة والأغرس، وقوله فى مذينب : إنه يلتقى هو وسيل بنى قريظة بالمشارف فضاء بنى خطمة ، وسيأتى أن ذلك عند تنور النورة الذى فى شامى الماجشونية، وقد رأيت آثار القرية والآطام هناك .

مسجد بنى أمية الأوسى

ومنها : مسجد بنى أمية بن زيد من الأوس ـ روى ابن شبة عن عمر بن قَتادة أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلَّى فى مسجد لهم فى بنى أمية من الأنصار ، وكان فى موضع الكباب بين الخربتان عند مال نهيك ، وعن محمد بن عبد الرحمن بن وائل أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلَّى فى تلك الخربة ، وكان قريبا من مُصَلَّى النبى صلى الله عليه وسلم، وسلم هناك أجم ، فانهدم ، فسقط على المكان الذى فيه ، فترك وطُرح عليه التراب حتى صار كباء .

وروى ابن زبالة عن سعيد بن عمران أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلَّى فى بنى أمية فى موضع الكباء عند مال نهيك بن أبى نهيك .

قال المطرى: ودارهم شرقى دار بنى الحارث بن الخزرج، وفيهم كان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه نازلا بامرأته الأنصارية حين كان يتناوب النزولَ إلى المدينة هو وجاره من الأنصار.

قلت: الذى يتحرر مما سبق فى المنازل أنهم كانوا قرب النواعم وبئر العهن، وهى من أموالهم كما سنبينه فى الآبار، ويمر سيل مذينب من بيوتهم ثم يسقى الأموال. وبالحرة الشرقية قريبا من الموضع المذكور آثار قرية يمر بها سيل مذينب الظاهر أنها قريتهم. ويشهد لذلك أن ابن إسحاق ذكر فى مقتل كعب ابن الأشرف — وكان فى بنى النضير — أن محمد بن مسلمة ومن معه انتهوا إلى حصنه فى ليلة مُقْمرة فهتَفَ به أبو نائلة، ثم ذكر قتله، وأن محمد بن مسلمة قال: فخرجنا حتى سلكنا على بنى أمية بن زيد، ثم على بنى قريظة، ثم على بُعاث حتى أَسْنَدْنَا فى حرة العريض.

مسجد بنى واثل الأوسى

ومنها: مسجد بنى واثل من الأوس — روى ابن زبالة عن الحارث بن الفضل أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلَّى فى مسجد بنى واثل.

وروى ابن شبة عن سلمة بن عبد الله الخطمى أن النبى صلى الله عليه وسلم صلَّى فى بيت القعدة عند مسجد بنى واثل، وعنه أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلى فى مسجد بنى واثل بين العمودين المقدمين خلف الإمام بخمسة أذرع أو نحوها، قال: وضربنا نَمَّ وَتِدًا.

قال المطرى: والظاهر أن منازلهم كانت فى شرقى مسجد الشمس.

قلت: الظاهر أنها بقباء، وأن هذا المسجد هو المراد بقول ابن النجار: إن بالمدينة عدة مساجد خراب فيها المحاريب وبقايا الأساطين وتنقض وتؤخذ حجارتها فيعمر بها الدور: أحدها مسجد بقباء قريب من مسجد الضِّرار فيه أسطوان قائمة، انتهى؛ فكأنه فيما بين زمان المطرى وزمانه نقضت بقيته بحيث لم يدرك له المطرى أثرا.

مسجد بنى واقف

ومنها: مسجد بنى واقف من الأوس — روى ابن زبالة عن الحارث بن الفضل أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلَّى فى مسجد بنى واقف. قال المطرى وتبعه

من بعده حتى المجد : مسجدُ بنى واقف موضع بالعوالى ، كانت فيه منازل بنى واقف من الأوس رهط هلال بن أمية الواقفى أحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم فى تخلفهم عن غزوة تَبُوك ، ولا يعرف مكان دارهم اليوم ، إلاّ أنها بالعَوَالى

قلت : لادار أعرف من دارهم ؛ لما تقدم فى المنازل من أنهم نزلوا عندمسجد الفضيخ ، وابتنوا أطما كان موضعه فى قبلة مسجد الفضيخ ، وهذا من فوائد الاعتناء بذكر المنازل ، والمطرى لم يعتن بها ، لـكن العجب من المجد فإنه ذكر ما قدمناه فى المنازل ، ثم قلد المطرى عند ذكر المساجد .

مسجد بنى أنيف

ومنها: مسجد بنى أُنَيفٍ، تصغير أَنفٍ حى من بَلِى،ويقال:إنهم بقية من العماليق كما تقدم فى منازل اليهود ، وبينا فى منازل بنى عمرو بن عوف من الأوس أنهم كانوا حُلفاء لهم . وروى ابن زبالة عن عاصم بن سويد عن أبيه قال : سمعت مشيخة بنى أنيف يقولون : صَلَّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيما كان يعود طلحة بن البراء قريبا من أُطمِهم ، قال عاصم:قال أبى : فأدركتهم يَرُشُّونَ ذلك المكان ويتعاهدونه ثم بنوه بعد ؛ فهو مسجد بنى أنيف بقباء .

قلت : طلحة بن البراء منهم . وقال المتكلمون فى أسماءالصحابة :إنه من بلىّ وكان حليفا للأوس ، وذلك هو السبب كما قدمناه فيما وقع للمطرى ومَنْ تبعه من أن بنى أنيف بطن من الأوس ، قال : ودارهم بين بنى عمرو بن عوف بقباء وبين العصبة .

قلت : المعتمد ما قدمناه ، ودارهم بقباء عند المال المعروف اليوم بالقائم فى جهة قبلة مسجد قباء من جهة المغرب ، وعند بئر عذق كما سبق .

مسجد دار سعد ابن خيثمة

ومنها : مسجد دار سعد بن خيثمة بقباء ـ ذكر ابن زبالة ـ فيما نقله المطرى أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلَّى فى المسجد الذى فى دار سعد بن خيثمة رضى الله تعالى عنه بقباء ، وجلس فيه ، قال المطرى : وبيت سعد بن خيثمة أحد الدور التى قبلى مسجد قباء ، يدخلها الناس إذا زاروا مسجد قباء ويصلون فيها .

وهناك أيضا دار كلثوم بن الهدم ، وفى تلك العَرصة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نازلا قبل خروجه إلى المدينة ، وكذلك أهله صلى الله عليه وسلم وأهل أبى بكر رضى الله تعالى عنه حين قدم بهم على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه بعد خروج رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، وهن : سَوْدة ، وعائشة ، وأُمُّهَا ، وأختها أسماء ، وهى حامل بعبد الله بن الزبير ، فولدته بقباء قبل نزولهم المدينة ، فكان أول مولود ولد من المهاجرين بالمدينة ، انتهى .

قلت : وفى قوله « إن عليا قدم ومعه من ذكر » نظر؛ فقد قدمنا أن علياً رضى الله تعالى عنه لحق النبى صلى الله عليه وسلم بقباء ، وأنه صلى الله عليه وسلم بعث زيد بن حارثة وأبا رافع إلى مكة بعد ذلك فقدما عليه بأهله ، وخرج معهم عبد الله ابن أبى بكر بعيال أبى بكر . وحديث أسماء فى ولادتها عبد الله بن الزبير متفق عليه . وفيه أنه كان أول مولود وُلد فى الإسلام ، ففرحوا به ؛ لأنه كان قد قيل لهم : إن اليهود سَحَرَتكم فلا يُولَد لكم . وفيه دلالة على تأخر ولادته عن مَقْدَم النبى صلى الله عليه وسلم بمدة . وقال الذهبى تبعًا للواقدى : إنه ولد فى سنة ثنتين ، وقال الحافظ ابن حجر : المعتمد أنه ولد فى السنة الأولى ؛ للحديث المتفق عليه ، وسبق فى سنى الهجرة عن أبى حاتم ما يوافقه .

وتقدم فى ذكر مسجد قباء أن دار سعد بن خيثمة هى التى تلى المسجد فى قبلته .

مسجد التوبة

ومنها : مسجد التوبة بالعصبة منازل بنى جَحْجَبَا من بنى عمرو بن عوف من الأوس — روى ابن زبالة عن أفلح بن سعد وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلّى فى مسجد التوبة بالعصبة ببئر هجيم ، قال المطرى : وليست بمعروفة اليوم ، يعنى البئر . والعصبة : فى غربى مسجد قباء فيها مزارع وآبار كثيرة .

قلت : يستفاد مما ذكرناه فى المنازل من أنهم ابتنوا أطما يقال له الهجيم

عند المسجد الذى صلى فيه النبى صلى الله عليه وسلم أن بئر هجيم مضافة للأطم المذكور ؛ فيطلب المسجد عند ذلك ، وما علمت السبب فى تسميته بمسجد التوبة .

مسجد النور

ومنها : مسجد النور ـ قال ابن زبالة : حدثنا محمد بن فضالة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلَّى فى موضع مسجد النور . قال المطرى : ولا يعلم اليوم مكانه .

قلت : وما علمت سبب تسميته بذلك ، ورأيت الأسدى فى منسكه ذكر فى المساجد التى تزار فى ناحية مسجد قباء مسجدَ النور ، ثم ذكر فى المساجد التى تزار بناحية المدينة وماحولها مسجد النور أيضا ، ولعل هذا المسجد هو الموضع الذى انتهى إليه أسيد بن حضير وعباد بن بشر ، وهما من بنى عبد الأشهل ، وكانا عند النبى صلى الله عليه وسلم فى ليلة ظلماء ، فتحدثا عنده حتى إذا خرجا أضاءت لهما عَصَا أحدِهما ، فمشيا على ضوئها ، فلما تفرق بهما الطريق أضاءت لكل واحد منهما عصاه فمشى فى ضوئها ، كما أخرجه البخارى ؛ فيكون المسجد المذكور بدار بنى عبد الأشهل .

وروى أحمد برجال الصحيح حديث قتادة بن النعمان الظفرى فى إعطاء النبى صلى الله عليه وسلم له العُرْجُونَ فى ليلة مظلمة فأضاء له من بين يديه عشرا ومن خلفه عشرا ـ الحديث .

وروى أبو نعيم عن أنس رضى الله تعالى عنه أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وعمر رضى الله تعالى عنه سَهِرَا عند أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه يتحدثان عنده ، حتى ذهب ثلث الليل ، ثم خرجا وخرج أبو بكر رضى الله تعالى عنه معهما فى ليلة مظلمة ومع أحدهما عَصاً ، فجعلت تضىء لهما وعليها نور حتى بلغوا المنزل .

مسجد عتبان بن مالك

ومنها : مسجد عتبان بن مالك بأصل أُطُمِه المسمى بالمزدلف بدار بنى سالم ابن الخزرج ـ روى ابن زبالة عن إبراهيم بن عبدالله بن سعد أن عتبان بن مالك قال :

يارسول الله إن السيل يحول بينى و بين الصلاة فى مسجد قومى ، قال : فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته ، فهو المسجد الذى بأصل المزدلف . ورواه يحيى وقال : فهو المسجد الذى بأصل المزدلف أطم مالك بن العجلان .

قلت : تقدَّم فى مسجد الجمعة أن المزدلف هو الأُطم الخراب الذى فى شامى مسجد الجمعة ، عند عدوة الوادى الشرقية ، وأن صلاته صلى الله عليه وسلم بدار عتبان فى الصحيح ، وأن الظاهر أن مسجد قومه الذى يحول السيلُ بينه و بينهم هو مسجدهم الأكبر الذى كان بمنازلهم بالحرة فى عدوة الوادى الغربية .

وروى ابن شبة عن عتبان بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلَّى فى بيته سبحة الضحى ، فقاموا وراءه فصلوا .

وعن سعد بن إسحاق أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يصل فى مسجد بنى سالم الأكبر . وروى ابن زبالة نحوه عن كعب بن عجرة .

مسجد ميثب (صدقة النبى)

ومنها : مسجد ميثب صدقة النبى صلى الله عليه وسلم — روى ابن زبالة وابن شبة و يحيى عن محمد بن عقبة بن أبى مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلَّى فى مسجد صدقته ميثب ؛ وسيأتى فى الصدقات أن الميثب مجاور لبرقة وغيره من الصدقات الآتية .

مسجد المنارتين

ومنها : مسجد المنارتين — روى ابن زبالة و يحيى من طريقه عن حرام بن سعد بن محيصة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى فى المسجد الذى بأصل المنارتين فى طريق العقيق الكبير ، قال المطرى : وهذا المسجد لا يعرف ، وهو يلى طريق العقيق كما ذكر .

قلت : روى ابن زبالة عن عبد الله بن البولا أن أربعة رَهْط من المهاجرين الأولين كلهم يخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « خَرَج إلى الجبل الأحمر الذى بين المنارتين ، فإذا بشاة ميتة قد أنْتَنَتْ ، فأمسكوا على أنفهم ،

فقال رسول صلى الله عليه وسلم : ما ترون كرامة هذه الشاة على صاحبها ؟ فقالوا : يارسول الله ما تكرم هذه على أحد ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : للدُّنيا أهْوَنُ على الله من هذه على صاحبها » .

وعن إبراهيم بن محمد عن أبيه أن اسم الجبل الأنعم ، وهو الجبل الذى بنى عليه المزنى وجابر بن على الزمعى ثم أورد قول الشاعر :

* لمن الديارُ غَشِيتُهَا بالأنْعُمِ *

البيت الآتى فى الأنعم .

قلت : وهو الجبل الأحمر الذى على يَسَارك إذا مررت من أوائل الرقيقين قاصدا العقيق ؛ لانطباق الوصف عليه ، ولأنى خرجت إليه وصَعَدته فرأيت عليه أساس البناء الذى أشار إليه ، وظهر بذلك أن المنارتين بقربه عند الرقيقين ؛ فهناك موضع هذا المسجد .

مسجد فيفاء الخبار

ومنها : مسجد فيفاء الخبار ـ قال ابن إسحاق فى غزوة العشيرة : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سَلَكَ على نقب بنى دينار من بنى النجار ، ثم على فيفاء الخبار ، فنزل تحت شجرة ببطحاء ابن أزهر يقال لها «ذات الساق» فصلّى عندها ثمّ مسجد ، وصنع له طعام عندها ، فأكل منه وأكل الناسُ معه ، فموضع آثاره فى البُرْمَة معلوم هناك ، واستسقى له من ماء يقال له المُشَيْرِب ، انتهى . والمشيرب : تصغير مشرب ما بين جبال فى شامى ذات الجيش .

قال المطرى : وفيفاء الخبار غربى الجماوات ، وهى أى الجماواتِ الأجْبُلُ التى فى غربى وادى العقيق ، وتوهم المجد أن الضمير فى قوله « وهى » لفيفاء الخبار فقال فيه : الصحيح أنه الأجبل التى فى غربى وادى العقيق ، انتهى .

وسيأتى فى رابع فصول الباب السابع عن الهجرى أن جَمّاء أم خالد فى مَهَبِّ الشمال من جماء تضارع ، وأن فيفاء الخبار من جماء أم خالد .

ونقل ابن سعد عن ابن عقبة أن فيفاء الخبار من وراء الجاء ،والخبار ـ بفتح

المعجمة والموحدة كسحاب ـ مالآنَ من الأرض واسترخى ، والأرض ذات الجحرة والحفائر . والفيفاء ـ بفاءين بينهما مثناة تحتية ـ هى الصخرة الملساء .

قال المطرى : وبهذا الموضع كانت ترعى إبل الصدقة ولقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر قصة العُرَنيين التى قدمناها فى محلها . وينبغى لمن تيسر له الوصول إلى هذه الجهة أن يتبرك بالجماوات ؛ لما سيأتى فيها ، وكذلك جبل عظم لما سيأتى فيه أيضاً .

مسجد بين الجثجاثة وبئر شداد

ومنها : مسجد بين الجثجاثة و بئر شداد ، بطرف وادى العقيق مما يلى البقيع؛ لأن ابن زبالة روى فى سياق ذلك عن عمر بن القاسم وعبد الملك بن عمر قال : صَلَّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد بين الجثجاثة و بين بئر شداد فى تَلْعة هناك ، قال : وكان عبد الله بن سعد بن ثابت قد اقتطع قريبا منه و بناه .

وقال الهجرى : الجَثْجَاثة صدقة عباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير ، وبها قصور وميدان ، واقتضى كلامه أنها بين ثنية الشريد والحليفة .

وهذا آخر ما وقفنا عليه فى مساجد المدينة التى لا تعلم بعينها فى زماننا ، وعدتها نحو الأربعين .

الدور التى صلى بها الرسول

تتمة ـ تقدم ذكر بعض الدور التى صلى فيها النبى صلى الله عليه وسلم ، أو جلس ولم يتخذ محل لها ، ولنذكر ما وقفنا عليه من بقيتها تتميما للفائدة :

روى يحيى عن محمد بن طلحة بن طويل قال : سمعتُ غيرَ واحد ممن أدركت يقول : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا جاء مربده ، وهو مربد الحكم بن أبى العاص ، فكان إذا خرج منه وقَفَ عند بابه ، ودعا .

دار الشفاء

قال محمد بن طلحة : وأخبرنى محمد بن جعفر عن محمد بن سليمان بن أبى حثمة أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى دار الشفاء فى البيت الذى على يمين من دخل الدار .

دار الضمرى

قال محمد : وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار عمرو بن أمية الضمرى عن يمين من دخل الدار .

دار بسرة

قال محمد : وصَلّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى دار بُسْرة بنت صفوان .

قلت : أما دار عمرو بن أمية الضمرى فتقدم ما يبين جهتها فى ذكر دار السوق وغيرها .

وأما دار الشفاء فقال ابن شبة فى دور بنى عدى بن كعب : واتخذت الشفاء بنت عبد الله دارها التى فى الحكاكين الشارعة فى الخط ، فخرجت طائفة من أيدى ولدها فصارت للفضل ، و بقيت بأيديهم منها طائفة ، انتهى .

وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يأتى الشفاء هذه ويَقِيلُ عندها ، وسبق فى مصلى الأعياد أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى العيد عند دار الشفاء ؛ فالظاهر أنها كانت قربَ سوق المدينة والمصلى . ودار بسرة لم أعرفها ، وكذا المربد المذكور .

وتقدم فى ذكر البلاط ما جاء فى دار بنت الحارث .

وأخرج أبو داود والنسائى واللفظ له عن عبد الرحمن بن طارق عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا جاز مكانا من دار يعلى استقبل القبلة ودعا ، ولم أعرف جهة دار يعلى .

دار أم سليم

وفى صحيح البخارى عن ثمامة عن أنس أن أمّ سليم كانت تَبْسُطُ لنبى الله صلى الله عليه وسلم نِطَعًا فَيَقِيلُ عندها على ذلك النِّطَعِ ، قال : فإذا قام صلى الله عليه وسلم أخَذَت من عَرَقه وشَعَره فجمعته فى قارورة ثم جمعته فى سك ، وقال : فلما حضرت أنَسَ بن مالك الوفاةُ أوصى أن يجعل فى حَنُوطه من ذلك السك ، قال : فجعل فى حَنُوطه .

وفيه أيضاً حديث أنس فى تكثير الطعام ، ولفظه : قال أبو طلحة لأم سليم : لقد سمعتُ صوتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا أعرف فيه الجوعَ ،

فهل عندك من شيء ؟ قالت : نعم ، فأخرجت أقراصاً من شَعير ، ثم أخرجت خِمَاراً لها فلفَّتِ الخبز ببعضه ، ثم دسته تحت يدى ، ولاثتنى ببعضه ، ثم أرسلتنى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فذهبت به فوجدته فى المسجد ومعه الناس ، فقمت عليهم ، فقال لى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أرسَلَكَ أبو طلحة ؟ فقلت : نعم ، فقال لمن معــه : قوموا ، فانطلقوا وانطلقت بين أيديهم حتى جئنا إلى أبى طلحة ، فأخبرته ، قال أبو طلحة : يا أم سليم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس ، وليس عندنا ما نطعمهم ، فقالت : الله ورسوله أعلم ، فانطلق أبو طلحة حتى لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل وأبو طلحة معه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هلمى يا أم سليم ما عندك ، فأتت بذلك الخبز ، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففُتَّ وعصرت أم سليم عُـكَّة فأدَمَتْه ، ثم قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقول ، ثم قال : ائذن لعشرة ، الحديثَ ، وفى آخره : فأكلَ القوم كلهم وشَبِعُوا ، والقوم سبعون أو ثمانون رجلا .

قلت : وأم سليم والدة أنس وزوجة أبى طلحة ، فذلك إما فى دار أنس و إما فى دار أبى طلحة ، وكلاهما بجهة بنى جديلة .

دار أم حرام

وفى الصحيح من حديث أنس : كان رسولُ الله صــلى الله عليه وسلم إذا ذهب إلى قباء يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه ، وكانت تحت عُبَادة بن الصامت ، فدخل يوماً فأطعمته ، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استيقظ يضحك ، الحديثَ .

قلت : أم حرام هى خالة أنس أخت أم سليم المتقدم ذكرها ، وزوجها عُبَادة ابن الصامت ، كان بنى سالم ؛ لأنه من بنى نوفل إخوة بنى سالم ، و يدل لذلك قوله « إذا ذهب إلى قباء » فإن بنى سالم بطريق قباء ، فيندفع ما توهمه بعضهم من أن دار أم سليم وأم حرام واحدة لـكونهما أختين ، والله أعلم .

الفصل الخامس

فى فضل مقابرها ، و إتيان النبى صلى الله عليه وسلم البقيع ، وسلامه على أهله واستغفاره لهم .

خروج النبى ليلا إلى البقيع

روينا فى صحيح مسلم والنسائى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : لما كان ليلتى التى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيها عندى انْقَلَبَ فوضع رداءه وخَلَع نعليه فوضعهما عند رجليه و بسط طرف إزاره على فراشه فاضطجع ، فلم يَلْبَثْ إلا ريثما ظن أنى قد رَقَدْتُ ، فأخذ إزاره رُوَيْدًا ، وانتعل رويدا ، وفتح الباب ، فخرج ، ثم أجافَهُ رويدا ، وجعلتُ درعى فى رأسى ، واختمرت ، وتقنعت إزارى ، ثم انطلقت على أثره حتى جاء البقيع فأقام ، فأطال القيام ، ثم رفع يديه ثلاث مرات ، ثم انحرف فانحرفت ، فأسرع فأسرعت ، فهرول فهرولت ، فأحضر فأحضرته ، فسبقته ، فدخلت ، فليس إلا أن اضطجعت فدخل فقال : مالك يا عائش حشيا رابية ، قلت : يارسول الله بأبى أنت وأمى ، فأخبرته ، قال : فأنتِ السَّوَاد الذى رأيت أمامى ؟ قلت : نعم ، فَلَهزنى فى صدرى لهزة أوجعتنى ، ثم قال : أظَنَنْتِ أن يحيف الله عليك ورسوله ؟ قالت : مهما يَكْتُم الناسُ يعلمه الله ، قال : نعم ، قال : فإن جبريل عليه السلام أتانى حين رأيت فنادانى فأخفاه منك فأخفيته منك ، ولم يكن يدخل عليكِ وقد وضعتِ ثيابَكِ ، وظننتُ أن قد رقدتِ فكرهتُ أن أوقظك ، وخشيت أن تستوحشينى ، فقال : إن ربك يأمرك أن تأتى أهل البقيع فتستغفر لهم ، قال : قلت كيف أقول لهم يا رسول الله ؟ قال : قولى السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، ويرحم الله المستقدمين والمستأخرين .

وفى رواية له أيضاً قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما كانت ليلتى منه يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول : السلام عليكم دار قوم مؤمنين ،

وأتاكم ما توعدون ، غدا مؤجلون ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد .

وخرجه فى الموطأ بلفظ : قالت عائشة : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاتَ ليلةٍ ، فلبس ثيابه ، ثم خرج ، فأمرت جاريتى بريرة تتبعه ، فتبعته حتى جاء البقيع ، فوقف فى أدناه ما شاء الله أن يقف ، ثم انصرف فسبقته ، فأخبرتنى ، فلم أذكر شيئاً حتى أصبح ، ثم ذكرت له ، فقال : إنى بعثت إلى أهل البقيع لأصلى عليهم .

وفى رواية للنسائى : السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وإنا وإياكم متواعدون غدا ومواكلون .

وفى رواية لابن شبة قالت : خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من عندى ، فظننت أنه خرج إلى بعض نسائه ، فتبعته ، حتى جاء البقيع ، فسلم ودعا ثم انصرف ، فسألته : أين كنت ؟ فقال : إنى أمرت أن آتى أهل البقيع فأدعو لهم .

وفى رواية له أنه قال فى دعائه : اللهم لا تحرمنا أجرهم ، ولا تَفْتِنَّا بعدهم .

وفى رواية للبيهقى قالت : دخل علىَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فوضع عنه ثوبيه ، ثم لم يستتم أن قام فلبسهما ، فأخذتنى غيرة شديدة ظننتُ أنه يأتى بعضَ صويحباتى ، فخرجت أتبعه ، فأدركته بالبقيع بقيع الغرقد يستغفر للمؤمنين والمؤمنات والشهداء ، الحديثَ ،وفيه بيان أن ذلك كان فى ليلة النصف من شعبان

وفى جامع الترمذى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مَرَّ بقبور أهل المدينة ، فأقبل عليهم بوجهه فقال : السلام عليكم يا أهل القبور ، ويغفر الله لنا ولكم ، وأنتم لنا سَلَف ونحن بالأثر .

وروى ابن شبة عن أبى موهبة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أهَبَّنِى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل ، فقال : إنى أمرت أن أستغفر لأهل البقيع فانْطَلِقْ معى ، فانطلقت معه ، فلما وقف بين أظهرهم قال :

السلام عليكم يا أهل المقابر ، ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه ، أقبلتِ الفتنُ كقِطَع الليل المظلم يتبع آخرها أولها ، الآخرة شر من الأولى ، ثم استغفر لهم طويلا .

وفى رواية : ثم استغفر لهم ، ثم قال : يا أبا موهبة إنى قد أوتيتُ مفاتيحَ خزائن الدنيا والخلد فيها ، فخيرت بين ذلك و بين لقاء ربى ثم الجنة ، قلت : بأبى وأمى خذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة ، قال : لا والله يا أبا موهبة ، لقد اخترت لقاء ربى ثم الجنة ، ثم رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فبدىء به وَجَعُه الذى قبض فيه .

وعن عطاء بن يَسَار قال : أتى النبى صلى الله عليه وسلم البقيعَ فقال : السلام عليكم قوم موجلون ، أتانا وأتاكم ما توعدون ، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد .

وعن الحسن قال : أتى النبى صلى الله عليه وسلم على بقيع الغرقد فقال : السلام عليكم يا أهل القبور ، ثلاثا ، لو تعلمون ما الذى نجاكم الله منه مما هو كائن بعدكم ، قال : ثم التفت فقال : هؤلاء خير منكم ، قالوا : يا رسول الله إنما هم إخواننا آمنَّا كما آمَنُوا ، وأنفقنا كما أنفقوا ، وجاهدنا كما جاهدوا ، وأتوا على أجلهم ونحن ننتظر ، فقال : إن هؤلاء قد مَضَوْا لم يأكلوا من أجورهم شيئاً ، وقد أكلتم من أجوركم ، ولا أدرى كيف تصنعون بعدى .

وروى ابن زبالة عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى المقبرة فقال : السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، و إنا إن شاء الله بكم لاحقون ، وَدِدْتُ أنى قد رأيت إخواننا ، قالوا : يا رسول الله ألسنا إخْوَانَكَ ؟ قال : أنتم أصحابى ، و إخواننا الذين لم يأتوا بعد ، وأنا فَرَطهم على الحوض ، قالوا : يا رسول الله كيف تعرف مَنْ يأتى بعدك من أمتك ؟ قال : أرأيت لو كان لرجل خيل غُرٌّ محجلة فى خيل دُهْم بُهْم ألا يعرف خيله ؟ قالوا : بلى ، قال : فإنهم يأتون يوم القيامة غُرًّا مُحَجَّلين من الوضوء ، وأنا فَرَطهم على الحوض ، ولَيُذَادَنَّ

رجالٌ عن حوضى كما يُذَادُ البعيرُ الضال ، فأناديهم : ألا هلم ، ألا هلم ، ألا هلُمَّ ، فيقال : إنهم قد بَدَّلوا ، فأقول : فسُحْقا ، فسُحْقا ، فسُحْقا .

من فصل البقيع

وروى الطبرانى فى الكبير ومحمد بن سنجر فى مسنده وابن شبة فى أخبار المدينة من طريق نافع مولى حَمْنَةَ عن أم قيس بنت محصن، وهى أخت عُكَّاشة ، أنها خرجت مع النبى صلى الله عليه وسلم إلى البقيع ، فقال : يحشر من هذه المقبرةِ سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ، وكأن وجوههم القمر ليلة البدر ، فقام رجل فقال : يا رسول الله وأنا ، فقال : وأنت ، فقام آخر فقال : يا رسولَ الله وأنا ، قال : سبقك بها عُكَّاشة ، قال : قلت لها : لم لم يقل للآخر ؟ فقالت : أراه كان منافقا .

وذكر الهيثمى تخريج الطبرانى له وقال : فى إسناده مَنْ لم أعرفه .

وذكره الحافظ ابن حجر فى شرح البخارى ، وسكت عليه .

ودخولُ سبعين ألفا الجنة بغير حساب من هذه الأمة من غير تقييد بالبقيع موجود فى الصحيح ، بل جاء أزيد منه .

فروى أحمد والبيهقى عن أبى هريرة مرفوعا : سألتُ ربى عز وجل ، فوعدنى أن يدخل الجنة من أمتى ، وذكر نحو رواية الصحيح ، وزاد : فاستزدت ربى ، فزادنى مع كل ألف سبعين ألفا ، قال الحافظ ابن حجر : وسَنَده جيد ، قال : وفى الباب عن أبى أيوب عند الطبرانى ، وعن حذيفة عند أحمد ، وعن أنس عند البزار ، وعن ثوبان عند أبى عاصم ، قال : فهذه طرق يقوى بعضها بعضا فى الزيادة المذكورة .

قال : وجاء فى أحاديث أخرى أكثر من ذلك أيضاً ، فأخرج الترمذى وحَسَّنه والطبرانى وابن حبان فى صحيحه عن أبى أمامة رفعه : وعَدَنِى ربى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفا مع كل ألفٍ سبعين ألفا ، لا حساب عليهم ولا عذاب ، وثلاث حَثَيَات من حثيات ربى .

وفى صحيح ابن حبان والطبرانى بسند جيد نحوه .

ثم ذكر الحافظ ابن حجر ما يقتضى زيادة على ذلك أيضاً ، وأن مع كل واحد سبعين ألفا ؛ فيتأيد بذلك رواية اختصاص البقيع بسبعين ألفا لا حساب عليهم ؛ فالكرم عميم ، والجاه عظيم .

وروى ابن شبة عن ابن المنكدر رفعه مرسلا : يُحْشَرُ من البقيع سبعين ألفا على صورة القمر ليلة البدر ، كانوا لا يكتوون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون

قال : وكان أبى يخبرنا أن مُصْعَبَ بن الزبير دخل المدينة من طريق البقيع ومعه ابن رأس الجالوت ، فسمعه مصعب وهو خلفه حين رأى المقبرة يقول : هى هى ، فدعاه مصعب فقال : ماذا تقول ؟ فقال : نجد هذه المقبرة فى التوراة بين حَرَّتَيْن محفوفة بالنخل اسمها كفتة ، يبعث الله منها سبعين ألفاً على صورة القمر .

وسيأتى من رواية ابن زبالة عن المقبرى نحوه .

وروى ابن زبالة عن جابر مرفوعا : يبعث من هذه المقبرة ـ واسمها كفتة ـ مائةُ ألفٍ كلهم على صورة القمر ليلة البدر ، لا يَسْتَرْقُونَ ، ولا يكتوون ، ولا يتداوون ، وعلى ربهم يتوكلون .

وعن المطلب بن حنطب رفعه مرسلا : يحشر من مقبرة المدينة ـ يعنى البقيع ـ سبعون ألفا لا حساب عليهم ، تضىء وجوههم غمدان اليمن .

وجاء ما يقتضى أن هذا العدد يبعث من مقبرة بنى سلمة ، وهى عند منزل بنى حَرَام منهم ، فروى ابن شبة عن أبى سعيد المقبرى أن كعب الأحبار قال : نجد مكتوبا فى الكتاب أن مقبرة بغربى المدينة على حافة سيل يحشر منها سبعون ألفا ليس عليهم حساب .

وقال أبو سعيد المقبرى لابنه سعيد : إن أنا هلكْتُ فادْفِنِّى فى مقبرة بنى سلمة التى سمعت من كعب ، وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مقبرة بغربى المدينة يعترضها السيل يسارا يبعث

منها كذا وكذا لا حساب عليهم ، قال عبد العزيز بن مبشر : لا أحفظ العدد .

وعن عقبة بن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله ، وعن ابن أبي عتيق وغيرهما من مَشْيخة بنى حرام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مَقْبرة ما بين سيلين غربية يضيء نورُها يوم القيامة ما بين السماء إلى الأرض .

وروى ابن زبالة عن سهل عن أبيه عن جده قال : دفن قتلى من قتلى أحد فى مقبرة بنى سلمة .

وعن يحيى بن عبد الله بن أبى قتادة قال : أصيب أبو عمرة بن سكن يوم أحد ، فأمر به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فنقل ، فكان أولَ مَنْ دفن فى مقبرة بنى حرام .

وفى الكبير للطبرانى ـ وفيه يعقوب بن محمد الزهرى فيه كلام كثير ، وقد وثق ـ عن سعد بن خيثمة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأيت كأن رحمةً وقعت بين بنى سالم و بنى بَيَاضة ، قالوا : يا رسول الله أفننتقل إلى موضعها ، قال : لا ، ولكن اقبروا فيها ، فَقَبَرُوا فيها موتاهم .

قلت : وهذه المقبرة لا تعرف اليوم ، وكذ مقبرة بنى سلمة ، لكن تعرف جهتهما مما تقدم فى المنازل .

وتقدم فى الحث على الموت بالمدينة حديث « ما على الأرض بقعة أحبُّ إلى مِنْ أن يكون قبرى بها منها » يعنى المدينة ، يرجِّعها ثلاثَ مرات ، وحديث « مَن استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإنى أشفع لمن يموت بها » .

وفى رواية « فإنى أشهد لمن يموت بها » . وفى أخرى « فإنه من مات بها كنت له شهيدا ، أو شفيعا ، يوم القيامة » .

ورواه رزين بنحوه ، وزاد « و إنى أول من تنشقُّ عنه الأرض ، ثم أبو بكر ، ثم عمر ، ثم آتى البقيع فيحشرون ، ثم أنتظر أهل مكة فأحشر بين الحرمين » .

وفى رواية لابن النجار « فأخرج أنا وأبو بكر وعمر إلى البقيع فيبعثون ، ثم يبعث أهل مكة .

وروى ابن شبة وابن زبالة عن ابن كعب القرظى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من دفن فى مقبرتنا هذه شفعنا له ، أو شهدنا له » وسيأتى فى الفصل الأول من الباب الثامن قوله صلى الله عليه وسلم « ومن مات فى أحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة » .

وروى ابن زبالة عن أبى عبد الملك يرفعه قال : «مقبرتان يضيآن لأهل السماء كما تضىء الشمس والقمر لأهل الدنيا ، مقبرتنا بالبقيع بقيع المدينة ، ومقبرة بعسقلان » .

وعن كعب الأحبار قال : نجدها فى التوراة كفتة محفوفة بالنخيل وموكل بها الملائكة ، كلما امتلات أخذوا بأطرافها فكفؤها فى الجنة .

قال ابن النجار : يعنى البقيع .

وعن المقبرى قال : قدم مُصْعب بن الزبير حاجا أو معتمراً ومعه ابن رأس الجالوت فدخل المدينة من نحو البقيع ، فلما مر بالمقبرة قال ابن رأس الجالوت : إنها لهى ، قال مصعب : وما هى ؟ قال : إنا نجد فى كتاب الله صفَةَ مقبرة فى شرقيها نخل وفى غربيها بيوت يبعث منها سبعون ألفاً كلهم على صورة القمر ليلة البدر ، فطُفْتُ مقابرَ الأرض فلم أر تلك الصفة حتى رأيت هذه المقبرة .

وعن عبد الحميد بن جعفر عن أبيه قال : أقبل ابنُ رأس الجالوت فلما أشرف على البقيع قال : هذه التى نجدها فى كتاب الله كفتة ، لاأطؤها ، قال : فانصرف عنها إجلالا لها .

وفى كتاب الحرة للواقدى عن عثمان بن صفوان قال : لما حجَّ مصعب ابن الزبير ومعه ابن رأس الجالوت فانتهى إلى حَرَّة بنى عبد الأشهل وقف ثم قال : بهذه الحرة مقبرة ؟ فقالوا : نعم ، فقال : هل من وراء المقبرة حرة أخرى سوى هذه الحرة ؟ قالوا : نعم ، قال : إنا نجد فى كتاب الله أنها تسمى كفتة .

قال الواقدى : يعنى تسرع البلى — وكفيتة ، يبعث الله منها يوم القيامة سبعين ألفاً كلهم وجوههم على صورة البدر ليلة أربع عشرة من الشهر .

وروى ابن زبالة عن خالد بن عوسجة : كنت أدعو ليلةً إلى زاوية دار عقيل بن أبى طالب التى تلى باب الدار ، فمر بى جعفر بن محمد يريد العريض معه أهله ، فقال لى : أعَنْ أثر وقفت ههنا ؟ قلت : لا ، قال : هذا موقف نبى الله صلى الله عليه وسلم بالليل إذا جاء يستغفر لأهل البقيع .

قلت : وسيأتى أن من دار عقيل الموضع المعروف بمشهده ، وأن به قبرَ ابن أخيه عبدِ الله بن جعفر على ما ذكره ابن النجار .

وقال عقب إيراد هذا الخبر : ودار عقيل الموضعُ الذى دُفن فيه ، قال الزين المراغى : فينبغى الدعاء فيه . قال : وقد أخبرنى غيرُ واحدٍ أن الدعاء عند ذلك القبر مستجاب ، ولعل هذا سببه . أو لأن عبد الله بن جعفر كان كثير الجود فأبقى الله قضاء الحوائج عند قبره .

ومن غريب ما اتفق ما أخبرنى به مَنْ أثق بدِينه أنه دعا فى هذا المكان ، وتذاكر مع رفيق له ذلك ، فرأى ورقة على الأرض مكتوبة ، فأخذها تفاؤلا لذلك ، فإذا فيها (وقال ربكم ادْعُونى أستجب لكم) من جهتيها ، انتهى .

قلت : ولم أقِفْ فى كلام المتقدمين على أصل فى دفن عبد الله بن جعفر هناك ، بل اختلف فى أنه دفن بالمدينة أو بالأبْوَاء ، والمعتمدُ فى سبب الاستجابة هناك ما ذكر أولا ، ولهذا يستحَبُّ الدعاء فى جميع الأماكن التى دعا بها النبىُّ صلى الله عليه وسلم ، وكلها مواطن إجابة .

الفصل السادس

فى تعيين قبور بعض من دفن بالبقيع من الصحابة وأهل البيت ، والمَشاهد المعروفة بالمدينة .

قبر إبراهيم ابن رسول الله

بيان قبر إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكونه عند قبر عثمان ابن مظعون ، وما جاء فيهما ، ومَنْ دفن عندهما .

روى ابن شبة بإسناد جيد عن البراء رضى الله تعالى عنه قال : مات إبراهيم — يعنى ابنَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم — وهو ابن ستة عشر شهرا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ادفنوه فى البقيع ، فإن له مرضعة فى الجنة تتم رضاعه .

وعن مكحول قال : توفى إبراهيم عليه السلام ، فلما وُضِع فى اللحد ورُصِف عليه اللبنُ بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بفرجة من اللبن ، فأخذ بيده مدرة فناولها رجلا فقال : ضعها فى تلك الفرجة ، ثم قال : أما إنها لا تضر ولا تنفع ، ولكنها تقر بعين الحي .

وعن محمد بن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم رَشَّ على قبر ابنهِ إبراهيم ، وأنه أول من رش عليه ، قال : ولا أعلم إلا أنه قال : وحَثَا عليه بيده من التراب ، وقال حينَ فرغ من دفنه عند رأسه : السلامُ عليكم .

وروى الشافعى عن جعفر بن محمد عن أبيه مرسلا أن النبىَّ صلّى الله عليه وسلم رَشَّ قبرَ ابنه إبراهيم ووضَعَ عليه الحَصَى .

وروى أبو داود فى المراسيل والبيهقى ورجالُه ثقات مع إرساله نحوه عن محمد ابن عمر بن على ، وزاد أنه أولُ قبرٍ رش عليه ، وقال بعد فراغه : سلام عليكم ، ولا أعلمه إلا قال : حَثَا عليه بيده .

وروى ابن زبالة عن قُدَامة بن موسى أن أول مَنْ دَفَنَ رسولُ الله صلى

الله عليه وسلم بالبقيع عثمانُ بن مظعون ، فلما توفى ابنه إبراهيم قالوا : يارسول الله أين نحفر له ؟ قال : عند فَرَطِنا عثمان بن مظعون .

وروى أبو غسان عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه قال : لما توفى إبراهيم ابنُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يدفن عند عثمان بن مظعون ، فرغب الناسُ فى البقيع ، وقطعوا الشجر ، فاختارت كل قبيلة ناحية ، فمن هنالك عرفت كل قبيلة مقابرها .

وروى ابن شبة عن قدامة بن موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ادْفِنُوا عثمان بن مظعون بالبقيع يكون لنا سلفا ، فنعم السلف سلفنا عثمان ابن مظعون » .

وعنه أيضاً : كان البقيع غَرْقَدًا ، فلما هلك عثمان بن مظعون دفن بالبقيع ، وقطع الغرقد عنه ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للموضع الذى دفن فيه عثمان : هذه الرَّوْحَاء ، وذلك كل ما حازت الطريق من دار محمد بن زيد إلى زاوية دار عقيل اليمانية ، ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم : هذه الروحاء ، للناحية الأخرى ، فذلك كل ما حازت الطريق من دار محمد بن زيد إلى أقصى البقيع يومئذ .

قلت : قد تلخص لنا أن دار عقيل كان بالمشهد المعروف به ، ودار محمد ابن زيد فى شرقيها وشرقى مشهد سيدنا إبراهيم ؛ فالروحاء الأولى ما بين المشهدين وتمتد إلى شرقى مشهد سيدنا إبراهيم ، والثانية فى شرقى الأولى إلى أقصى البقيع ، والأولى هى المرادة بما سيأتى فى قبر أسعد بن زُرَارة من قول أبى غسان ، والروحاء : المقبرة التى وَسَطَ البقيع يحيط بها طرق مطرقة وسط البقيع ، وكأنها اشتهرت بذلك دون الثانية لاقتصاره على الأولى .

وروى ابن زبالة عن عبيد الله بن أبى رافع قال : بلغنى أن إبراهيم ابنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مات قالوا : يا رسول الله ، أين ندفن إبراهيم ؟

قال :عند فَرَطِنا عثمان بن مظعون ، ودفن عثمان بن مظعون عند كتاب بنى عمرو ابن عثمان .

وروى ابن شبة عن محمد بن عبد الله بن سعيد بن جبير قال : دُفن إبراهيمُ ابنُ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزوراء موضع السقاية التى على يسار مَنْ سلك البقيعَ مُصْعِدا إلى جنب دار محمد بن زيد بن علىّ .

وعن سعيد بن جبير قال : رأيت قبر إبراهيمَ ابنِ النبى صلى الله عليه وسلم فى الزوراء ؛ فيستفاد منه تسمية ذلك الموضع بالزوراء أيضا .

وروى ابن زبالة عن سعيد بن محمد بن جبير أنه رأى قبر إبراهيم عند الزوراء .

قال عبد العزيز بن محمد : وهى الدار التى صارت لمحمد بن زيد بن على .

وعن جعفر بن محمد أن قبر إبراهيم وُجَاه دار سعيد بن عثمان التى يقال لها الزوراء بالبقيع ، فهدمت مرتفعاً عن الطريق .

وعن قدامة قال: دَفَن رسول الله صلى الله عليه وسلم إبراهيمَ ابنَه إلى جنب عثمان بن مظعون ، وقبره حذاء زاوية دار عقيل بن أبى طالب من ناحية دار محمد بن زيد

قبر عثمان بن مظعون

وروى ابن شبة عن سعد بن جبير بن مُطْعِم قال : رأيت قبر عثمان بن مظعون عند دار محمد بن على بن الحنفية .

وعن محمد بن قُدَامة عن أبيه عن جده قال : لما دفَنَ النبىُّ صلى الله عليه وسلم عثمان بن مظعون أمَرَ بحَجَر فوضع عند رأسه ، قال قدامة : فلما صفق البقيع وجدنا ذلك الحجر ، فعرفنا أنه قبر عثمان بن مظعون . قال عبد العزيز بن عمران : وسمعتُ بعض الناس يقول : كان عند رأس عثمان بن مظعون ورجليه حجران .

وعن شيخ من بنى مخزوم يدعى عمر قال : كان عثمان بن مظعون أول مَن مات من المهاجرين ، فقالوا : يا رسول الله أين ندفنه ؟ قال : بالبقيع ، قال : فلحَدَ له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفَضَلَ حجرٌ من حجارة لحده ، فحمله

رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه عند رجليه ، فلما ولى مروان بن الحكم المدينة مرَّ على ذلك الحجر فأمر به فرمى به ، وقال : والله لا يكون على قبر عثمان بن مظعون حجر يعرف به ، فأتته بنو أمية فقالوا : بئس ماصنعت ، عمدت إلى حجر وضعه النبى صلى الله عليه وسلم فرميت به ، بئس ما عملت ، فَمُرْ به فليرد ، فقال : أما والله إذ رميتُ به فلا يرد .

وسيأتى فى قبر عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه من رواية ابن زبالة أن مروان جعل ذلك الحجر على قبر عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه .

وروى أبو داود بإسناد حسن عن المطلب بن عبد الله بن حنطب ، ولم يسم الصحابى الذى حدثه ، قال : لما مات عثمان بن مظعون أخرج بجنازته فدفن ، فأمر النبى صلى الله عليه وسلم رجلا أن يأتى بحَجَر فلم يستطع حمله ، فقام إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسَر عن ذراعيه — قال المطلب : قال الذى يخبرنى : كأنى أنظر إلى بياض ذراعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حسر عنهما — ثم حمله فوضعه عند رأسه ، وقال : أتعلّم به قبر أخى ، وأدفن إليه مَنْ مات من أهلى .

ورواه ابن شبة وابن ماجه وابن عدى عن أنس والحاكم عن أبى رافع .

وروى ابن زبالة عن عائشة بنت قدامة قالت : كان القائمُ يقوم عند قبر عثمان ابن مظعون فيَرَى بيتَ النبى صلى الله عليه وسلم ، ليس دونه حجاب .

قبر رقية بنت الرسول

قبر رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

روى الطبرانى برجال ثقات ، وفى بعضهم خلاف ، عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى حديث قال فيه : فلما ماتت رقيةُ بنتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الْحَقِى بسلفنا عثمان بن مظعون .

ورواه ابن شبة ، ولفظه : لما ماتت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الْحَقِى بسلفنا الخير عثمان بن مظعون ، قال : وبكى النساء ، فجعل عمر يضربهن بسَوْطه ، فأخذ النبى صلى الله عليه وسلم بيده وقال :

دَعْهن يا عمر ، و إيّاكن ونَعيقَ الشيطان فإنه مهما يكن من العين والقلبِ فمن الله ومن الرحمة ، ومهما يكن من اللسان ومن اليد فمن الشيطان ، قال : فبكَتْ فاطمة رضى الله تعالى عنها على شَفير القبر ، فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يَمْسَحُ الدموع عن عينها بطرف ثوبه .

قال ابن شبة عقبه : وروى خلافه ، أى من حيث حضوره صلى الله عليه وسلم لذلك ، ثم روى عن عروة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خَلَّف عثمان بن عفان وأسامة بن زيد على رقية وهى وَجِعَة أيام بدر .

وعن الزهرى أن يزيد بن حارثة جاء بشيراً بوقعة بدر ، وعثمان قائم على قبر رقية يدفنها .

قلت : هذا هو المشهور ، والثابت فى الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم حضر دفن ابنته أم كلثوم زوجة عثمان رضى الله تعالى عنه ، فلعل الخبر الأول فيها ، أو فى زينب أختها ، فإنها توفيت سنة ثمان بالمدينة ، والظاهر أنهن جميعاً عند عثمان ابن مظعون ؛ لما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم « وأدفن إليه مَنْ مات من أهلى » ويحتمل أن بعضهن هى التى وجد قبرها عند حفر الدعامة التى أمام المصلى الشريف ، كما سيأتى فى قبر فاطمة الزهراء ، وحصل الوهم فى نسبته لفاطمة ، والله أعلم .

قبر فاطمة بنت أسد

قبر فاطمة بنت أسد رضى الله تعالى عنها أم على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه

روى ابن زبالة عن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب قال : دفَنَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وكانت مهاجرة مبايعة ، بالرَّوْحاء مقابل حمام أبى قطيفة ، قال : ثمّ قبرُ إبراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم وقبر عثمان بن مظعون .

وسيأتى ما نقله ابن شبة فى قبر العباس من قول عبد العزيز بن عمران : إنه دفن عند قبر فاطمة بنت أسد بن هاشم فى أول مَقَابر بنى هاشم التى فى دار عقيل .

قلت : وهذا كله صريح فى مخالفة ما عليه الناس اليومَ من أن قبرها فى المشهد الآتى ذكره ، وأول مَنْ ذكر أنها بذلك المشهد ابنُ النجار ، وتبعه مَن بعده ، ولم أقف له على مستند فى ذلك ، والأثبتُ عندى ما هنا ؛ إذ يبعد أنْ يدفنها النبى صلى الله عليه وسلم بذلك الموضع القاصى ويترك ما قرب من عثمان ابن مظعون وقد قال « وأدفن إليه من مات من أهلى » ، وأيضاً فلا يظهر أن الموضع المعروف بمشهدها من البقيع ؛ لأن مشهد عثمان كما سيأتى ليس من البقيع، وهذا المشهد بطرف زقاق فى شاميه إلى المشرق .

فإن قيل : النخيل التى تقابل هذا المشهد قال ابن النجار : إنها تعرف بالحمام، وقد قال فى الرواية الأولى « مقابل حمام أبى قطيفة » .

قلت : الظاهر أن ذلك منشأ الوهم فى ذلك ، وبقيةُ الرواية المذكورة .

ومما نقله ابن شبة يدفع ذلك ويبين أن المراد موضع كان يعرف بحمام أبى قطيفة بجهة مشهد سيدنا إبراهيم ، وكأن ابن النجار لم يقف إلا على صدر الرواية الأولى؛ فإنه قال : قبر فاطمة بنت أسد وعليها قبة فى آخر البقيع ، ثم ذكر صدر الرواية الأولى إلى قوله : مقابل حمام أبى قطيفة ، ثم قال : واليوم يقابلها نخل يعرف بالحمام ، انتهى .

على أن النخيل التى بقرب هذا المشهد هى التى تقابله من جهة المشرق والشام، وإنما يعرف قديماً وحديثاً بالخضارى ، وإنما يعرف بالحمام النخلُ الذى فى شامى مشهد سيدنا إبراهيم عند الكومة ، وهو بعيد من المشهد المعروف بفاطمة ، وإن كان فى جهة مقابلته من المغرب ، ومن تأمل ذلك علم أن التعريف به لما

هو فى جهة مشهد سيدنا إبراهيم أقربُ ، فهو شاهد لنا ، وأيضاً فاسم الحمام مذكور لمواضع بالمدينة ، ولهذا أضافه إلى أبى قطيفة .

وقد روى ابن زبالة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بموضع حمام عبيدالله ابن حسين الذى اشترى محمد بن زيد ، فقدمه إلى البقيع قليلا ، فقال : نعم موضع الحمام .

القبور التى نزلها الرسول

ونقل ابن شبة عن عبد العزيز بن عمران ما حاصله أن النبى صلى الله عليه وسلم لم ينزل فى قبر أحد قط إلا خمسة قبور ، ثلاث نسوة ورجلين ، منها قبر خديجة بمكة ، وأربع بالمدينة : قبر ابن خديجة كان فى حجر النبى صلى الله عليه وسلم وتربيته ، وهو على قارعة الطريق بين زقاق عبد الدار وبين البقيع الذى يتدافن فيه بنو هاشم ، وقبر عبدالله المزنى الذى يقال له ذو البِجَادين ، وقبر أم رومان أم عائشة بنت أبى بكر ، وقبر فاطمة بنت أسد أم علىّ ، فأما ذو البجادين فإن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لما أقبل مُهَاجراً وسَلَكَ ثنية الغابر وَعُرَتْ عليه الطريق وغلظت ، فأبصره ذو البِجادين فقال لأبيه : دَعْنِى أدُلّهم على الطريق ، فأبى ، فنزع ثيابه وتركه عُرْيَاناً ، فاتخذ عبدُ الله بجادا من شعر فطرحه على عَوْرَته ، ثم عدا نحوَهم ، فأخذ بزِمام راحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر قدومه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ وموته ودفنه .

ثم قال : وأما قبر فاطمة بنت أسد أم علىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما فإن عبد العزيز حدث ، وذكر سَنَده إلى محمد بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما ، قال : لما استقر بفاطمة وعلم بذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا توفيت فأعلمونى ، فلما توفيت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر بقبرها فحفر فى موضع المسجد الذى يقال له اليوم قبر فاطمة ، ثم لَحَدَ لها لحداً ، ولم يضرح لها ضريحاً ، فلما فرغ منه نزل فاضطجع فى اللحد ، وقرأ فيه القرآن ، ثم نزع قميصه فأمر أن تكفَّنَ فيه ، ثم صلى عليها عند قبرها ، فكبر تسعاً

وقال : ما أعنى أحد من ضغطة القبر إلا فاطمة بنت أسد ، قيل : يا رسول الله ولا القاسم ؟ قال : ولا إبراهيم ، وكان إبراهيم أصغرهما .

قلت : وقوله فى موضع المسجد إلى آخره يقتضى أنه كان على قبرها مسجد يعرف به فى ذلك الزمان .

وروى ابن شبة عن جابر بن عبد الله قال : بينا نحن جلوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أتاه آت فقال : يا رسول الله ، إن أم على وجعفر وعقيل قد ماتت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا إلى أمى ، فقمنا وكأن على رؤوسنا من معه الطير ، فلما انتهينا إلى الباب نَزَعَ قميصَه فقال : إذا غسلتموها فأشعروها إياه تحت أكفانها ، فلما خرجوا بها جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة يحمل ، ومرة يتقدم ، ومرة يتأخر ، حتى انتهينا إلى القبر فتمعَّكَ فى اللحد ثم خرج فقال : أدْخِلُوها باسم الله وعلى اسم الله ، فلما أن دفنوها قام قائماً فقال : جَزَاكِ الله من أم ورُبيبة خيراً ، فنعم الأم ونعم الربيبة كنت لى ، قال : فقلنا له أو قيل له : يا رسول الله لقد صنعت شيئين ما رأيناك صنعت مثلهما قط ، قال : ما هو ؟ قلنا : نزعك قميصك وتمعكك فى اللحد ، قال : أما قميصى فأريد أن لا تمسها النار أبداً إن شاء الله تعالى ، وأما تمعكى فى اللحد فأردتُ أن يوسَّعَ الله عليها فى قبرها .

وروى بن عبدالبر عن ابن عباس قال : لما ماتت فاطمة أمُّ على بن أبى طالب ألبَسَها رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه ، واضطجع معها فى قبرها ، فقالوا : ما رأيناك صنعت ما صنعت بهذه ! فقال : إنه لم يكن أحد بعد أبى طالب أبرَّ لى منها ، إنما ألبستها قميصى لتكسى من حُلَل الجنة ، واضطجعت معها ليهون عليها .

وفى الكبير والأوسط بسند فيه روح بن صلاح وثقه ابن حِبَّان والحاكم وفيه ضعف ، وبقية رجاله رجال الصحيح ، عن أنس بن مالك قال : لما ماتت فاطمة بنت أسد دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس عند رأسها ،

فقال : رحمكِ الله يا أمى بعد أمى ، وذكر ثناءه عليها وتكفينها ببُرْده ، قال : ثم دعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصارى وعمر بن الخطاب وغلاما أسْوَدَ يحفرون ، فحفروا قبرها ، فلما بلغوا اللحد حَفَره رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ، وأخرج ترابه بيده ، فلما فرغ دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فاضطجع فيه ، ثم قال : الله الذى يحيى و يميت وهو حى لا يموت ، أغفر لأمى فاطمة بنت أسد ، ووسِّعْ عليها مَدْخَلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلى ، فإنك أرحَمُ الراحمين ، وكبر عليها أربعا ، فأدخلها اللحد هو والعباس وأبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنهم .

قبر عبد الرحمن بن عوف

قبر عبدالرحمن ابن عوف

روى ابن زبالة عن حميد بن عبد الرحمن قال : أرسلت عائشة إلى عبد الرحمن ابن عوف حين نزل به الموت أنْ هلم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم و إلى أخَوَيْكَ ، فقال : ما كنت مُضَيِّقاً عليك بيتك ، إنى كنتُ عاهدت ابن مظعون أينا مات دفن إلى جانب صاحبه ، قالت : فمروا به علىّ ، فمروا به عليها فصلّتْ عليه .

وروى ابن شبة عن حفص بن عثمان بن عبد الرحمن نحوَهُ ،

وعن عبد الواحد بن محمد عن عبد الرحمن بن عوف أنه أوصى إنْ هَلَكَ بالمدينة أن يدفن إلى عثمان بن مظعون ، فلما هلك حفر له عند زاوية دار عقيل الشرقية ، فدفن هناك ، عليه ثوبُ حِبَرَة من العَصْب ، أتمارى أن يكون فيه لحمة ذهب أولا .

قبر سعد بن أبى وقاص

قبر سَعْد بن أبى وَقّاص

روى ابن شبة عن ابن دهقان قال : دعانى سعد بن أبى وقاص فخرجت معه إلى البقيع ، وخرج بأوتاد ، حتى إذا جاء من موضع زاوية عقيل الشرقية الشامية أمرنى فحفرت ، حتى إذا بلغت باطن الأرض ضرب فيها الأوتاد ثم قال : إن هلكت فادُلُّهم على هذا الموضع يدفنونى به ، فلما هلك قلت ذلك لولده ، فخرجنا حتى دللتهم على ذلك الموضع ، فوجَدُوا الأوتاد ، فحفروا له هناك ودفنوه .

قبر عبد الله ابن مسعود

قبر عبد الله بن مسعود

روى ابن سعد فى طبقاته عن أبى عبيدة بن عبد الله أن ابن مسعود قال : ادْفِنُونى عند قبر عثمان بن مظعون .

وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال : مات عبد الله بن مسعود بالمدينة ، ودفن بالبقيع ، سنة اثنتين وثلاثين .

قبر خنيس ابن حذافة

قبر خنيس بن حذافة السهمى

كان زوج حفصة بنت عمر قَبْلَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وهو من المهاجرين الأولين أصحاب الهجرتين ، نالَتْهُ جراحة يوم أحد ، فمات بسببها بالمدينة .

قال أبو عبد الله محمد بن يوسف الزرندى المدنى فى سيرته : توفى فى السنة الثالثة من الهجرة ، ودفن عند عثمان بن مظعون ، قال : وكان عثمان بن مظعون توفى قبله فى شعبان من السنة المذكورة ، ونقل ابن الجوزى أن عثمان توفى فى السنة الثانية ، اهـ . وما قدمناه من موت خنيس بعد أحد من جراحة نالته يوم أحد هو ما جزم به ابن عبد البر ، وتبعه عليه الذهبى ، ويشكل عليه ما سبق فى الفصل الثانى عشر من الباب الثالث من أن أحدا كانت فى شوال سنة ثلاث باتفاق الجمهور ، وقيل : أربع ، وأنه صلى الله عليه وسلم تزوج بحفصة بنت عمر فى شعبان من السنة الثالثة على الأصح ، وقيل : فى الثانية ؛ فلا يصح ما جزم به ابن عبد البر ، إلا أن يكون خنيس قد طَلَّقها كما أشار إليه الذهبى ، لكن قد وهم الحفَّاظ ابن عبد البر فى قوله « إن خنيساً استشهد بأحد بسبب تلك الجراحة » وإنما توفى قبلها بالمدينة ، قال ابن سيد الناس : المعروف أنه مات بالمدينة على رأس خمسة وعشرين شهرا ، وذلك بعد رجوعه من بدر ، اهـ .

قبر أسعد ابن زرارة

قبر أسعد بن زُرَارة أحَدِ بنى غنم بن مالك بن النجار

شهد العَقَبتين كما تقدم ، وتوفى فى الأولى من الهجرة والمسجد يبنى .

قال ابن شبة : قال أبو غسان : وأخبرنى بعض أصحابنا قال : لم أزل أسمعُ أن قبر عثمان بن مظعون وأسعد بن زرارة بالروحاء من البقيع ، والروحاء : المقبرة التى بوسط البقيع يحيط بها طرق مطرقة وسط البقيع .

قبر فاطمة بنت الرسول

قلت : فينبغى أن يسلّم على هؤلاء كلهم عند زيارة مشهد سيدنا إبراهيم بالبقيع بيان قبر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبنيها ، ومَنْ عرفت جهة قبره بالبقيع من بنى هاشم ، وأمهات المؤمنين ، وغيرهم .

روى ابن شبة عن محمد بن على بن عمر أنه كان يقول : إن قبر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم زاوية دار عقيل اليمانية الشارعة فى البقيع .

وعن منبوذ بن حويطب والفضل بن أبى رافع أن قبرها وُجَاه زقاق نبيه ، وأنه إلى زاوية دار عقيل أقرب .

وعن عمر بن علىّ بن حسين بن علىّ أن قبرها حذو الزقاق الذى يلى زاوية دار عقيل ، قال غسان بن معاوية بن أبى مزرّد : إنه ذَرَعَ من حيث أشار له عمر بن على فوجده خمسة عشر ذراعا إلى القناة .

وعن عمر بن عبد الله مولى عفرة أن قبرها حذو زاوية دار عقيل مما يلى دار نبيه .

وعن عبد الله بن أبى رافع أن قبرها مخرج الزقاق الذى بين دار عقيل ودار أبى نبيه .

وذكر إسماعيل راويه أنه ذَرَعَ الموضع الذى ذكر له أبوه فوجد بين القبر وبين القناة التى فى دار عقيل ثلاثة وعشرين ذراعا ، وبين القناة الأخرى سبعة وثلاثين ذراعا .

قال أبو غسان : وأخبرنى مخبر ثقة قال : يقال : إن المسجد الذى يصلى إلى جنبه شرقياً على جنائز الصبيان كان خيمة لامرأة سوداء يقال لها رقية ، جعلها هناك حسين بن على تبصر قبر فاطمة ، وكان لا يعرف قبر فاطمة غيرها .

قال : وأخبرنى عبد العزيز بن عمران عن حماد بن عيسى عن جعفر بن محمد

عن أبيه قال : دفن على فاطمةَ ليلا فى منزلها الذى دخلَ فى المسجد ، فقبرها عند باب المسجد المواجه دار أسماء بنت حسين بن عبد الله ، أى وهو الباب الذى كان فى شامى باب النساء فى المشرق كما تقدم .

قال ابن شبة عقبه : وأظن هذا الحديث غلطا ؛ لأن الثبت جاء فى غيره .

ثم روى بسند جيد عن فائد مولى عبادل ، وهو صدوق ، أن عبيد الله بن على أخبره عمن مضى من أهل بيته أن الحسن بن علىّ قال : ادْفِنُونِى فى المقبرة إلى جنب أمى ، فدفن فى المقبرة إلى جنب فاطمة مُوَاجه الخوخة التى فى دار نبيه بن وهب ، طريقُ الناسِ بين قبرها وبين خوخة نبيه ، أظن الطريق سبعة أذرع .

قال فائد : وقال لى منقد الحفار: إن فى المقبرة قبرين مطابقين بالحجارة ، قبر حَسَن بن على وقبر عائشة زوجة النبى صلى الله عليه وسلم ، فنحن لا نحركها ، فلما كان زمن حسن بن زيد وهو أمير على المدينة استعدى بنو محمد بن عمر بن على ابن أبى طالب على آل عقيل فى قناتهم التى فى دورهم الخارجية فى المقبرة ، وقالوا : إن فاطمة رضى الله تعالى عنها عند هذه القناة ، فاختصموا إلى حسن ، فدعانى حسن فسألنى فأخبرته عن عبيد الله بن أبى رافع ومَنْ بقى من أهلى وعن حسن ابن على وقوله « ادفنونى إلى جنب أمى » ثم أخبرته عن منقد الحفار وعن قبر الحسن أنه رآه مطابقا ، فقال حسن بن زيد : أنا على ماتقول ، وأقر قناة آل عقيل .

ثم ذكر ابن شبة أن أبا غسان حدثه عن عبد الله بن إبراهيم بن عبيد الله أن جعفر بن محمد كان يقول : قبر فاطمة فى بيتها الذى أدخله عمرُ بن عبد العزيز فى المسجد ، قال : ووجدت كتابا كتب عن أبى غسان فيه أن عبد العزيز بن عمران كان يقول : إنها دفنت فى بيتها ، وصنع بها ماصنع برسول الله صلى الله عليه وسلم، إنها دفنت فى موضع فراشها ، ويحتج بأنها دفنت ليلا ، ولم يعلم بها كثير من الناس .

ثم أشار ابن شبة إلى رد ذلك بما حدثه أبو عاصم النبيل قال : حدثنا كهمس ابن الحسن قال : حدثنى يزيد قال : كمدت فاطمة رضى الله تعالى عنها بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وسلم سبعين بين يوم وليلة ، فقالت : إنى لأستحيي من جلالة جسمى إذا أخرجت على الرجال غدا ، وكانوا يحملون الرجال كما يحملون النساء فقالت أسماء بنت عميس أو أم سلمة : إنى رأيت شيئاً يصنع بالحبشة ، فصنعت النعش ، فاتخذ بعد ذلك سنة .

وسيأتى من رواية ابن عبد البر مايؤيده .

وروى ابن شبة عن سلمى زوج أبى رافع قالت : اشْتَكَتْ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصبحت يوما كأمْثَلِ ما كانت تكون ، وخرج على فقالت: يا أمتاه اسبكى لى غسلا ، ثم قامت فاغتسلت كأحْسَن ما كانت تغتسل ثم قالت : هاتِ ثيابى الجُدُدَ ، فأعطتها إياها ، فلبستها ثم جاءت إلى البيت الذى كانت فيه فقالت : قَدِّمِى الفراش إلى وسط البيت ، فقدَّمته فاضطجعت واستقبلت القبلة ووضعت يدها تحت خدها ثم قالت : ياأمتاه إنى مقبوضة الآن ، وإنى قد اغتسلت فلا يَكْشِفُنى أحد ، قال : فقبضت مكانها ، وجاء علىّ فأخبرته فقال: لاجرم والله لايكشفها أحد ، فحملها بغسلها ذلك فدفنها .

ثم روى ابن شبة عقبه عن أسماء بنت عميس قالت : غسلت أنا وعلى ابن أبى طالب بنتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وروى البيهقى بإسناد حسن عن أسماء بنت عميس أن فاطمة أوْصَتْ أن تغسلها هى وعلى ، فغسلاها .

ثم تعقبه بأن هذا فيه نظر ؛ لأن أسماء فى هذا الوقت كانت عند أبى بكر الصديق ، وقد ثبت أن أبا بكر لم يعلم بوفاة فاطمة ؛ لما فى الصحيح أن عليا دفنها ليلا ، ولم يُعْلم أبا بكر ، فكيف يمكن أن تغسلها زوجته وهو لايعلم ؟

وأجاب فى الخلافيات باحتمال أن أبا بكر علم بذلك ، وأحَبَّ أن لايرد غرض

على فى كتمانه منه ، قال الحافظ ابن حجر : ويمكن أن يجمع بأن أبا بكر علم بذلك وظن أن عليا سيدعوه لحضور دفنها ليلا ، وظن على أنه يحضر من غير استدعاء منه .

وقد احتج بحديث بنت عميس هذا أحمدُ وابن المنذر ، وفى جزمهما بذلك دليل على صحته عندهما فيبطل ماروى أنها غسلت نفسها وأوصت أن لايعاد غسلها

وقد رواه أحمد ، وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات ، وأفحش القول فى ابن إسحاق راويه .

وتولى ردّ ذلك عليه ابنُ عبد الهادى فى التنقيح .

قلت: وعلى كل تقدير فحديث بنت عميس أرجح ؛ للأدلة الدالة على وجوب غسل الميت مطلقا ، وليس فى حديث الصحيح أن أبا بكر ماعلم بوفاة فاطمة ، بل أن عليا دفنها ولم يُعْلمه .

وقد روى ابن عبد البر خبر أسماء بأتمّ من ذلك ، وفيه علم أبى بكر بموتها ، وذلك من طريق عون بن محمد بن على بن أبى طالب عن أمه أم جعفر بنت محمد ابن جعفر .

وعن عمارة بن المهاجر عن أم جعفر أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لأسماء بنت عُمَيس : يا أسماء ، إنى قد استقبحت ما يُصْنَع بالنساء إنه يُطْرَح على المرأة الثوب فَيَصِفُها ، قالت أسماء : ياابنة رسول الله ألا أريك شيئاً رأيته بأرض الحبشة ؟ فدعَتْ بجرائد رَطْبَة فحنتها ثم طرحت عليها ثوبا ، فقالت فاطمة : ما أحسن هذا وأجمله ؟ تُعْرَفُ به المرأة من الرجل ، فإذا أنامُتُّ فاغسليني أنت وعلى ، ولاتدخلى علىّ أحدا ، فلما توفيت جاءت عائشة تدخل فقالت أسماء : لاتدخلى ، فشكت إلى أبى بكر قالت : إن هذه الخَثْعَمية تَحُولُ بيننا وبين بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد جعلت لها مثل هَوْدَج العروس فجاء أبو بكر فوقف على الباب فقال : ياأسماء ، ماحملك على أن مَنَعْتِ أزواجَ

النبى صلى الله عليه وسلم أن يدخلن على بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلت لها مثل هَوْدَج العروس ؟ فقالت : أمرتنى أن لا يدخل عليها أحد ، وأريتها هذا الذى صنعت وهى حية فأمرتنى أن أصنع ذلك لها، قال أبو بكر : فاصنعى ما أمرتك، ثم انصرف ، وغسلها علىّ وأسماء رضى الله تعالى عنهما .

وقد خرّج الدولابى معنى ذلك مختصراً ، وفيه أنها لما أرتها النعش تبسمت، وما رؤيت متبسمة ـ يعنى بعد النبى صلى الله عليه وسلم ـ إلا يومئذ .

وخرج أيضاً أن الوصية كانت إلى علىّ بأن يغسلها هو وأسماء ، ويجوز أن تكون أوصت إلى كل منهما .

قال ابن عبد البر : فاطمة أول مَنْ غطى نعشها من النساء فى الإسلام على الصفة المذكورة فى الخبر المتقدم ، ثم بعدها زينب بنت جحش صنع بها ذلك . وتوفيت فاطمة يوم الثلاثاء لثلاث خلت من شهر رمضان سنة إحدى عشرة ، وكانت أشارت على زوجها أن يدفنها ليلا .

قلت : لعلها أرادت بذلك المبالغة فى التستر ، وهو السبب فى عدم إعلام أبى بكر رضى الله تعالى عنه . ويتأيد بذلك رواية دَفنها بالبقيع ، وهو مقتضى صنيع ابن زبالة فى إيراد الروايات الدالة على ذلك .

قبر بعض أبناء الإمام على بن أبى طالب

وقال المسعودى فى مروج الذهب : إن أبا عبد الله جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على رضى الله تعالى عنهم توفى سنة ثمان وأربعين ومائة ، ودفن بالبقيع مع أبيه وجده ، قال : وعلى قبورهم فى هذا الموضع من البقيع رُخامة عليها مكتوب : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله مبيد الأمم ، ومحيى الرمم ، هذا قبر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدة نساء العالمين ، وقبر الحسن بن على ، وعلى بن الحسين بن على ، وقبر محمد بن على، وجعفر بن محمد ، عليهم السلام، انتهى. وذكر ما يقتضى أنه حين ذكر هذا كان فى سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة .

المتوكل يأمر بهدم قبر الحسين بن على

وإنما أوجب عدم العلم بعين قبر فاطمة رضى الله تعالى عنها وغيرها من السلف ما كانوا عليه من عدم البناء على القبور وتجصيصها ، مع ما عرض لأهل البيت رضى الله تعالى عنهم من مُعَاداة الولاة قديماً وحديثاً ، حتى ذكر المسعودى أن المتوكل أمر فى سنة ست وثلاثين ومائتين المعروفَ بالزبرج بالمسير إلى قبر الحسين ابن على رضى الله تعالى عنهما ونَحْو أرضه وهَدْمه وإزالة أثره ، وأن يعاقب مَنْ وجد به ، فبذل الرغائب لمن يقدم على ذلك ، فكل خشى عقوبة الله فأحجم ، فتناول الزبرج مِسْحَاة وهَدَم أعالى قبر الحسين ، فحينئذ أقدم الفَعَلة على العمل فيه ، وانتهوا إلى الحفيرة وموضع اللحد فلم يجدوا فيه أثر رِمَّة ولا غيرها ، ولم يزل الأمر على ذلك حتى استخلف المنتصر ، انتهى .

ويتلخص مما تقدم أن المعتمد أن قبرها بالبقيع عند قبر الحسن ، وقيل : فى بيتها ، ويتفرع عليه قولان : أحدهما ما تقدم عن عبد العزيز من أن محله من المسجد ما يقابل الباب الذى يواجه دار أسماء بنت حسين ، يعنى شامى باب النساء وهو بعيد جداً ، وثانيهما حكاه العز بن جماعة وقال : إنه أظهر الأقوال ، وهو أنه فى بيتها ، وهو مكان المحراب الخشب الذى داخل مقصورة الحجرة الشريفة من خلفها ، وقد رأيت خُدَّام الحجرة يجتنبون دَوْس ما بين المحراب المذكور وبين الموضع المزور من الحجرة الشريفة الشبيه بالمثلث ، ويزعمون أنه قبر فاطمة رضى الله تعالى عنها .

وقد سبق فى الفصل التاسع والعشرين من الباب الرابع أنهم لما أسَّسُوا دعائم القبة الكبرى المحاذية لأعلى الحجرة الشريفة أسسوا أسطوانة هناك زادوها عند الصفحة الشرقية من الموضع الشبيه بالمثلث خلف الحجرة ، فوجدوا قبراً بدا لحده وبعضُ عظامه ، وحصل للناس فى ذلك اليوم أمر عظيم ومشقة زائدة فيما أخبرنى به شيخ الخدام السيفى قائم وغيره .

وحكى ابن جماعة فى قبر فاطمة رضى الله تعالى عنها قولين آخرين : أحدهما : أنه الصندوق الذى أمام مصلى الإمام بالروضة الشريفة ، قال : وهو بعيد جداً .

قلت : لم أقف له على أصل ، ولعله اشتبه على قائله بالمحراب المتقدم ذكره فى بيتها ؛ لأن عنده مصلى شبه حوض كالمصلى بالروضة ، وأمامه صندوق هو المحراب المذكور ، لكن سبق فى الفصل الثالث من الباب الرابع أنهم لما أسسوا فى محل الصندوق المحترق الدعامة التى بها محراب المصلى النبوى ، وهو مصلى الإمام ، وجدوا هناك قبراً بدا لحده مسدوداً باللبن أخرجوا منه بعض العظام ، وأن الأقدمين حرفوا أساس الأسطوانة التى عنده عنه ، فالله أعلم .

وثانيهما : أنه بالمسجد المنسوب إليها بالبقيع ، يعنى الذى بالقرب من قبة العباس رضى الله تعالى عنه من جهة القبلة جانحاً إلى المشرق .

وقد ذكر الغزالى هذا المسجد فى زيارة البقيع فقال : ويستحب له أن يخرج كلَّ يوم إلى البقيع بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر القبور التى تزار ، وقال عند ذكر قبر الحسن : ويصلى فى مسجد فاطمة ، وذكره أيضاً غيره .

وقال : إنه المعروف ببيت الحزن ؛ لأن فاطمة رضى الله تعالى عنها أقامت به أيام حزنها على أبيها صلى الله عليه وسلم ، ولم يذكر دفنها به ، والقول بذلك من فروع القول بدفنها بالبقيع ، لكنه بعيد من الروايات السابقة لبعده جداً من دار عقيل وعن قبر الحسن .

وقال المحب الطبرى فى « ذخائر العقبى ، فى فضائل ذوى القربى » : أخبرنى أخ لى فى الله أن الشيخ أبا العباس المرسى رحمه الله تعالى كان إذا زار البقيع وقف أمام قبلة قبة العباس وسلم على فاطمة عليها السلام ، ويذكر أنه كُشِف له عن قبرها هناك .

قال الطبرى : فلم أزل أعتقد ذلك لاعتقادى صدقَ الشيخ ، حتى وقفت على ما ذكره ابن عبد البر من أن الحسن لما توفى دفن إلى جنب أمه فاطمة رضى الله تعالى عنها ، فازددت يقيناً .

قلت : وهو أرجح الأقوال ، والله أعلم .

قبر ابنها الحسن بن على ، ومن معه

قبر الحسن ابن على

وما روى من نقل بَدَن على ورأس الحسين إلى البقيع رضى الله تعالى عنهم

وروى ابن شبة عن فائد مولى عبادل أن عبيد الله بن على أخبره عمن مضى من أهل بيته أن حسن بن على رضى الله تعالى عنهما أصابه بطن ، فلما حز به وعرف من نفسه الموت أرسَلَ إلى عائشة رضى الله تعالى عنهما أن تأذن له أن يُدْفَنَ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت له : نعم ، ما كان بقى إلا موضع قبر واحد ، فلما سمعت بذلك بنو أمية استلأموا هم وبنو هاشم للقتال ، وقالت بنو أمية : والله لا يُدْفَنُ فيه أبداً ، فبلغ ذلك حسن بن على رضى الله تعالى عنهما ، فأرسل إلى أهـله أما إذا كان هذا فلا حاجة لى به ، ادفنونى فى المقبرة إلى جنب أمى فاطمة ، فدفن فى المقبرة إلى جنب فاطمة رضى الله تعالى عنها .

وعن نوفل بن الفرات نحوه ، وفيه أن الحسن قال للحسين : لعل القوم أن يمنعوك إذا أردت ذلك كما منعنا صاحبهم عثمان بن عفان، ومروانُ بن الحكم يومئذ أمير على المدينة ، وقد كانوا أرادوا دفن عثمان فى البيت فمنعوهم ، فإن فعلوا فلا تُلَاحِهِمْ فى ذلك وادفنِّى فى بقيع الغرقد ، ثم ذكر منع مروان ، وأن الحسين لما بلغه ذلك استلأم فى الحديد واستلأم مروانُ فى الحديد أيضاً ، فأتى رجل حسيناً فقال : يا أباعبد الله ، أتعصى أخاك فى نفسه قبل أن تدفنه ؟ قال: فوضع سلاحه ، ودفنه فى بقيع الغرقد .

وفى رواية لابن عبد البر أنهم لما استلأموا فى السلاح بلغ ذلك أبا هريرة رضى الله تعالى عنه ، فقال : والله ما هو إلا ظلم ، يمنع الحسن أن يدفن مع أبيه ؟ والله إنه لابنُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، ثم انطلق إلى الحسين وكلمه وناشده الله وقال له : أليس قد قال أخوك إن خفت أن يكون قتال فردونى إلى مقبرة المسلمين ؟ فلم يزل به حتى فعل .

تسمية من دفن مع الحسن

وذكر ابن النجار أن مع الحسن رضى الله تعالى عنه فى قبره ابن أخيه زين العابدين على بن الحسين ، وأبا جعفر الباقر محمد بن زين العابدين ، وجعفرا الصادق ابن الباقر ، رضوان الله عليهم أجمعين . وذكر الغزالى نحوه .

دفن على بالبقيع

وروى الزبير بن بكار من طريق شريك بن عبد الله عن أبى روق قال : حمل الحسن بدن على بن أبى طالب فدفنه بالبقيع .

قلت : وقد اتفق فى سنة بضع وستين وثمانمائة حفر قبر بمشهد الحسن والعباس أمام قبلته ، فوجدوا فسقية فيها تابوت من خشب مُغَشًّى بشىء أحمر يشبه اللباد الأحمر مسمر بمسامير لها بريق و بياض لم تصدأ، وتعجب الناس لكونها لم تصدأ ولعدم بلاء ذلك الغشاء .

وأخبرنى جمع كثير ممن شاهد ذلك ، وأن على مدخل تلك الفسقية أحجاراً من المسن ، فلعله بدن على رضى الله تعالى عنه .

دفن رأس الحسين بن على

وذكر محمد بن سعيد أن يزيد بن معاوية بعث برأس الحسين، رضى الله تعالى عنه إلى عمرو بن سعيد بن العاص ، وكان عامله على المدينة ، فكفنه ودفنه بالبقيع عند قبر أمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . لكن ذكر ابن أبى الدنيا أنهم وجدوا فى خزانة ليزيد رأسَ الحسين فكفنوه ودفنوه بدمشق عند باب الفراديس . وقيل غير ذلك ، ولا بأس بالسلام على هؤلاء كلهم عند زيارة هذا المشهد .

قبر العباس بن عبدالمطلب

* قبر العباس بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه *

قال ابن شبة فيما نقله عن أبى غسان : قال عبد العزيز : دفن العباس بن عبد المطلب عند قبر فاطمة بنت أسد بن هاشم فى أول مقابر بنى هاشم التى فى دار عقيل ، فيقال : إن ذلك المسجد بنى قبالة قبره ، قال : وقد سمعت من يقول : دفن فى موضع من البقيع متوسطا .

قبر صفية بنت عبدالمطلب

* قبر صفية بنت عبد المطلب رضى الله تعالى عنها *

قال عبد العزيز فيما نقله ابن شبة : توفيت صفية فدفنت فى آخر الزقاق الذى يخرج إلى البقيع عند باب الدار التى يقال لها دار المغيرة بن شعبة التى أقطعه عثمان ابن عفان لازقا بجدار الدار ، قال عبد العزيز : فبلغنى أن الزبير بن العوام اجتاز بالمغيرة وهو يبنى داره ، فقال : يامغيرة ارْفَعْ مطمرك[٢] عن قبر أمى ، فأدخل المغيرة جداره ، فالجدار اليوم منحرف فيما بين ذلك الموضع و بين باب الدار .

قال عبد العزيز : وقد سمعت مَنْ يذكر أن المغيرة بن شعبة أبى أن يفعل ذلك لمكانه من عثمان ، فأخذ الزبير السيفَ ثم قام على البناء ، فبلغ الخبرُ عثمانَ ، فأرسل إلى المغيرة يأمره بالمصير إلى ما أمره به الزبير ، ففعل .

وروى ابن زبالة عن محمد بن موسى بن أبى عبد الله قال : كان قبر صفية بنت عبد المطلب عند زاوية دار المغيرة بن شعبة الوضوء عليه[١] ، فلما بنى المغيرة داره أراد أن يقيم المطمر عليه[٢] ، قال : فقال الزبير : لا ، والله لاتبنى على قبر أمى ، فكفّ عنه .

قلت : والمعروف أن ذلك هو المشهد الآتى ذكره خارج باب البقيع ، والله أعلم .

قبر أبى سفيان ابن عبدالمطلب

* قبر أبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وما قيل فى قبر عقيل وابن أخيه عبد الله بن جعفر ، رضى الله تعالى عنهم *

(١) كذا ، ولا معنى له ولم يتجه لى تصحيحه

(٢) المطمر ـ كمنبر ـ والمطمار أيضا : خيط البناء التى يقدر به

قال ابن شبة : قال عبد العزيز : بلغنى أن عقيل بن أبى طالب رأى أبا سفيان ابن الحارث يجول بين المقابر ، فقال : يا ابن عَمّ مالى أراك هنا ؟ قال : أطلب موضع قبر ، فأدخله داره وأمر بقبر فحفر فى قاعتها ، فقعد عليه أبو سفيان ساعةً ثم انصرف ، فلم يلبث إلا يومين حتى توفى فدفن فيه .

وقال الموفق بن قدامة : قيل عن أبى سفيان : إنه حفر قبره بنفسه قبل موته بثلاثة أيام ، قال : وكان سبب موته أنه حجّ فلما حلق الحلاق رأسه قطع ثُؤلُولاً كان فى رأسه ، فلم يزل مريضا حتى مات بعد مَقْدَمه من الحج سنة عشرين ، ودفن فى دار عقيل ، وصلى عليه عمر رضى الله تعالى عنهم .

قلت : والظاهر أنه بالمشهد المنسوب اليوم لعقيل ؛ لأن ابن زبالة وابن شبة لم يذكرا قبر عقيل بالبقيع ، وكذا الغزالى لما ذكر فى الإحياء مَنْ يزار بالبقيع لم يذكره ، بل المنقول الذى ذكره ابن قدامة وغيره أن عقيلا توفى بالشام فى خلافة معاوية ، فكان سبب اشتهار ذلك المشهد به كون الدار التى هو بها له ؛ ويحتمل على بُعْدٍ أنه نقل من الشام ودفن بذلك المحل أيضا ، وأولُ من رأيته ذكر أنه بذلك المشهد ابن النجار ، فقال : وقبر عقيل بن أبى طالب أخى على رضى الله تعالى عنهما فى قبة أول البقيع ، ومعه فى القبر ابن أخيه عبد الله بن جعفر الطيار ابن أبى طالب ، وهو الجواد المشهور رضى الله تعالى عنه .

قبر عبد الله بن جعفر الطيار

وقد ذكر أبو اليقظان أن عبد الله بن جعفر الجواد كان أجود العرب ، وأنه توفى بالمدينة وقد كبر ، وقال غيره : توفى ودفن بالأبواء سنة تسعين ، ويقال : إنه كان ابن عشر سنين حين قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قبور أمهات المؤمنين

* قبور أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ، ورضى الله تعالى عنهن *

روى ابن زبالة عن محمد بن عبيد الله بن على قال : قبور أزواج النبى صلى الله عليه وسلم من خَوْخة نبيه إلى الزقاق الذى يخرج إلى البقال مستطيرة ؛ وترجم ابن شبة لقبر أم حبيبة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم روى عن زيد بن

السائب قال : أخبرنى جدى قال : لما حفر عقيل بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فى داره بئرا وقع على حجر منقوش مكتوب فيه « قبر أم حبيبة بنت صخر بن حرب » فدفَنَ عقيلٌ البئر ، و بنى عليه بيتاً ، قال ابن السائب : فدخلت ذلك البيت فرأيت فيه ذلك القبر .

قلت : فهذا وما قبله أصلٌ فى زيارتهن بالمشهد المعروف بهن فى قبلة مشهد عقيل رضى الله عنه ، والظاهر أن خوخة نبيه فى غربى المشهد المذكور ، وكذا الزقاق الذى يخرج إلى البقال ؛ لما سيأتى فى ترجمته ، فيكون بعضهن بقرب الحسن والعباس رضى الله تعالى عنهما ، ولهذا روى ابن شبة عن محمد بن يحيى قال : سمعت مَنْ يذكر أن قبر أم سلمة رضى الله تعالى عنها بالبقيع حيث دفن محمد بن زيد بن علىّ قريبا من موضع فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه كان حَفَر فوجد على ثمانية أذرع حجرا مكسورا مكتوبا فى بعضه « أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم » فبذلك عرف أنه قبرها .

وقد أمر محمد بن زيد بن على أهلَه أن يدفنوه فى ذلك القبر بعينه ، وأن يحفروا له عمقا ثمانية أذرع ، فحفر كذلك ودفن فيه .

وروى ابن زبالة عن إبراهيم بن على بن حسن الرافعى قال : حفر لسالم البانكى مولى محمد بن علىّ فأخرجوا حجرا طويلا فإذا فيه مكتوب « هذا قبر أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم » وهو مقابل خوخة آل نبيه بن وهب ، قال : فأهِيلَ عليه التراب وحفر لسالم فى موضع آخر .

وعن حسن بن على بن عبيد الله بن محمد بن عمر بن علىّ أنه هدم منزله فى دار على بن أبى طالب ، قال : فأخرجنا حجرا مكتوباً فيه « هذا قبر رَمْلَة بنت صخر » قال : فسألنا عنه فائدا مولى عبادل فقال : هذا قبر أم حبيبة ابنة أبى سفيان ، ويخالفه ما تقدم من أن قبرها فى دار عقيل ، ولعله تصحف بعلى .

وفى صحيح البخارى أن عائشة رضى الله تعالى عنها أوْصَتْ عبدَ الله بن

الزبير لا تدفنى معهم ، تعنى النبى صلى الله عليه وسلم وصاحبيه ، وادفنى مع صَوَاحبى بالبقيع .

وروى ابن زبالة عن فائد مولى عبادل قال : قال لى منقد الحفّار : فى المقبرة قبران مطابقان بالحجارة : قبر حسن بن على ، وقبر عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ؛ فنحن لا نحركهما .

قلت : وأمهات المؤمنين كلهن بالمدينة ، إلا خديجة فبمكة ، وإلا ميمونة فبسَرِف .

قبر الشهيد عثمان بن عفان

* قبر أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه *

وروى ابن شبة عن الزهرى قال : جاءت أمُّ حَبيبة بنتُ أبى سفيان رضى الله تعالى عنهما فوقفت على باب المسجد ، فقالت : لَتُخَلُّنَّ بينى وبين دَفْن هذا الرجل أو لأَكْشِفَنَّ ستر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخلّوها ، فلما أمْسَوْا جاء جُبَير بن مطعم وحكيم بن حزام وعبد الله بن الزبير وأبو الجهم بن حذيفة وعبد الله ابن حسل ، فحملوه فانتهوا به إلى البقيع ، فمنعهم من دَفْنه ابنُ بحرة ، ويقال : ابن نحرة الساعدى ، فانطلق به إلى حش كوكب ، وهو بستان بالمدينة ، فصلّى عليه جُبَير ودفنوه وانصرفوا .

وعن عروة بن الزبير قال : منعهم من دَفْن عثمان بالبقيع أسْلَم بن أوس بن بحرة الساعدى ، فانطلقوا به إلى حش كوكب ، فصلى عليه حكيم بن حزام ، وأدْخل بنو أمية حش كوكب فى البقيع .

وعن عثمان بن محمد الأخنسى عن أم حكيمة قالت : كنت مع الأربعة الذين دَفَنُوا عثمان بن عفان : جُبَير بن مطعم ، وحكيم بن حزام ، وأبو جهم بن حذيفة ، ونيار بن مكرم الأسلمى ، وحملوه على بابٍ أسمع قرع رأسه على الباب كأنه دباة ، ويقول : دب دب ، حتى جاؤا به حش كوكب فدفن به ، ثم هد عليه الجدار وصلى عليه هناك .

قال : وحش كوكب : موضع فى أصل الحائط الذى فى شرقى البقيع الذى يقال له خضراء أبان ، وهو أبان بن عثمان .

قلت : ولذلك تسمى تلك الناحية إلى اليوم بالحضارى .

وفى طبقات ابن سعد عن مالك بن أبى عامر قال : كان الناس يتوقّونَ أن أن يدفنوا موتاهم فى حُشّ كوكب ، فكان عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه يقول : يوشك أن يهلك رجل صالح فيدفن هناك فيأتسى الناسُ به ، قال : فكان عثمان أول من دفن به .

وروى ابن شبة عن عبد الله بن فروج قال : كنا مع طلحة فقال لى ولابن أخيه عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله : انطلقا فانظرا ما فَعَلَ الرجل ، قال : فدخلنا فإذا هو مُسَجًّى بثوب أبيض ، فرجعنا إلى طلحة فأخبرناه ، فقال : قوموا إلى صاحبكم فواروه ، فانطلقنا فجمعنا عليه ثيابه كما يصنع بالشهيد ، ثم أخرجناه ليصلى عليه ، فقالت المصرية : والله لا يُصَلَّى عليه ، فقال أبو الجهم بن حذيفة : والله إن عليكم أن لا تصلوا عليه ، قد صلى الله عليه ، فَنَغَزُوه ساعةً بنعال سيوفهم حتى ظننت أن قد قتلوه ، ثم أرادوا دفنه مع نبى الله صلى الله عليه وسلم ، وكان قد استوهب من عائشة رضى الله تعالى عنها موضعَ قبر فوهبت له ، فأبوا ، فدفن فى مقبرة كان قد اشتراها فزادها فى المقبرة ، فكان أول من دفن فيها .

وقيل : إن عمرو بن عثمان صلى عليه يومئذ .

وروى ابن زبالة عن ابن شهاب وغيره أن عُثمان منع من البقيع ، فدفن فى حش كوكب ، وكان عثمان بن مظعون أولَ مَنْ دفن بالبقيع ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أسفل مهراس علامةً على قبره ليدفن الناس حوله ، وقال : لأجعلنَّكَ للمتقين إماما ، فلما استعمل معاوية مروان بن الحكم على المدينة فى ملكه أدخل الحش فى البقيع ، وحمل المهراس فجعله على قبر عثمان ، وقال : عثمان وعثمان ، فدفن الناس حول عثمان رضى الله تعالى عنه .

قبر سعد بن معاذ

* قبر سعد بن معاذ الأشهلى رضى الله تعالى عنه *

نقل ابن شبة عن عبد العزيز أنه أصيب يوم الخندق ، فدعا فحبس الله عنه الدم ، حتى حَكَم فى بنى قريظة ، ثم انفجر كله ؛ فمات فى منزله فى بنى عبد الأشهل ، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنه فى طرف الزقاق الذى بلزق دار المقداد بن الأسود ، وهو المقداد بن عمرو ، وإنما تَبَنَّاه الأسود ابن عبد يغوث الزهرى ، وهى الدار التى يقال لها دار ابن أفلح فى أقصى البقيع عليها جُنْبُذة ، (١) انتهى . وهذا الوصف صادق بالمشهد المنسوب لفاطمة بنت أسد ؛ لكونه بطرف زقاق فى أقصى البقيع ؛ وفى شرقيه ناحية بنى ظَفَر وبنى عبد الأشهل ، فلعله قبره ، ولكن وقع الاشتباه فى نسبته لفاطمة رضى الله تعالى عنها لما قدمناه فى قبرها ، والله أعلم

قبر أبى سعيد الخدرى

* قبر أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه *

وروى ابن شبة عن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى قال : قال لى أبى : يا بنى ، إنى قد كبرت ، وذهب أصحابى وحان منى ، فَخُذْ بيدى ، فأخذت بيده حتى جئت إلى البقيع ، فجئت أقصى البقيع مكانا لا يدفن فيه ، فقال : يا بنى ، إذا هلكت فاحفر لى ههنا ، لا تبك علىّ باكية ، ولا يضربن علىّ فسطاط ، ولا يمشى معى بنار ، ولا تؤذنن أحدا ، واسلك بى زقاق عمقة ، وليكن مشيك بى خَبَبًا ، وفى رواية ثم اتكأ على فأتى البقيع حيث لا يدفن أحد ، فقال : إذا مت فادفنى ههنا ، واسلك بى زقاق عمقة ، وزاد : ولا تبك علىّ نائحة ، وامشوا بى الخَبَبَ ، ولا تؤذنوا بى أحدا ، قال : فيأتينى الناسُ متى يخرج ، فأكره أن أخبرهم لما قال لى ، فأخرجته فى صدر النهار ، فأتيت البقيع وقد ملىء ناساً .

---

(١) جنبذة — هى بضم الجيم وسكون النون وضم الباء — شىء يشبه القبة

بيان المشاهد المعروفة اليوم بالبقيع وغيره من المدينة الشريفة

اعلم أن أكثر الصحابة رضى الله عنهم — كما قال المطرى — ممن توفى فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم و بعد وفاته مدفنون بالبقيع ، وكذلك سادات أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم وسادات التابعين .

وفى مدارك عياض عن مالك أنه مات بالمدينة من الصحابة نحو عشرة آلاف ، وباقيهم تفرقوا فى البلدان .

وقال المجد : لاشك أن مقبرة البقيع محشوة بالجماء الغفير من سادات الأمة ، غير أن اجتناب السلف الصالح من المبالغة فى تعظيم القبور وتجصيصها أفضى إلى انطماس آثار أكثرهم ، فلذلك لا يعرف قبر معينين منهم إلا أفرادا معدودة.

قلت : وقد ابتنى عليها مشاهد : منها مشهد على يمينك إذا خرجت من باب البقيع قبلى المشهد المنسوب لعقيل بن أبى طالب وأمهات المؤمنين ، تحوى العباس ابن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والحسن بن على ، ومن تقدم ذكره معه ، وعليهم قبة شامخة فى الهواء ، قال ابن النجار : وهى كبيرة عالية قديمة البناء وعليها بابان يفتح أحدهما فى كل يوم ، ولم يذكر الذى بناها ، وقال المطرى : بناها الخليفة الناصر أحمد بن المستضىء .

قلت : وفيه نظر ؛ لأن الناصر هذا كان معاصرا لابن النجار ؛ لأنه توفى سنة اثنتين وعشرين وستمائة ، ووفاة ابن النجار سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، وقد قال ابن النجار : إن هذه القبة قديمة البناء ، ووصفها بما هى عليه اليوم . ورأيت فى أعلى محراب هـذا المشهد : أمر بعمله المنصور المستنصر بالله ، ولم يذكر اسمه ولا تاريخ العمارة ، فلعله المنصور الذى هو ثانى خلفاء بنى العباس ، لكنه لايلقب بالمستنصر بالله ، ولم أر مَنْ جمع بين هذين اللقبين ، وعلى ساح قبر العباس أن الآمر بعمله المسترشد بالله سنة تسع عشرة وخمسمائة ، ولعل عمارة القبة قبله ، وقبر العباس وقبر الحسن مرتفعان من الأرض متسعان مُغَشَّيَانِ بألواح ملصقة

أبدَعَ إلصاق مصفحة بصفائح الصُّفْر مكوكبة بمسامير على أبدع صفة وأجمل منظر .

وينبغى أن يسلم زائرها على من قدمنا ذكر دفنه عندها فى قبر فاطمة والحسن رضى الله تعالى عنهما ، وهناك قبور كثيرة لأمراء المدينة وأقاربهم من الأشراف يدفنون بهذا المشهد .

وفى غربيه قبر ابن أبى الهيجاء وزير العبيديين ، عليه بناء ، وقبر آخر يعرف بابن أبى النصر عليه بناء أيضا .

وفى شرقى المشهد بعيداً منه حَظِيرتَان فى إحداهما الأمير جوبان صاحب المدرسة الجوبانية ، وفى الأخرى بعض الأعيان ممن نقل إلى المدينة ، وإنما نبهت على ذلك خوفا من الالتباس على طول الزمان .

ومنها: مشهد فى قبلة المشهد المنسوب لعقيل متصل به ، قال المطرى : يقال : إن فيه قبور أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن النجار ـ فى القبور المعروفة فى زمانه ـ مالفظه : وقبور أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وهن أربعة قبور ظاهرة ، ولا يعلم تحقيق مَنْ فيها منهن .

قلت : باطن هذا المشهد كله أرض مستوية ليس فيها علامة قبور ، وكان حظيراً مبنيًّا بالحجارة كما ذكره المطرى ، فابتنى عليه قبةَ الأميرُ بردبك المعمار سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة .

ومنها: مشهد عقيل بن أبى طالب على ما ذكره ابن النجار ، وتبعه مَنْ بعده ، قال : ومعه فى القبر ابن أخيه عبد الله الجواد بن جعفر الطيار ، كما قدمناه عنه فى قبر أبى سفيان بن الحارث ، مع بيان أن ذلك المشهد من دار عقيل ، وأن الذى نقل دفنه هناك إنما هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وأن عقيلا مات بالشام خلاف قول المطرى إن المنقول دفنه فى داره ، وجوزنا أن يكون نقل من

الشام إليها ، فينبغى السلام على الثلاثة المذكورين هناك ، وتقدم استجابة الدعاء عند زاوية الدار المذكورة .

ومنها : روضة بقرب مشهد عقيل ، يقال : إن فيها ثلاثة من أولاد النبى صلى الله عليه وسلم ، كذا قاله المجد ، وجعله مما يعرف فى زمنه بالبقيع ، ولم أره فى كلام غيره ، ولولا ذكره لمشهد سيدنا إبراهيم قبل ذلك لحملنا كلامه عليه ، وليس بقرب مشهد عقيل إلا القبة المتهدمة التى فى غربى مشهد أمهات المؤمنين ، ولا يعرف مَنْ بها ، فلعلها مراده ، أوالقبة الآتى ذكرها فى مشهد الإمام مالك رضى الله تعالى عنه فى ركنه الشرقى الشمالى ، فإن كلا منهما يصح وصفها بالقرب من مشهد عقيل ، ثم تبين أن مراده الأولى التى فى غربى مشهد أمهات المؤمنين ، فإن ابن جُبَير ذكر فى رحلته روضة عقيل ، ثم روضة أمهات المؤمنين ، ثم قال : وبإزائها روضة صغيرة فيها ثلاثة من أولاد النبي صلى الله عليه وسلم ، ويليها روضة العباس بن عبد المطلب ، إلى آخره ، فهذا مأخذ المجد .

ومنها : مشهد سيدنا إبراهيم بن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقبره على نَعْت قبر الحسن والعباس ، وهو ملصق إلى جدار المشهد القبلى ، وفى هذا الجدار شباك ، قال المجد : وموضع تربته يعرف ببيت الحزن ، يقال : إنه البيت الذى أوَتْ إليه فاطمة رضى الله تعالى عنها ، والتزمت الحزن فيه بعد وفاة أبيها سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، انتهى .

والمشهور ببيت الحزن إنما هو الموضع المعروف بمسجد فاطمة فى قبلة مشهد الحسن والعباس ، وإليه أشار ابنُ جُبَير بقوله : وبلى القبة العباسية بيت لفاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويعرف ببيت الحزن ، يقال : إنه الذى أوَتْ إليه والتزمت الحزن فيه عند وفاة أبيها صلى الله عليه وسلم ، انتهى .

وفيه قبرها على أحد الأقوال كما قدمناه ، وأظنه فى موضع بيت على بن أبى طالب الذى كان اتخذه بالبقيع ، وفيه اليوم هيئة قبور .

وفى شامى قبر سيدنا إبراهيم بمشهده صورة قبرين حادثين لم يذكرهما ابن النجار ، ولا من تبعه ، إنما ذكروا ما قدمناه من كونه إلى جانب عثمان بن مظعون وأن عبد الرحمن بن عوف أوصى أن يدفن هناك ، وأنه ينبغى زيارتهما معه .

قلت : وكذا كل من قدمنا ذكر دفنه هناك .

ومنها : مشهد صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أم الزبير بن العوام ، على يسارك عند ما تخرج من باب البقيع ، وهو بناء من حجارة لا قُبَّة عليه ، قال المطرى : وأرادوا عَقْد قبة صغيرة عليه فلم يتفق ذلك .

ومنها : مشهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه ، وعليه قبة عالية ابتناها أسامة بن سنان الصالحى أحدُ أمراء السلطان السعيد صلاح الدين يوسف بن أيوب فى سنة إحدى وستمائة ، قاله المطرى ، قال الزين المراغى : ونقل أبو شامة أن البانى لها عز الدين سلمة .

قلت : ولم يذكر ابن النجار هـذه القبة ، مع ذكره لقبة الحسن والعباس وسيدنا إبراهيم وغيرها مما كان فى زمنه ، وقد أدرك التاريخ الذى ذكره المطرى وبعده بكثير .

وبمشهد سيدنا عثمان قبر خلف قبره يقال : إنه قبر متولى عمارة القبة .

وقد حدث فى زماننا أمام المشهد فى المغرب بناء مربع عليه قبو فيه امرأة كانت أم ولد لبعض بنى الجيعان توفيت بالمدينة الشريفة ، وإلى جانبه حظيرة فيها امرأة لبعض الأتراك ، وبين هـذا البناء وبين المشهد أيضاً حظيرة أخرى بها أخت صاحبنا قاضى الحرمين العلامة محيى الدين الحنبلى متع الله به .

ومنها : مشهد فاطمة[1] بنت أسد أم أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما بأقصى البقيع ، على ما فيه مما تقدم فى ذكر قبرها ، وينبغى أن يسلم هناك على سعد بن معاذ لما سبق .

---

(١) وبالبقيع فى آخر شامى مشهد عثمان رضى الله عنه قبة يزعم الناس أنها لحليمة السعدية مرضعة النبى (ص) ولم نر لذلك أصلا (حسب الله)

مشهد مالك ابن أنس الأصبحى

ومنها : مشهد الإمام أبى عبد الله مالك بن أنس الأصْبَحى إمام دار الهجرة إذا خرجت من باب البقيع كان مواجهاً لك عليه قبة صغيرة و إلى جانبه فى المشرق والشام قبة لطيفة أيضاً ، لم يتعرض لذكرها المطرى ومَنْ بعده ، فيحتمل أن تكون حادثة ، ويقال : إن بها نافعا مولى ابن عمر .

وفى كلام ابن جبير عند ذكر المشاهد المعروفة فى زمنه ما يؤخذ منه أن بين مشهد سيدنا إبراهيم عليه السلام و بين مشهد مالك تربة عن يمين مشهد سيدنا إبراهيم ، وأنها تربة ابن لعمر رضى الله عنه اسمه عبد الرحمن الأوسط ، قال : وهو المعروف بأبى شحمة ، وهو الذى جَلَده أبوه الحدَّ فمرض ومات ، وما ذكره ينطبق على القبة المذكورة .

مشهد إسماعيل ابن جعفر الصادق

ومنها : مشهد إسماعيل بن جعفر الصادق ، وهو كبير يقابل مشهد العباس فى المغرب ، وهو ركن سور المدينة اليوم من القبلة والمشرق ، بنى قبل السور ، فاتصل السور به ، فصار بابه من داخل المدينة ، قال المطرى : بَنَاه بعض العبيديين من ملوك مصر .

قلت : على باب المشهد الأوسط الذى أمامه الرحبة التى بها البئر التى يتبرك بها حجر فيه أن حسين بن أبى الهيجاء عَمَره سنة ست وأربعين وخمسمائة ، ولعل المطرى نسب ذلك لبعض العبيديين ؛ لأن ابن أبى الهيجاء كان من ورائهم

قال المطرى : ويقال إن عرصة هـذا المشهد وما حوله من جهة الشمال إلى الباب كانت دار زين العابدين ، وبجانب المشهد الغربى مسجد صغير مهجور يقال : إنه مسجد زين العابدين .

قلت : على يمين الداخل إلى المشهد بين الباب الأوسط والأخـير حجر منقوش فيه وقف الحديقة التى بجانب المشهد فى المغرب على المشهد : وقفَها ابنُ أبى الهيجاء ، ونسبة المسجد الذى بطرف الحديقة بجانب المشهد لزين العابدين ، وأن عرصة المشهد داره ، وأن بئره تلك يُتَدَاوى بها .

ويقال : إن ابنه جعفرا الباقر سقط بها وهو صغير ، وزين العابدين يصلى ، فلم يقطع صلاته .

وفى كلام ابن شبة ما يصلح أن يكون مستنداً فى نسبة تلك العرصة لزين العابدين ؛ لذكره داراً تقرب من وصفها ، ونَسَبَها لولده ، فقال : واتخذت صفية بنت حُيَى دارَ زيد بن على بن حسين بن على ، وقد صارت دارين ، وهما جميعاً دار واحدة ، بنى زيد بن على شقها الشرقى الذى يلى البقيع ، وبنى آل أبى سويد الثقفى شقها الغربى الذى يلى دار السائب مولى زيد بن ثابت ، فيحتمل أنه نسبها لولده لسكونه بناها وكانت لأبيه ، وقال أيضاً : واتخذ جعفر بن أبى طالب داراً بين دار أبى رافع مولى النبى صلى الله عليه وسلم بالبقيع وبين دار أسماء بنت عُمَيس التى فى شامى دار أبى رافع تحت سقيفة محمد بن زيد بن على بن حسين . وبَيَّنَ ابن شبة أن دار أبى رافع ناقَلَ بها سعدُ بن أبى وقاص أبا رافع فدفع لأبى رافع داره بالبقال .

وقد تقدم ذكر الشارع الذى يخرج إلى البقال فى قبور أمهات المؤمنين، وأنه فى غربى المشهد المعروف بهن ؛ لما سيأتى فى ترجمة البقال ، وقد جدد مسجد زين العابدين سنة أربع وثمانين وثمانمائة .

وأما المشاهد المعروفة بالمدينة فى غير البقيع فثلاثة :

مشهد حمزة

أحدها : مشهد سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى الله تعالى عنه . وسيأتى ذكره مع شهداء أحد فى الفصل بعده ، وعليه قبة عالية حسنة مُتْقنة ، وبابه مصفح كله بالحديد . بَنَتْه أم الخليفة الناصر لدين الله أبى العباس أحمد بن المستضى، كما قاله ابن النجار ، وذلك فى سنة تسعين وخمسمائة، قال : وجعلت على القبر ملبناً من ساج ، وحوله حصباء ، وباب المشهد من حديد، يفتح كل يوم خميس، وقريب منه مسجد يذكر أنه موضع مقتله، انتهى.

وتبعه عليه مَنْ بعده . ووصفه القبر بأن عليه ملبن خشب ، يعنى أنه كهيئة قبر سيدنا إبراهيم ، فإنه عبر فيه بذلك أيضاً ، وقبر سيدنا إبراهيم على ذلك الوصف اليوم ، وكذلك الحسن والعباس .

وأما قبر حمزة فإنه اليوم مبنى مُجَصَّص بالقَصَّة لا خشب عليه ، وفى أعلاه من ناحية رأسه حجر فيه بعد البسملة : « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر » هذا مَصْرَع حمزة بن عبد المطلب عليه السلام ، ومصلى النبى صلى الله عليه وسلم ، عَمَره العبدُ الفقير إلى رحمة ربه حسين بن أبى الهيجاء ، غفر الله له ولوالديه سنة ثمانين وخمسمائة ، انتهى .

وهذا قبل عمارة أم الناصر بعشر سنين ، وابن النجار إنما قدم المدينة بعد ذلك ؛ لأنه ألَّفَ كتابه سنة مجاورته بها ، ومولده سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ، فمقتضى ذلك أن ابن النجار أدرك القبر وهو بهذه الهيئة من الكتابة ، وقد صرح بخلافها ، وأيضاً فالتعبير فى تلك الكتابة بمَصْرَع حمزة وتصديره بالآية دليل الخطأ فى إثبات ذلك المسن هناك ، فالصواب أن ذلك المسن كان بالمسجد المعروف اليوم بالمصرع ، وكأنه لما تهدَّم نقل إلى المشهد لقربه منه ، ثم لما تكسر الخشب الذى ذكر ابن النجار أنه كان على القبر بَنَوُا القبر على هذه الهيئة ، وظنوا أن ذلك المسن لوضعه بالمشهد يتعلق به ، فأثبتوه بالقبر . ويؤيد ذلك أن نسبة عمارة القبة لأم الخليفة فى التاريخ المذكور موجودة اليوم بالكتابة الكوفية نَقْشًا فى جدار المشهد بالجص ، واقتلع الشجاعى شاهين شيخُ الحرم المسنَّ المذكور وأعاده إلى محله بالمصرع ، ومقتضى ما سبق عن ابن النجار ومَنْ تبعه أن أم الخليفة الناصر لدين الله هى أول من اتخذ المشهد المذكور على سيدنا حمزة رضى الله تعالى عنه ، وسيأتى فى الفصل بعده عند ذكر قبر حمزة رضى الله تعالى عنه عن عبد العزيز بن عمران أنه كان على قبر حمزة قديماً مسجد ، وذلك فى المائة الثانية ، فكأن أم الخليفة وسَّعته وجعلته على

هذه الهيئة الموجودة اليوم ، وقد زاد فيه سلطان زماننا الأشرف قايتباى أعز الله نصره زيادةً من جهة المغرب أدْخَلَ فيها البئر التى كانت خارجة فى غربيه، واتخذ هناك أخْلِيَة لمن يريد الطهارة ، وجعل بعضها بالسطح ، فعمَّ النفع بذلك ، واحتفر بئراً خارجهُ بجهة المغرب أيضاً يرتفق بها المارة ، وذلك فى شهر جُمادى الأولى سنة تسعين وثمانمائة على يد الشجاعى شاهين الجمالى شيخ الحرم الشريف النبوى ، وشاد عمائره ، عظم الله شأنه .

واعلم أن القبر الذى بالمشهد عند رجلى سيدنا حمزة رضى الله تعالى عنه قبر رجل تركى اسمه سنقر ، كان متولى عمارة المشهد ، والقبر الذى بصحن المسجد قبر بعض أمراء المدينة من الأشراف ، فلا يظن أنهما من قبور الشهداء رضوان الله عليهم، وسيأتى فى قبر حمزة رضى الله تعالى عنه أنه ينبغى أن يسلم معه على مُصْعب ابن عُمَير وعبد الله بن جَحْش ؛ لما سيأتى فيه .

مشهد مالك بن سنان الخدرى

ثانيها : مشهد مالك بن سنان ، والد أبى سعيد الخدرى ، فى غربى المدينة ملاصقاً للسور ، وسيأتى ما جاء فيه فى الفصل بعده ، وعليه قبة قديمة البناء بها محراب، وعن يمينه باب خزانة صغيرة فيها بناء أصغر من صفة القبور يظن الناس أنه محل القبر ، والظاهر أن القبر بالقبة المذكورة ، لما سيأتى فى ذكر من قيل إنه نقل من شهداء أحد من قول ابن أبى فدَيك إنه بالمسجد الذى عند أصحاب العَباء فى طرف الحناطين ، لكن فى رواية ابن زبالة أنه دفن عند مسجد أصحاب العباء : أى الذين يبيعون العبى ، وذلك المحل من سوق المدينة القديم .

مشهد النفس الزكية

ثالثها : المشهد المعروف بالنفس الزكية ، وهو السيد الشريف الملقب بالمهدى محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ، رضوان الله تعالى عليهم ، قتل فى أيام أبى جعفر المنصور ، وهذا المشهد شرقى جبل سَلْع ، وعليه بناء كبير بالحجارة السود ، قصدوا أن يبنوا عليه قبة فلم يتفق ، وهو داخل مسجد كبير مهجور، وفى قبلة المسجد مَنْهَل من عين الأزرق مدرج من شرقيه وغربيه .

والعين تجرى فى وسطه ، وتقدم فى سوق المدينة أن ابن زبالة عبر عن ذلك ببركة السوق ، ولعل ذلك المسجد هو المنسوب إلى الأعرج كما تقدم فى مصلى العيد .

وما ذكرناه من كون النفس الزكية بهذا المشهد ذكره المطرى ومن تبعه ، وهو المستفيض بين أهل المدينة ، لكنه مخالف لما ذكره سبط ابن الجوزى فى رياض الأفهام ، فإنه ذكر خروجه على المنصور بعد حَبْسه لأبيه وأقاربه ، فبايعه كثير من الناس ، قال : فجهز إليه المنصورُ عيسى بن موسى عم المنصور فى أربعة آلاف ، فجاء ووقف على سلع وقال : يا محمد ، لك الأمان ، فصاح به : والله ما تفوز ، والموت فى عزّ خيرٌ من الحياة فى ذل ، فاغتسل هو ومَنْ بقى من أصحابه وتَحَنَّطوا وهم ثلاثمائة و بضعة عشر وحملوا على عيسى وأصحابه ، فهزموا ثلاثا ، ثم تكاثروا عليهم فقتلوهم ، وأتوا عيسى بن موسى برأس محمد . ووارت أختُه زينبُ وابنتُه فاطمة جسدَه بالبقيع ، وكان قتله عند أحجار الزيت ، وكان معه ذو الفَقَار سيفُ علىّ رضى الله تعالى عنه ، فأخذه عيسى بن موسى ، ثم انتقل إلى الرشيد .

قال الأصمعى : أنا رأيته ، وفيه ثمانى عشرة فقارة ، اه .

وقال محمد ـ أعنى النفسَ الزكية ـ فى يوم قتالهم لعبد الله بن عامر السلمى : تغشانا سحابة ، فإن أمطرتنا ظفرنا ، و إن تجاوزتنا إليهم فانظر إلى دمى عند أحجار الزيت . قال عبد الله : فوالله لقد أظلتنا سحابة فلم تمطرنا ، وتجاوزتنا إلى عيسى بن موسى وأصحابه ، فظفروا ، وقتلوا محمدا ، ورأيت دمه عند أحجار الزيت ، وبسبب محمدٍ هذا ضرب عيسى بن موسى الإمامَ مالك بن أنس رضى الله تعالى عنه ، نقل ذلك المقريزى .

الفصل السابع

فى فضل أُحُدٍ والشُّهَداء به

الأحاديث الواردة فى فضل أحد

روينا فى الصحيحين وغيرهما عن أنس رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأحد لما بدا له : هذا جَبَلٌ يحبنا ونحبه .

وفى رواية للبخارى بيان أن ذلك كان عند القدوم من خيبر ، ولفظ رواية ابن شبة عنه أنه أقبل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر ، فلما بدا لهم أحد قال ، الحديثَ .

وفى رواية له عن سويد الأنصارى قال : قَفَلْنَا مع النبى صلى الله عليه وسلم من غزوة خيبر ، فلما بدا له أحد قال : الله أكبر ، جَبَلٌ يحبنا ونحبه .

ورواه أحمد والطبرانى برجال الصحيح إلا عقبة بن سويد ، وقد ذكره ابن أبى حاتم ولم يذكر فيه جَرْحا .

وفى فضائل المدينة للجندى عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم « طَلَع أحدا فقال : هذا جبل يحبنا ونحبه » وفى رواية له « طلع علينا أحدا » وفى رواية أخرى للبخارى أن ذلك كان فى رجوعه صلى الله عليه وسلم من الحج .

وفى رواية عن أبى حُمَيد الساعدى قال : أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تَبُوك ، فلما أشرفنا على المدينة قال : « هذه طَابَةُ ، وهذا أحد ، جبل يحبنا ونحبه » ورواه ابن شبة أيضا .

وفى رواية له قال : أقبلنا مع النبى صلى الله عليه وسلم من منزله ، حتى إذا كنا بغرابات نظر إلى أحد فكبر ثم قال « جبل يحبنا ونحبه ، جبل ساثر ليس من جبال أرضنا » .

وروى أيضا بإسناد جيد عن أبى قلابة قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا جاء من سَفَر فبدا له أحد قال : هذا جَبَلٌ يحبنا ونحبه ، ثم قال : آيبون تائبون ساجدون لربنا حامدون .

وروى أيضا عن أبى هريرة قال : لما قدمنا مع النبى صلى الله عليه وسلم من غزوة خيبر بدا لنا أحد ، فقال : هذا جبل يحبنا ونحبه ، إن أحدا هذا لعلى باب من أبواب الجنة .

وروى الطبرانى فى الكبير والأوسط عن أبى عبس بن جبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأحدٍ : هـذا جبل يحبنا ونحبه ، على باب من أبواب الجنة ، وهذا عَيْر جبلٌ يبغضنا ونبغضه ، على باب من أبواب النار .

وفى الأوسط ـ وفيه كثير بن زيد : تُكُلم فيه ، ووثَّقه أحمد وغيره ـ من حديث أنس بن مالك مرفوعا « أُحُدٌ جبل يحبنا ونحبه ، فإذا جئتموه فكُلُوا من شجره ولو من عَضَاهه » ورواه ابن شبة بلفظ « أحد على باب من أبواب الجنة ، فإذا مررتم به فكُلوا من شجره ، ولو من عَضَاهه » .

وروى أيضا عن زينب بنت نبيط ، وكانت تحت أنس بن مالك ، أنها كانت ترسل وَلَائدها فتقول : اذهبوا إلى أُحُدٍ فأتونى من نبَاته ، فإن لم تجدن إلا عضاها فأتنى به ، فإن أنس بن مالك قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « هذا جبلٌ يحبنا ونحبه » قالت زينب : فكلوا من نباته ولو من عَضَاهه ، قال : فكانت تعطينا منه قليلا قليلا فنمضغه .

وعن رافع بن خديج قال : نهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يُحْتَشَّ أحد إلا يوما بيوم .

وعن داود بن الحصين مرفوعا « أُحُدٌ على ركن من أركان الجنة ، وعَيْر على ركن من أركان النار » .

وعن إسحاق بن يحيى بن طلحة مرسلا رفعه « أحد وورقان وقدس ورَضْوَى من جبال الجنة » .

وروى أبو يعلى والطبرانى فى الكبير عن سهل بن سعد مرفوعا « أحد ركن من أركان الجنة » .

وفى الكبير أيضاً عن عمرو بن عوف قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أربعة أجبال من أجبال الجنة ، وأربعة أنهار من أنهار الجنة ، وأربعة ملاحم من ملاحم الجنة ، قيل : فما الأجبال ؟ قال : أحد يحبنا ونحبه جبل من جبال الجنة ، وورقان جبل من جبال الجنة ، والطور جبل من جبال الجنة ، ولُبْنَان جبل من جبال الجنة ، والأنهار الأربعة النيلُ والفُرَات وسَيْحان وجَيْحان ، والملاحم بَدْر وأحُد والخَنْدَق وحُنَين » .

ورواه ابن شبة مختصرا ، وروى عن أبى هريرة نحوه ، وقال فيه : وسكت عن الملاحم ، وعن أبى هريرة أيضاً قال : خير الجبال أحد والأشعر وورقان .

ونقل الحافظ ابن حجر اختلافَ الروايات فى الأجْبُل التى بنى منها البيت الحرام ، وفى بعضها أنه أسس من ستة أجبل : أبى قبيس ، والطور ، وقدس ، وورقان ، ورَضْوَى ، وأحُد .

وروى ابن شبة عن أنس بن مالك مرفوعا « لما تجلّى الله عز وجل للجبل طارت لعظمته ستة أجبل ، فوقعت ثلاثة بالمدينة وثلاثة بمكة ، وقع بالمدينة أحد وورقان ورضوى ، ووقع بمكة حِراء وثَبير وثَوْر » .

موقع أحد من المدينة المنورة

قال أبو غسان راويه : فأما أحـد فبناحية المدينة على ثلاثة أميال منها فى شاميها ، وأما ورقان فبالروحاء من المدينة على أربعة بُرُد ، وأما رَضْوَى فينبع على مسيرة أربع ليال ، وأما حِراء فبمكة وُجاه بئر ميمون ، وثَوْر أسفل مكة هو الذى اختفى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غاره .

قلت : ولم يبين ثَبيرا ، وما ذكره من المسافة إلى أحد يقرب مما حررته ، فإنى ذَرَعْتُ ما بين عتبة باب المسجد النبوى المعروف بباب جبريل و بين المسجد الملاصق لجبل أحد المعروف بمسجد الفتح فكان ذلك ثلاثة أميال وزيادة خمسة وثلاثين ذراعا ، وأما ما بين باب المدينة المعروف بباب البقيع و بين أول جبل أحد فميلان وأربعة أسباع ميل يزيد يسيراً ، و بين باب البقيع ومشهد سيدنا حمزة

ميلان وثلاثة أسباع ميل وخمس سبع ميل ، وأذرُع يسيرة ، وقد علم بذلك التسامح الذى فى قول النووى فى تهذيبه : أحد بجنب المدينة على نحو ميلين ، وكذا قول المطرى ومَنْ تبعه : بين مشهد حمزة والمدينة ثلاثة أميال ونصف أو ما يقارب به ، و إلى جبل أحد نحو أربعة أميال ، وقيل : دون الفرسخ ، انتهى .

وجه تسمية أحد وحبه

وقال السهيلى : سمى هـذا الجبل أحدا لتوحده وانقطاعه عن جبال أخرى هناك ، ولما وقع من أهله من نصر التوحيد .

وللعلماء فى معنى قوله صلى الله عليه وسلم « يحبنا ونحبه » أقوال :

أحدها : أنه على حذف مضاف ، أى أهل أحد ، وهم الأنصار ؛ لأنهم جيرانه .

ثانيها : أنه للمسرة بلسان الحال ؛ لأنه كان يبشره إذا رآه عنـد القدوم بالقرب من أهله ، وذلك فعل المحب .

ثالثها : أن الحب من الجانبين على الحقيقة ، وأنه وضع فيه الحبُّ كما وضع فى الجبال المسبحة مع داود ، وكما وضعت الخشية فى الحجارة التى قال الله فيها (و إن منها لما يهبط من خشية الله) سيما وقد جاء أنه طار من الجبل الذى تجلى الله عز وجل له كما سبق ، وهذا الثالث هو الذى صححه النووى ، وقال الحافظ ابن حجر : إن الظاهر أن ذلك لكونه من جبال الجنة ، كما ثبت فى حديث أبى عبس بن جبر مرفوعا « جبل أحد يحبنا ونحبه ، وهو من جبال الجنة » أخرجه أحمد ، ولا مانع فى جانب الجبل من إمكان المحبة ، كما جاز التسبيح منها ، وقد خاطبه صلى الله عليه وسلم مخاطبة مَنْ يعقل فقال لما اضطرب « اسْكُنْ أحُد » الحديث .

وقال الحافظ المنذرى : قال البغوى : الأولى إجراء الحديث على ظاهره ، ولا ينكر وصف الجمادات بحب الأنبياء وأهل الطاعة كما حَنّت الأسطوانة لمفارقته صلى الله عليه وسلم حتى سمع القومُ حنينها ، وكما أخبر أن حَجَرا كان يسلم عليه صلى الله عليه وسلم قبل الوحى ؛ فلا ينكر أن يكون جبل أحد وجميع أجزاء

المدينة تحبه وتحنّ إلى لقائه ، قال المنذرى : وهو جيد .

قلت : ويرجحه قوله فى الحديث المتقدم « فإذا جئتموه فكلوا من شجره » فإن عيرا يجاوره أهل قباء ، ويظهر للقادم من جهة مكة قبل أحد ، بل ذلك فضل الله يوتيه من يشاء .

وقال السهيلى : كان النبى صلى الله عليه وسلم يحب الفأل الحسن ، والاسم الحسن ، ولا اسم أحسن من اسم مشتق من الأَحَدِية ، ومع ذلك فحركاته الرفع ، وذلك مشعر بارتفاع دين الأحد ، فتعلق الحب به من النبى صلى الله عليه وسلم لفظا ومعنى ، فخص بذلك .

وليضف إليه أن المحبة لما تعلقت من الجانبين ، وكان المرء مع من أحب ، كان هذا الجبل معه صلى الله عليه وسلم فى الجنة إذا بُسَّت الجبال بسا .

وأيضاً لما انقسم أهل المدينة إلى محب مُوَحِّد وهم المؤمنون وإلى منافق مبغض وهم الجاهلون الجاحدون كأبى عامر الراهب وغيره من المنافقين ، وكانوا ثلث الناس يوم أحد رجعوا مع ابن أبى ولم يحضروا أحدا ؛ انقسمت بِقَاعُ المدينة كذلك ، فجعل الله تعالى هذا الجبل حبيبا محبوبا لكمن حضر به ، وجعله معه فى الجنة ، وخصه بهذا الاسم ، وجعل عَيْرا مبغوضا إن صح الحديث فيه ، وجعل بجهته المنافقين من أهل مسجد الضرار فرجعوا من جهة أحد إلى جهته فكان معهم فى النار ، وخصه باسم العَيْر الذى هو الحمار المذموم أخلاقا وجهلا ، والله أعلم.

وروى ابن شبة كما سبق فى سكنى اليهود بالمدينة عن جابر بن عبد الله مرفوعا : خرج موسى وهرون عليهما السلام حاجَّيْنِ أو معتمرين ، حتى إذا قدما المدينة خافا اليهودَ فنزلا أحداوهرونُ مريضٌ ، فحفر له موسى قبرا بأُحُدٍ ، وقال: يا أخى ادخل فيه فإنك ميت ، فدخل فيه ، فلما دخل قبضه الله ، فحثا موسى عليه التراب .

زعموا أن هرون مدفون بأحد

قلت : بأحد شعب يعرف بشعب هرون ، يزعمون أن قبر هرون عليه السلام فى أعلاهُ ، وهو بعيد حسا ومعنى ، وليس ثم ما يصلح للحفر و إخراج التراب . وفى أعلى أحد بناء اتخذه بعض الفقراء قريبا والناسُ يصعدون إليه ، ولم يَرِدْ تعيينُ المحل الذى صعده النبى صلى الله عليه وسلم من أحد ، نعم وَرَدَ صلاتُه بالمسجد الملاصق به المعروف بمسجد الفتح كما سبق فى المساجد .

مزاعم فى مواضع من جبل أحد

وقال ابن النجار : وفى جبل أحد غار يذكرون أن النبى صلى الله عليه وسلم اختفى فيه ، ومسجد يذكرون أنه صلى فيه ، وموضع فى الجبل أيضاً منقور فى صخرة منه على قدر رأس الإنسان يذكرون أنه صلى الله عليه وسلم قَعَدَ — يعنى على الصخرة التى تحته — وأدخل رأسه هناك ، كل هذا لم يرد به نقل فلا يعتمد عليه .

قلت : أما المسجد فقد ثبت النقل به من رواية ابن شبة كما سبق ، لكن لم يقف عليه ابن النجار .

وأما الغار فقال المطرى : إنه فى شمالىّ هذا المسجد ، والموضع المنقور والصخرة التى تحته بقرب المسجد ، وروى ابن شبة عن المطلب بن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يدخل الغار بأحُد .

وسيأتى فى ترجمة المهراس قول ابن عباس : ولم يبلغوا حيث يقول الناس الغار ، إنما كان تحت المهراس ، ومقتضاه أن الغار بعد المهراس ، وسيأتى فى ترجمة شعب أحد أن النبى صلى الله عليه وسلم انتهى يوم أحد إلى فم الشعب وأسند فيه .

قال ابن هشام : و بلغنى عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يبلغ الدرجة المبنيَّة فى الشعب ، انتهى . وكأن مَنْ بناها ظن أن الصخرة التى نهض النبى صلى الله عليه وسلم ليعلوها ، وجلس له طلحة بن عبيد الله كانت هناك ، ولهذا أورده ابن هشام عند ذكرها .

شهادة الرسول لشهداء أحد

وروى يحيى أنه لما انكشف الناس يوم أحد وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مُصْعَب بن عمير فقال (من المؤمنين رجال) إلى قوله (وما بدلوا تبديلا) اللهم إن عبدك ونبيك يشهد أن هؤلاء شهداء ، فأتوهم وسلموا عليهم ، فلن يسلم عليهم أحد ما قامت السموات والأرض إلا ردُّوا عليه ، ثم وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم موقفاً آخر فقال : هؤلاء أصحابى الذين أشهد لهم يوم القيامة ، فقال أبو بكر : فما نحن بأصحابك ؟ فقال : بلى ، ولكن لا أدرى كيف تكونون بعدى ، إنهم خرجوا من الدنيا خِمَاصا .

ورواه الثعلبى المفسر إلا أنه قال : لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد مرَّ على مُصْعَب بن عمير ، فوقف عليه ، ودعا له ، ثم قرأ ، وذكر الآية وما بعدها بنحوه ، إلى قوله ثم وقف .

وروى أبو داود والحاكم فى صحيحه حديث «لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى جَوْف طير خُضْر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب مُعَلقة فى ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومَقِيلهم قالوا : مَنْ يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء فى الجنة نرزق لئلا يزهدوا فى الجهاد ولا يكلوا عن الحرب ؟ فقال الله تعالى : أنا أبلغهم عنكم ، فأنزل الله عز وجل (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا) الآية » .

وفى صحيح البخارى حديث « صلّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على قتلى أحد بعد ثمان سنين كالمودِّع للأحياء والأموات ، ثم طلع المنبر فقال : إنى بين أيديكم فَرَط ، وأنا عليكم شهيد ، وإن موعدكم الحوض » .

وروى ابن شبة وأبو داود عن طلحة بن عبيد الله قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نريد قبور الشهداء ، حتى إذا أشرَفْنَا على حَرَّة واقم ، فلما تدلينا منها فإذا قبور بمحنية ، فقلنا : يا رسول الله ، أقبور إخواننا هذه ؟ قال : قبور أصحابنا ، فلما جئنا قبورَ الشهداء قال : هذه قبور إخواننا .

زيارة النبي وخلفائه قبور الشهداء على رأس كل حول

وروى ابن شبة عن عباد بن أبي صالح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتي قبورَ الشهداء بأحد على رأس كل حول فيقول : سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ، قال : وجاءها أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، رضى الله تعالى عنهم ، فلما قدم معاوية بن أبي سفيان حاجا جاءهم ، قال : وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا واجَهَ الشعب قال : سلام عليكم بما صبرتم فنعم أجر العاملين .

وعن أبي جعفر أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تزور قبر حمزة رضى الله تعالى عنه ترمُّه وتصلحه ، وقد تعلمته بحجر .

وروى رزين عنه أن فاطمة رضى الله تعالى عنها كانت تزور قبور الشهداء بين اليومين والثلاثة .

ورواه يحيى بنحوه عن أبي جعفر عن أبيه على بن الحسين ، وزاد : فتصلى هناك وتدعو وتبكى حتى ماتت .

وروى الحاكم عن على رضى الله تعالى عنه أن فاطمة كانت تزور قبر عمها حمزة كل جمعة فتصلى وتبكى عنده .

وروى ابن شبة عن ابن عمر أنه قال : من مر على هؤلاء الشهداء فسلّم عليهم لم يزالوا يردون عليه إلى يوم القيامة .

وروى يحيى عن العطاف بن خالد قال : حدثتنى خالة لى ـ وكانت من العوابد ـ قالت : ركبت يوماً معى غلام حتى جئت إلى قبر حمزة ، فصليت ما شاء الله ، ولا والله ما فى الوادى دَاعٍ ولا مجيب يتحرك ، وغلامى قائم آخذ برأس دابتى ، فلما فرغت من صلاتى قمت فقلت : السلام عليكم ، وأشرت بيدى فسمعت رد السلام علىَّ من تحت الأرض ، أعرفه كما أعرف أن الله خلقنى ، واقشعرت كل شعرة منى ، فدعوت الغلام فقلت : هاتِ دابتى ، فركبت .

وروى البيهقى فى الدلائل من طريق العطاف بن خالد عن عبد الأعلى بن عبد الله بن أبي فروة عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم « زار قبور الشهداء

بأحُد ، فقال : اللهم إن عبدك ونبيك يشهد أن هؤلاء شهداء ، وأنهم مَنْ زارهم أو سلّم عليهم إلى يوم القيامة ردوا عليه » .

وقال العطاف : وحدثتنى خالتى أنها زارت الشهداء فسلمت عليهم ، فسمعت رد السلام ،وقالوا : والله إنا نعرفكم كما يعرف بعضنا بعضا ، قالت : فاقْشَعَرَرْتُ.

وذكر البيهقى أيضا رواية يحيى ، وأن الواقدى قال : كانت فاطمة الخزاعية تقول : لقد رأيتُنى وغابت الشمسُ بقبور الشهداء ومعى أخت لى ، فقلت لها : تَعالَىْ نسلم على قبر حمزة ، فوقفنا على قبره ، فقلنا : السلام عليكم ياعَمّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فسمعنا كلاما رد علينا : وعليكم السلام ورحمة الله ، قالت : وما قُرْبَنَا أحدٌ من الناس .

ثم روى البيهقى عن هاشم بن محمد العمرى من ولد عمر بن علىّ قال : أخذنى أبى بالمدينة إلى زيارة قبور الشهداء فى يوم جمعة بين الفجر والشمس ، فكنت أمشى خلفه ، فلما انتهى إلى المقابر رفع صوته فقال : سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ، قال : فأجيب وعليك السلام يا أبا عبدالله ، فالتفت أبى إلىّ فقال : أنت المجيب ؟ فقلت : لا ، فجعلنى على يمينه ، ثم أعاد السلام ، ثم جعل كلما سلّم يُرَدّ عليه ، حتى فعل ذلك ثلاث مرات ، فخَرّ ساجدا شكرا لله تعالى .

تسمية شهداء أحد

وقد تقدم فى غزوة أحد أن الذين أكرمهم الله بالشهادة يومئذ سبعون رجلا، وقيل : أكثر ، وقيل : أقلّ ، وقد سَرَدَ ابنُ النجار أسماءهم فتبعته ليسلّم عليهم مَنْ شاء بأسمائهم ، فقال : حمزة بن عبد المطلب ، وعبد الله بن جَحْش ، ومُصْعَب ابن عُمَير ، وشمّاس بن عثمان ، هؤلاء الأربعة من المهاجرين .

ومن الأنصار : عمرو بن معاذ بن النعمان ، والحارث بن أنس بن رافع ، وعمارة بن زياد بن السَّكَن ، وسلمة بن ثابت بن وقش ، وعمرو بن ثابت بن وقش، وثابت بن وقش ، ورفاعة بن وقش ، وحُسَيل بن جابر ، وهو اليَمان أبو حذيفة، وصَيْفى بن قيظى بن عمرو ، والحُبَاب بن قيظى ، وعباد بن سهل ، والحارث بن

أوس بن مُعَاذ ، و إياس بن أوس بن عَتيك ، وعبيد بن التيهان ، و يقال عتيك ، وحبيب بن زيد بن تَيم ، و يزيد بن حاطب بن أمية بن رافع ، وأبو سفيان بن الحارث بن قيس بن زيد ، وأنيس بن قَتَادة ، وحنظلة الغَسيل ابن أبى عامر ، وأبو حبة بن عمرو بن ثابت أخو سعد بن خيثمة لأمه ، وعبيد الله بن جبير بن النعمان ، وخَيثمة أبو سَعْد بن خيثمة ، وعبد الله بن مسلمة ، وسبيع بن حاطب بن الحارث ، وعمرو بن قيس بن زيد ، وابنه قيس بن عمرو ، وثابت بن عمرو بن زيد ، وعامر ابن مخلد ، وأبو هبيرة بن الحارث بن عَلْقمة ، وعمرو بن مطرف بن علقمة ، وأوس ابن ثابت بن المنذر أخو حسَّان بن ثابت ، وأنس بن النضر ، وقيس بن مخلد ، وكيسان مولى بنى النجار ، وسليم بن الحارث ، ونعمان بن عبد عمرو ، وخارجة ابن زيد ، وسعد بن الربيع ، وأوس بن الأرقم بن زيد ، ومالك بن سِنَان والدُ أبى سعيد الخُدْرى ، وسَعْد بن سُوَيد بن قيس ، وعلبة بن ربيع بن رافع ، وثعلبة ابن سعد بن مالك ، ونقيب بن فروة بن البدن ، وعبد الله بن عمرو بن وهب ، وضَمْرة الجهنى حليف لبنى طَرِيف ، ونَوْفل بن عبد الله ، وعباس بن عبادة بن نضلة ونعمان بن مالك بن ثعلبة ، والمنذر بن زياد ، وعُبَادة بن الحَسْحَاس ، ورفاعة بن عمرو ، وعبد الله بن عمرو بن حَرَام ، وعمرو بن الجَمُوح ، وابنهُ خلاد ، وأبو أيمنَ مولاه ، وعبيدة بن عمرو بن حديدة ، ومولاه عنترة ، وسَهْل بن قيس بن أبى كعب ، وذَكْوَان بن عبد قيس ، وعبيد بن المعلى بن لوذان ، ومالك بن نميلة ، والحارث بن عدى بن خرشة ، ومالك بن إياس ، و إياس بن عدىّ ، وعمرو ابن إياس .

فهولاء الشهداء السعداء الذين صَدَقُوا القتالَ بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم وقاتَلُوا وقُتِلوا ، رضوان الله عليهم أجمعين .

ولنذكر ماعلمناه من خبر قبورهم وتعيينها ، فنقول :

سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ومصرعه

قبر حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن ذكر أنه معه

أخرج البخارى أن وَحْشِيًّا قال فى خبر : فلما خرج الناس عام عينين ، وعينين جبل بحيال أُحُدٍ بينه و بينه وادٍ ، خرجْتُ مع الناس إلى القتال ، فلما أن اصطفوا للقتال خرج سباع فقال : هل مِنْ مبارز ؟ قال : فخرج إليه حمزةُ بن عبد المطلب فقال : يا سباع يا ابن أم أنمار مُقَطعة البظور ، أتحادُّ الله ورسوله صلى الله عليه وسلم؟ ثم شَدَّ عليه فكان كأمْسِ الذاهب ، قال : وكمنت لحمزة تحت صَخْرة ، فلما دنا منى رميته بحَرْبتى فأضعها بين ثَدْييه حتى خرجَتْ من بين وركيه ، فكان ذلك [آخِرَ] العهد به ، ثم ذكر مجيئه للنبى صلى الله عليه وسلم ـ يعنى لما أسلم ـ وقوله له : أنت قتلت حمزة ؟ قال : قلت : قد كان من الأمر ما بَلَغك ، قال : فهل تستطيع أن تُغَيِّب وجهك عنى ؟

وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم وقَفَ على حمزة رضى الله تعالى عنه ، وقد مُثِّل به ، جُدِعَ أنفه وأذناه وبُقِر بطنه عن كبده ، فقال صلى الله عليه وسلم : « لَوْلا أن تَحْزَن صفية ويكون سنة من بعدى لتركته حتى يكون فى بطون السباع وحَوَاصل الطير ، لَئِنْ أصابَ بمثلك أبداً ، ما وقفت موقفاً قط أغيظ إلىَّ من هذا ، ثم قال : جاءنى جبريلُ وأخبرنى أن حمزة مكتوبٌ فى أهل السموات السَّبْع « حمزة بن عبد المطلب أسَدُ الله وأسَدُ رسوله » وأمر به النبىُّ صلى الله عليه وسلم فسُجِّىَ ببُرْدَة ثم صَلى عليه فكَبَّر عليه سبعين ودفنه .

واختلاف الروايات فى الصلاة على شُهَدَاء أُحُدٍ مشهور ، والذى فى الصحيح عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كانَ يَجْمَعُ بين الرجلين من قَتْلى أحد فى الثوب الواحد ، ثم يقول : أيهم أكثر أخذاً للقرآن ؟ فإذا أشير له إلى أحَدٍ قدَّمه فى اللحد ، وأمر بدفنهم بدمائهم ، ولم يُصَلَّ عليهم ولم يغسلوا .

ونقل ابن شبة عن عبد العزيز عن ابن سمعان عن الأعرج قال : لما قُتِلَ حمزة رضى الله تعالى عنه أقام فى مَوْضِعه تحت جبل الرُّمَاة ، وهو الجبل الصغير

الذى ببطن الوادى الأحمر ، ثم أمر به النبى صلى الله عليه وسلم فحمل عن بطن الوادى إلى الرَّبْوَة التى هو بها اليوم ، وكفنه فى بردة ، وكفن مصعب بن عمير فى أخرى ، ودفنهما فى قبر واحد

قال عبد العزيز : وسمعتُ مَنْ يذكر أن عبد الله بن جَحْش بن رئاب قتل معهما ، ودفن معهما فى قبر واحد ، وهو ابن أخت حمزة أمُّهُ أميمة بنت عبد المطلب .

قال عبد العزيز : والغالب عندنا أن مُصْعَب بن عُمَير وعبد الله بن جَحْش دفنا تحت المسجد الذى بنى على قبر حمزة ، وأنه ليس مع حمزة أحَدٌ فى القبر .

قلت : ينبغى أن يُسَلم عليهما مع حمزة بمشهده ؛ لأنهما إن لم يكونا معه فبقربه ، ولعل المشهَدَ اليوم أوسَعُ من ذلك المسجد ، وسبق فى المساجد ذِكْرُ المسجد الذى بمَصْرَع حمزة رضى الله تعالى عنه ، والمسجد الذى فى جهة قبلته بطرف جبل الرُّماة ، وما جاء فيهما .

عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو بن حرام

قبر عمرو بن الجَمُوح وعبد الله بن عمرو بن حَرَام والد جابر بن عبد الله ، ومَنْ ذكر معهما .

روى مالك بن أنس عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صَعْصَعة أنه بلغه أن عمرو بن الجَموح وعبد الله بن عمرو بن حَرَام الأنصاريين ثم السَّلَميين كانا فى قبر واحد ، وكانا ممن استشهد يوم أحد ، وكان قبرهما مما يلى السيل ، فحفر عنهما ليغيرا عن مكانهما ، فوجدا لم يتغيرا كأنما ماتا بالأمس ، وكان أحدهما قد جُرح فوضَعَ يدَه على جرحه ، فدفن وهو كذلك ، فأميطت يده عن جرحه ثم أرسلت فرجعت كما كانت ، وكان بين يوم أحد ويوم حفر عنهما ست وأربعون سنة .

وقال مالك : إن عمرو بن الجَمُوح وعبد الله بن عمرو كفنا فى كفن واحد وقبر واحد ، رواه ابن شبة ، ثم روى بسند جيد عن جابر بن عبد الله رضى الله

تعالى عنه قال : دُفن مع أبى رجلٌ يوم أحد فى القبر فَلَمْ تَطِبْ نفسى حتى أخرجته فدفنته على حِدَة .

قلت : يحتمل أن سبب الإخراج ما تقدَّم من أمر السيل ، ووافق ذلك ما فى نفس جابر ؛ فتكون القصة واحدة ، لكن روى البخارى فى صحيحه خبرَ جابر مطولا ، وفيه ما لفظه « قال : ودفنت معه آخر فى قبره ، فلم تَطِبْ نفسى أن أتركه مع أحد ، فاستخرجته بعد ستة أشهر ، فإذا هو كيوم وضعته غير هنية عند أذنه » .

فقوله « بعد ستة أشهر » يقتضى أن ذلك ليس هو قصة أمر السيل ؛ لأن المدة فى تلك ست وأربعون سنة .

وروى ابن شبة عن جابر أيضا قال : صرخ بنا إلى قتلانا يومَ أحد حين أجرى معاوية العينَ ، فأتيناهم فأخرجناهم رِطَابًا تثنَّى أجسادُهم ، قال سعيد بن عامر أحَدُ رواته : و بين الوقتين أربعون سنة .

وقال ابن إسحاق : حدثنى أبى عن رجال من بنى سَلَمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ـ حين أصيب عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو يوم أحد ـ أجمعوا بينهما ؛ فإنهما كانا متصافيين فى الدنيا ، قال أبى : فحدثنى أشياخ من الأنصار قالوا : لما ضرب معاوية عينَه التى مرت على قبور الشهداء استضرخنا عليهم ، وقد انفجرت العين عليهما فى قبورها ، فجئنا فأخرجناهما وعليهما بردتان قد غُطِّى بهما وجُوهُهما ، وعلى أقدامهما شىء من نَبَات الأرض ، فأخرجناهما يتثنيان تثنيا كأنهما دُفنا بالأمس ، نقله البيهقى فى دلائل النبوة .

وعن جابر من حديث طويل قال : فبينا أنا فى النظارين إذ جاءت عَمَّتى بأبى وخالتى عادلتهما على ناضح ، فدخلت بهما المدينة لتدفنهما فى مقابرنا إذ لحق رجل ينادى أن النبى صلى الله عليه وسلم أمركم أن ترجعوا بالقتلى ، فيدفنوا فى مَصَارعهم حيث قتلوا ، فرجعناهما ، فدفنَّاهما حيث قتلا ، فبينا أنا فى خلافة

معاوية بن أبى سفيان إذ جاءنى رجل فقال : ياجابر ، لقد أثار أباك عمالُ معاوية ، فخرج طائفة منه ، فأتيته فوجدته على النحو الذى دفنته لم يتغير إلا ما لم يدع القتل أو القتال ، فواريته ، الحديثَ ، رواه أحمد برجال الصحيح خلا نبيح الغنوى وهو ثقة .

قلت : فهذه قصة ثالثة ؛ فيؤخذ من مجموع ذلك أن جابرا حَفَر عن أبيه ثلاث مرات :

الأولى: لعدم طيب نفسه بدَفْنه مع غيره ، ولعله استأذن النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك فأذن له ؛ لما يترتب عليه من ظهور ما يَشْهَد لحياة الشهداء وسلامة أبدانهم ، وكان دفنهم مجتمعين للضرورة فى ذلك اليوم ، أو فَهِمَ جابر جوازَ ذلك عند زوال تلك الضرورة واتساع الوقت ففعله ، وكأنه لما أخرجه دفَنَه بإزاء قبر صاحبه وصهره محافظةً على القرب من مصرعه ، فقد جاء الأمر بدَفنهم فى مصارعهم .

والثانية : لما أجرى معاوية رضى الله تعالى عنه العينَ ، وكان فى ذلك أيضاً ظهور المعجزة بحياة الشهداء ، فقد أسند ابن الجوزى فى مشكله عن جابر قال : صرخ بنا إلى قَتْلانا يوم أحُد حين أجرى معاوية رضى الله تعالى عنه العينَ ، فأخرجناهم بعد أربعين سنة تَتَثَنَّى أطرافُهم لينة أجسادهم ، وفى بعض طرقه : كأنهم نُوَّمٌ ، حتى أصابت المِسْحاة قدمَ حمزة بن عبد المطلب فانبعث دَمٌ .

والثالثة : لحفر السيل عنه وعن صاحبه .

وقد روى الواقدى أن قبرهما كان مما يلى السيل ، فحفر عنهما وعليهما نمرتان ، وعبدُ الله قد أصابه جرح فى يده فيده على جرحه فأميطت يدُه عن جرحه فانبعث الدم ، فردت إلى مكانها فسكن الدم ، قال جابر : فرأيت أبى فى حُفْرته فكأنه نائم ، وبين ذلك ست وأربعون سنة .

قال : ويقال : إن معاوية لما أراد أن يُجْرِىَ الكظامة نادى مُنَاديه بالمدينة:

مَنْ كان له قتيل بأحُدٍ فليشهد ، فخرج الناسُ إلى قتلاهم ، فوجدوهم رِطاباً يتثنون ، فأصابت المِسْحاة رجلَ رجلٍ منهم فانبعث دم،فقال أبو سعيد الخدرى: لا ينكر بعد هذا منكر ، ووجد عبد الله بن عمرو وعمرو بن الجموح فى قبر واحد فنقلا ، وذلك أن القَناة كانت تمر على قبرهما ، ولقد كانوا يجهزون التراب فحفروا ثبرة من تراب فاح عليهم ريحُ المسك .

قلت : وفيه مخالفة لما تقدم عن الصحيح ؛ لاقتضائه بقاءهما فى قبر واحد حتى كان إجراء العين ، وفى ذلك كله ظهور المعجزة ، وهو السر فى تكرر ذلك .

وروى ابن شبة عن أبى قتادة قال : أتى عمرو بن الجَمُوح إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أرأيت إن قاتَلْتُ حتى أُقتَلَ فى سبيل الله ترانى أمشى برجلى هذه فى الجنة ؟ قال : نعم ، وكانت عَرْجَاء ، فقتل يوم أحد هو وابن أخيه ، فمر النبى صلى الله عليه وسلم فقال : كأنى أراك تمشى برجلك هذه صحيحةً فى الجنة ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهما و بمولاهما فجعلوا فى قبر واحد .

قال أبو غسان : قال الواقدى : مع عمرو فى القبر خارجة بن زيد ، وسعد ابن الربيع ، والنعمان بن مالك ، وعبد الله بن الحَسْحَاس ، قال أبوغسان : وقبرهم مما يلى المغربَ من قبر حمزة رضى الله تعالى عنه نحو خمسمائة ذراع .

قال : وأما ما يعرف اليوم من قبور الشهداء فقبر حمزة بن عبد المطلب ، وهو فى عُدْوة الوادى الشامية مما يلى الجبل ، وقبر عبد الله بن حَرَام أبى جابر ومعه عمرو ابن الجُمُوح أى فى الموضع المتقدم وصفه ، وقبر سهل بن قيس بن أبى كعب بن القَيْن بن كعب بن سواد من بنى سلمة وهو دبر قبر حمزة شاميا بينه و بين الجبل.

قال : فأما القبور التى فى الحِظَار بالحجارة بين قبر حمزة و بين الجبل فإنه بلغنا أنها قبور أعراب أقحموا زمن خالد إذ كان على المدينة فماتوا هناك فدفنهم، سُؤَّال كانوا يسألون عند قبور الشهداء .

قال : وقال الواقدى : هم ماتوا زمن الرَّمادة .

قلت : زمن الرمادة عام جَدْب مشهور ، كان فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه .

وأما زمن خالد فيعنى به خالدَ بنَ عبد الملك بن الحارث ، كان والياً لهشام ابن عبد الملك فقحط المطر فى ولايته سَبْعَ سنين ، وفيها جلا الناس من بادية الحجاز إلى الشام ، ولا يعرف اليوم من قبور الشهداء غير قبر حمزة رضى الله تعالى عنه كما قاله ابن النجار .

قال : وأما بقية الشهداء فهناك حجارة مرصوصة يقال : إنها قبورهم .

قلت : ينبغى أن يسلم على بقيتهم عند قبر حمزة وفى غربيه وشاميه على النحو المتقدم

وقال المطرى ومتابعوه : وشمالى مشهد حمزة رضى الله تعالى عنه آرام من حجارة يقال : إنها من قبور الشهداء ، ولم يثبت ذلك بنقل صحيح .

وقد ورد فى بعض كتب المغازى أن هذه القبور قبور أناس ماتوا عام الرَّمادة ، ولا شك أن قبور الشهداء رضى الله تعالى عنهم حول قبر حمزة ؛ إذ لا ضرورة أن يبعدوا عنه ، انتهى .

قلت : قد تقدم النقل ببعد بعضهم عنه على نحو خمسمائة ذراع فى المغرب ، والمقتضى للبعد الأمر بدفنهم فى مَصارعهم ، والقبور التى قيل إنها ليست قبورهم هى التى عليها حائز قصير من الأحجار قرب الجبل .

من دفن بالمدينة من قتلى أحد

ذكر قبور من قيل إنه نقل من شهداء أُحُد ودفن بقبره

قال ابن إسحاق : وكان ناس من المسلمين قد احتملوا قتلاهم إلى المدينة فدفنوهم بها ، فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وقال : ادفنوهم حيث صُرعوا .

وتقدم فى فصل مقبرة بنى سلمة ما روى من دَفْن بعض قتلى أحد بها ، منهم أبو عمرو بن سكن .

وتقدم فى فصل قبل هذا أن خُنَيْسَ بن حُذَافة تأخرت وفاتُه فمات بالمدينة ، ودفن عند عثمان بن مظعون .

وروى ابن شبة عن عبد الرحمن بن عمران عن أبيه قال : نقلنا عبد الله بن سلمة والمحذر بن زياد فدفناهما بقباء .

وقال عبد العزيز : إن رافع بن مالك الزرقى قتل بأحد فدفن فى بنى زريق ، قال : وقيل : إن موضع قبره فى دار آل نوفل بن مُسَاحق التى فى بنى زريق التى فى كُتَّاب عروة .

وعن أبى سعيد الخدرى قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من نقل من شهداء أحد إلى المدينة أن يدفنوا حيث أدركوا ، فأدرك أبى مالك بن سنان عند أصحاب العَباء فدفن ، ثم قال ابن أبى فديك : قبره فى المسجد الذى عند أصحاب العَبَاء فى طرف الحناطين .

ورواه ابن زبالة بنحوه ، إلا أنه قال : فوافَوْهُ بالسوق ، فدفن مالك عند مسجد أصحاب العَبَاء ، وهناك أحجار الزيت .

قلت : وقد قدمنا بيان مشهده فى المشاهد ، ولكن روى الترمذى وقال حسن صحيح عن جابر رضى الله تعالى عنه قال : كنا حَمَلْنا القَتْلَى يومَ أحد لندفنهم ، فجاءنا منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمَرَنَا بدَفْن القتلى فى مَصَارعهم ، فرددناهم ، وليُحْمَلْ على مَنْ لم يَبْلُغوا به للمدينة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

الباب السادس

فى آبارها المباركات ، والعين ، والغِراس ، والصَّدَقَات التى هى للنبى صلى الله عليه وسلم منسوبات ، وما يُعْزى إليه صلى الله عليه وسلم من المساجد ، والمواضع التى صلى فيها فى الأسفار والغزوات ، وفيه خمسة فصول :

الفصل الأول

فى آبارها المباركات

ورتبتها عل حروف المعجم ، معتمدا للأول فالأول من الاسم الذى تضاف إليه البئر ، وختمته بتتمة فى العين المنسوبة للنبى صلى الله عليه وسلم ، والعين الموجودة اليوم ، وغيرها :

بئر أريس

بئر أريس ـ بفتح الهمزة وكسر الراء وسكون المثناة التحتية و إهمال آخره ـ نسبة إلى رجلٍ من يَهُود يقال له أريس ، ومعناه بلغة أهل الشام الفلَّاح .

روينا فى صحيح مسلم عن أبى موسى الأشعرى رضى الله تعالى عنه أنه توضَّأ فى بيته ، ثم خرج فقال : لَأُلزمَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولأكونَنَّ معه يَوْمِى هذا ، فجاء إلى المسجد ، فسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : خرج، وجَّه ههنا ، قال : فخرجت على أثره أسأل عنه ، حتى دخل بئر أريس ، قال : فجلست عند الباب وبابُها من جريد حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته وتوضأ ،فقمت إليه فإذا هو قدجَلَس على بئر أريس وتوسَّطَ قفها[1] وكشف عن ساقيه ودَلَّاهما فى البئر ، قال : فسلمت عليه ، ثم انصرفت فجلست عند الباب ، فقلت : لأكونَنَّ بوابَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم اليوم ، فجاء أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فدفع الباب فقلت : مَنْ هذا ؟ فقال : أبو بكر ، فقلت : على رِسْلِك ، قال : ثم ذهبت فقلت : يارسول الله هذا أبو بكر يستأذن ، فقال : ائذن له و بشره بالجنة ، قال : فأقبلت حتى قلت لأبى بكر رضى الله تعالى عنه : ادْخُلْ ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يبشرك بالجنة ، قال : فدخل أبو بكر وجلس عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم معه فى القف ودَلَّى رجليه فى البئر كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكشف عن ساقيه ، ثم رجعت فجلست وقد تركت أخى يتوضأ ويلحقنى ، فقلت: إن يُرِدِ الله بفلان خيرا يأتِ به، فإذا إنسان يحرك الباب ، فقلت : من هذا ؟ فقال : عمر بن الخطاب ، فقلت: على رِسْلِك، ثم جئت

(١) القف ـ بالضم ـ حجارة عظام ، وأراد ما أحاط بالبئر من بناء أو نحوه.

النبي صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه وقلت : هذا عمر يستأذن ، فقال : ائذن له وبشره بالجنة ، فجئت عمر فقلت : ادخل و يبشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، قال : فدخل فجلس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القف عن يساره ودَلَّى رجليه فى البئر ، ثم رجعت فجلست فقلت : إن يُرِدِ الله بفلان خيرا يعنى أخاه يأتِ به ، فجاء إنسان فحرّكَ الباب ، فقلت : مَنْ هذا ؟ فقال : عثمان بن عفان ، فقلت : على رِسْلك ، قال : وجئت النبيَّ صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال : ائذن له وبشره بالجنة مع بَلْوَى تُصيبه ، فجئت فقلت : ادْخُلْ و يبشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة مع بلوى تصيبك ، قال : فدخل فوجد القف قد ملىء ، فجلس وُجَاههم من الشق الآخر ، قال شريك : فقال سعيد بن المسيب : فأوَّلْتُها قبورَهم .

قلت : وسيأتى فى ترجمة الأسواق واقعة مثل هذه كان البواب فيها بلالا .

وروى أحمد والطبرانى من وجوه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قصة نحوها أيضا كان هو البواب فيها ، وقال : بُحشٌ من حشان المدينة ، و بعض أسانيدها رجاله رجال الصحيح ، ولا مانع من تعدد ذلك .

وقد غاير رزين بين بئر أريس و بين البئر التى وقع الجلوس بقفها ، فقال فى ذكر الآبار المعروفة بالمدينة : بئر أريس التى سقط فيها الخاتم ، وبئر القف التى أدلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر أرجُلَهم فيها ، وذكر بقية الآبار .

وروينا فى صحيح البخارى من حديث أنس قال : كان خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يده وفى يد أبى بكر بعده وفى يد عمر بعد أبى بكر ، قال : فلما كان عثمان جلس على بئر أريس ، فأخرج الخاتم ، فجعل يعبث به ، فسقط ، فقال : فاختلفنا ثلاثة أيام مع عثمان ، فنزح البئر فلم نجده ، وفى مسند الحميدى عن ابن عمر أنه سقط من مُعَيْقيب ، وثبت ذلك من روايته فى صحيح مسلم .

ورواه ابن زبالة عنه على الشك ، فقال : فهو الخاتم الذى سقط من عثمان أو من معيقيب فى بئر أريس .

وروى عنه النسائى وابن شبة واللفظ له حديثَ اتخاذ النبى صلى الله عليه وسلم خاتمَه من الْوَرِقِ ، ونقشه فيه « محمد رسول الله » وصيرورته فى يد عثمان سِنِين من عمله ، ثم قال فيه : فلما كثرت عليه الكتب دفعه إلى رجل من الأنصار فكان يختم به، فخرج إلى قليب لعثمان فوقع فيها ، فالتُمِسَ فلم يُوجد ، فأمر بخاتم من وَرِق فعمل عليه ، ونقش « محمد رسول الله » .

ومعيقيب دَوْسِى من أصحاب الهجرتين، لكن قد يوصف المهاجرى بالأنصارى بالمعنى الأعم ، والجمع بأن نسبة السقوط إلى عثمان رضى الله تعالى عنه مُحَاذية لنيابة معيقيب عنه بعيد جداً ؛ لقوله فى رواية البخارى السابقة « فأخرج الخاتم فجَعَل يعبث به فسقط » .

وكان سقوطه بعد ست سنين من خلافته ، وكان فيه سر مما كان فى خاتم سليمان عليه الصلاة والسلام ؛ لذهاب ملكه عند فقده ، ولما فقد عثمان الخاتم انتقض عليه الأمر ، وخرج عليه مَنْ خرج ، وكان ذلك مبتدأ الفتنة المتصلة إلى آخر الزمان .

وروى ابن زبالة عن ابن كعب القُرَظى قال : سَقَطَ ـ يعنى الخاتم ـ من عثمان فى بئر الخريف التى فى بئر أريس ، فعلّق عليها اثنى عشر ناضحاً فلم يقدر عليه حتى الساعة ، فاقتضى أنه لم يكن فى بئر أريس نفسها ، ولهذا نقل ابن شبة عن أبى غسان سقوط الخاتم فى بئر أريس وأنه قال : وقد سمعتُ مَنْ يقول : إنما سقط فى بئر فى صدقته يقال لها بئر خريف أى من آبار المال المسمى ببئر أريس ؛ لأن ابن شبة قال أيضا : قال أبو غسان : ابتاع عثمانُ بئر أريس وفيها مال يقال له الدومة ، ابتاعه من حى من الأنصار وفيه سَهْمُه الذى أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من أموال بنى النضير، وفيها كيدمة مال لعبد الرحمن بن عوف، ثم روى أن عبد الرحمن بن عوف باع كيدمة من عثمان بأربعين ألف دينار، وأمر عثمان عبدَ الله بن سعد

ابن أبى سرح فدفعها إليه ، وأنه تصدق بها على أمهات المؤمنين وغيرهن .

وفى رواية أن عبد الرحمن أوصى بكيدمة لأمهات المؤمنين ، فبعثها من عبد الله بن سعد بن أبى سرح .

ثم قال : قال أبو غسان : وأما أريس الذى نسب إليه المالُ فإن عبد العزيز ابن عمران حدثنى عن عنبس العقبى قال : أريس رجلٌ من يهود بنى نجم ، وكان له ذلك المال ، وفيه بئر عاضر التى يقول فيها اليهودى :

أمَرْتُ بلالاً أن يعلـــق دَلْوَهُ عَلَى الأعليين اليوم مِنْ بئر عاضِرِ

فجمعها عثمان رضى الله تعالى عنه فى حِظَارٍ واحد ، وهى سبعة أموال ، فتصدق بها ، قال : فحدث عبد الرحمن بن أبى الزناد عن إبراهيم بن عبد الله بن فروخ عن أبيه عن جده قال : دخل علينا عثمان بئر أريس ، وقد لفقنا له عذقا منها ، فقال : ماهذا ؟ فقلنا : لفقناه لك يا أميرالمؤمنين ، قال: إنما تصدَّقْتُ بها على ذَوِى القربى والفقراء واليتامى والمساكين وابن السبيل ، حتى العافية عافية الطير والسباع ، قال: وقد كان لصدقة عثمان رضى الله تعالى عنه فيما بلغنى ذكر فى حَجَر منقوش على باب بئر أريس فطَرَحَه بعض ولاة المدينة فى بئر من تلك الآبار ، انتهى ما نقله ابن شبة عن أبى غسان ملخصاً .

وسيأتى فى ترجمة كيدمة أنها سَهْمُ عبد الرحمن بن عوف من بنى النضير ، وأن بقرب المشربة والجرع المعروف بالحسينات موضع يعرف بكيادم بلفظ الجمع ، والدومة معروفة اليوم بالعالية قرب بنى قريظة ، وبقربها موضع يعرف بالدويمة أيضاً .

وهذا يشكل على ما هو معروف اليوم ، وبه صرح ابن النجار كالغزالى ، وتبعه مَنْ بعده ، من أن بئر أريس هى المقابلة لمسجد قباء فى غربيه ، ويزيد الإشكالَ قوةً أن بنى النضير وبنى نجم لم يكونوا بقباء ، بل بجهة الدومة المذكورة

وما والاها ، كما يعلم مما تقدم فى المنازل .

وكنت قد أجبتُ عن ذلك باحتمال أن يكون بعضُ أموالهم كان بقباء وأن يكون منها ما يسمى بالدومة و بكيدمة فى تلك الجهة ثم نسى تسميته بذلك .

ثم رأيت فى كلام ابن زبالة ما يردُّ ذلك ، ويزيد الإشكالَ قوةً فإنه قال فى صدقات النبى صلى الله عليه وسلم ما لفظه : وأما الدلال والصافية فإنهما يَشْرَبان من سَرْح عثمان بن عفان الذى يَشُقُّ من مهزور فى أمواله ، يأتى على أريس وأسفل منه حتى يتبطَّنَ السورين ، فصَرَفه ـ أى عثمان رضى الله تعالى عنه ـ مخافة على المسجد فى بئر أريس ، ثم فى عقد أريم فى بَلْحَارث بن الخزرج ، ثم صرفه إلى بطحان ، انتهى .

والموضع المعروف بقباء لايمكن وصولُ شىء من مهزور إليه ، كما يعلم مماسيأتى فى وصف وادى مهزور ، فالله أعلم .

من فضل بئر أريس

قال المجد : ومما يُذكر فى فضل بئر أريس ما رويناه عن زيد بن خارجة أنه عاش بعدَ الموت وذكر أموراً : منها ما يدل على فضل هذه البئر ، وسياق الخبر عن النعمان بن بشير قال : لما توفى زيدُ بن خارجة انتظر به خروجُ عثمان ، فكشف الثوب عن وجهه وقال : السلامُ عليكم ، قال : وأنا أصلى ، فقلت : سبحان الله ، فقال : أنصتوا أنصتوا ، محمد رسول الله ، كان ذلك فى الكتاب الأول ، صدق صدق صدق ، أبو بكر الصديق ، ضعيف فى جسده قوى فى أمر الله كان ذلك فى الكتاب الأول ، صدق صدق صدق ، عمر بن الخطاب ، قوى فى أمر الله كان ذلك فى الكتاب الأول ، صدق صدق صدق ، عثمان بن عفان ، اثنتان و بقى أربع ، وأبيحت إلا حمى بئر أريس وماء بئر أريس .

وقد رويت هذه القصة من وجوه عن النعمان بن بشير ، ذكره الذهبى فى التذهيب .

قلت : رواها ابن شبة بنحوه ، إلا أنه قال فى آخرها : بئر أريس اختلف الناسُ ، ارجعوا إلى خليفتكم فإنه مظلوم.

وقال فى رواية أخرى : ثم قال : أخذت بئر أريس، ثم خَفَتَ الصوت .

وروى البيهقى فى دلائل النبوة هذه القصة من وجوه ، وقال فى بعضها : إسناده صحيح ، وفسر قوله « اثنتان » بأن ذلك كان بعد مضى سنتين من خلافة عثمان ، والأربع البواقى من خلافته ، والأمر فى بئر أريس سقوط خاتم النبى صلى الله عليه وسلم فيها بعد ست سنين من خلافة عثمان ، فعند ذلك تغيرت عماله ، وظهرت أسباب الفتن ، انتهى .

قال المجد : وفى الإحياء للغزالى أن النبى صلى الله عليه وسلم « تَفَلَ فى بئر أريس » ولم أجد ذلك عند غيره ، وأعاد المجدُ ذكرَ بئر أريس فى ترجمة قباء وقال : إنها التى تَفَلَ فيها النبىُّ صلى الله عليه وسلم فَعَذُبَتْ بعد أن كان ماؤها أُجَاجاً، ولم ينسبه للغزالى ، وهو فى ذلك متابع لابن جُبَير فى رحلته .

وقال الحافظ العراقى فى تخريج أحاديث الإحياء : إنه لم يقف على أصل الحديث [فى] تَفْله صلى الله عليه وسلم فى بئر أريس .

قلت : ومن الغريب قولُ ابن جماعة فى مناسكه الكبرى فى باب الفضائل « فضل بئر أريس : قد صَحَّ أن سيدَنَا رسول الله صلى الله عليه وسلم تَفَلَ فيها ، وأنه سقط فيها خاتمه » انتهى .

وخرج البيهقى من حديث إبراهيم بن طهمان عن يحيى بن سعيد أنه حدثه أن أنس بن مالك رضى الله عنه أتاهم بقباء يسأله عن بئر هناك، فدللته عليه، فقال : لقد كانت هذه وإنَّ الرجُلَ لَيَنْضَحُ على حماره فتنزح فيستخرجها له ، فجاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأمَرَ بذَنُوب فسقى ، فإما أن يكون توضأ منه أو تَفَلَ فيه ، ثم أمر به فأعيد فى البئر ،فما نزحت بعدُ ، فرأيته صلى الله عليه وسلم بال ثم جاء فتوضأ ومَسَحَ على خُفَّيه ثم صلى ، لكن سيأتى فى بئر غَرْس

ما يبين أنها المُرَادة بذلك ، ولم يعد ابن شبة ولا ابن زبالة بئر أريس فى الآبار التى كان يُسْتَقَى منها للنبى صلى الله عليه وسلم ، وإنما ذكرَهَا ابنُ شبة فى صدقة عثمان ، وذكر سقوطَ الخاتم فيها مع ما تقدم .

وهذه البئر المعروفة اليوم بقباء من أعذب آبار المدينة .

ذرع بئر أريس

وذكر ابن النجار أنه ذَرَعَ طولها فكان أربعة عشر ذراعاً وشبرا ، منها ذراعان ونصف ماء ، وعرضها خمسة أذرع ، قال : وطول قفها الذى جلس عليه النبى صلى الله عليه وسلم وصاحباه ثلاثة أذرع تشف كفا ، قال : وهى تحت أُطُمٍ عالٍ ، خَرَابٌ من جهة القبلة ، وقد بنى فى أعلاه مسكن.

قال المطرى ، عقب ذكره أن ذلك المسكن يسكنه مَنْ يقوم بالحديقة ويخدم مسجد قباء .

قلت: وهو اليوم بيد المتكلم على الحديقة صاحبنا الشيخ برهان الدين القطان، ووقع بينه و بين صاحبنا الفخر العينى مشاجرة بسببه وسبب البئر ؛ لأن الفخر بيده قطعة تحت الحصن المذكور وقطعة أخرى فى مقابلة المسجد أنشأها بعض أقاربه هناك ، ثم اصطلحا على السَّقْى بالبئر المذكورة واستمرار الحصن بيد البرهان ، ثم رفعوا قف البئر عما أدركناه عليه نحو ثلاثة أذرع ، وذلك لما بنى متولى العمارة السبيلَ والبركة المقابلين لمسجد قباء المتقدم ذكرهما فيه ، وذلك ليتأتى وصولُ الماء إلى البركة ، وصار طولُ هذه البئر اليوم على ما ذَرَعْتُه تسعَ عشرة ذراعا ونصف ذراع ، منها أربعةُ أذرعٍ ماء ، وذلك بعد تبحيرها .

ولهذه البئر درجة ذكرها المطرى ، فقال : وقد حدَّد الشيخُ صفى الدين أبو بكر بن أحمد السلامى لهذه البئر درجا ينزل إليها منه مَنْ يريد الوضوء والشرب من الزوار سنة أربع عشرة وسبعمائة ، انتهى . وهو مخالف لقول البدر ابن فرحون فى ترجمة نجم الدين يوسف الرومى وزير الأمير طفيل : إنه هو الذى أنشأ الدرجة الموجودة اليوم لبئر أريس بقباء عمرها فى سنة أربع عشرة وسبعمائة، قال: وكان الجماعة

الخرازون قد ابتدؤا فى عمارتها فسألهم أن يتركوا ذلك له ليفوز بحسنتها ، وكان الحامل لهم على ذلك أنهم كانوا إذا جاؤا إلى مسجد قباء لا يجدون ما يتوضؤن به ، إلا من الحديقة الجعفرية ، فكانوا يتحرّجون من دخولها لما سمعوا أنها مغصوبة من ملاكها ، انتهى .

وجمع المجد بأنّ الظاهر أن نجم الدين المذكور أنشأ الدرجة وتشعثت ، فأصلحها صفى الدين وجددها .

قلت : ويرده اتخاذ التاريخ كما سبق . والذى يظهر أن جماعة الخرازين — كما ترجمهم به البدر — كانوا يسعون فى عمارة المساجد وغيرها ، وكانوا فقراء ؛ فيعينهم الخدم ، وأهل الخير ، وكان صفى الدين له دنيا عظيمة فتخلى عنها ، وله معروف فكأنه هو المدد للخرازين بما صرفوا على عمارة الدرج ، وكان المطرى يَصْحَب الجميع ، فالظاهر أنه اطّلع على ذلك ، ثم أتم نجم الدين عمارة تلك الدرجة والله أعلم .

بئر الأعواف

بئر الأعواف ، أحد صدقات النبى صلى الله عليه وسلم الآتية

روى ابن شبة عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان قال : توضأ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على شفة بئر الأعواف صدقتِهِ ، وسال الماء فيها ، ونبتت نابتة على أثر وضوئه صلى الله عليه وسلم ، ولم تزل فيها حتى الساعة .

وروى ابنُ زَبالة عن عثمان بن كعب قال : طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم سارقاً ، فهرب منه ، فنكبه الحجر الذى وُضع بين الأعواف صدقة النبى صلى الله عليه وسلم وبين الشطبية مال ابن عتبة ، فوقع السارق ، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبَرَّكَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحجر ومَسَّه ودعا له ، فهو الحجر الذى فيما بين الأعواف والشطبية يطلع طرفه يمسه الناس .

قلت : والأعواف اليوم اسم لجرع كبير فى قبلة المربوع ، وفى شاميه خناقة ، وفيه آبار متعددة ؛ فلا تعرف البئر المذكورة منها ، وكذلك الحجر ؛ لأن

الشطبية غير معروفة اليوم ، ولعلها الموضع المعروف بالعتبى ؛ لقوله فى الرواية المتقدمة : مال ابن عتبة ، والعتبى بجنب الأعواف من المشرق ، فإن كان هو الشطبية فبئر الأعواف هى البئر التى فيما يلى خُنَافة من جرع الأعواف ، وهى اليوم معطلة لا ماء بها ، ويستأنس لذلك بما نقله ابن زبالة من أن الأعواف كانت لخنافة اليهودى جد ريحانة رضى الله تعالى عنها .

ولم يذكر المطرى ومَنْ تبعه هذه البئر ولا الغلالة بعدها ؛ لسكوت ابن النجار عنها .

بئر أنا

بئر انا ـ بضم الهمزة وتخفيف النون كهنا ، وقيل : بالفتح وكسر النون المشددة بعدها مثناة تحتية ، وقيل : بالفتح والتشديد كحَتَّى ، وضبطه فى النهاية بفتح الهمزة وتشديد الباء الموحدة كحتى ، ذكره فى القاموس أيضاً ، وذكره ياقوت فى المشترك له ، وقال : كذا هو مضبوط بخط أبى الحسين بن الفرات ، ثم قال : وذكر آخرون أنها بئر أنا بضم الهمزة والنون الخفيفة .

روى ابن زبالة عن عبد الحميد بن جعفر قال : ضَرَبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبته حين حاصَرَ بنى قريظة على بئر أنا ، وصلى فى المسجد الذى هناك ، وشرب من البئر ، وربَطَ دابته بالسِّدْرَة التى فى أرض مريم ابنة عثمان .

وقال ابن إسحاق : لما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى قريظة نزل على بئر من آبارها ، وتلاحَقَ به الناس ، وهى بئر أنا .

قلت : وهى غير معروفة اليوم ، وناحية بنى قريظة عند مسجدهم .

بئر أنس

بئر أنس بن مالك بن النضر ، وتضاف أيضا لأبيه .

وروى ابن زبالة عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استسقى ، فنزع له دلو من بئر دار أنس ، فسَكَبَ على اللبن فأتى به فشرب ، وعمر بين يديه وأبو بكر عن يساره ، وأعرابى عن يمينه ، الحديثَ ، وهو فى الصحيح عن أنس

بلفظ : أتانا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى دارنا هذه ، فاستسقى ، فحلبنا شاة لنا ثم شُبْتُه من بئرنا هذه فأعطيته ، الحديثَ .

وروى ابن شبة عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم شرب من بئر أنس التى فى دار أنس .

وخرج أبو نعيم عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم بَزَقَ فى بئر داره ، فلم يكن بالمدينة بئر أعْذَبُ منها ، قال : وكانوا إذا حُوصِرُوا استعذب لهم منها ، وكانت تسمى فى الجاهلية البرود .

قلت : وهى غير معروفة اليوم ، لـكن تقدم عن ابن شبة فى البلاط أنه كان له سرب يخرج عند دار أنس بن مالك فى بنى جديلة ، وتقدم فى بيان المحلِّ الذى ضُرِبَ منه اللِبنُ للمسجد النبوى أن البئر المعروف اليوم بالرباطية وقف رباط اليمنة فى شامى الحديقة المعروفة بالرومية بقرب دار فحل يتبرك بها الفقراء ، كما ذكره الزين المراغى ، وقال : إنها تعرف ببئر أيوب ، وكذلك البئر ذات الدرج التى فى شرقيها فى الحديقة المعروفة بأولاد الصفى تعرف ببئر أيوب أيضاً .

قلت : والمعروف اليوم ببئر أيوب إنما هى الثانية ، والظاهر أنها بئر أبى أيوب الأنصارى ، وأما الأولى فالظاهر أنها بئر أنس ؛ لأنها فى جهة السرب الذى ذكره ابن شبة قرب منازل بنى جديلة ، ولتبرك الناس بها قديما ، ولأنها عذبة الماء بحيث يشرب منها كثير من أهل تلك الجهة أيام النقلة فى الصيف ، وسيأتى فى بئر السقيا أنه كان يستعذب للنبى صلى الله عليه وسلم الماء من بئر مالك بن النضر والد أنس .

وروى ابن شبة عن أنس فى ذكر بئره قال : كان فى دارى بئر تدعى فى الجاهلية البرود ، كان الناس إذا حوصروا شربوا منها .

واعلم أن أنس بن مالك بن النضر بن عدى بن النجار قد روى أهلُ السير أن النبى صلى الله عليه وسلم لما بلغ من العمر ستَّ سنينَ خرجت به أمه إلى طيبة

تُزِيرُهُ أخوالَه من بنى عدى بن النجار ، قال صلى الله عليه وسلم : فأحسنت العوم فى بئرهم .

بئر إهاب

بئر إهاب ، وفى نسخة لابن زبالة « بئر الهاب » والأول هو الصواب الذى اعتمده المجد .

روى ابن زبالة عن محمد بن عبد الرحمن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بئر إهاب بالحرة وهى يومئذ لسعد بن عثمان ، فوجد ابنَه عُبَادة بن سعد مربوطا بين القرنين يفتل ، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يلبث سعد أن جاء فقال لابنه : هل جاءك أحد ؟ قال : نعم ووصف له صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ذاك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فالحقه ، وحَلَّه ، فخرج عُبَادة حتى لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمَسَحَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على رأس عُبَادة و برك فيه ، قال : فمات وهو ابن ثمانين وما شَابَ ، قال : و بصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بئرها .

قال : وقال سعد بن عثمان لولده : لو أعلم أنكم لا تبيعونها لقبرت فيها ، فاشترى نصفها إسماعيل بن الوليد بن هشام بن إسماعيل ، وابتنى عليها قصره الذى بالحرة مقابل حوض ابن هشام ، وابتاع نصفها الآخر إسماعيل بن أيوب ابن سلمة ، وتصدقا بما ابتاعا من ذلك .

قلت : وهى المذكورة فى حديث أحمد المتقدم فى بَدْء شأن المدينة وما يؤل إليه أمرها ، لقوله فيه « خرج حتى أتى بئر الإهاب ، قال : يوشك أن يأتى البنيان هذا المكان » .

وفى حديث عبادة الزرقى أنه يصيد القَطَا فيرقى بئر إهاب ، وكانت لهم ، الحديثَ المتقدم فى صيد الحرم ، وهى بالحرة الغربية بئر ، غير أنها لا تعرف اليوم بهذا الاسم ، إلا أن حوض ابن هشام الذى فى مقابلتها كان عند فاطمة بنت الحسين التى رجَّحَ المطرىُّ أنها المسماة اليوم بزمزم كما سيأتى أيضاً فى خبر بئر فاطمة

المذكورة ، فلما بنى إبراهيم بن هشام دَارَهُ بالحرة بعد وفاة فاطمة وأراد نقل السوق إليها صنَعَ فى حفرته التى بالحوض مثل ما صنعت فاطمة ، فلقى جبلا ، فسأل إبراهيم بن هشام بن عبد الله بن حسن بن حسن أن يبيعه دار فاطمة ، فباعه إياها ، أى من أجل البئر التى احتفرتها فاطمة فى دارها .

وقال المطرى : إن ابن زبالة ذكر عدة آبار أتاها النبى صلى الله عليه وسلم وشرب منها وتوضأ ، لا نعرف اليوم شيئاً منها .

قال : ومن جملة ماذكر بئر بالحرة الغربية فى آخر منزلة النقاء ، وذكر ماسيأتى فى بئر السقيا .

ثم قال ما لفظه : ومنها بئر أخرى إذا وقفت على هذه ـ يعنى بئر السقيا ـ وأنت على جَادَّةِ الطريق وهى ـ يعنى السقيا ـ على يسارك كانت هذه على يمينك ، ولكنها بعيدة عن الطريق قليلا فى سند من الحرة قد حُوِّطَ حولها ببناء مُجَصَّص ، وكان على شفيرها حوض من حجارة تكسر ، ولم يزل أهل المدينة قديما وحديثاً يتبركون بها ، ويشربون من مائها ، وينقل إلى الآفاق منها ، كما ينقل من ماء زمزم ، ويسمونها زمزم أيضاً لبركتها .

ثم قال : ولم أعلم أحدا ذكر فيها أثرا يُعتمد عليه ، والله أعلم أيتهما هى السقيا ؟ الأولى لقربها من الطريق ، أم هذه لتواتر التبرك بها ؟ أو لعلها البئر التى احتفرتها فاطمة بنة الحسين حين أخرجت من بيت جدتها فاطمة الكبرى ، وذكر القصة الآتية فى حَفْرِها لبئرها ، ثم قال : إن الظاهر أن هذه هى بئر فاطمة ، والأولى هى السقيا .

قلت : قوله « إن الأولى هى السقيا » هو الصواب كما سيأتى ، وأما قوله « إن الثانية هى بئر فاطمة » فعجيب ؛ لأن مقتضى قوله ومنها أنها من جملة الآبار التى ذكر ابن زبالة أن النبى صلى الله عليه وسلم أتاها وشرب منها ، وبئر فاطمة بنت الحسين هى التى احتفرتها بعد النبى صلى الله عليه وسلم ، وإنما ذكرها ابن

زبالة فى خبر بناء المسجد ، وذكر فى آبار النبى صلى الله عليه وسلم ما قدمناه فى بئر إهاب مع بئر السقيا وغيرها من الآبار ، ثم أفردها ثانيا فى سياق ما جاء فى الحرة الغربية ، وأيضا فقد ذكر المطرى أن البئر المذكورة لم تزل يتبرك بها قديما وحديثا ، وينقل منها الماء إلى الآفاق ، فكيف ترجَّحَ أنها المنسوبة لابنة الحسين مع وجود بئر فى تلك الجهة ينسب إلى النبى صلى الله عليه وسلم إتيانُها والبَصْق فيها ؟ فالذى ترجَّحَ عندى أن هذه البئر المعروفة بزمزم هى بئر إهاب ، وقد رأيت عندها مع طرف الجدار الذى بجانبها الدائر على الحديقة آثارَ قصرٍ قديم كان مَبْنِيًّا عليها الظاهرُ أنه قصرُ إسماعيلَ بن الوليد الذى ابتناه عليها ، وفى شاميها بئر أخرى فى الحديقة المذكورة يحتمل أنها هى المنسوبة لابنة الحسين ، ولعل حوض ابن هشام كان هناك ، والله أعلم .

بئر البصة

بئر البُصَّة ـ بضم الموحدة وفتح الصاد المشددة آخره هاء ، كأنها من بَصَّ الماء بَصًّا رشَحَ ، كذا قاله المجد ـ قال : وإن روى بالتخفيف فمن وَبَصَ يَبِصُ وَبْصاً وبِصَةً كوَعَدَ يَعِدُ وَعْدًا وعِدَةً إذا بَلَغ ، أومن وَبَصَ لى من المال أى أعطانى .

قلت: المعروف بين أهل المدينة التخفيف.

وروى ابن زبالة وابن عدى من طريقه عن أبى سعيد الخدرى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى الشهداء وأبناءهم ، ويتعاهد عيالاتهم ، قال : فجاء يوما أبا سعيد الخدرى فقال : هل عندك من سِدْرٍ أغسل به رأسى فإن اليوم الجمعة ؟ قال : نعم ، فأخرج له سِدْراً ، وخرج معه إلى البصة ، فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه ، فصب غُسالة رأسِه ومراقة شَعره فى البصة .

قال ابن النجار : وهذه البئر قريبة من البقيع على طريق الماضى إلى قباء ، وهى بين نخل ، وقد هَدَمها السيل وطَمَّها ، وفيها ماء أخضر ، وقفت على قفها ، وذرعت طولها ، فكان أحد عشر ذراعا ، منها ذراعان ماء ، وعرضها سبعة أذرع ، وهى مبنية بالحجارة ، ولون مائها إذا انفصل منها أبيض ، وطعمه حلو ، إلا أن

الأجون غلب عليه . وذكر لى الثقة أن أهل المدينة كانوا يَسْتَقُون منها قبل أن يَطُمَّها السيلُ ، اهـ .

وقد أصلحت بعده ، ولذا قال المطرى : إنها فى حديقة كبيرة محوط عليها بحائط ، وعندها فى الحديقة أيضا بئر أصغر منها ، والناس يختلفون فيهما أنهما بئر البصة ، إلا أن ابن النجار قَطَعَ بأنها الكبرى القبلية ، وذكر ما تقدم عنه فى طولها وعرضها ، ثم قال : والصغرى عرضها ستة أذرع ، وهى التى تلى أُطُمَ مالك بن سنان والد أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنهما . قال : وسمعت مَنْ أدركت من أكابر الخدام وغيرهم من أهل المدينة يقولون : إنها الكبرى القبلية ، وإن الفقيه الصالح القدوة أبا العباس أحمد بن موسى بن عجيل وغيره من صُلَحَاء اليمن إذا جاؤا للتبرك بالبصة لا يقصدون إلا الكبرى القبلية .

قلت : الظاهر أن ذلك كله ناشئ عما ذكره ابن النجار فى وصفها ، لكن يُرَجِّحُ أنها الصغرى كونُها إلى جانب الأطم المذكور ، وقد قال فيه ابن زبالة كما تقدم فى المنازل : إنه المسمى بالأجرد ، وإنه الذى يقال لبئره البصة ، كان لمالك ابن سنان ، والكبرى بعيدة عن الأطُم المذكور .

وقد ابتنى قاضى المدينة زكى الدين بن أبى الفتح بن صالح تغمده الله برحمته على محلِّ هذا الأطم منزلا حسنا ، وجعل للبئر الصغرى درجا ينزل إليها منه ، وعمر البئر الكبرى أيضا لما استأجر الحديقة لولده بعد أن أجرها هو وشريكه فى النظر فى الولاية السلطانية لغيره ، وهى من جملة أوقاف الفقراء ، وقَمَّها شيخُ الخدام عزيز الدولة ريحان البدرى الشهامى على الفقراء الواردين والصادرين للزيارة على ما ذكره المطرى ، قال : وذلك بعد وفاته بعامين أو ثلاثة ، ووفاته سنة سبع وتسعين وستمائة ، اهـ .

وفى غربى البئر الصغرى بجانب الحديقة من خارجها سبيلٌ للدوابِّ يُمْلأُ منها ، وعليه موقوف قطعة نخل تعرف بالركبدارية شمالىَّ سُور المدينة .

بئر بضاعة

بئر بضاعة ـ بضم الموحدة على المشهور ، وحكى كسرها ، و بفتح الضاد المعجمة ، وأهملها بعضهم ، وبالعين المهملة ، بعدها هاء ـ غربيَّ بيرحاء إلى جهة الشمال ، بينهما غَلْوَة سهم سبق .

روينا فى سنن أبى داود عن أبى سعيد الخدرى ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وهو يقال له : إنه يُستَقَى لك من بئر بُضَاعة ، وهى بئر تُلْقَى فيها لحومُ الكلاب والمحائض وعُذَر الناس ـ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الماء طَهُورٌ لا يُنَجِّسه شىء » .

ورواه أحمد ، وصححه النسائى ، والترمذى وحَسَّنه ، والدار قطنى وقال فيه « من بئر بضاعة بئر بنى ساعدة » وابنُ شَبَّة إلا أنه قال « وعُذَر النساء » بدل قوله « وعذر الناس » وابنُ ماجه وزاد « لا ينجسه شىء إلا ما غلب عليه ريحه وطعمه ولونه » .

وفى رواية للنسائى عن أبى سعيد قال : مررت بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو يتوضأ من بئر بُضَاعة ، فقلت : أتتوضأ منها وهى يُطْرح فيها ما يُكْرَه من النتن ؟ فقال « الماء لا ينجسه شىء » .

وروى ابن شبة عن سَهْل بن سعد أن النبى صلى الله عليه وسلم « بَصَقَ فى بضاعة » . وعنه أيضا : سقيتُ النبىَّ صلى الله عليه وسلم بيدى من بُضَاعة ، ورواه الطبرانى فى الكبير ورجاله ثقات إلا أنه قال « من بئر بضاعة » وكذا رواه أحمد .

وروى ابن زبالة وأبو يعلى عن محمد بن أبى يحيى عن أمه قالت : دخَلْنَا على سَهْل بن سَعْد فى نِسْوة فقال : لو أنى سقيتكن من بئر بُضَاعة لكرهت ذلك ، وقد والله سقيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بيدى منها

وفى الكبير للطبرانى عن سهل بن سعد أن النبى صلى الله عليه وسلم « برَكَ على بُضَاعة » .

ورواه ابن زبالة عن أبى أسيد ، لكن بلفظ «دَعَا لبئر بضاعة» . وفى الكبير للطبرانى عن مالك بن حمزة بن أبى أسيد الساعدى عن أبيه عن جده أبى أسيد ، وله بئر بالمدينة يقال لها بئر بُضَاعة ، قد بَصَقَ فيها النبى صلى الله عليه وسلم فهى يتبشر بها و يتيمن بها .

قال : فلما قطع أبو أسيد ثمرَ حائطه جعله فى غُرْفَة ، فكانت الغول تخالفه إلى مَشْرَبته فتسرق ثمره و تُفْسِدُه عليه ، فشكا ذلك إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال « تِلْكَ الغُولُ يا أبا أسيد ، فاستمع عليها ، فإذا سمعت اقتحامها فقل : بسم الله ، أجيبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت الغول : يا أبا أسيد ، أعْفِنى أن تكلفنى أن أذهَبَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأعطيك مَوْثِقاً من الله أن لا أخَالِفَكَ إلى بيتك ، وأن لا أسرق ثمرك ، وأدلَّكَ على آية تقرؤها على بيتك فلا يُخَالِفُ إلى أهلك ، وتقرؤها على إنائك فلا يُكْشَفُ غطاؤه ، فأعْطَتْه الموثق الذى رضى به منها ، فقالت : الآية التى أدلّكَ عليها هى آية الكرسى ، ثم حكت أسنانها تضرط ، فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقصّ عليه القصة حيث دَلّته ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : صَدَقَتْ وهِىَ كَذُوبٌ » قال الحافظ الهيثمى : رجاله وثقوا كلهم ، وفى بعضهم ضعف .

وقال المجد : وفى الخبر أن النبى صلى الله عليه وسلم « أتَى بئر بُضَاعة ، فتوضأ من الدَّلْو ورَدَّها إلى البئر ، و بَصَق فيها ، وشرب من مائها ، وكان إذا مرض المريضُ فى أيامه يقول : اغسلونى من ماء بُضَاعة ، فيغسل فكأنما يَنْشَطُ من عِقال » .

وقالت أسماء بنت أبى بكر : كنا نغسل المَرْضَى من بئر بُضَاعة ثلاثة أيام فيعافون ، اهـ .

قال أبو داود فى سننه : سمعتُ قُتَيبة بن سعيد يقول : سألتُ قَيِّمَ بئر بُضَاعة عن عُمْقها أكثر ما يكون فيها الماء ، قال : إلى القامة ، قلت : و إذا نَقَص ، قال : دون العورة ، قال أبو داود عقبه : وقَدَّرْتُ بئر بُضَاعة بردائى ، مَدَدْتُه عليها ثم ذَرَعْته

فإذا عرضها ستة أذرع ، وسألت الذى فتح باب البستان فأدخلنى إليه : هل غُيِّرَ بناؤها عما كانت عليه ؟ فقال : لا ، ورأيت فيها ماء متغير اللون .

وقال ابن النجار : هذه البئر اليوم فى بستان ، وماؤها عذب طيب ، ولونُها صافٍ أبيض ، وريحها كذلك ، ويستقى منها كثيرا ، قال : وذرعتها فكان طولها أحَدَ عَشَرَ ذراعا وشبرا ، منها ذراعان راجحة ماء ، والباقى بناء ، وعَرْضها ستة أذرع كما ذكر أبو داود .

قلت : وذَرْعُها فكان ذَرْعُها كذلك لم يتغير ، إلا أن قَفَّها مرتفع عن الأرض الأصلية ذراعا ونصفا راجحا ، وهى — كما قال المطرى — فى جانب حديقة عند طرف الحديقة الشامى ، والحديقة فى قبلة البئر ، ويستقى منها أهل حديقة أخرى شمالى البئر ، وهى بينهما ، وماؤها عَذْب طيب مع تَعَطُّلها فى زماننا وخراب قَفِّها ، وهى المرادة بما فى صحيح البخارى عن سَهْل بن سعد « إنْ كنا لنفرح بيوم الجمعة ، كانت لنا عجوز تأخذ من أصول السلق » وفى رواية له « ترسل إلى بضاعة » قال ابن سلمة أى شيخ البخارى : محل بالمدينة ، الحديثَ .

قال الإسماعيلى : فى هذا بيان أن بئر بضاعة بئر بستان ؛ فيدل على أن قول أبى سعيد « كانت تلقى فيها الحيض وغيرها » أنها كانت تطرح فى البستان فيجريها المطر ونحوه إلى البئر .

قلت : ومن شاهَدَ بضاعة علم أنه كذلك لأنها فى وَهْدَة ، وحولها ارتفاع ، سيما فى شاميها ؛ إذا قدر اليوم هناك أقذار لسال بها المطر إليها ، وتلقى الرياح فيها ماتلقى ، وادعى الطحاوى أنها كانت سَيْحاً ، وروى ذلك عن الواقدى ، وإنْ صَحَّ فلعل المراد به أن الأرض التى حولها كانت المياه تَسِيحُ فيها فتجرُّ الأقذار إليها ؛ لإطباق مؤرخى المدينة العالمين بأخبارها على تسميتها ببئر ، لا كما قال بعض الحنفية : إنها كانت عينا جارية إلى بستانين ، إذ المشاهدة تردُّه كما قاله المجد ، قال : ولو كان كذلك لما صلح أن يقول فيها المريض « اغسلونى من

ماء بضاعة » لأن الجرية الأولى سارت ببُصاق النبى صلى الله عليه وسلم ، وأيضا فلو كانت قناة جارية وسدت لما خفى آثار مجاريها المنسدة ، والمشاهدة مع الإطباق على أنها البئر المذكورة كافية فى الرد .

وقال المجد : بُضَاعة داربنى ساعدة ، وبها هذه البئر ، ونقله الحافظ ابن حجر عن بعضهم ، ومقتضى كلام شيخ البخارى المتقدم أنها اسم للبستان الذى فيه البئر ، والظاهر إطلاقها على الثلاثة ، والله أعلم .

بئر جاسوم

بئر جاسوم ، ويقال جاسم — بالجيم والسين المهملة — لم يذكرها والتى بعدها ابن النجار ومن بعده ، وتقدم فى مسجد راتج من رواية ابن شبة أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى مسجد راتج ، وشرب من جاسوم ، وهى بئر هناك .

وروى هو وابن زبالة أيضا عن خالد بن رباح أن النبى صلى الله عليه وسلم « شَرِبَ من جاسوم بئر أبى الهيثم بن التيهان » .

وعن زيد بن سعد قال : جاء النبى صلى الله عليه وسلم معه أبو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما إلى أبى الهيثم بن التيهان رضى الله تعالى عنه فى جاسوم ، فشرب من جاسوم ، وهى بئر أبى الهيثم ، وصلى فى غائطه[1] .

وروى الواقدى عن الهيثم بن نصر الأسلمى قال : خدمت النبى صلى الله عليه وسلم ولزمت بابه ، فكنت آتيه بالماء من بئر جاسم ، وهى بئر أبى الهيثم بن التيهان ، وكان ماؤها طيبا ، ولقد دخل يوما صائما ومعه أبو بكر على أبى الهيثم ، فقال : هل من ماء بارد؟ فأتاه بشجب[2] فيه ماء كأنه الثلج ، فصبَّ منه على لبن عَنْزله وسقاه ثم قال له : إن لنا عَريشا باردا ، فَقِلْ فيه يارسول الله عندنا ، فدخله وأبو بكر ، وأتى أبو الهيثم بألوان من الرُّطَب ، الحديثَ ، وأشار الحافظ ابن حجر إلى أنه يؤخذ منه أن هذه القصة هى التى فى الصحيح عن جابر أن النبى صلى الله عليه دَخَلَ على رجل من الأنصار ومعه صاحب له ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : إن كان عندك ماء بائت هذه الليلة فى شجب[2] وإلا كرَعْنا ، قال : والرجل يحول

(١) الغائط : اسم للمكان المنخفض (٢) الشجب — بفتح فسكون — سقاء يقطع نصفه فيتخذ أسفله دلوا .

الماء فى حائطه ، فقال الرجل : يارسول الله عندنا ماء بائت ، فانطلق إلى العريش ، قال : فانطلق بهما فسكب فى قدح ثم حلب عليه من داجن له ، فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم شرب الرجل الذى جاء معه .

قلت : وهذه البئر غير معروفة اليوم ، وتقدم بيان جهتها فى مسجد راتج .

بئر جمل

بئر جمل ، بلفظ الجمل من الإبل - روى ابن زبالة عن ابن عبد الله بن رَوَاحة وأسامة بن زيد قالا : ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بئر جَمَل ، وذهبنا معه ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل معه بلال ، فقلنا : لا نتوضأ حتى نسأل بلالا كيف توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالا : فسألناه ، فقال : تَوَضَّأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ومَسَح على الخفين والخمار ، وفى صحيح البخارى حديث « أقْبَلَ النبى صلى الله عليه وسلم من نحو بئر جمل ، فلقيه رجل ، فسلم عليه - الحديث » .

وفى رواية للدار قطنى « أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغائط ، فلقيه رجل عند بئر جمل » .

وفى أخرى له أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذهَبَ نحو بئر جمل ليقضى حاجته ، فلقيه رجل مُقْبل فسلّم عليه » .

وفى رواية النسائى « أقبل من نحو بئر الجمل » وهو من العقيق ، قاله المجد ، قال : وهى بئر معروفة بناحية الجرف بآخر العقيق ، وعليها مال من أموال أهل المدينة ، قال : ويحتمل أنها سميت بجمل مات فيها ، أو برجل اسمه جمل حَفَرها .

قلت : وهى غير معروفة اليوم ، ولم أر مَنْ سبق المجد لكونها بالجرف غير ياقوت .

وقوله « وهو من العقيق » لم أره فى السنن الصغرى للنسائى ، ويبعده سَوْق الروايات السابقة لقوله « ذهب نحو بئر جمل ليقضى حاجته » وفى أخرى أن الرجل توارى فى السكة ، والمعروف بقضاء الحاجة إنما هو ناحية بقيع الحجبة ، وهو ناحية

بئر أبى أيوب ، وهناك الموضع المعروف بالمناصع ، وتقدم بيان زُقَاق المناصع شرقى المسجد فيما يلى الشام ، وسبق فى الفصل الحادى عشر من الباب الثالث أن ناقته صلى الله عليه وسلم بركَتْ بين أظهر بنى النجار ، أى شرقى المسجد النبوى ، ثم نهضت حتى أتت زقاق الحبشى ببئر جمل فبركت ، الحديثَ ، وهو مؤيد لماقدمناه على أن عند مؤخر المسجد زقاقا يعرف اليوم بخرق الجمل ، وبقرب درب سويقة بئر صغيرة فى زقاق ضيق زعم أهل تلك الناحية أنها هى ، وأظنه غلطا .

وقال المطرى عقب ذكر الآبار التى اقتصر عليها ابن النجار : إنها ست ، والسابعة لا تعرف اليوم ، إلا ما يسمع من قول العامة إنها بئر جمل ، ولم نعلم أين هى ، ولا مَنْ ذكرها غير ما ورد فى حديث البخارى ، وذكر ما قدمناه .

ثم قال : ولم يذكر بئر جمل فى السبع المشهورة ، وكأنه لم يقف على ذكر ابن زبالة لها فى الآبار وروايته لما تقدم .

بئر حاء

بير حاء ـ روينا فى صحيح البخارى عن أنس قال : كان أبو طَلْحة أكثر أنصارى بالمدينة مالا من نخل ، وكان أحب أمواله إليه بير حاء ، وكانت مستقبلة المسجد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب ، قال أنس : فلما نزلت هـذه الآية (لَنْ تَنَالوا البرَّ حتى تنفقوا مما تحبون) قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إن الله عز وجل يقول (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وإن أحَبَّ أموالى إلىَّ بير حاء ، وإنها صدقة لله أرجو برَّها وذُخْرها عند الله ، فضَعْها يارسول الله حيث أراك الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بخ ، ذلك مال رابح ، وقد سمعتُ ما قلتَ ، وإنى أرى أن تجعلها فى الأقربين » قال أبو طلحة : أفعَلُ يا رسول الله ، فقسَّمها أبو طلحة فى أقاربه وبنى عمه ، وفى رواية له « فجعلها لأبىّ وحسان» وكانا أقربَ إليه منِّى ، وفى رواية له أيضاً عقب قوله «وإن أحب أموالى إلىّ بير حاء » قال: وكانت حديقة ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ، ويستظل فيها ،

و يشرب من مائها ، قال : فهى إلى الله و إلى رسوله أرجو بره وذُخْرَه ، فَضَعْها يا رسول الله حيث أراك الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بَخٍ يا أبا طلحة ذلك مال رابحٌ ، قد قبلناه منك ، ورددناه عليك ، فاجعله فى الأقربين» فتصدَّقَ به أبو طلحة على ذوى قربى رحمه ، قال : وكان منهم أبىّ وحسان ، قال : فباع حسان حصته منه من معاوية ، فقيل له : تبيع صدقة أبى طلحة ؟ فقال : ألا أبيع صاعا من تمر بصاع من دراهم ؟ وكانت تلك الحديقة فى موضع قصر بنى جديلة الذى بناه معاوية .

قال الحافظ ابن حجر : وزاد ابن عبد البر فى روايته : وكانت دار أبى جعفر والدار التى تليها إلى قصر بنى جديلة حائطا لأبى طلحة يقال له بير حاء ، قال : ومراده بدار أبى جعفر الدارُ التى صارت إليه وعرفت به ، وهو أبو جعفر المنصور الخليفة العباسى . وقَصْرُ بنى جديلة هى حصَّة حسان ، بنى فيها معاوية بن أبى سفيان هذا القصر ، وأغرب الكرمانى فزعم أن معاوية الذى بنى القصر المذكور هو معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار أحدُ أجداد أبى طلحة .

قلت : منشأ وهمه إضافة القصر إلى بنى جديلة ، وجديلة لقب معاوية المذكور وهو مردود ، بل إضافته إليهم لسكونه بمنازلهم .

قال ابن شبة : وأما قصر بنى جديلة فإن معاوية بن أبى سفيان بَنَاه ليكون حصنا ، وله بابان : بابٌ شارع على خط بنى جديلة ، و باب فى الزاوية الشرقية اليمانية عند دار محمد بن طلحة التَّيْمى ، وهو اليوم لعبد الله بن مالك الخزاعى قطيعة ، وكان الذى ولى بناءه لمعاوية الطفيل بن أبى كعب الأنصارى ، وفى وسطه بير حاء .

ثم روى عقبه عن العطاف بن خالد قال : كان حسان يجلس فى أَجَمَة فارع ، ويجلس معه أصحاب له ، ويضع لهم بساطا يجلسون عليه ، فقال يوما وهو يرى كثرة مَنْ يأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من العرب يسلمون :

أرَى الجَلاَبِيبَ قَدْ عَزُّوا وَقَدْ كَثُرُوا ... وابن العريفة أمسى بَيْضَةَ البَلَدِ

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : مَنْ لى من أصحاب البساط ؟ فقال صفوان بن المعطل : أنا لك يا رسول الله منهم ، فخرج إليهم واخترط سيفه ، فلما رأوه مقبلا عرَفوا فى وجهه الشر ، ففَرُّوا وتبدَّدوا ، وأدرك حسان داخلا بيته ، فضربه ، فعلق ثُنَّته ، فبلغنى أن النبى صلى الله عليه وسلم عوَّضَه وأعطاه حائطا ، فباعه من معاوية بن أبى سفيان بعد ذلك بمال كثير ، فبناه معاوية بن أبى سفيان قصرا .

وروى أيضاً فى خبر الإفك عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْمى قصة ضرب صفوان لحسان ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم قال : أحْسِنْ يا حسان فى الذى أصابك ، قال : هى لك يا رسول الله ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عوضا منها بير حاء ، وهى قصر بنى جديلة اليوم بالمدينة ، كانت مالا لأبى طلحة ابن سهل تصدَّق بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطاها حسان فى ضربته شيرين أمةً قبطية .

وروى ابن زبالة عن أبى بكر بن حزم أن أبا طلحة تصدَّق بمال له كان موضعه قصر بنى جديلة ، فدفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فردَّه على أقاربه أبىِّ بن كعب وحسان بن ثابت وثبيط بن جابر وشداد بن أوس أو أبيه أوس بن ثابت يعنى أخا حَسَّان بن ثابت ، فتقاوموه ، فصار لحسان بن ثابت ، فباعه من معاوية بن أبى سفيان بمائة ألف درهم ، قال : وكان معاوية قد بنى قصر خل ليكون حصنا لما كان يتحدَّث أنه نصيب بنى أمية ، وذكر ما سيأتى فى قصر خل ، ثم قال : فلما اشترى بير حاء بَنَى قصر بنى جديلة فى موضعها للذى كان يخاف من ذلك .

وقال الحافظ ابن حجر : وبَيْعُ حسان لحصته من معاوية دليلٌ على أن أبا طلحة مَلَّكهم الحديقة المذكورة ، ولم يقفها عليهم ، ويحتمل أنه وقفَها وشرط أن من احتاج إلى بيع حصته جاز له كما قال بجوازه على وغيره .

قلت : وقد اشترط على فى صدقته كما حكاه ابن شبة عن نسخة كتاب الصدقة

قال ابن النجار : و بير حاء اليوم فى وسط حديقة صغيرة جداً ، فيها نخيلات ويزرع حولها ، وعندها بيت مبنى على علو من الأرض ، وهى قريبة من سور المدينة ، وهى لبعض أهلها ، وماؤها عذب حلو .

وقال المطرى : وهى شمالى سور المدينة بينهما الطريق ، وتعرف الآن بالنورية اشتراها بعض النساء النوريين ووقفها على الفقراء والمساكين فنسبت إليها ، قال ابن النجار : وذرعتها فكان طولها عشرين ذراعا ، منها أحد عشر ذراعا ماء ، والباقى بنيان ، وعرضها ثلاثة أذرع وشبر .

قلت : وهى اليوم على هذا النعت ، وفى قبلتها مسجد ليس من بناء الأقدمين لم يذكره ابن النجار ولا المطرى ، وكأنه لما حدث بعدهما . وذكره المجد فقال : وفى بير حاء بير قريبة الرشاء ضيقة القنا طيبة الماء ، وأمامها إلى القبلة مسجد صغير فى وسط الحديقة .

قلت : وقوله فى حديث الصحيح « وكانت مستقبلة المسجد » معناه أن المسجد فى جهة قبلتها ، فلا ينافى بعدها عنه على هذه المسافة الموجودة اليوم ، والظاهر أن بعض أرضها كان داخل سور المدينة ؛ لما تقدم من قسمتها وابتناء القصر فى بعضها ، ولم أر للفقراء أثرا هناك .

وقد تقدم أن حش أبى طلحة الذى فى شامى المسجد منسوب إلى أبى طلحة صاحبها ، فربما كانت أمواله ممتدة إلى هناك . وأما دار محمد بن طلحة التيمى التى ذكر ابن شبة أنه أحدُ بانى القصر المبنى عليها عنده فيظهر أنها غير دار إبراهيم ابن محمد بن طلحة التى هى من دار جده طلحة المتقدم ذكرها فى الدور المطيفة بالمسجد ، لنسبتها لإبراهيم بن محمد ، ونسبة هذه لأبيه ؛ فلا يقدح ذلك فى كون بير حاء هى المعروفة اليوم ، والله أعلم .

تنبيه – فى ضبط بير حاء ، وقد أفرد له بعضهم مصنفا ذكر المجد ملخصه ،

ضبط بير حاء

وقد اختلف الناس فى ضبطه ، قال صاحب النهاية : بير حاء بفتح الباء وكسرها ، وبفتح الراء وضمها ، وبالمد فيهما ، وبفتحهما والقصر ، قال الزمخشرى : بير حاء اسم أرض كانت لأبى طلحة ، وكأنها فيعلى من البَرَاح ، وهى الأرض المنكشفة الظاهرة ، وقال مرة : رأيت محدِّثى مكة يقولون بير حاء على الإضافة ، وحاء : من اسم القبائل ، وقيل : اسم رجل ، وعلى هذا يكون منونا ، قال يا قوت : بير حا بوزن خيْزَ لىٰ ، وقيل لى بير حاء مضاف إليه ممدود ، قال : ورواية المغاربة قاطبة الإضافة ، وإعراب الراء بالرفع والجر والنصب ، وحاء على لفظ الحاء من حروف المعجم .

وقال أبو عبيد البكرى : حاء ـ على وزن حرف الهجاء ـ بالمدينة ، مستقبلة المسجد ، إليها ينسب بير حاء ، فالاسم مركب .

قال الحافظ ابن حجر : اختلف فى حاء هل هو رجل أو امرأة أو مكان أضيف إليه البير ، أو هى كلمة زَجْر للإبل ، وكانت الإبل ترعى هناك وتزجر بهذه اللفظة فأضيفت البير إلى اللفظة ، قال الباجى : أنكر أبو بكر الأصم الإعراب فى الراء ، وقال : إنما هو بفتح الراء على كل حال ، قال : وعليه أدركت أهل العلم بالمشرق .

وقال أبو عبد الله الصورى : إنما هو بفتح الباء والراء فى كل حال ، بمعنى أنه كلمة واحدة ، قال عياض : وعلى رواية الأندلسيين ضبطنا هذا الحرف عن أبى جعفر فى كتاب مسلم بكسر الباء وفتح الراء ، وبكسر الراء وبفتح الباء والقصر ، ضبطناه فى الموطأ عن أبى عنان وغيره ، وبضم الراء وفتحها معا قيدناه عن الأصيلى ، وقد رَوَاه من طريق حماد بن سلمة بريحا ، هكذا ضبطناه عن شيوخنا فيما قيدوه عن البدرى وغيره ، ولم أسمع فيه خلافا ، إلا أنى وجدت الحميدى ذكر فى اختصاره عن حماد بن سلمة بير حا ، كما قال الصورى ، ورواية الرازى فى مسلم فى حديث مالك بريحا ، وهو وهم ، وإنما هذا فى حديث حماد ، وإنما

لمالك بير حا كما قيد الجميع على اختلافهم . وذكر أبو داود فى مصنفه هذا الحديث بخلاف ماتقدم فقال : جَعَلْتُ أرضى باريحا، وهذا كله يدل على أنها ليست ببئر ، انتهى كلام عياض .

قل الحافظ ابن حجر : قول أبى داود باريحا بإشباع الموحدة ، ووهم من ضبطه بكسر الموحدة وفتح الهمزة فإن أريحاء من الأرض المقدسة ، ويحتمل إن كان محفوظا أن تكون سميت باسمها .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم « ذلك مال رابح ، أو قال رايح» فالأول بالموحدة أى ذو ربح ، والثانى بالمثناة التحتيَّة ، أى يَرُوح نفعه لقربه ، أى يصل إليك فى الرواح ، ولا يَعْزُب ، قال شاعر :

سـأطلب مالاً بالمدينـة ؛ إننى إلى عَازِبِ الأموال قلت فَوَضِّلْهْ

بئر حلوة

بئر حلوة ـ بالحاء المهملة ـ لم يذكرها والتى بعدها ابنُ النجار ومَنْ بعده ، وذكرها ابن زبالة ، فروى عن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر عن أبيه قال : نَحَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم جزوراً ، فبعث إلى بعض نسائه منها بالكتف ، فتكلمت فى ذلك بكلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنتُنَّ أهْوَنُ على الله من ذلك » وهَجَرَهن ، وكان يقيل تحت أراكة على حُلْوة بئرٍ كانت فى الزقاق الذى فيه دار آمنة بنت سعد ، وبه سمى الزقاق زقاق حلوة ، ويبيت فى مشربة له ، فلما مَضَتْ تسع وعشرون ليلة دخَلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على عائشة ، فقالت : يا رسول الله ، إنك آلَيْتَ شهراً ، قال : إن الشهر تسع وعشرون .

قلت : وهذه البئر غير معروفة اليوم بعينها ، وتقدم بيانُ جملتها فى الدور التى فى ميسرة البلاط عند ذكر دار حُوَيطب بن عبد العزى .

بئر ذرع

بئر ذرع — بالذال المعجمة — وهى بئر بنى خَطَمَة ، وروى ابن زبالة حديث « أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى خَطَمَة فصلى فى بيت العَجُوز ،

ثم خرج منه فصلى فى مسجد بنى خطمة ، ثم مضى إلى بئرهم ذَرِع فجلس فى قفِّها ، فتوضأ و بصق فيها » .

وروى ابن شبة عن الحارث بن الفضل أن النبى صلى الله عليه وسلم « تَوضَّأ من ذرع بئر بنى خَطَمَة التى بفناء مسجدهم » ، وفى رواية : « وصلى فى مسجدهم » .

وفى رواية عن رجل من الأنصار أن النبى صلى الله عليه وسلم « بَصَقَ فى ذرع بئرِ بنى خطمة » .

قلت : وهذه البئر غير معروفة اليوم ، و يؤخذ بيان جهتها مما تقدم فى مسجد بنى خطمة .

بئر رومة

بئر رومة ـ بضم الراء ، وسكون الواو ، وفتح الميم ، بعدها هاء ، وقيل رؤمة بعد الراء همزة ساكنة ـ روى ابن زبالة حديث : « نعم القليبُ قليبُ المزنى فاشْتَرِها يا عثمان ، فتصدق بها » وحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « نعم الحفيرة حفيرة المزنى » يعنى رومة ، فلما سمع ذلك عثمانُ بن عفان ابتاع نصفها بمائة بَكْرة ، وتصدَّق بها ، فجعل الناس يَسْقُون منها ، فلما رأى صاحبها أن قد امتنع منه ما كان يصيب عليها باع من عثمان النصفَ الثانى بشىء يسير فتصدق بها كلها .

وروى ابن شبة عن عدى بن ثابت قال : أصاب رجلٌ من مُزَينة بئراً يقال لها رومة ، فذكرت لعثمان بن عفان وهو خليفة ، فابتاعها بثلاثين ألف درهم من مال المسلمين ، وتصدَّقَ بها عليهم .

قلت : فى سنده متروك ، ولذا قال الزبير بن بكار بعد روايته فى عتيقة : وليس هذا بشىء ، وثبت عندنا أن عثمان اشتراها بماله وتصدق بها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انتهى .

وقال ابن أبى الزناد : أخبرنى أبى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « نعم الصدقةُ صدقة عثمان » يريد رُومَةَ .

وقال محمد بن يحيى : أخبرنى غير واحد من أهل البلد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « نعم القليب قليب المزنى » .

وروى ابن شبة أيضاً عن أبى قلابة قال : لما كانوا بباب عثمان وأرادوا قتله أشْرَفَ عليهم ، فذكر أشياء ، ثم ناشدهم الله فأعظم النَّشْدَةَ : هل تعلمون أن رُومَةَ كان لفلان اليهودى لا يَسْقِى منها أحداً قطْرَةً إلا بثمن ، فاشتريتُها بمالى بأر بعين ألفاً ، فجعلت شربى فيها وشرب رجل من المسلمين سواء ، ما استأثرتها عليهم ؟ قالوا : قد علمنا ذلك .

وعن الزهرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : مَنْ يشترى رومة بشرب رِوَاء فى الجنة ؟ فاشتراها عثمان رضى الله تعالى عنه من ماله فتصدق بها .

وعن عبد الرحمن بن حبيب السلمى قال : قال عثمان رضى الله تعالى عنه : أنْشُدُكم الله ، أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مَنِ اشترى بئْر رومة فله مثلها من الجنة ، وكان الناس لا يشربون منها إلا بثمن ، فاشتريتها بمالى فجعلتها للفقير والغنى وابن السبيل ؟ فقال الناس : نعم .

وعن أسامة الليثى قال : لما حُصِرَ عثمان رضى الله تعالى عنه أرسل إلى عَمَّار ابن ياسر يطلب أن يدخل عليه رَوَايا ماء ، فطلب له ذلك عمار من طَلْحة ، فأبى عليه ، فقال عمار : سبحان الله ! اشترى عثمان هذه البئر ـ يعنى رومة ـ بكذا وكذا ألفاً ، فتصدق به على الناس ، وهؤلاء يمنعونه أن يشرب منها ! .

وروى النسائى والترمذى وحَسَّنه عن عثمان أنه قال : أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة ، فقال : مَنْ يشترى بئر رومة يجعل دَلْوه مع دلاء المسلمين ـ الحديثَ .

وفى صحيح البخارى عن عبد الرحمن السلمى أن عثمان حيث حُوصِر أشرف عليهم وقال : أنشدكم بالله ، ولا أنشد إلا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مَنْ حفر بئر رومة فله الجنة ؟ فحفرتها ـ الحديثَ ، وفيه : وصدَّقوه بما قال .

وللنسائى من طريق الأحنف بن قيس أن الذين صدقوه بذلك على بن أبى طالب وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص . ورواه ابن شبة من حديث الأحنف إلا أنه قال : أنشدكم الله الذى لا إلهَ إلا هو ، هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مَنْ يبتاع بئر رومة غفر الله له ، فابتعتها بكذا وكذا ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : إنى ابتعت بئر رومة ، فقال : اجعلها سقاية للمسلمين ، وآخرها لك ؟ قالوا : نعم .

وقال ابن بطال فى الكلام على رواية البخارى قوله : « فحفرها عثمان » وهم فى بعض الروايات ، والمعروف أن عثمان اشتراها ، لا أنه حفرها ، قال الحافظ ابن حجر عقبه : المشهور فى الروايات كما قال ، لكن لا يتعين الوهم ؛ فقد روى البغوى فى الصحابة من طريق بشر بن بشير الأسلمى عن أبيه قال : لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء ، وكانت لرجل من بنى غفار عين يقال لها رومة ، وكان يبيع منها القربة بمد ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : بِعْنيها بعين فى الجنة ، فقال : يا رسول الله ليس لى وعيالى غيرها ، ولا أستطيع ذلك ، فبلغ ذلك عثمان ، فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم ، ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أتجعل لى مثلَ الذى جعلت له عيناً فى الجنة إن اشتريتها ؟ قال : نعم ، قال : قد اشتريتها وجعلتها للمسلمين ، قال الحافظ ابن حجر : وإذا كانت أولا عَيْناً فلا مانع أن يحفر فيها عثمان بئراً ، ولعل العين كانت تجرى إلى بئر فوسَّعها أو طولها فنسب حَفْرُها إليه ، انتهى .

قلت : الإشكال ليس فى ذكر وقوع حفر عثمان لها فقط ، بل فى كون

الترغيب فيها بلفظ « مَنْ حفر » إلى آخره ؛ فطريق الجمع أن يكون صلى الله عليه وسلم قال أولا : « من اشترى بئر رومة » فاشتراها عثمان ، ثم احتاجت إلى الحفر فقال : « مَنْ حفر بئر رومة » فحفرها ، وتسميتها فى هذه الرواية عيناً غريب جداً ، ولعله لاشتمال البئر على ما ينبع فيها مقابلة لها بعين فى الجنة .

وقال المجد : قال أبو عبد الله بن منده : رومة الغفارى صاحب بئر رومة ، وروى حديثه ، وساق السند إلى بشر بن بشير الأسلمى عن أبيه قال : لما قدم المهاجرون ، وساق الحديث المتقدم ، ثم قال المجد : كذا قال رومة الغفارى ، ثم قال : عين يقال لها رومة .

وقال أبو بكر الحازمى أيضاً : هذه البئر تنسب إلى رومة الغفارى ، ولم يسمها عيناً ، والجمع بين هذا و بين قوله فى الحديث المتقدم « نعم الحفير حفيرة المزنى » يعنى رومة أن الذى احتفرها كان من مزينة ثم ملكها رومة الغفارى ، وذكر ابن عبد البر أنها كانت ركية ليهودى يبيع ماءها من المسلمين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يشترى رومة فيجعلها للمسلمين يضرب بدَلْوه فى دِلائهم وله بها شِرْبٌ فى الجنة ؟ فأتى عثمانُ اليهوديَّ فساومه بها ، فأبى أن يبيعها كلها ، فاشترى عثمان نصفها باثنى عشر ألف درهم ، فجعله للمسلمين ، فقال له عثمان : إن شئت جعلت لنصيبى قربين ، و إن شئت فلى يوم ولك يوم ، فقال : بل لك يوم ولى يوم ، فكان إذا كان يومُ عثمان استقى المسلمون ما يكفيهم يومين ، فلما رأى اليهودى ذلك قال : أفسَدْتَ على ركيتى ، فاشْترِ النصف الآخر ، فاشتراه بثمانية آلاف درهم .

قلت : وهى بئر قديمة جاهلية ؛ لما رواه ابن زبالة عن غير واحد من أهل العلم أن تُبَّعاً اليمانى لما قَدِم المدينة كان منزله بقَنَاة ، واحتفر البئر التى يقال لها بئر الملك ، و به سميت ، فاستَوْبأ بئره تلك ، فدخلت عليه امرأة من بنى زُريق يقال لها فكهة ، فشكا إليها و باء بئره ، فانطلقت فأخذت حمارين أعرابيين ،

فاستقت له من بئر رومة ، ثم جاءته به ، فشرب فأعجبه وقال : زِيدِينى من هذا الماء ، فكانت تصير إليه به مقامه ، فلما خرج قال لها : يا فكهة إنه ليس معنا من الصفراء والبيضاء شيء ، ولكن لك ما تركنا من أزوادنا ومتاعنا ، فلما خرج نقلت ما بقى من أزوادهم ومتاعهم، فيقال : إنها كانت لم تزل هى وولدها أكثر بنى زريق مالاً حتى جاء الإسلام .

وهذه البئر فى أسفل وادى العقيق ، قريبة من مجتمع الأسيال ، فى بَرَاح واسع من الأرض ، وعندها بناء عالٍ بالحجارة والجص قد تهدم .

قال ابن النجار : قيل : إنه كان دارا لليهودى ، وحولها مزارع وآبار كثيرة ، وهى قبلى الجرف وشمالى مسجد القبلتين بعيدة منه ، قال ابن النجار : وقد انقضت خرزتها وأعلامها ، إلا أنها بئر مليحة جدا ، مبنية بالحجارة الموجَّهة ، قال : وذَرَعْتُها فكان طولها ثمانية عشر ذراعا ، منها ذراعان ماء و باقيها مطموم بالرمل الذى تَسْفِيه الرياح فيها ، وعرضها ثمانية أذرع ، وماؤها طافٍ ، وطعمه حلو ، إلا أن الأجون غلب عليه .

وقال المطرى : وقد خربت ، ونقضت حجارتها ، وانطمّتْ ، ولم يبق منها اليوم إلا أثرها .

قال الزين المراغى : وقد جددت بعد ذلك ، ورفع بناؤها عن الأرض نحو نصف قامة ، ونزحت فكثر ماؤها ، أحياها كذلك القاضى شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد بن المحب الطبرى قاضى مكة المشرفة فى حدود الخمسين وسبعمائة ، قال : فتناوله إن شاء الله تعالى عمومُ حديث « مَنْ حفر بئر رومة فله الجنة » انتهى .

ومن الغريب قول عياض فى مشارقه : بئر رومة بضم الراء بئران مشهوران بالمدينة ، انتهى ، ولم أقف له على أصل .

بئر السقيا — بضم السين المهملة ، وسكون القاف ، من سَقَاه الغيثُ وأسْقَاه — بئر السقيا

تقدم ذكرها فى مسجد السقيا فى حديث ابن زبالة أن النبى صلى الله عليه وسلم عَرَضَ جيشَ بدرٍ بالسقيا ، وصلى فى مسجدها ، ودعا هناك ، الحديث ، وفيه واسم البئر السقيا ، واسم أرضها الفلجان .

وروى ابن شبة عن جابر بن عبد الله قال : قال أبى : يابنى إنا اعترضنا ههنا بالسقيا ، حين قاتلنا اليهود بحسيكة ، فظفرنا بهم ، ونحن نرجو أن نظفر ، ثم عرضَ النبىُّ صلى الله عليه وسلم بها متوجها إلى بدر ، فإن سلمت ورَجَعْت ابتعتها وإن قتلت فلا تفوتنك ، قال: فخرجت أبتاعها ، فوجدتها لذكوان بن عبد قيس، ووجدت سعد بن أبى وقّاص قد ابتاعها وسبق إليها ، وكان اسم الأرض الفلجان ، واسم البئر السقيا .

قال ابن شبة : قال محمدبن يحيى : وسألت عبد العزيز بن عمران عن حسيكة، وذكر ما سيأتى فيها ، ثم قال : قال أبو غسان : وأخبرنى عبدالعزيز بن عمران عن راشد بن حفص عن أبيه قال : كان اسم أرض السقيا الفلج ، واسم بئرها السقيا ، وكانت لذكوان بن عبد قيس الزرقى ، فابتاعها منه سعد بن أبى وقاص ببعيرين .

وروى أيضا عن عائشة رضى الله تعالى عنهاأن النبى صلى الله عليه وسلم «كان يُسْتَقَى له الماء العَذْبُ من بئر السقيا » وفى رواية « من بيوت السقيا » ورواه أبو داود بهذا اللفظ ، وسنده جيد ، وصححه الحاكم .

وروى الواقدى من حديث سلمة امرأة أبى رافع قالت :كان أبو أيوبُ ـ حين نزل عنده النبى صلى الله عليه وسلم ـ يستعذب له الماء من بئر مالك بن النضر والد أنس ، ثم كان أنس وهند وحارثة أبناء أسماء يحملون الماء إلى بيوت نسائه من بيوت السقيا ، وكان رَبَاح الأسود عنده صلى الله عليه وسلم يستقى له من بئر غرس مرةً ومن بيوت السقيا مرةً .

وتقدم فى رابع فصول الباب الثانى مارواه الترمذى وقال حسن صحيح عن

على بن أبى طالب قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كنا بحرة السقيا التى كانت لسعد بن أبى وقاص ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ائتونى بوَضُوء ، فتوضأ فقام ثم قام فاستقبل القبلة ، الحديثَ .

وتقدم أيضا حديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « صَلّى بأرض سعد بأرض الحرة عند بيوت السقيا ـ الحديث» .

قلت : و بئر السقيا هذه هى التى ذكر المطرى أنها فى آخر منزلة النقاء على يسار السالك إلى بئر علىّ بالحرم ، قال : وهى بئر مليحة ، كبيرة ، متنورة فى الجبل ، وقد تعطلت وخربت ، وعلى جانبها الشمالى ـ يعنى من جهة المغرب ـ بناء مستطيل مجصص .

قلت : والظاهر أنه كان حوضا أو بركة لورود الحجاج ، كانوا ينزلون بها أيام عمارة المدينة ، ولهذا سمى المطرى محلها منزلة النقاء ، وما سيأتى عنه فى النقاء مُصَرِّح بذلك ، وكان بعضُ فقراء العجم قد جَدَّدها وعَمَرَها فى سنة ثمان وسبعين وسبعمائة فصارت تعرف ببئر الأعجام ، كما رأيته بخط الزين المراغى .

قلت : وقد تهدمت وتَشَعَّثت بعد ذلك ، فجددها الجناب الخواجكى البدرى بدر الدين بن عليبة سنة ست وثمانين وثمانمائة ، تقبل الله منه وأثابه الجنة بمنه وكرمه .

وتقدم فى بئر إهاب أن المطرى تردَّد فى أن هذه السقيا لقربها من الطريق أم هى البئر المعروفة اليوم بزمزم ؛ لتواتر التبرك بها ، ثم قال : إن الظاهر أن السقيا هى الأولى .

قلت : وهو الصواب ؛ لزوال التردد بما مَنَّ الله به من الظَّفَر بمسجد السقيا عندها ، كما تقدم فيه ، والظاهر أنها المرادة بقول الغزالى فى آداب الزائر : وليغتسل من بئر الحرة ، انتهى ، وذلك لكونها على جادَّة الطريق ، وكانت مجاورة لأول بيوت المدينة أيام عمارتها .

وقال أبو داود عقب روايته لحديث استعذاب الماء من بيوت السقيا : قال قتيبة : السقيا عين بينها وبين المدينة يومان .

قلت : وما ذكره صحيح كما سيأتى فى ترجمتها ، إلا أنها ليست المرادة هنا ، وكأنه لم يطلع على أن بالمدينة بئرا تسمى بذلك ، وقد اغترَّ به المجد فقال : السقيا قريبة جامعة من عمل الفرع ، ثم أورد حديثَ أبى داود ، وقول صاحب النهاية: السقيا منزل بين مكة والمدينة ، قيل : على يومين ، ومنه حديث « كان يُسْتَعْذَبُ له الماء من بيوت السقيا » ثم قال : وقول أبى بكر بن موسى « السقيا بئر بالمدينة منها كان يستقى لرسول الله صلى الله عليه وسلم » محمول على هذا ؛ لأن الفرع من عمل المدينة ، ثم قال : وأما البئر التى على باب المدينة بينها و بين ثَنِيَّة الوَدَاع أى المدرج بها كما سيأتى عنه فيظنها أهل المدينة أنها هى السقيا المذكورة فى الحديث، قال : والظاهر أنه وهم ، قال : ومما يؤكد ذلك قوله فى الحديث «من بيوت السقيا» ولم يكن عند هذا البئر بيوت فى وقت ، ولم ينقل ذلك ، وأيضا إنما استعذب له صلى الله عليه وسلم الماء من السقيا لما اسْتَوْخَمُوا مياه آبار المدينة ، قال : وهذه البئر التى ذكرناها ـ أى التى بين المدينة والمدرج ـ كانت لسعد بن أبى وقاص فيما حكاه المطرى ، قال يعنى المطرى : ونقل أن النبى صلى الله عليه وسلم عَرَضَ جيش بدر بالسقيا التى كانت لسعد ، وصلى فى مسجدها ، ودعا هنالك لأهل المدينة ، وشرب صلى الله عليه وسلم من بئرها ، ويقال لأرضها « الفلجان » بضم الفاء والجيم ، وهى اليوم مُعَطَّلة ، وكانت مطمومة فأصلحها بعضُ فقراء العجم ، اهـ .

قلت : حمله لكلام أبى بكر بن موسى على ما ذكره ونَقْلُه ما جاء فى السقيا المذكورة عن المطرى يقتضى أنه لم يقف على ما قدمناه عن ابن زبالة وابن شبة ، وأنه لا يرى أن بالمدينة نفسها بئرا تسمى بالسقيا ، وهو وهم مردود ، مع أن المعتمد عندى أن السقيا التى جاء حديث الاستعذاب منها إنما هى سقيا المدينة ، وذلك لوجوه :

الأول: إيراد ابن شبة للحديث فى ترجمة آبار المدينة التى كان يستقى له صلى الله عليه وسلم منها .

الثانى : قَرْنه لذلك بحديث عرض جيش بدر بها ، وإيراد ابن زبالة فى سياق آبار المدينة ، والسقيا التى من عمل الفرع ليست فى طريق النبى صلى الله عليه وسلم إلى بدر ؛ لأن تلك الطريق معروفة ، والسقيا المذكورة معروفة أيضا ، وليست فى جهتها كما سيأتى فى بيان محلها ، وأيضا ففى حديث جابر المتقدم أنهم اعترضوا بالسقيا عند قتال اليهود بحسيكة مع بيان أن حسيكة بالمدينة نفسها إلى الجرف .

الثالث : ما تقدم أيضا من أنها كانت لبعض بنى زريق من الأنصار ، وتحريض والد جابر له على شرائها ، وأن سعدا سبقه لذلك .

الرابع : ما تقدم فى رواية الواقدى من أنه كان يُسْتَقَى له صلى الله عليه وسلم منها مرة ومن بئر غرس مرة ، وبعد كلّ البعدِ قرنُ السقيا التى هى على يومين بل أيام من المدينة كما سيأتى ببئر غرس التى هى بالمدينة .

الخامس : ما فى رواية الواقدى أيضا من أن المتعاطى لذلك أبناء أسماء أنس وهند وحارثة ، ومثل هؤلاء إنما يستقون من المدينة وما حولها ؛ لأن سقيا الفرع تحتاج إلى جمال ورجال .

السادس : ما قدمناه فى مسجد السقيا من إيراد الأسدى له فى المساجد التى تزار بالمدينة ، ثم ذكر فى المساجد التى بين الحرمين مسجد السقيا التى هى من عمل الفرع .

السابع : ما قدمناه من الظفر بمسجد بئر السقيا بالمدينة .

الثامن : أن المجد نقل عن الواقدى فى ترجمة بُقع أنه بضم الموحدة من السقيا التى بنقب بنى دينار ، وسنبين فى نقب بنى دينار أنه الطريق التى فى الحرة الغربية إلى العقيق .

وأما قول المجد « إنه لم يكن عند هذه البئر بيوت فى وقت ، ولم ينقل ذلك » فمن العجائب ؛ إذ مَنْ تأمل ما حول البئر المذكورة وما قرب منها علم أنه كان هناك قرى كثيرة متصلة ، فضلا عن بيوت ، كما يشهد به آثار الأساسات ونِقَضُ العمارات ، وليت شعرى أين هو من مسجد السقيا الذى أهمله تبعا لغيره ومنّ الله بوجوده بسبب التأمل فى تلك الأساسات وآثار العمارات ؟ ولما كشف التراب عن محله وجدنا من بنائه ومحرابه نحوَ نصفِ ذراع ، وهو مجاور لهذه البئر كما سبق ، وما ذكره من أن الاستعذاب من السقيا إنما كان لما استَوْخَمُوا آبار المدينة فمردود ، بل هو طلب الماء العذب ، وأيضا أنهم لم يستوخموا كل آبارها . وفى الصحيح فى قصة مجيئه صلى الله عليه وسلم إلى أبى الهيثم بن التيهان قول زوجته « خرج يستعذب لنا الماء » ورواية الواقدى المتقدمة مُصَرِّحة بوقوع الاستعذاب من بئر مالك بن النضر والد أنس ، وكانت بدار أنس كما تقدم بيانه ، كما سيأتى فى بئر غرس الاستعذاب منها أيضا . ثم لو سلمنا أن المراد من حديث أبى داود فى الاستعذاب العين التى ذكرها قتيبة فهو محمول على أنه كان يستعذب له صلى الله عليه وسلم منها ، إذا نزل قربها فى سفر حجه ونحوه ، أما استعذابه منها إلى المدينة فلا أراه وقع أصلا ، والله أعلم .

بئر العقبة

بئر العقبة ـ بالعين المهملة ، ثم القاف ـ قال المجد : ذكرها رزين العبدرى فى آبار المدينة ، وقال : هى التى أدلىٰ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر أرجُلَهم فيها ، ولم يعين لها موضعاً ، والمعروفُ أن هذه القصة إنما كانت فى بئر أريس ، اهـ .

والذى رأيته فى كتاب رزين فى تعداد الآبار المعروفة بالمدينة ما لفظه : وبئر العين سقط فيها الخاتم ، وبئر القف التى أدلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر أرجلهم فيها ، انتهى . وقد قدمنا فى بئر أريس ما يقتضى تعدد الواقعة .

بئر أبى عنبة

بئر أبي عِنَبَة ـ بلفظ واحدة العنب ـ قال ابن سيد الناس فى خبرٍ نَقَله عن ابن سعد فى غزوة بدر ، ما لفظه : وضرب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عسكره على بئر أبى عنبة ، وهى على ميل من المدينة ،فعرض أصحابَهُ ، وردَّ من استصغره، اهـ .

وهذا مستند ما نقله المطرى فى الكلام على بئر السقيا حيث قال بعد ذكر عرض جيش بدر بالسقيا : ونقل الحافظُ ابن عبد الغنى المقدسى أنه عرض جَيْشَه على بئر أبى عِنَبَةَ بالحرة فوق هذه البئر أى السقيا ، إلى المغرب ، ونقل أنها على ميل من المدينة .

قلت : ولعل العرض وقع أولا عند مرورهم بالسقيا ، ثم لما ضرب عسكره على هذه البئر أعاد العرض لرد من استصغر ، ولعل هذه البئر هى المعروفة اليوم ببئر ودى ؛ لانطباق الوصف المتقدم عليها ، ولأنها أعْذَبُ بئر هناك .

وقد روى ابن زبالة عن إبراهيم بن محمد قال : خرجنا نشيع ابنَ جُرَيج حين خرج إلى مكة ، فلما كنا عند بئر أبى عِنَبَةَ قال : ما اسم هذا المكان ؟ فأخبرناه ، فقال : إن عندى فيه لحديثاً ، ثم ذكر حديث عاصم بن عمر حين اختصم فيه عمر وجَدَّته إلى أبى بكر ، فقال عمر : يا خليفةَ رسولِ الله ، ابنى و بستقى لى من بئر [أبى] عِنَبَةَ ، فدل على أن الماء كان يُسْتَعْذَب منها ، قال المجد : وقد جاء ذكر هذه البئر فى غير ما حديث .

بئر العهن

بئر العهن ـ بكسر العين المهملة ، وسكون الهاء ، ونون ـ ذكر المطرى الآبار التى ذكرها ابن النجار ـ وهى : أريس ، والبُصَّة ، و بُضَاعة ، ورُوَمة ، والغرس ، و بيرحاء ـ ثم قال : والآبار المذكورة ست ، والسابعة لا تعرف اليوم ، ثم ذكر ما تقدم عنه فى بئر جمل .

ثم قال : إلا أنى رأيتُ حاشيةً بخط الشيخ أمين الدين بن عساكر على نسخة من « الدرة الثمينة ، فى أخبار المدينة » للشيخ محب الدين بن النجار ما مثاله : العدد ينقص عن المشهور بئرا واحدة ؛ لأن المثبت ست ، والمأثور المشهور سبع ،

والسابعة اسمها « بئر العهن » بالعالية ، يزرع عليها اليوم ، وعندها سِدْرَة ، ولها اسم آخر مشهورة به .

قال المطرى عقبه : و بئر العهن هذه معروفة بالعَوَالى ، وهى بئر مليحة جدا ، منقورة فى الجبل ، وعندها سِدْرَة كما ذكر ، ولا تكاد تعرف أبدا ، وقال الزين المراغى عقب نقله : والسدرة مقطوعة اليوم .

قلت : ولم يذكروا شيئا يتمسك به فى فضلها ونسبتها إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، لكن لم يزل الناس يتبركون بها . والذى ظهر لى بعد التأمل أنها بئر اليسرة الآتى ذكرها ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم نزل عليها وتوضأ وبَصَق فيها ؛ لأن اليسرة بئر بنى أمية من الأنصار بمنازلهم كما سيأتى ، و بئر العهن عند منازلهم ، وقد أشار ابن عساكر إلى تسميتها باسم آخر ، فأظنه الاسم المذكور ، والله أعلم .

بئر غرس

بئر غُرْس ـ بضم الغين المعجمة كما رأيته فى خط الزين المراغى ، وهو الدائر على ألسنة أهل المدينة ، ويقال « الأغرس » كما يؤخذ مما سيأتى فى وادى بطحان أول الفصل الخامس ، وقال المجد : بئر الغَرْس بفتح الغين وسكون الراء وسين مهملة ، والغَرْس : الفَسِيل ، أو الشجر الذى يُغْرَس لينبت ، مصدر غَرَسَ الشجر ، قال : وضبطه بعض الناس بالتحريك مثال سَحَر ، وسمعت كثيرا من أهل المدينة يضمون الغين ، قال : والصواب الذى لا يَحِيدَ عنه ما قدمته ، أى من الفتح ـ وهى بئر بقباء فى شرقى مسجدها ، على نصف ميل إلى جهة الشمال ، وهى بين النخيل ، ويعرف مكانها اليوم وما حولها بالغَرْس ، قال : وحولها مقابر بنى حنظلة .

قلت : وأظنه تصحيفا ، والمذكور فى جهتها بنو خطمة ، وقد تقدم فى بئر السقيا أن رباحا الأسود عبدَ النبى صلى الله عليه وسلم كان يستقى له من بئر غَرْس مرة ومن بيوت السقيا مرة .

وروى ابن حبان فى الثقات عن أنس رضى الله تعالى عنه أنه قال : ائتونى بماء من بئر غَرْس ؛ فإنى رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب منها و يتوضأ .

وفى سنن ابن ماجه بسند جيد عن على رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أنا مُتُّ فاغسلونى بسَبْع قرب من بئرى بئر غَرْس » وكانت بقباء ، وكان يشرب منها .

ورواه يحيى عن علىّ بلفظ : أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يا على ، إذا أنا مُتُّ فاغسلنى من بئرى بئر غرس بسبع قرب لم تحلل أوْكِيَتُهُنَّ ».

وروى ابن سعد فى طبقاته برجال الصحيح عن أبى جعفر الباقر محمد بن على ابن الحسين رضى الله تعالى عنهم قال : غسل النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث غسلات بماء وسِدْرٍ ، وغسل فى قميص ، وغسل من بئر يقال لها الغرس لسعد بن خيثمة بقباء ، وكان يشرب منها .

وروى ابن شبة بسند صحيح عنه أيضاً أن النبى صلى الله عليه وسلم غسل من بئر سعد بن خيثمة بئرٍ كان يُسْتَعْذَب له منها ، وفى رواية : من بئر سعد بن خيثمة بئر يقال لها الغرس بقباء كان يشرب منها .

وروى أيضاً عن سعيد بن رقيش أن النبى صلى الله عليه وسلم تَوَضَّأ من بئر الأغرس ، وأهراق بقية وَضُوئه فيها .

وروى ابن زبالة عن سعيد بن عبد الرحمن بن رقيش قال : جاءنا أنس بن مالك بقباء فقال : أين بئركم هذه ؟ يعنى بئر غرس ، فدللناه عليها ، قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم جاءها ، وإنها لتسنى على حمار ، بسَحَر ، فدعا النبى صلى الله عليه وسلم بدَلْو من مائها ، فتوضأ منه ثم سَكَبَه فيها ، فما نزفت بعد .

وعن إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع مرسلا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى رأيتُ الليلَةَ أنى أصبحت على بئر من الجنة ، فأصبح على بئر غرس ، فتوضأ منها ، وبَزَقَ فيها ، وأهدى له عَسَل فصبه فيها ، وغسل منها حين توفى .

ورواه ابن النجار من طريق ابن زبالة ، دون قوله « وأهدى له من عسل إلى آخره » .

وقال المجد : وفى حديث ابن عمر : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهو قاعد على شَفير غَرْس : رأيتُ الليلَةَ كأنى جالس على عين من عيون الجنة ، يعنى بئر غرس .

قال : وعن عاصم بن سويد عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بعَسَل فشرب منه ، وأخذ منه شيئاً فقال : هذا لبئرى بئر غرس ، ثم صَبَّه فيها ، ثم إنه بَصَق فيها ، وغسل منها حين توفى .

قلت : وسبق فى أوائل الفصل العاشر من الباب الرابع ما يقتضى أن هذه البئر عند مسجد قباء ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم أولَ مَقْدَمه قباءه أناخَ على غدق عندها ، وقدمنا أن الظاهر أنه تصحيف ؛ لمخالفته لما هو المعروف فى محل هذه البئر .

وقال ابن النجار : هذه البئر بينها و بين مسجد قباء نحو نصف ميل ، وهى فى وسط الصحراء ، وقد خربها السيل وطَمَّها ، وفيها ماء أخضر ، إلا أنه عَذْب طيب ، وريحه الغالب عليه الأجون .

قال : وذَرَعْتُها فكان طولها سبعة أذرع شافة منها ذراعان ماء وعرضها عشرة أذرع .

قال المطرى : وهى اليوم ملك لبعض أهل المدينة ، وكانت قد خربت فجددت بعد السبعمائة ، وهى كثيرة الماء ، وعرضها عشرة أذرع ، وطولها يزيد على ذلك ، وماؤها يغلب عليه الخضرة ، وهو طيب عذب .

قلت : وقد خربت بعد ذلك ، فابتاعها وما حولها صاحبُنا الشيخ العلامة المقيد خواجا حسين بن الجواد المحسن الخواجكى الشيخ شهاب الدين أحمد القاوانى ، أثابه الله تعالى ، وعمرها وحوط عليها حديقة ، وجعل لها درجة ينزل إليها منها من داخل الحديقة وخارجها ، وأنشأ بجانبها مسجداً لطيفا ، ووقفها ، تقبَّلَ الله منه ، وذلك فى سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة

بئر القراصة

بئر القراصة — لم يذكرها وما بعدها ابنُ النجار ومن بعده ، ولم أر مَنْ ضبطها ، ولعلها بالقاف و بالراء كما فى بعض النسخ ، وفى بعضها بالعين بدل القاف

وروى ابن زبالة عن جابر بن عبد الله قال : لما استُشْهِد أبى عبدُ الله بن عمرو بن حَرَام عَرَضْتُ على غُرَمائه القراصة ، وكانت له ، أصلها وثمرها بما عليه من الدين ، فأبوا أن يقبلوا ذلك منه ، إلا أن يُقَوِّمُوها قيمة و يرجعوا عليه بما بقى من الدين ، قال : فشكا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : دَعْهم ، حتى إذا كان جدادها فجُدَّها فى أصولها ، ثم ائتنى فأعلمنى ، فلما حان جدادها جَدَّها فى أصولها ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعلمه ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نَفَرٍ من أصحابه ، فبَصَق فى بئرها ، ودعا الله أن يؤدى عن عبد الله بن عمرو ، وقال : اذهب يا جابر إلى غُرَمَاء أبيك فشارِطهم على سعر وائت بهم فأوْفِهِمْ ، فخرج جابر فشارطهم على سعر ، وقال : انطلقوا حتى أوفيكم حقوقكم ، وكان أكبرهم اليهود ، قال : فقال بعضهم لبعض : أما تعجبون من صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن صاحبه ، عَرَض أصلَه وثمرَه فأبينا ، ويزعم أنه يوفينا من ثَمَرِهِ ، قال : فجاء بهم حتى أوفاهم حقوقهم ، وفَضَلَ منها مثل ما كانوا يجدون كل سنة .

قلت : وهذه البئر غير معروفة اليوم ، إلا أن جهتها جهة مسجد الخربة ، وهى فى غربى مساجد الفتح ؛ لما تقدم فيه من أنه دبر القراصة، و يؤيده أن أصل

حديث جابر فى أرضه مذكورٌ فى الصحيح بطرق وفى بعضها : وكانت لجابر الأرض التى بطريق رومة ، وهذه الجهة بطريق رومة .

وروى أحمد عن جابر قال : قلت : يا رسول الله ، إن أبى تَرَكَ ديناً ليهودى فقال : يأتيك يوم السبت إن شاء الله تعالى ، وذلك فى زمن التمر مع استجداد النخل ، فلما كان صبيحة يوم السبت جاءنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما دخل علىَّ فى مالى أتى الربيع فتوضأ منه ثم قام إلى المسجد فصلى ركعتين ، ثم دنوت به إلى خيمة لى فبسطت له بِجَادًا من شَعْر ، الحديثَ ، والله أعلم.

بئر القريصة

بئر القرصة ـ لم أرَ مَنْ ضبطها ، وأظنها بالقاف والصاد المهملة مصغرة .

روى ابن زبالة عن سعد بن حرام والحارث بن عبيد الله قالا: توضأ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من بئر فى القريصة بئر حارثة ،أو شرب ، و بَصَق فيها ، وسقط فيها خاتمه فنزع .

ثم روى عقبه سقوط الخاتم فى بئر أريس .

قلت : وهذه البئر لا تعرف اليوم ، إلا أن فى شرقى المدينة بقرب القراصة المتقدمة فى مسجد القراصة بئرا تعرف بالقُرَيْصَة مصغر القرصة ، فإن صح الضبط المتقدم فهى المرادة .

بئر اليسرة

بئر اليُسْرة ـ من اليسر ضد العسر .

روى ابن زبالة عن سعيد بن عمرو قال : جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى أمية بن زيد ، فوقَفَ على بئر لهم فقال : ما اسمها ؟ قالوا : عسرة ،قال : لا ، ولكن اسمها اليسرة ، قال : فبصق فيها وبَرَّكَ فيها .

وروى ابن شبة عن محمد بن حارثة الأنصارى عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم سَمَّى بئر بنى أمية من الأنصار اليسرة ، و بَرَّكَ عليها وتوضأ و بصق فيها

وروى ابن سعد فى طبقاته عن عمر بن سلمة أن أبا سلمة بن عبد الأسد لما مات غسل من اليسرة ، بئر بنى أمية بن زيد بالعالية ، وكان ينزل هناك حين

تحوّل من قباء ، غسل بين قرنى البئر ، وكان اسمها فى الجاهلية العسرة ، فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم اليسرة .

قلت : وهذه البئر غير معروفة اليوم بهذا الاسم ، والذى يظهر أنها بئر العهن ؛ لما قدمناه فيها .

وقد استقصينا هذا الغرض فبلغ كما ترى نحو عشرين بئرا ، وما اقتضاه كلام بعضهم من انحصار المأثور من ذلك فى سبع مردود ، لكن الذى اشتهر من ذلك سبع ، ولهذا قال فى الإحياء : ولذلك تقصد الآبار التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ منها ويغتسل ويشرب ، وهى سبعة آبار ، طلباً للشفاء ، وتبركا به صلى الله عليه وسلم ، انتهى .

قال الحافظ العراقى فى تخريج أحاديث الإحياء : وهى أى السبعة المشار إليها : بئر أريس ، وبير جاء ، وبئر رومة ، وبئر غرس ، وبئر بُضَاعة ، وبئر البصة ، وبئر السقيا ، أو بئر العهن ، أو بئر جمل ؛ فجعل السابعة مترددة بين الآبار الثلاث ، ثم ذكر نحو ما قدمناه فى فضائل هذه الآبار إلا العهن فلم يذكر فيها شيئاً ؛ لأن الوارد فيها إنما هو باسمها الآخر ولم يشتهر . ثم قال : والمشهور أن الآبار بالمدينة سبعة .

وقد روى الدارمى من حديث عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى مرضه : صُبُّوا علىَّ سبع قرب من آبار شتى ، وهو عند البخارى دون قوله « من آبار شتى » انتهى .

قلت : ومع ذلك فلا دلالة فيه على أن تلك الآبار السبعة هى المرادة بذلك ، والمشهور عند أهل المدينة أن السابعة هى العهن ، ولهذا قال أبو اليمن ابن الزين المراغى فيما أنشدنيه عنه أخوه شيخنا العلامة أبو الفرج ناصر الدين المراغى :

إذا رُمْتَ آبارَ النبىِّ بطيبـة * فعـدَّتُهَا سَبْعٌ مقالا بلا وَهْنِ

أريسٌ ، وغَرْسٌ ، رُومَةٌ ، وبُضَاعة * كذا بُصَّةٌ ، قل بير جاء مع العِهْنِ

تتمـــة

فى العين المنسوبة للنبى صـــلى الله عليه وسلم ، وما يتصل بها من العين الموجودة فى زماننا ، وغيرها من العيون .

عين كهف بنى حرام

روى ابن شبة عن عبد الملك بن جابر بن عتيك أن النبى صلى الله عليه وسلم توضأ من العين التى عند كهف بنى حَرَام ، قال : وسمعت بعضَ مشيختنا يقول : قد دخل النبى صلى الله عليه وسلم ذلك الـكهف .

وترجم ابن النجار لذكر عين النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم روى من طريق محمد بن الحسن وهو عن ابن زبالة عن موسى بن إبراهيم بن بشير عن طلحة بن حراش قال : كانوا أيامَ الخندق يخرجون برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويخافون البَيَات ، فيُدْخِلونه كهفَ بنى حرام ، فيبيت فيه ، حتى إذا أصبح هبط ، قال : وبقَر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم العيينة التى عند الـكهف ، فلم تزل تجرى حتى اليوم .

قلت : وهو فى كتاب ابن زبالة ، إلا أنه قال فيه : عن طلحة بن حراش عن جابر بن عبد الله ، قال ابن النجار عقبه : وهذه العين فى ظاهر المدينة ، وعليها بناء ، وهى فى مقابلة المصلى .

قال المطرى عقبه : أما الـكهف الذى ذكره فمعروف فى غربى جبل سلع ، على يمين السالك إلى مسجد الفتح من الطريق القبلية ، وعلى يسار المتوجه إلى المدينة مستقبل القبلة ، يقابله نخل تعرف بالغنيمية ، أى المعروفة اليوم بالنقيبية فى بطن وادى بطحان غربى جبل سلع ، قال : وفى الوادى عين تأتى من عَوَالى المدينة تسقى ماحول المساجد من المزارع وتعرف بعين الخيف خيف شامى ، وتعرف تلك الناحية بالسيح .

قلت : وقد تقدم فى مساجد الفتح إيضاح هذا الـكهف ، وأن عنده آثار نَقْر فى الجبل ، وليست عين الخيف التى ذكرها المطرى بجارية فى زماننا ، بل هى منقطعة ، ومجراها معلوم .

وبَيَّنَ ابنُ النجار بما يأتى عنه فى الخندق أنها تأتى من قباء ، وأصلها فيما

يقال معلوم غربى قباء ، وقد شرع فى إجرائها متولى العمارة الجناب الشمسى ابن الزمن ، فتتبّع قناتها إلى أن آل إلى الموضع الذى يقال إنه أصلها ، ثم بالغوا فى تنظيفه فلم يَجْرِ .

قال المطرى : فأما العين التى ذكر ابن النجار أنها مقابلة المصلّى فهى عين الأزرق ، وهو مروان بن الحكم ، أجراها بأمر معاوية رضى الله تعالى عنه ، وهو واليه على المدينة ، وأصلها من قباء المعروف من بئر كبيرة غربى مسجد قباء فى حديقة نخل ، وتجرى إلى المصلى ، وعليها فى المصلى قبة كبيرة مقسومة نصفين ، يخرج الماء منها فى وجهين مدرجين قبلى وشمالى ، وتخرج العين من جهة المشرق ، ثم تأخذ إلى جهة الشمال .

قال : وأما عين النبى صلى الله عليه وسلم التى ذكر ابن النجار فليست تعرف اليوم ، وإن كانت كما قال عند الكهف المذكور فقد دثرت ، وعفا أثرها .

قلت : مُرَاد ابن النجار أن أصلها عند الكهف ، وأنها تجرى إلى الموضع الذى عليه البناء فى مقابلة المصلى ، وقد وافقَ ابن النجار على ذلك ابن جبير فى رحلته ، فقال : وقبل وصولِكَ سورَ المدينة من جهة المغرب بمقدار غَلْوةٍ تلقى الخندق ، وبينه وبين المدينة عن يمين الطريق العين المنسوبة إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وعليها حلق عظيم ، ومستدير ، ومنبع العين وسط ذلك الحلق كأنه الحوض المستطيل ، وتحته سقايات مستطيلات باستطالة الحلق ، وقد ضرب بين كل سقاية وبين الحوض بجدارين ، وهو يمدُّ السقايتين ، ويهبط إليها على أدراج نحو الخمس والعشرين درجة ، وهما لتطهير الناس واستقائهم وغسل أثوابهم ، والحوض المذكور لايتناول منه لغير الاستسقاء خاصة صونا له ، انتهى.

قال المجد : ويشبه أنه اشتبه عليه عين الأزرق بعين النبى صلى الله عليه وسلم

قلت : اتفاقه هو وابن النجار على ذلك يبعد الاشتباه ، بل يحتمل أن عين النبى صلى الله عليه وسلم كانت تجرى إلى هذا الموضع ، وكذا عين الأزرق ،

ثم انقطعت الأولى و بقيت الثانية التى هى عين الأزرق .

قال المطرى : وقد أخذ الأمير سيف الدين الحسين ابن أبى الهيجاء فى حدود الستين وخمسمائة منها شعبةً من عند مخرجها من القبة ، فساقها إلى باب المدينة من باب المصلى ، ثم أوصلها إلى الرحبة التى عند مسجد النبى صلى الله عليه وسلم من جهة باب السلام ، أى المقابلة لباب المدرسة الزمنية ، وبها سوق المدينة اليوم .

قال : و بنى لها هناك مَنْهلا بدرج من تحت الدور ، يستقى منه أهل المدينة ، وجعل لها مصرفا من تحت الأرض يشق وسط المدينة على الموضع المعروف بالبلاط ، أى سوق العطارين اليوم ، وما والاه من منازل الأشراف أمراء المدينة ، يخرج إلى ظاهر المدينة من جهة الشمال شرقى الحصن الذى يسكنه أمير المدينة .

قال : وقد كان جعل منها شعبة صغيرة تدخل إلى صحن المسجد ، وجعل لها منهلا بدرج عليه عقد يخرج الماء إليه من فَوَّارة يتوضأ منها مَنْ يحتاج إلى الوضوء ، وحصل فى ذلك انتهاكُ حرمةِ المسجد من كشف العورات والاستنجاء فى المسجد ، فسدَّت لذلك .

قلت : وقد سبق فى الفصل الحادى والثلاثين من الباب الخامس عن ابن النجار فى ذكر السقايات التى بالمسجد أن الذى عمل هذا المَنْهَلَ بعضُ أمراء الشام واسمه شامة .

ثم ذكر المطرى وَصْفَ مسير العين من القبة التى بالمصلىً إلى جهة الشام فقال : و إذا خرجَت العين من القبة التى فى المصلىً سارت إلى جهة الشمال ، حتى تصل إلى سور المدينة فتدخل تحته إلى منهل آخر بوجهين مدرجين : أى وهو الذى عند رحبة حصن الأمير ، ثم تخرج إلى خارج المدينة فتصل إلى مَنْهل آخر بوجهين مدرجين عند قبر النفس الزكية ، ثم تخرج من هناك وتجتمع هى وما يتحصَّل من مصلها فى قَنَاة واحدة إلى البركة التى ينزلها الحجاج ، يعنى حجاج الشام ، وهى

التى تقدم عنه فى الباب الأول فى أثرب أن الحجاج يسمونها عيون حمزة ، أى لظنهم أنها عين الشهداء ، وأنها تأتى من جهة مشهد سيدنا حمزة ، وليس كذلك، إنما تأتى كما قال من قباء من البئر التى فى الحديقة المعروفة بالجعفرية ، و إذا جاوزت مشهد النفس الزكية وتَمِنِيَّة الوَدَاع مَرَّتْ من شامى سَلْع على المسجد المعروف بمسجد الراية ، ولها هناك منهل آخر ، ثم تسير فى جهة المغرب فتمر فى غربى الجبلين اللذين فى غربى مساجد الفتح ، وهكذا حتى تصل إلى مغيضها ، وهو الموضع المسمى بالبركة ، وقد زرع عليها هناك نخيل كثيرة هى اليوم بيد أمراء المدينة ، وفقر قناتها ظاهرة فى الأماكن التى أشرنا إليها،ولا مرور لها بالشهداء أصلا فعين الشهداء غير هذه العين ، وهى المراد بما سبق فى سابع فصول الباب الخامس فى ذكر قبور الشهداء بأُحُدٍ من قول جابر : صرخ بنا إلى قتلانا يوم أحد حين أجرى معاوية العَيْنَ ، وغيره من الأخبار المذكورة هناك ، وحينئذ فكل من العينين المذكورتين تنسب إلى معاوية :عين الشهداء ، وهى دائرة اليوم ، ويحتمل أنها التى كان مَغِيضُها عند المسجد المعروف بمصرع حمزة رضى الله تعالى عنه المتقدم ذكرها فى المساجد ، وأن الأمير وديا كان قد جَدَّدها ثم دثرت، لكن أصْلُها من جهة العالية ، و بعض قطرها ظاهر يشهد بذلك .

وقال البدر ابن فرحون فى ترجمة نور الدين الشهيد : إنه أجرى العين التى تحت جبل أحد ، قال : وأظنها عين الشهداء ، فإن العين التى أجْرَاها معاوية رضى الله تعالى عنه مستبطنة الوادى وقد دثرت ، ورسومها موجودة إلى اليوم ، انتهى .

والعينُ الموجودةُ اليوم المعروفة بعين الأزرق ، وتسميها العامة العين الزرقاء ، سميت بذلك لأن مروان الذى أجراها بأمر معاوية كان أزرق العينين ؛ فلذلك لقب بالأزرق .

ومن الغرائب العجيبة ما ذكره المنورقى فى جزء ألّفه فى فضائل الطائف عن الفقيه أبى محمد عبد الله بن حمو البخارى عن شيخ الخدام بالحرم النبوى بدر الشهابى أنه بَلغه أن مِيضأة وقعت فى عين الأزرق بالطائف ، فخرجت فى عين الأزرق بالمدينة .

ويذكر أنه كان بالمدينة وما حَوْلها عيونٌ كثيرة تجددت بعد النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان لمعاوية رضى الله تعالى عنه اهتمام بهذا الباب ، ولهذا كثرت فى أيامه الغِلاَلُ بأراضى المدينة ، فقد نقل الواقدى فى كتاب الحَرّة أنه كان بالمدينة على زمن معاوية صَوَافى كثيرة ، وأن معاوية كان يجدُّ بالمدينة وأعراضها مائة ألف وَسْق وخمسين ألف وَسْق ، ويحصد مائةَ ألفِ وَسْقِ حنطةٍ .

الفصل الثانى

فى صدقاته صلى الله عليه وسلم ، وما غَرَسَه بيده الشريفة

أصل صدقات الرسول

روى ابن شبة فيما جاء فى أمواله صلى الله عليه وسلم وصَدَقاته عن ابن شهاب قال : كانت صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم أموالا لمُخَيْرِيق اليهودى ، أى بالخاء المعجمة والقاف مصغرا .

قال عبد العزيز ـ يعنى ابن عمران ـ بلغنى أنه كان من بقايا بنى قَينُقَاع ، ثم رَجَّح حديث ابن شهاب قال : وأوصى مُخَيْرِيق بأمواله للنبى صلى الله عليه وسلم ، وشهد أحدا فقتل به ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مُخَيْرِيق سابق يهود ، وسَلْمان سابق فارس ، وبلال سابق الحبشة .

أسماء صدقات الرسول ومواضعها

قال : وأسماء أموال مخيريق التى صارت للنبى صلى الله عليه وسلم : الدلال ، وبرقة ، والأعواف ، والصافية ، والميثب ، وحُسْنَى ، ومشربة أم إبراهيم .

فأما الصافية وبرقة والدلال والميثب فمجاورات لأعلى الصورين من خلف قصر مروان بن الحكم ، ويسقيها مهزور .

وأما مشربة أم إبراهيم فيسقيها مهزور ، فإذا بلغت بيت مِدْرَاس اليهود فحيث مال أبى عبيدة بن عبد الله بن زَمْعَة الأسدى فمشربة أم إبراهيم إلى جنبه ، وذكر ما قدمناه عنه فى المساجد فى سبب تسميتها بمشربة أم إبراهيم .

ثم قال : وأما حُسْنَى فيسقيها مهزور ، وهى من ناحية القف .

وأما الأعواف فيسقيها مهزور ، وهى من أموال بنى محمم .

ثم قال : قال أبو غسان : وقد اختلف فى الصدقات فقال بعض الناس : هى أموال بنى قُرَيْظة والنضير .

وروى عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : كانت الدلال لامرأة من بنى النضير ، وكان لها سلمان الفارسى ، فكاتبته على أن يحييها لها ، ثم هو حر ، فأعلم بذلك النبىَّ صلى الله عليه وسلم ، فخرج إليها فجلس على فقير ، ثم جعل يحمل إليه الْوَدِىّ فيضعُه ببده ، فما عَدَتْ منها ودية أن طلعت . قال : ثم أفاءها الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ، قال : والذى يظهر عندنا أنها من أموال بنى النضير ، ومما يدل على ذلك أن مهزورا يسقيها ، ولم يزل يسمع أنه لا يسقى إلا أموال بنى النضير .

قلت : فيه نظر ؛ إذ المعروف ببنى النضير إنما هو مذينب ، ومهزور لبنى قريظة .

ثم قال : وقد سمعنا بعض أهل العلم يقول : إن برقة والميثب للزبير بن باطا ، وهما اللتان غرس سلمان ، وهما مما أفاء الله من أموال بنى قريظة . والأعواف : كانت لحنافة اليهودى من بنى قريظة ، والله أعلم ما هو الحق من ذلك .

وقف الرسول أمواله

ثم قال : قال الواقدى : وقف النبى صلى الله عليه وسلم الأعواف وبرقة وميثب والدلال وحسنى والصافية ومشربة أم إبراهيم سنةَ سبع من الهجرة ، قال : وقال الواقدى عن الضحاك بن عثمان عن الزهرى قال : هذه الحوائط السبعة من أموال بنى النضير : قال : وقال بسنده لعبد الله بن كعب بن مالك قال : قال مخيريق يوم أحد : إن أصبت فأموالى لمحمد يضعها حيث أراد الله ، فهى عامةً

صدقاتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وقال عن أيوب بن أبى أيوب عن عثمان بن وثاب قال : ما هى إلا من أموال بنى النّضير ، لقد رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحُدٍ ففرّقَ أموال مخيريق ، اهـ ما أورده ابن شبة .

وقال المجد : قال الواقدى : كان مُخَيْريق أحَدُ بنى النضير حَبْراً عالماً ، فآمن بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وجعل ماله وهو سبع حوائط لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر الحوائط المتقدمة ، ونقل الذهبى عن الواقدى سوى ذكر الحوائط ، لـكن فى أوقاف الخصاف : قال الواقدى : مُخَيريق لم يسلم ، ولـكنه قاتَلَ وهو يهودى ، فلما مات دفن فى ناحية من مقبرة المسلمين ، ولم يصل عليه .

وروى ابن زبالة عن محمد بن كعب أن صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت أموالا لمخيريق اليهودى ، فلما كان يوم أحُدٍ قال لليهود : ألا تنصرون محمدا صلى الله عليه وسلم ؟ فوالله إنـكم لتعلمون أن نصرته حق ، قالوا : اليوم السبت ، قال : فلا سَبْتَ لـكم ، وأخذ سيفه فمضى مع النبى صلى الله عليه وسلم فقاتل حتى أثبتته الجراح ، فلما حَضَرَته الوفاة قال : أموالى إلى محمد يَضَعُها حيث يشاء .

قال محمد بن طلحة راويه : قال عبد الحميد : وكان ذا مال كثير ، فهى عامةَ صدقاتُ النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مخيريق خير اليهود ، قال : وهى الدلال ، وذكر الحوائط المتقدمة ، إلا أنه قال : والعواف بدل الأعواف .

وروى أيضاً عن بكر بن أبى ليلى عن مشيخة الأنصار قالوا : كانت أموال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أموال بنى النضير حشاشين ومَزَارع وإبلا ، فعَزَلَها الأمراء بعد ، وعملوها ، وهى سبعة أموال ، وذكر الحوائط المتقدمة .

وعن عثمان بن كعب قال : اختلف الناسُ فى صدقات النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال بعضهم : كانت من أموال بنى قريظة والنضير ، قال عثمان بن كعب:

وليس فيها من أموال بنى النضير شىء ، إنما صارت أموالُ بنى النضير للمهاجرين نَفَلاً ، قال : وكانت برقة والميثب للزبير بن بطا .

وقال بعضهم : كانت الدلال من أموال بنى ثعلبة من يهود ، وكانت مشربة أم إبراهيم من أموال بنى قُرَيْظَة ، وكانت الأعواف لحنافة جد ريحانة ، قال : ويقال : كانت الأعواف من أموال بنى النضير .

وروى أيضاً عن جعفر بن محمد عن أبيه أن سلمان الفارسى كان لناسٍ من بنى النضير ، فكاتَبُوه على أن يغرس لهم كذا وكذا وَدِيَّةً حتى تبلغ عشر سَعَفات ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ضَعْ عند كل فَقير وَدِيةً ، ثم غدا إلى النبى صلى الله عليه وسلم فوضَعه بيده ، ودعا له ، فما عطبت منها وَدِيةٌ ، ثم أفاءها الله على نبيه صلى الله عليه وسلم فهى الميثب صدقة النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة .

قلت : يتحصَّل من مجموع ما تقدم أن نَخْلَ سَلْمان الذى غَرَسَه صلى الله عليه وسلم هو الدلال ، وقيل : برقة والميثب ، وقيل : الميثب .

وروى أحمد والطبرانى برجال الصحيح إلا ابن اسحاق وقد صرح بالسماع عن سَلْمان الفارسى حديثَه الطويلَ ، وفيه ما يقتضى أنه بالفقير ، وأنه أثْمَرَ من عامه ، وأنه ذكر فيه عن سلمان أن يهوديا من بنى قُرَيظة ابتاعه من ابن عم له بوادى القرى ، قال : فاحتملنى إلى المدينة ، ثم ذكر خبر إسلامه ، وقال : ثم قال لى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : كاتِبْ ، فكاتبتُ صاحبى على ثلثمائة نخلة أحييها له بالفَقير وأربعين أوقية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعِينُوا أخاكم ، فأعانونى بالنخل ، يعين الرجل بقدر ما عنده ، حتى اجتمعت لى ثلثمائة وَدِية ، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهب يا سلمان فَفَقِّرْ لها ، فإذا فرغت فائتنى أكُنْ أنا أضعُهَا بيدى ، قال : فَفَقَّرْتُ وأعانتنى أصحابى ، حتى إذا فرغْتُ جئته فأخبرتُه ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معى إليها ، فجعلنا نقرب إليه الوَدِىَّ ويضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده حتى فرغنا ، فوالذى

نفسُ سَلْمان بيدى ما ماتت منها وَدِيةٌ واحدة ، قال : فأدَّيْتُ النخلَ وبقى علىّ المالُ ، وذكر خبره فيه .

وذكر ابن عبد البر فى خبر سلمان أن النبى صلى الله عليه وسلم اشتراه من قوم من اليهود بكذا وكذا درهما ، وعلى أن يغرس لهم كذا وكذا من النخل ، يعمل فيها سلمان حتى يُدْرِك ، فغرس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم النخلَ كله إلا نخلة غَرَسها عمر فأطعم النخلُ كله إلا تلك النخلة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مَنْ غَرَسها ؟ قالوا : عمر ، فقلعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرسها فأطعمت من عامها ، وفى رواية أن تلك الودية التى لم تثمر غرسها سلمان .

قلت : والفقير اسمُ الحديقة بالعالية قُرْبَ بنى قريظة ، وقد خفى ذلك على بعضهم فقال كما نقله ابن سيد الناس : قوله « بالفقير » الوجْهُ إنما هو بالعقير ، انتهى . والصواب أنه اسم لموضع ، وليس هو من صدقات النبى صلى الله عليه وسلم ، فقد ذكر ابن شبة فى كتاب صدقة على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه الذى كان بيد الحسن بن زيد ما لفظه : والفقير لى كما قد علمتم صدقة فى سبيل الله ، لكنه سماه قبل ذلك فى أخبار صدقاته بالفقيرين ، مُثَنًّى ، فقال : وكان لى صدقات بالمدينة الفقيرين بالعالية وبئر الملك بقناة ، فالظاهر أنه يسمى بكل من اسمين ، وأهل المدينة اليوم ينطقون به مفردا بضم الفاء تصغير الفقير ضد الغنى .

وقد ذكره ابن زبالة مفردا فيما رواه عن محمد بن كعب القُرَظىّ قال : كانت بئر غاضر والبرزتان قبضها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأضيافه ، وكانت لكعب بن أسد ، وكان الفقير لعمر بن سعد ، وصار لعلى بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه .

قال : وسمعت من يقول : كانت بئر غاضر والبرزتان من طعم أزواج النبى صلى الله عليه وسلم من أموال بنى النضير .

قلت : و بئر غاضر اليوم غير معروفة ، وأما البرزتان فحديقتان بالعالية متجاورتان يقال لإحداهما البرزة وللأخرى البريزة مصغرة ، ووقع فى النسخة التى وقفت عليها من كتاب ابن شبة : قال أبو غسان سمعت من يقول : كانت بئر غاضر والنويرتين من طعمة أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ، وهما من أموال بنى قريظة بعالية المدينة ، وقد قيل فى ذلك إن بئر غاضر مما دخلت فى صدقة عثمان فى بئر أريس ، انتهى . وأظن قوله « النويرتين » تصحيفا ، وصوابه البرزتان كما فى كتاب ابن زبالة لما قدمناه .

تحديد مواضع الصدقات والمعروف منها

وأما بيان مواضع صدقات النبى صلى الله عليه وسلم المذكورة فقد تقدم أن الصافية و برقة والدلال والميثب متجاورات بأعلى الصورين ؛ فالصافية معروفة هناك اليوم ، قال الزين المراغى : هى فى شرقى المدينة الشريفة بجزع زهرة ، ورأيته ضبط بخطه زُهَيْرة بضم الزاى مصغرة زهرة لاشتهاره فى زمنه بذلك ، و إنما هو زهرة مكبر لما سيأتى فى ترجمتها ، و برقة معروفة أيضا فى قبلة المدينة مما يلى المشرق ، ولناحيتها شهرة بها كما قال المراغى.

والدلال : جزع معروف أيضاً قبلى الصافة بقرب المليكى ، وقف فقهاء المدرسة الشهابية كما قاله الزين المراغى أيضا .

والميثب : غير معروف اليوم ، ويؤخذ من وصف هذه الأربعة بكونها متجاورات قربها من الأماكن المذكورة ، ولعله بقرب برقة لما سبق من أنهما اللذان غَرَسهما سلمان، وكانا لشخص واحد .

والأعواف : جزع معروف بالعالية بقرب المربوع ، كما تقدم بيانه فى بئر الأعواف من الفصل قبله .

ومشربة أم إبراهيم : معروفة بالعالية كما تقدم بيانه فى المساجد .

وحُسْنَى ـ ضبطها الزين المراغى كما فى خطه بالقلم بضم الحاء وسكون السين المهملتين ثم نون مفتوحة ـ قال : وروايته كذلك فى ابن زبالة بالسين بعد الحاء ،

قال : ولا يعرف اليوم ، ولعله تصحيف من الحناء بالنون بعد الحاء ، وهو معروف اليوم .

قلت : حملُ ذلك على التصحيف المذكور متعذر ؛ لأنى رأيته بحاء ثم سين ثم نون فى عدة مواضع من كتاب ابن شبة ومن كتاب ابن زبالة وغيرهما ، وإن أراد أن أهل زمانه صَحَّفوه بالحناء فلا يصح أيضاً ؛ لأن الموضع المعروف اليوم بالحناء فى شرقى الماجشونية ، لا يشرب بمهزور ، وقد تقدم أن حُسْنَى يسقيها مهزور ، وأنها بالقف ، وسيأتى فى بيان القف ما يقتضى أنه ليس بجهة الحناء . والذى يظهر أن حُسْنَى هو الموضع المعروف اليوم بالحسينيات بقرب الدلال ، فإنه بجهة القف ، ويشرب بمهزور ، وسيأتى فى القف ما يؤيده .

وهذه الأماكن السبعة هى صدقاته صلى الله عليه وسلم ، ولم أقف على أصل ما قاله رزين العبدرى من أن الموضع المعروف بالبويرة بقباء صدقة النبى صلى الله عليه وسلم من النخل ، قال : ولم تزل معروفة للمساكين ، محبوسة عليهم ، وعلى مَنْ مرّ بها إلى عهد قريب من تاريخ الخمسمائة كالعشرين سنة ونحوها ، فتغلّبَ عليها بعضُ ولاة المدينة لنفسه ، قال: وبها حصن النضير وحصون قريظة، انتهى.

وهو مردود من وجهين :

أحدهما : أن الأئمة المتقدم ذكرهم مع اعتنائهم بهذا الباب لم يذكروا هذا الموضع فى صدقاته صلى الله عليه وسلم .

والثانى : أن ما ذكره من أن بهذا الموضع حصون قريظة والنضير مردود بما قدمناه فى منازلهما ، والموضع الذى ذكره فى جهة قبلة المسجد إلى جهة المغرب من منازلهما ، وسنبين فى ترجمة البويرة أن هذا الموضع ليس هو البويرة المنسوبة لبنى النضير ، وكأن منشأ ما وقع له تسمية هذا الموضع بالبويرة ، وأن صدقة النبى صلى الله عليه وسلم من أموال النضير أو قريظة ، على ما سبق من الخلاف ، وظن أنه المراد .

طلب فاطمة من أبى بكر صدقات أبيها

وهذه الصدقات مما طلبتْهُ فاطمة رضى الله تعالى عنها من أبى بكر رضى الله تعالى عنه ، وكذلك سهمه صلى الله عليه وسلم بخيبر وفَدَك .

وفى الصحيح عن عُرْوَة بن الزبير أن عائشة أمَّ المؤمنين رضى الله تعالى عنها أخبرته أن فاطمةَ ابنةَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم سألت أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقسم لها ميراثها مما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أفاء الله عليه، فقال لها أبو بكر رضى الله تعالى عنه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا نورَثُ ، ما تركنا صَدَقَةٌ » فغضبت فاطمة ، فهجرَتْ أبابكر، فلم تزل مهاجرته حتى توفيت ، وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أشهر ، قال : وكانت فاطمة تسأل أبا بكر نصيبَها مما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر وفدك وصدقته بالمدينة ، فأبى أبو بكر عليها ذلك . وقال : لَسْتُ تاركا شيئاً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به إلا إذا عملت به ، فإنى أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ ، فأما صدقته بالمدينة فدفعَها عمرُ إلى على وعباس ، وأما خيبر وفَدَكُ فأمسكهما عمر ، وقال : هما صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانتا لحقوقه التى تَعْرُوه .

ورواه ابن شبة ، ولفظه : أن فاطمة رضى الله تعالى عنها أرسلَتْ إلى أبى بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أفاء الله على رسوله ، وفاطمةُ حينئذ تطلبُ صدقة النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة وفدك وما بقى من خمس خيبر، فقال أبو بكر : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا نورَثُ ، ما تركنا صَدَقَة ، إنما يأكل آلُ محمدٍ من هذا المال » و إنى والله لا أغير شيئاً من صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حالها التى كانت عليها فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولأعملنَّ فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئا ، فوجِدَتْ فاطمة على أبى بكر فى ذلك ، فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت ، وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أشهر ، فلما توفيت دفنها على ليلا ، ولم يؤذن بها أبا بكر ، رضى الله تعالى عنهم .

وفى رواية له أن فاطمة والعباس أتيا أبا بكر ، وذكره مختصرا كما فى رواية الصحيح أيضاً ، وقال فيه : فهجرته فاطمة فلم تكلمه فى ذلك المال حتى ماتت ، وكذا نقل الترمذى عن بعض مشايخه أن معنى قول فاطمة لأبى بكر وعمر «لا أكلمكما» أى فى هذا الميراث ، ولا يرده قوله « فهجرته» إذ ليس المراد الهجر الحرام ، بل تركها للقائه ، والمدة قصيرة ، وقد اشتغلت فيها بحزنها ثم بمرضها ، ويؤيد ذلك ما رواه البيهقى بإسناد صحيح إلى الشعبى مرسلاً أن أبا بكر عادَ فاطمة فقال لها على : هذا أبو بكر يستأذن عليك ، قالت : أتحبُّ أن آذن له ؟ قال : نعم ، فأذِنَتْ له ، فدخل عليها فرضّاها حتى رضيت عليه .

أما سبب غضبها مع احتجاج أبى بكر بما سبق فلاعتقادها تأويله ، قال الحافظ ابن حجر : كأنها اعتقَدَتْ تخصيصَ العموم فى قوله «لا نورَثُ» ورأت أن المنافع [لكل] ما خلفه من أرض وعَقار لا يمنع أن يورث ، وتمسك أبو بكر بالعموم ، فلما صمم على ذلك انقطعت عنه .

قلت : بقى لذلك تتمة ، وهى أنها فهمت من قوله «ما تركنا صدقة» الوقف ورأت أن حق النظر على الوقف وقَبْض نمائه والتصرف فيه يُورَثُ ، ولهذا طالبت بنصيبها من صدقته بالمدينة ، فكانت ترى أن الحق فى الاستيلاء عليها لها وللعباس رضى الله تعالى عنهما ، وكان العباسُ وعلى رضى الله تعالى عنهما يعتقدَانِ ما ذهبت إليه ، وأبو بكر يرى الأمر فى ذلك إنما هو للإمام ، والدليل على ذلك أن عليا والعباس جاءا إلى عمر يطلبان منه ما طلبت فاطمة من أبى بكر ، مع اعترافهما له بأنَّ النبى صلى الله عليه وسلم قال « لا نورَثُ ، ما تركنا صدقة » لما فى الصحيح من قصة دخولهما على عمر يختصمان فيما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم من مال بنى النضير ، وقد دفع إليهما ذلك ليعملا فيه بما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به وأبو بكر بعده ، وذلك بحضور عثمان وعبد الرحمن بن عوف وسعد والزبير ، قال فى الصحيح : فقال الرَّهْطُ عثمان وأصحابه : ياأمير المؤمنين

اقضِ بينهما وأرِحْ أحدَهما من الآخر ، فقال عمر : على تيدكما ، أنشدُكم الله الذى بإذنه تقوم السماء والأرض ، هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا نورث، ماتركنا صدقة » يعنى نفسه ؟ فقال الرهط : قد قال ذلك ، فأقبل عمر على العباس وعَلِى علىّ فقال : أنشدكما بالله هل تعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال ذلك ؟ قالا : قد قال ذلك ، قال عمر : فإنى أحدثكم عن هذا الأمر ، إن الله عز وجلّ قد خصّ رسولَه صلى الله عليه وسلم فى هذا الفىء بشىء لم يعطه أحداً غيره ، ثم قرأ (وما أفاء الله على رسوله) إلى قوله (قدير) فكانت هذه خاصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله ما احتازها دونكم ولا استأثرها عليكم ، قد أعطاكموها و بثها فيكم حتى بقى منها هذا المال ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُنفِقُ على أهله نفقةَ سنتِهم من هذا المال ، ثم يأخذ ما بقى فيجعلُه مجعل مال الله ، فعمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك حياته ، أنشدكم بالله هل تعلمون ذلك ؟ قالوا : نعم ، ثم قال لعلى وعباس : أنشدكما بالله هل تعلمان ذلك ؟ قالا : نعم ، قال عمر : ثم توفى الله نبيه صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر : أنا ولىُّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقبضها أبو بكر ، فعمل فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله يعلم إنه فيها لصادق بارّ راشد تابع للحق ، ثم توفى الله أبا بكر فكنت أنا ولىَّ أبى بكر فقبضتها سنتين من إمارتى، والله يعلم إنى فيها لَصَادق بار راشد تابع للحق، ثم جئتمانى تكلمانى وكلِمَتُكما واحدة وأمرُكما واحد، جئتنى ياعباس تسألنى نصيبك من ابن أخيك وجاءنى هذا ـ يريد عليا ـ يسألنى نصيبَ امرأته من أبيها ، فقلت لكما : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا نورث ، ماتركنا صدقة » فلما بدا لى أن أدفعه إليكما قلت : إن شئتما دفعتها إليكما على أن عليكما عَهْدَ الله وميثاقه لتعملانّ فيها بما عمل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم و بما عمل فيها أبو بكر و بما عملتُ فيها منذ وليتها ، فقلتما: ادفعها إلينا ، فبذلك دفعتها إليكما ، فأنشدكم بالله هل دفعتها إليهما بذلك ؟ قال

الرهط : نعم ، الحديثَ من رواية مالك بن أوس ، وهو صريح فى مطالبتهما مع اعترافهما بحديث « لانُورَثُ » فليس محله إلا ماتقدم من أنهما فَهِمَا أن ذلك من قبيل الوقف ، وأن ورثة الواقف أولى بالنظر على الموقوف ، سيما وما قبضاه من أموال بنى النضير هو صَدَقة النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، ولهذا زاد شعيب فى آخر الحديث المذكور : قال ابن شهاب : فحدثت بهذا الحديث عروة ، فقال: صَدَقَ مالك بن أوس ، أناسمعت عائشة رضى الله تعالى عنها تقول ، فذكر حديثها ، قال : وكانت هذه الصدقة بيدعلى منعها العباس فغلبه عليها ، ثم كانت بيد الحسن ، ثم بيد الحسين ، ثم بيد على بن حسين والحسن بن الحسن ، ثم بيد زيد بن الحسن ، وهى صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا .

وروى عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى مثله ، وزاد : قال معمر : ثم كانت بيد عبد الله بن حسن حتى ولى هؤلاء ، يعنى بنى العباس ، فقبضوها،وزاد إسماعيل القاضى أن إعراض العباس عنها كان فى خلافة عثمان .

وفى سنن أبى داود عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، فذكر قصة بنى النضير ، وقال فى آخرها : فكانت نخل بنى النضير لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ، أعطاها الله إياه ، فقال (ما أفاء الله على رسوله منهم ـ الآية) قال : فأعطى أكثرها للمهاجرين ، وبقى منها صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى فى أيدى بنى فاطمة .

وقال ابن شبة : قال أبو غسان : صدقاتُ النبى صلى الله عليه وسلم اليوم بيد الخليفة : يولى عليها ، ويعزل عنها ، ويقسم ثمرها وغلتها فى أهل الحاجة من أهل المدينة على قدر مايرى مَنْ هى فى يده .

قال الحافظ بن حجر ، بعد نقل نحو ذلك عنه : وكان ذلك على رأس المائتين ، ثم تغيرت الأمور ، والله المستعان .

قلت: قال الشافعى فيما نقله البيهقى: وصدقةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ بأبى هو وأمى ـ قائمة عندنا ، وصدقة الزبير قريب منها ، وصدقة عمر بن

الخطاب قائمة ، وصدقة عثمان ، وصدقة علىّ ، وصدقة فاطمة بنت رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وصدقة مَنْ لا أحصى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وأعراضها .

وذكر المجد فى ترجمة فَدَك ما يقتضى أن الذى دَفَعه عمر إلى على والعباس رضى الله تعالى عنهم ووقعت الخصومة فيه هو فدك ، فإنه قال فيها : وهى التى قالت فاطمة رضى الله تعالى عنها : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نَحَلَنِيها ، فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه : أريد بذلك شهودا ، فشهد لها علىّ ، فطلب شاهدا آخر ، فشهدت لها أم يمن ، فقال : قد علمت يابنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لا يجوز إلا شهادة رجل وامرأتين ، وانصرفت ، ثم أدّى اجتهاد عمر (١) لما ولى وفتحت الفتوح ، وكان على يقول : إن النبى صلى الله عليه وسلم جَعَلها فى حياته لفاطمة ، وكان العباس يأبى ذلك ، فكانا يختصمان إلى عمر ، فيأبى أن يحكم بينهما ، ويقول : أنتما أعرف بشأنكما ، فلما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إلى عامله بالمدينة يأمره برد فَدَك إلى ولد فاطمة ، فكانت فى أيديهم أيامه ، فلما ولى يزيد بن عبد الملك قَبَضَها ، فلم تزل فى بنى أمية حتى ولى أبو العباس السفاح الخلافة ، فدفعها إلى الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ، فكان هو القيم عليها يفرقها فى ولد على ، فلما ولى المنصور وخرج عليه بنو حسن قَبَضَها عنهم ، فلما ولى ابنه المهدى أعادها عليهم ، ثم قبضها موسى بن الهادى ومَنْ بعده إلى أيام المأمون ، فجاءه رسولُ بنى علىّ فطالب بها ، فأمر أن يُسَجَّل لهم بها ، فكتب السجل وقرئ على المأمون ، فقام دِعْبِلٌ وأنشد :

أصْبَحَ وَجْهُ الزمان قد ضَحِكَا بِرَدِّ مأمونِ هَاشِمٍ فَدَكَا

---

(١) الكلام لايتم إلا بذكر ما أدى إليه اجتهاد عمر رضى الله تعالى عنه ، والمراد مفهوم ، وهو أنه دفعها إليهم .

قلت : ورواية الصحيح السابقة عن عائشة ترد ما ذكره من دفع عمر فدك لعلى وعباس واختصامهما فيها ؛ لقول عائشة رضى الله تعالى عنها : وأما خيبر وفدك فأمسكهما عمر ، وكذلك ما ذكره من أن عمر بن عبد العزيز رد فدك إلى ولد فاطمة موافقٌ لما نقله هو عن ياقوت من أن عمر بن عبد العزيز لما ولى خطب الناس ، وقص قصة فدك وخلوصها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنفاقه منها ووَضْع الفضل فى أبناء السبيل ، وأن أبا بكر وعمر وعثمان وعليا رضوان الله عليهم فعلوا كفعله ، فلما ولى معاوية أقْطَعَهَا مروان بن الحكم ، وأن مروان وهَبَهَا لعبد العزيز وعبد الملك ابْنَيْه ، قال : ثم صارت لى وللوليد وسليمان ، وأنه لما ولى الوليد سألتُه فوهَبَها لى وسألت سليمان حصَّتَه فوهبها لى ، فاستجمعتها ، وأنه ما كان لى مال أحَبَّ إلىّ منها ، وإنى أشْهِدُكم أنى رَدَدْتُها على ما كانت فى أيام النبى صلى الله عليه وسلم والأربعة بعده ، فكان يأخذ مالها هو ومَنْ بعده فيخرجه فى أبناء السبيل .

قلت : وقيل : إن الذى أقطع فدك لمروان عثمانُ رضى الله تعالى عنه ، قال الحافظ ابن حجر : إنما أقطع عثمانُ فدك لمروان ؛ لأنه تأول أن الذى يختص بالنبى صلى الله عليه وسلم يكون للخليفة بعده ، فاستغنى عثمان عنها بأمواله ، فوصل بها بعضَ قرابته .

وأما ما ذكره المجد من أن فاطمة رضى الله تعالى عنها ادَّعَتْ نَحْلَ فدك فروى ابن شبة ما يشهد له عن النمير بن حسان قال : قلت لزيد بن على وأنا أريد أن أهَجِّنَ أمْرَ أبى بكر : إن أبا بكر انتزع من فاطمة رضى الله تعالى عنها فدك فقال: إن أبا بكر رضى الله تعالى عنه كان رجلا رحيما ، وكان يكره أن يغير شيئاً تركهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتته فاطمة رضى الله تعالى عنها فقالت : إن رسول الله أعطانى فدك ، فقال لها : هل لك على هذا بينة ؟ فجاءت بعلى رضى الله تعالى عنه ، فشهد لها ، ثم جاءت بأم أيمن ، فقالت : أليس تشهد أنى من أهل

الجنة ؟ قال : بلى ، قالت : فأشهد أن النبى صلى الله عليه وسلم أعطاها فَدَكَ ، فقال أبو بكر : فبرجل وامرأة تستحقينها أو تستحقين لها القضية ؟ قال زيد بن على : وايم الله لو رَجَع لى الأمر لقضيتُ فيها بقضاء أبى بكر رضى الله تعالى عنه .

وروى ابن شبة أيضاً عن كثير النوى قال : قلت لأبى جعفر : جَعَلَنى الله فداءك ! أرأيت أبا بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما هل ظلما كم من حقكم شيئاً أو ذهبا به ؟ قال : لا والذى أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ماظلمانا من حقنا مثقال حبة من خردل ، قلت : جعلت فداءك ! فأتولاهما ؟ قال : نعم ، ويحك ! تولهما فى الدنيا والآخرة ، وما أصابك ففى عنقى ، ثم قال : فَعَلَ الله بالمغيرة وبكيان فإنهما كذبا علينا أهل البيت .

قلت : وبذلك الكذب تعلقت الرَّوَافض ، ولم يفهموا الأحاديث المتقدمة على وجهها ، والله أعلم .

الفصـــل الثالث

فيما يُنْسَبُ إليه صلى الله عليه وسلم من المساجد التى بين مكة والمدينة ، بالطريق التى كان يسلكها صلى الله عليه وسلم ، وهى طريق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

وهى تفارق طريق الناس اليوم من قرب مسجد الغزالة كما سيأتى ، فلا تمر بالخيف ولا بالصفراء ، بل تمر بالحى وثنية هَرْشَى ثم الجُحْفة كما سيتضح لك ، ويكون طريق الناس اليوم على يمين السالك فى هذا الطريق ، فتمر على رابغ أسفل من الجحفة ، ثم تلتقى مع هذه الطريق فوق الجحفة قرب طريق قديد .

وفى الأخبار أن من أدب الزائر إلى المساجد التى بين الحرمين أن يصلى فيها ، وهى عشرون موضعاً .

قلت : وهذا بالنسبة إلى هذه الطريق ، مع أن أبا عبد الله الأسدى قد ذكر

فيها أزيد من ذلك ، وقد أضفنا إليه ما وجدناه فى كلام غيره ، وأوردناها على ترتيبها من المدينة إلى مكة ، زادها الله شرفاً .

مسجد الشجرة (ذى الحليفة)

فمنها مسجد الشَّجَرة ، ويعرف بمسجد ذى الحليفة أيضاً ، والحليفة : الميقات المدنى ، ويعرف اليوم ببئر على .

روينا فى صحيح مسلم عن ابن عمر قال : باتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى الحليفة مبدأه ، وصلى فى مسجدها .

وروى يحيى عنه أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج إلى مكة صلى فى مسجد الشجرة .

وروى ابن زبالة عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينزل بذى الحُلَيْفة حين يعتمر ، وفى حجته حين حج ، تحت سَمُرَة فى موضع المسجد الذى بذى الحليفة .

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : صَلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد الشجرة إلى الأسطوانة الوُسْطَى ، استقبلها ، وكانت موضع الشجرة التى كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى إليها .

وعن أنس بن مالك قال : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة الظهر أربعاً ، والعصرَ بذى الحُليفة ركعتين .

وعن ابن عمر أيضاً أن النبى صلى الله عليه وسلم أناخَ بالبَطْحَاء التى بذى الحليفة وصلى بها .

قلت : المعنىُّ بذلك موضع المسجد المذكور ، فإنه كان موضعَ نزوله صلى الله عليه وسلم ، وبنى فى موضع الشجرة التى كانت هناك ، وبها سمى «مسجد الشجرة» وهى السَّمُرَة التى ذكر فى حديث ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم كان ينزل تحتها بذى الحليفة كما فى الصحيح .

وفى صحيح مسلم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا استَوَتْ به راحلتُه قائمةً عند مسجد ذى الحليفة أهَلَّ فقال : لَبَّيْكَ اللهم لبيك، الحديث .

وفى رواية له : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركعُ بذى الحليفة ركعتين، ثم إذا استَوَتْ به الناقة قائمة عند مسجد ذى الحليفة أهلَّ بهؤلاء الكلمات .

ويتحصل من صحيح الروايات أنه صلى الله عليه وسلم خرج لحجته نهاراً ، وبات بذى الحليفة ، وأحرم فى اليوم الثانى من عند المسجد ، فيظهر أن صلواته صلى الله عليه وسلم فى تلك المدة كانت كلها به ، ولم أقف على اغتساله صلى الله عليه وسلم لإحرامه بذى الحليفة .

وفى باب « ما يلبس المحرم » من البخارى عن ابن عباس قال : انطَلقَ النبى صلى الله عليه وسلم من المدينة بعدما ترجَّلَ وادّهن ولبس إزاره ورداءهو وأصحابه الحديث ، وليس فيه تصريح بالاغتسال ، لكن فى طبقات ابن سعد أنه صلى الله عليه وسلم خرج فى حجة الوداع من المدينة مُغْتسلا متدهناً مترجِّلا متجَرِّداً فى ثوبين سحاريين إزار ورداء ، وذلك يوم السبت لخمس ليال بقين من ذى القعدة.

وفى كتاب التنبيهات للقاضى عياض : ظاهر المذهب أن المستحب الاغتسال بالمدينة ، ثم يسير من فَوْره ، وبذلك فسَّره سَحْنون وابن الماجشون ، وهو الذى فعله النبى صلى الله عليه وسلم ، كما استحب أن يلبس حينئذ ثياب إحرامه ، وكذلك فعل عليه الصلاة والسلام ، انتهى .

قلت : ولم يتعرض أصحابُنا لذلك ، لكن قالوا : إن من اغتسل فى التنعيم فى الإحرام أجزأه عن الغسل لدخول مكة للقرب ، فيؤخذ منه اعتبار القرب ، وهو مُنَافٍ لظاهر ما نقل عنه صلى الله عليه وسلم ، إذ لم يحرم من ذى الحليفة إلا فى اليوم الثانى ، فيحتمل أنه أعاد الغسل حينئذ بذى الحليفة . أما لو كان الإحرام عقب الوضوء إلى ذى الحليفة ونحوه فلا يبعد القول به عندنا ، كما ذكروا

فى الغسل للجمعة من الفجر ، وعدم اشتراطهم لاتصاله بالرَّوَاح .

قال المطرى ، وتبعه مَنْ بعده ، بعد بيان إحرامه صلى الله عليه وسلم عندما انبعثت به راحلته من عند المسجد : فينبغى للحاج إذا وصل إلى ذى الحُلَيفة أن لا يتعدى فى زاوية المسجد المذكور وما حوله من القبلة والمغرب والشام ، بحيث لا يبعد عما حول المسجد ، وإن كثيرا من الحجاج يتجاوزون ما حول المسجد إلى جهة المغرب ، ويصعدون إلى البيداء ، فيتجاوزون الميقات بيقين .

قلت : لم يبين نهاية ذى الحليفة . وقوله « حول المسجد » لا ضابط له ، ولا يلزم من نزوله صلى الله عليه وسلم بالمسجد وما حوله انحصار ذى الحليفة فى ذلك ، وسنشير إلى زيادة فى ذلك فى ترجمة ذى الحليفة ، مع بيان المسافة التى بينها وبين المدينة .

قال المطرى : وهذا المسجد هو المسجد الكبير الذى هناك ، وكان فيه عقود فى قبلته ، ومنارة فى ركنه الغربى الشمالى ، فتهدمت على طول الزمان .

قال المجد : ولم يبق منه إلا بعض الجدران وحجارة متراكمة .

قلت : جدد المقر الزينى زين الدين الاستدار بالمملكة المصرية تغمده الله برحمته هذا الجدار الدائر عليه اليوم ، لما كان بالمدينة معزولا عام أحد وستين وثمانمائة ، وبناه على أساسه القديم ، وموضعُ المنارة فى الركن الغربى باقٍ على حاله ، وجعل له ثلاث درجات من المشرق والمغرب والشام ، فى كل جهة منها درجة مرتفعة ، حفظاً له عن الدواب ، ولم يوجد لمحرابه الأول أثر لانهدامه ، فجعل المحراب فى وسط جدار القبلة ، ولعله كان كذلك ، واتخذ أيضاً الدرج التى للآبار التى هناك ينزل عليها مَنْ يريد الاستقاء .

وطولُ هذا المسجد من القبلة إلى الشام اثنان وخمسون ذراعا ، ومن المشرق إلى المغرب مثل ذلك .

مسجد آخر بذى الحليفة

قال المطرى : وفى قبلته مسجد آخر أصغر منه ، ولا يبعد أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم صلى فيه أيضاً ، بينهما مقدار رمية سهم أو أكثر قليلا ، انتهى .

قلت : ويؤخذ مما سيأتى عن الأسدى أنه مسجد المُعَرَّس ، والله أعلم .

مسجد المعرس

ومنها : مسجد المعرس ـ قال أبوعبدالله الأسدى فى كتابه وهومن المتقدمين يؤخذمن كلامه أنه كان فى المائة الثالثة : بذى الحليفة عدة آبار ومسجدان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالمسجد الكبير الذى يحرم الناس منه ، والآخر مسجد المُعَرَّس ، وهو دون مُصْعَد البيداء ناحية عن هذا المسجد ، وفيه عَرَّس رسولُ الله صلى الله عليه مُنْصَرَفَهُ من مكة .

قلت : ليس هناك غير المسجد المتقدم ذكره فى قبلة مسجد ذى الحليفة على نحو رَمْيةِ سهم سبقى منه ، وهو قديم البناء بالقَصَّة والحجارة المطابقة ؛ فهو المراد .

وفى صحيح البخارى فى باب المساجد التى على طريق المدينة والمواضع التى صلى فيها النبى صلى الله عليه وسلم عن نافع أن عبدَ الله أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان ينزل بذى الحُلَيفة ـ حين يعتمر ، وفى حجته حين حج ـ تحت سَمُرة فى موضع المسجد الذى بذى الحليفة ، وكان إذا رجع من غزو كان فى تلك الطريق أو حجّ أو عمرة هَبَط بطن وادٍ ، فإذا ظهر من بطن واد أناخ بالبطحاء التى على شَفير الوادى الشرقية فعَرَّس ثَمَّ حتى يصبح » ليس عند المسجد الذى بحجارة ولا على الأكمة التى عليها المسجد ، وكان ثم خليج يصلى عبدُ الله عنده فى بطنه كثب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يصلى فدَحا فيه السيلُ بالبطحاء ، حتى دفن ذلك المكان الذى كانَ عبد الله يصلى فيه .

قال الحافظ ابن حجر : قوله « بطن واد » أى وادى العقيق .

قلت : ورواه ابن زبالة بلفظ « هبط بطن الوادى ، فإذا ظهر من بطن الوادى أناخ بالبطحاء التى على شفير الوادى الشرقية » .

ورواه المطرى من غير عَزْوٍ ، وقال فيه « هبط بطن الوادى وادى العقيق » وأظنه من الرواية بالمعنى ، وهو يقتضى أن يكون المعرَّسُ فى شرقى وادى العقيق فلا يكون بذى الحليفة، فيتعين أن يكون المراد بطن وادٍ فى وادى العقيق؛ إذ المعرس ذو الحليفة .

ففى الحج من صحيح البخارى عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يخرج من طريق الشجرة ، ويدخل من طريق المعرس » وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان إذا خرج إلى مكة يصلى فى مسجد الشجرة ، وإذا رجع صَلّى بذى الحليفة ببطن الوادى وبات حتى يصبح » .

وفيه أيضا من طريق عقبة عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه أُرِىَ وهو فى مُعَرَّسه بذى الحليفة ببطن الوادى قيل له : إنك ببطحاء مباركة ، وقد أناخ بنا سالم يتوخَّى المُنَاخَ الذى كان عبد الله ينيخ يتحرَّى مُعَرَّس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أسفل من المسجد الذى ببطن الوادى ، بينه وبين الطريق وسطا من ذلك .

قلت : والمسجد المتقدم ذكره ببطن الوادى ، فلعله المراد ، ويكون المعرس بقربه من المشرق .

وروى يحيى عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قيل له وهو بالمعرس نائم يعنى معرس الشجرة : إنك ببطحاء مباركة .

قلت : فيتأيد به ما تقدم لإضافته المعرس إلى الشجرة ، ولا يشكل ذلك ببعد هذا المسجد عن الطريق التى تسلك اليومَ إلى المدينة ؛ لما تقدم من رواية ابن عمر فى اختلاف طريق الشجرة وطريق المُعَرَّس .

وروى البزار بسند جيد عن أبى هريرة نحوه ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يخرج من طريق الشجرة ، ويدخل من طريق المعرس» .

وفى صحيح أبى عوانة حديثُ « كان النبى صلى الله عليه وسلم يخرج من طريق الشجرة إلى مكة ، وإذا رَجَع رَجَع من طريق المعرس » .

وروى بعضهم عن نافع أنه انقطع عن ابن عمر حتى سبقه إلى المعرَّس ، ثم جاء إليه فقال : ما حَبَسَك عنى؟ فأخبره، فقال : إنى ظننت أنك أخذت الطريق الأخرى ، ولو فعلت لأوْجَعْتُكَ ضرباً ، وهذا لحرصه على الاتباع فى النزول هناك ، وقد أميتت هذه السنة .

وروى ابن زبالة عن عبد الأعلى بن عبد الله بن أبى فَرْوَة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان إذا خرج إلى مكة يَسْلك على دار جبر بن على ، ثم على منازل بنى عطاء ، ثم فى بطحان ، ثم فى زقاق البيت ، حتى يخرج عندموضع دار ابن أبى الجنوب بالحرة » .

قلت : وهذه الأماكن غير معروفة بأعيانها ، والله أعلم .

مسجد شرف الروحاء

ومنها : مسجد شرف الرَّوْحاء ـ قال البخارى عقب ما تقدم من رواية نافع وأن عبد الله حَدَّثه أن النبى صلى الله عليه وسلم « صَلّى حيثُ المسجد الصغير الذى دون المسجد الذى بشَرَفِ الرَّوْحاء » . وقد كان عبد الله يعلم المكان الذى فيه صلى النبى صلى الله عليه وسلم ، يقول : ثم عن يمينك حين تقوم فى المسجد تصلى ، وذلك على حافة الطريق اليمنى وأنت ذاهب إلى مكة ، بينه وبين المسجد الأكبر رمية بحجر أو نحو ذلك .

ورواه يحيى بلفظ : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « صلّى إلى جانب المسجد الصغير الذى دون المسجد الذى بشَرَف الرَّوْحاء » . وقد كان عبد الله يعلم المكان الذى صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعواسج ، يكون عن يمينك حين تقوم فى المسجد ، وباقيه كلفظ البخارى .

وروى ابن زبالة عن ابن عمر قال : صلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم

بشرف الروحاء على يمين الطريق وأنت ذاهب إلى مكة ، وإلى يسارها وأنت مقبل من مكة .

قلت : وهذا المسجد هو المعنى بقول الأسدى : وعلى مِيلَيْن من السيالة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له مسجد الشرف ، قال : وبين السيالة والرَّوحاء أحَدَ عشر ميلا ، وبينها وبين ملل سبعة أميال ، وهى لولد الحسين ابن على بن أبى طالب ولقوم من قريش ، وعلى ميل منها عين تعرف بسويقية لولد عبد الله بن حسن ، كثيرة الماء عَذْبَة ، وهى ناحية عن الطريق ، قال : والجبل الأحمر الذى يَسْرَةَ الطريق حين يخرج من السيالة يقال له ورقان ، يسكنه قوم من جهينة يقال : إنه متصل إلى مكة لا ينقطع ، وذكر آبارا كثيرة بالسيالة .

وقوله « وعلى ميلين من السيالة » أراد من أولها ، ولهذا قال المطرى : شرف الروحاء هو آخر السيالة وأنت متوجه إلى مكة ، وأول السيالة إذا قطعت شرف ملل ، وكانت الصخيرات صخيرات التمام عن يمينك ، وقد هبطت من ملل ثم رجعت عن يسارك واستقبلت القبلة ، فهذه السيالة وكانت قد تجدد فيها بعد النبى صلى الله عليه وسلم عيون وسكان ، وكان لها والٍ من جهة والى المدينة ولأهلها أخبار وأشعار ، وبها آثار البناء وأسواق ، وآخرها الشرف المذكور ، والمسجد عنده ، وعنده قبور قديمة كانت مدفن أهل السيالة ، ثم تهبط فى وادى الروحاء مستقبل القبلة ، ويعرف اليوم بوادى بنى سالم ، بطن من حرب عرب الحجاز ؛ ثم ذكر ما سيأتى .

قلت : وتلك القبور التى عند المسجد مشهورة بقبور الشهداء ، ولعله لكون بعضهم [دفن] فيها ممن قتل ظلما من الأشراف الذين كانوا بالسيالة وبسويقة ، كما يؤخذ مما سنشير إليه فى ترجمه سويقة .

مسجد عرق الظبية

ومنها : مسجد عِرْقِ الظَّبْيَة ـ قال المطرى عقب قوله « ثم يهبط فى وادى

الروحاء مستقبل القبلة» مالفظه : فتمشى مستقبل القبلة وشعب على يسارك ، إلى أن تدور الطريقُ بك إلى المغرب وأنت مع أصل الجبل الذى على يمينك ، فأولُ ما يلقاك مسجد على يمينك كان فيه قبر كبير فى قبلته فتهدم على طول الزمان ، صَلّى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويعرف ذلك المكان بعرق الظبية ، ويبقى جبل ورقان على يسارك ، قال : وفى المسجد الآن حجر قد نقش عليه بالخط الكوفى عند عمارته الميل الفلانى من البريد الفُلانى ، انتهى.

وقال الأسدى : وعلى تسعة أميال — يعنى من السيالة — وأنت ذاهب إلى الرَّوْحَاء مسجدٌ للنبى صلى الله عليه وسلم يقال له مسجد الظبية ، فيه كانت مشاورةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم لقتال أهل بدر ، وهو دون الروحاء بميلين ، انتهى .

وقال المجد فى ترجمة الشرف : إن فى حديث عائشة رضى الله تعالى عنها « أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحد بمل على ليلة من المدينة ، ثم راح فتعشى بشرف السياله ، وصلى الصبح بعرق الظبية » .

وروى ابن زبالة عن عمرو بن عوف المزنى قال : أول غزوة غزاها النبى صلى الله عليه وسلم وأنا معه غزوة الأبْوَاء ، حتى إذا كان بالرَّوْحَاء عند عرق الظبية قال : هل تدرون ما اسمُ هـذا الجبل ؟ يعنى ورقان ، قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : هذا حمت جبل من جبال الجنة ، اللهم بارك لنا فيه ، وبارك لأهله فيه ، تدرون ما اسم هذا الوادى ؟ يعنى وادى الروحاء ، هذا سجاسج ، لقد صلى فى هذا المسجد قبلى سبعون نبيا ، ولقد مَرَّ بها — يعنى الروحاء — موسى بن عمران فى سبعين ألفا من بنى إسرائيل عليه عباءتان قطوانيتان على ناقة له ورقاء ، ولا تقوم الساعة حتى يمر بها عيسى بن مريم حاجا أو معتمرا ، أو يجمع الله له ذلك .

ورواه الطبرانى ، وفيه كثير بن عبدالله حَسّنَ الترمذى حديثه ، وبقيةُ رجاله

ثقات ، إلا أنه قال فيه عقب قوله « و بارك لأهله فيه» وقال للروحاء هو سجاسج وهذا واد من أودية الجنة ، لقد صلى فى هذا الوادى قبلى سبعون نبيا ، ولقد مر به موسى عليه السلام عليه عباءتان قطوانيتان على ناقة ورقاء فى سبعين ألفا من بنى إسرائيل حاجين البيتَ العتيقَ ، ولا تقوم الساعة حتى يمر بها عيسى بن مريم عبدُ الله ورسوله . ورواه يحيى بنحوه ، إلا أنه قال : لقد صلى قبلى فى هذا الموضع سبعون نبيا ، ورواه الترمذى بلفظ : أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى وادى الروحاء ، وقال : لقد صلى فى هذا المسجد سبعون نبيا .

قلت : وآثار هذا المسجد موجودة هناك .

مسجد آخر بالروحاء

ومنها : مسجد بالروحاء، ذكره الأسدى ، وغاير ما بينه و بين ما قبله وما بعده.

وقال الواقدى فى غزوة بدر : ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى الروحاء ليلة الأربعاء النصف من شهر رمضان ، فصلى عند بئر الروحاء .

وسيأتى فى ترجمة الروحاء أنه كان بها آبار متعددة ، فلم يبق منها اليوم سوى بئر واحدة ، والله أعلم .

مسجد المنصرف (الغزالة)

ومنها : مسجد المنصرف ، و يعرف اليوم بمسجد الغزالة ، وهو آخر وادى الروحاء مع طرف الجبل ، على يسارك وأنت ذاهب إلى مكة .

قال المطرى : ولم يبق منه اليوم إلا عقد الباب .

قلت : وقد تهدم أيضا ، ولم يبق إلا رسومه .

وقال الأسدى : وعلى ثلاثة أميال من الروحاء ، يعنى وأنت قاصد مكة ، مسجدٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى سَنَد الجبل ، يقال له مسجد المنصرف ، جبل على يسارك تنصرف منه فى الطريق ، انتهى .

وقال البخارى : عقب ما قدمناه فى مسجد الشرف من رواية نافع : وأن ابن عمر كان يصلى إلى العرق الذى عند منصرف الروحاء ، وذلك العرق انتهاء طرفه على حافة الطريق دون المسجد الذى بينه و بين المنصرف وأنت ذاهب

إلى مكة ، وقد ابتنى ثَمَّ مسجد فلم يكن عبد الله يصلى فى ذلك المسجد ، كان يتركه عن يساره ووراءه و يصلى أمامه إلى العرق نفسه .

قلت : توهَّم بعضهم أن المراد عرق الظبية ، وليس كذلك ؛ لتغاير المحلين ، ورأيت بخط بعضهم هنا : العرق جبل صغير .

وروى ابن زبالة عن ابن عمر قال : صلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بشرف الروحاء ، و بالمنصرف عند العرق من الروحاء .

وفى رواية ليحيى عن ابن عمر أنه كان يصلى إلى العرق الذى عند منصرف الروحاء ، وذلك العرق أثناء طريقه على حافة الطريق ، دون السبيل الذى دون ثنية المنصرف وأنت ذاهب إلى مكة ، قال نافع : كان عبد الله يروح من الروحاء فلا يصلى الظهر حتى يأتى ذلك المكان فيصلى فيه الظهر .

وقال المطرى عقب ما تقدم عنه فى هـذا المسجد : إن عن يمين الطريق إذا كنت بهذا المسجد وأنت مستقبل البادية موضعاً كان عبدُ الله بن عمر ينزل فيه ، ويقول : هذا منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ثَمَّ شجرة كان ابن عمر إذا نزل هـذا المنزل وتوضأ صَبَّ فَضْلَ وَضُوئِهِ فى أصل الشجرة ، ويقول : هكذا رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يفعل ، ووَدَّ أنه كان يدور بالشجرة أيضا ثم يصُبُّ الماء فى أصلها ، اتباعا للسنة ، وإذا كان الإنسان عند هذا المسجد المعروف بمسجد الغزالة كانت طريقُ النبى صلى الله عليه وسلم إلى مكة على يساره مستقبلَ القبلة ، وهى الطريق المعهودة قديما ، ثم السقيا ، ثم ثنية هَرْشَى ، وهى طريق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، قال : وليس بهذا الطريق اليومَ مسجدٌ يعرف غير هذه الثلاثة مساجد ، يعنى سوى مسجد ذى الحليفة .

قلت :سببُه هِجْرَانُ الحُجَّاج لهـذا الطريق ، وأَخْذُهم من طرف الروحاء على البادية إلى مضيق الصفراء ثم إلى بدر ، وذكر لى بعض النـاس ممن سلك

تلك الطريق أن كثيرا من مساجدها موجود ، وسيأتى أنى ظفرت برؤية مسجد طرف قديد الآتى ذكره ، والله أعلم .

مسجد الرويثة

ومنها : مسجد الرويثة ـ قال البخارى عقب ما تقدم عنه من حديث نافع : وأن عبد الله حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينزل تحت سَرْحَة ضَخْمَة دون الرويثة عن يمين الطريق ووُجاه الطريق فى مكان بطح سهل حتى يُفْضى من أكَمَة دوين بريد الرويثة بميلين ، وقد انكسر أعلاها ، وانثنى فى جوفها ، وهى قائمة على ساق ، وفى ساقها كثب كثيرة .

وقوله « بريد الرويثة » أى الموضع الذى ينتهى إليه البريد بالرويثة ، وينزل فيه ، وقيل : البريد سكة الطريق ، ورواه ابن زبالة بنحوه ، وفى رواية له « صلى دون الرويثة عند موضع السرحة » .

وقال الأسدى : وفى أول الرويثة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وبين الرَّوْحاء والرويثة ثلاثة عشر ميلا ، وقال فى موضع آخر : ستة عشر ميلا ونصف ، ووصف ما بالرويثة من الآبار والحياض ، قال : ويقال للجبل المشرف عليها المقابل لبيوتها « الحمراء » وللذى فى دبرها عن يسارها قبل المشرق « الحسناء » .

مسجد ثنية ركوبة

ومنها : مسجد ثنية ركوبة كما سيأتى من رواية ابن زبالة فى مسجد مدلجة تعهن أنه صلى الله عليه وسلم « صَلَّى فى ثنية ركوبة ، وبَنَى بها مسجدا » . وسيأتى أن ركوبة ثنية قبل العرج للمتوجه من المدينة على يمين ثنية العابر وثنية العابر هى عقبة العرج ، والعرج بعدها بثلاثة أميال كما سيأتى ، ولم يذكر الأسدى هذا المسجد .

مسجد الأثاية

ومنها : مسجد الأثاية ـ بالمثلثة والمثناة التحتية ـ كالنواية على الراجح .

روى ابن زبالة عن جابر بن عبدالله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « صَلَّى عند بئر الأثاية ركعتين فى إزار ملتحفا به » .

قال المطرى : الأثاية ليست معروفة .

قلت : عرفها الأسدى فقال ، فى وصف طريق الذاهب لمكة : إن من الرويثة إلى الحمى أربعة أميال ، ثم قال : وعقبة العرج على أحد عشر ميلا من الرويثة ، ويقال لها : المدارج ، بينها و بين العرج ثلاثة أميال ، وبها أبيات ، و بئر عند العقبة ، وقبل العرج بميلين قبل أن ينزل الوادى مسجدُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم يعرف بمسجد الأثاية ، وعند المسجد بئر تعرف بالأثاية ، انتهى .

وقال المجد : الأثاية موضع فى طريق الجُحْفَة ، بينه و بين المدينة خمسة وعشرون فرسخا ، وفيه بئر ، وعليها المسجد المذكور ، وعندها أبيات وشجرُ أرَاكٍ ، وهو منتهى حد الحجاز ، انتهى .

وهو موافق لما ذكره الأسدى ؛ فإن منتهى حد الحجاز مدارج العرج ، وهى بقربها .

وروى أحمد برجال الصحيح عن عمير بن سلمة الضمْرِى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَرَّ بالعَرْج فإذا هو بحمار عَقِير ، فلم يلبث أن جاء رجل يهر ، فقال : يا رسول الله ، هذا رميتى فشأنكم فيها ، فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله تعالى عنه يقسمه بين الرفاق ، ثم سار حتى أتى عقبة الأثاية فإذا بظبى فيه سَهْم وهو حاقف فى ظل صخرة ، فأمر النبى صلى الله عليه وسلم رجلا من أصحابه فقال : قِفْ هٰهنا حتى يمر الرفاق لا يرميه أحد بشىء » . ومقتضى ما سبق من صنيع الأسدى أن يكون هذا فى رجوعه صلى الله عليه وسلم من مكة ، خلاف ما اقتضاه صنيع الهيتمى حيث ترجم عليه بجواز أكل لحم الصيد للمحرم إذا لم يصده أو يُصَدْ له .

مسجد العرج

ومنها : مسجد العَرْج — روى ابن زبالة عن صخر بن مالك بن إياس عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « صَلَّى فى مسجد العرج ،

وقَالَ فيه » يعنى من القَيْلُولة ، وأسقط المطرى هذا المسجد ، وجعله المجد الذى بعده ، وهو مردود ، ولم يتعرض له الأسدى .

مسجد المنبجس

ومنها : مسجد بطرف تَلْعَة من وراء العَرْج ، ووقع فى نسخة المجد وخط الزين المراغى « بطريق تلعة » وهو تصحيف لأن الذى فى صحيح البخارى وكتاب ابن زبالة طرف بالفاء .

قال البخارى ، عَقِبَ ما تقدم عنه فى مسجد الرويثة من رواية نافع : وأن عبد الله حدثه أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى طَرَفِ تلعة من وراء العرج ، وأنت ذاهب إلى هضبة ، وعند ذلك المسجد قبران أو ثلاثة ، وعلى القبور رضم من حجارة عن يمين الطريق ، عند سَلَمَات الطريق ، بين أولئك السلمات كان عبدُ الله يروح من العَرْج بعد أن تميل الشمسُ بالهاجرة فيصلى الظهر فى ذلك المسجد .

ورواه ابن زبالة إلا أنه قال فيه : من وراء العرج وأنت ذاهب على رأس خمسة أميال من العرج فى مسجد إلى هضبة .

وقال الأسدى : وعلى ثلاثة أميال من العرج قبل المشرق مسجدٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له مسجد المنبجس قبل الوادى ، والمنبجس : وادى العَرْج ، وعلى ثمانية أميال من العرج حوضان على عين تعرف بالمنبجس ، انتهى . ولعله المسجد المذكور .

مسجد لحى جمل

ومنها : مسجد لحى جمل ـ قال الأسدى : وعلى ميل من الطلوب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بموضع يقال له « لحى جمل » قال : والطلوب بئر غليظة الماء بعد العَرْج بأحد عشر ميلا ، والسقيا بعد الطلوب بستة أميال ، قال : وقبل السقيا بنحو ميل وادى العاند ، ويقال له وادى القاحة ، وينسب إلى بنى غفار ، اهـ .

فتلخص أن هذا المسجد قبل السقيا والقاحة وبعد العرج بالمسافة المذكورة .

ويؤيده أن ابن زبالة روى فى سياق هذه المساجد حديثَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « احْتَجَمَ بمكان يدعى لحى جمل بطريق مكة وهو محرم » .

وفى رواية له « احتجم بالقاحة وهو صائم محرم » ففيه بيان قرب ذلك من القاحة ، ولكن رأيت يحيى ختم كتابه بحديث ابن عمر فى هذه المساجد وبآخر النسخة ما صورته : نقل من خط أحمد بن محمد بن يونس الإسكاف فى آخر الجزء : قلت : إنه لم يذكر فى هذا الحديث المسجد الذى بين السقيا والأبواء الذى يقال له مسجد لحى جمل ، انتهى .

وهو يقتضى أنه بعد السقيا بينها وبين الأبواء ، ويوافقه قول عياض : قال ابن وضاح : لحى جمل فى عقبة الجحفة . وقال غيره : على سبعة أميال من السقيا .

ورواه بعض رواة البخارى « لحيَيْ جمل » أى بالتثنية ، وفسره فيه بأنه ما يقال له لحيى جمل أى فى حديث « احتجم النبى صلى الله عليه وسلم بلحيى جمل » .

وقال المجد : هى عقبة على سبعة أميال من السقيا .

وفى كتاب مسلم أنه ماء .

مسجد السقيا

ومنها : مسجد السقيا ـ روى ابن زبالة فى سياق المساجد التى بطريق مكة من حديث عوف بن مسكين بن الوليد البلوى عن أبيه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم « صَلَّى فى مسجد بالسقيا » .

وقال الأسدى ، بعد ما تقدم عنه فى المسافة بين الطلوب والسقيا : وبالسقيا مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجبل ، وعنده عين عذبة ، ثم ذكر أن بالسقيا أزيد من عشر آبار ، وأن عند بعضها بركة . ثم قال : وفيها عين غزيرة الماء ، ومَصَبُّها فى بركة فى المنزل ، وهى تجرى إلى صدقات الحسن بن زيد ، عليها نخل وشجر كثير ، وكانت قد انْقَطَعَتْ ثم عادت فى سنة ثلاث وأربعين ومائتين

ثم انقطعت فى سنة ثلاث وخمسين ومائتين ، قال : وعلى ميل من المنزل موضع فيه نخل وزرع وصدقات للحسن بن زيد فيها من الآبار التى يزرع عليها ثلاثون بئرا ، وفيها ما أحدث فى أيام المتوكل خمسون بئرا ، وماؤهن عذب ، وطول رشائهن قامة و بسطة ، وأقل وأكثر .

ثم وصف ما بعد السقيا فقال : وعلى ثلاثة أميال من السقيا عين يقال لها تعهن انتهى .

وفى حديث أبى قتادة فى الصحيح بركة بتعهن ، وهو مقابل السقيا ، وسيأتى فى ترجمة تعهن ما قيل من أنها قبل السقيا ، مع بيان أن المعروف اليوم أنها بعدها .

مسجد مدلجة تعهن

ومنها : مسجد مدلجة تعهن — روى ابن زبالة عن صخر بن مالك بن إياس عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « صلى بمدلجة تعهن ، و بنى بها مسجدا ، وصلى فى ثنية ركوبة ، و بنى بها مسجدا » .

قلت : لم يذكره إلا الأسدى ، وقد سبق عنه أن تعهن بعد السقيا بثلاثة أميال .

مسجد الرمادة

ومنها : مسجد الرمادة — قال الأسدى : ودون الأبواء بميلين مسجد للنبى صلى الله عليه وسلم يقال له « مسجد الرَّمادة » وذكر ما حاصله أن الأبواء بعد السقيا لجهة مكة بأحد وعشرين ميلا ، وأن فى الوسط بينهما عين القشيرى ، وهى عين كثيرة الماء ، ويقال للجبل المشرف عليها الأيسر «قدس» وأوله فى العرج ، وآخره وراء هذه العين ، والجبل الذى يقابلها يمنة يقال له « باقل » ويقال للوادى الذى بين هذين الجبلين « وادى الأبواء » انتهى .

مسجدا الأبواء

ومنها : مسجد الأبواء — قال الأسدى بعد ما تقدم فى وصف ما بين الأبواء والجحفة : إن الجحفة بعد الأبواء بثلاثة عشر ميلا ، قال : وفى وسط الأبواء مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر بها آباراً و بركاً ، منها بركة بقرب

القصر ، قال : وإذا جُزْتَ وادِيَ الأبواء بميلين كان على يسارك شعاب تسمى « نلعان اليمن » وذكر أن وَدَّان ناحية عن الطريق بنحو ثمانية أميال ، ينزل به مَنْ لاينزل إلا الأبواء ، فمن أراده رَحَل من السقيا إليه ، وبه عيون غزيرة عليها سبعة مشارع وبركة قديمة ، ثم يرحل منه فيخرج عند ثنية هَرْشَى بينها وبين وَدَّان خمسة أميال ، وقد عمل لهذهِ الطريق أعلام وأميال أمر بها المتوكل .

قلت : وكلا الطريقين عن يسار طريق الناس اليوم بأسفل وَدَّان وهى مَعْطَشة لا ماء بها إلا مايُحْمَل من بدر إلى رابغ .

مسجد البيضة

ومنها : مسجد يسمى بالبيضة ـ قال الأسدى : وعلى خمسة أميال وشىء من الأبواء مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له البيضة .

مسجد عقبة هرشى

ومنها : مسجد عقبة هَرْشَى ـ قال الأسدى : وعلى ثمانية أميال من الأبواء عقبة هَرْشَى ، وعلم منتصف الطريق مابين مكة والمدينة دون العقبة بميل ، وفى أصل العقبة مسجد للنبى صلى الله عليه وسلم حد الميل الذى مكتوب عليه سبعة أميال من البريد ، انتهى .

قال البخارى ، عقب ماتقدم عنه فى المسجد الذى بطرف تلعة من رواية نافع : وأن عبد الله حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عند سَرْحَاتٍ عن يسار الطريق فى مسيل دون هَرْشَى ، ذلك المسيل لاصق بكراع هَرْشَى ، بينه وبين الطريق قريب من غَلْوَة ، وكان عبدُ الله بن عمر يصلى إلى سرحة هى أقرب السرحات إلى الطريق ، وهى أطولهن .

مسجدا الجحفة

ومنها : مسجدان بالْجُحْفَة ـ قال الأسدى ، فى وصف مابين الجحفة وقديد ، بعد ذكرما بالجحفة من الآبار والبرك والعيون : وفى أول الجحفة مسجدٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له غورث ، وفى آخرها عند العلمين مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له مسجد الأئمة .

مسجد غدير خم

ومنها : مسجد بعد الجحفة ، وأظنه مسجد غدير خُم ـ قال الأسدى ، بعد ما تقدم عنه : وعلى ثلاثه أميال من الجحفة يسرةً عن الطريق حِذَاء العين مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، و بينهما الغيضة ، وهى غدير خم ، وهى على أربعة أميال من الجحفة ، انتهى .

وقال عياض : غدير خم غدير تصب فيه عين ، و بين الغدير والعين مسجد للنبى صلى الله عليه وسلم ، انتهى .

وأخبرنى مخبر أنه رأى هذا المسجدَ على نحو هذه المسافة من الجحفة ، وقد هدم السيل بعضه .

وفى مسند أحمد عن البَرَاء بن عازب رضى الله تعالى عنه قال : كنا عندالنبى صلى الله عليه وسلم فنزلنا بغدير خم ، فنودى فينا الصَّلَاةَ جامعةً ، وكسح[1] لرسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة فصلى الظهر ، وأخذ بيد على وقال : ألستم تعلمون أنى أوْلىٰ بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا : بلى ، قال : فأخذ بيد على وقال : اللهم مَنْ كُنْتُ مولاه فعلىٌّ مَوْلاهُ ، اللهم وَالِ مَنْ والاه وعَادِ مَنْ عاداه ، قال: فلقيه عمرُ بعد ذلك فقال : هنيئا يابن أبى طالب ، أصْبَحْتَ وأمْسَيْتَ مَوْلىٰ كل مؤمن ومؤمنة ، وعن زيد بن أرقم مثله .

مسجد طرف قديد

ومنها : مسجد ذكر الأسدى أنه قبل قديد بثلاثة أمثال ، وذكر أن خيمتَىْ أمِّ معبد الخُزَاعية وموضع مَنَاةَ الطاغية فى الجاهلية على نحو هذه المسافة .

قلت : وقد عَثَرْتُ فى مسيرى إلى مكة على مسجد قديم قرب طرف قديد، وهو مرتفع عن يمين الطريق ، مبنى بالأحجار والقَصَّة ، يظهر أنه هذا المسجد .

مسجد عند حرة خليص

ومنها : مسجد عند حرة عقبة خليص ـ قال الأسدى : من قديد إلى عين

---

(١) كسح ـ وزان منع ـ أى كنس ، انتهى من هامش الأصل .

ابن بزيع وهى خليص على ثمانية أميال وشىء ، وذكر آبارا كثيرة بقديد ، قال : وعقبة خليص بينها و بين خليص ثلاثة أميال ، وهى عقبة تقطع حَرَّةً تعترض الطريق يقال لها ظاهرة البركة ، والشجر ينبت فى تلك الحرة ، وعند الحرة مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

مسجد خليص

ومنها : مسجد خليص ـ قال الأسدى : خليص عين غزيرة كثيرة الماء ، وعليها نخل كثير ، و بركة ، ومشارع ، ومسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

مسجد بطن مر الظهران

ومنها : مسجد بطن مرّ الظَّهْران ـ قال البخارى ، عقب ماتقدم عنه فى مسجد عقبة هرشى من رواية نافع : وأن عبد الله بن عمر حدثه أن النبى صلى الله عليه وسلم « كان يَنْزِلُ فى المَسِيلِ الذى فى أدنى مَرِّ الظَّهْرَان قبل المدينة ، حين يهبط من الصفراوات ، ينزل فى بطن ذلك المسيل عن يسار الطريق وأنت ذاهب إلى مكة ، ليس بين منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم و بين الطريق إلا رَمْيَةٌ بحجر » .

قال المطرى ، فى وصف هذا المسجد : إنه بوَادِى مرّ الظهران حين يهبط من الصفراوات عن يسار الطريق وأنت ذاهب إلى مكة ، قال : ومر الظهران هو بطنُ مَرّ المعروف ، وليس المسجد بمعروف اليوم ، انتهى .

وقال الزين المراغى : و يقال : إنه المسجد المعروف بمسجد الفتح ، انتهى.

وقال التقى الفاسى : المسجدُ الذى يقال له مسجد الفتح بالقرب من الجموم من وادى مر الظهران ، يقال : إنه من المساجد التى صَلَّى فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر ماقاله المراغى .

ثم قال : وممن عَمَرَ هذا المسجدَ على مابلغنى أى جَدَّدَ عمارته أبوعلى صاحب مكة ، وممن عمره بعد ذلك الشريفُ حياش ، قال : و بيضه فى عصرنا ورفع أبوابه صوناً له الشريفُ حسن بن عجلان ، انتهى .

وهذا المسجد ينظره الذاهب من الجوم إلى مكة عن يساره عند المسيل .

وقال الأسدى : بين مكة وبطن مر سبعة عشر ميلا ، و ببطن مر مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، و بركة للسيل طولها ثلاثون ذراعا ، وربما ملئت هذه البركة من عين يقال لها العقيق ، قال : و بحضرة هذه البركة بئران .

مسجد سرف

ومنها : مسجد سرف ـ بفتح السين المهملة ، وكسر الراء ـ وهذا المسجد به قَبْرُ ميمونة رضى الله تعالى عنها ، شاهدته وزُرْته ؛ إذ المروىُ أنها دفنت بسرف ، بالموضع الذى بنى عليها النبى صلى الله عليه وسلم فيه

وفى حديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم « كان لا ينزل منزلا إلا وَدَّعه بركعتين » وقال الأسدى ما لفظه : ومسجد سرف على سبعة أميال من مر ، وقبر ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم دون سرف ، اه . والمعروفُ ما قدمناه .

قال التقى الفاسى : من القبور التى ينبغى زيارتها قبر أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية ، وهو معروف بطريق وادى مر ، قال : ولا أعلم بمكة ولا فيما قرب منها قبر واحد ممن صحب النبى صلى الله عليه وسلم سوى هذا القبر ؛ لأن الخلف تأثر ذلك عن السلف .

مسجد التنعيم

ومنها : مسجد بالتنعيم ـ قال الأسدى : والتنعيم وراء قبر ميمونة بثلاثة أميال ، وهو موضع الشجرة ، وفيه مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيه آبار ، ومن هذا الموضع يُحْرِم مَنْ أراد أن يعتمر . ثم قال : ميقات أهل مكة بالإحرام مسجد عائشة ، وهو بعد الشجرة بميلين ، وهو دون مكة بأربعة أميال ، و بينه و بين أنصاب الحرم غَلْوة ، اه .

الخلاف فى مسجد عائشة

قلت : و بالتنعيم عِدَّةُ مساجد : اثنان منها اختلف فى المنسوب منهما لعائشة رضى الله تعالى عنها ، ولم يذكر التقى ولا غيره بالتنعيم مسجداً للنبى صلى الله عليه وسلم .

قال التقى فى ذكر مسجد عائشة : وهذا المسجد اختلف فيه ، فقيل :

هو المسجد الذى يقال له مسجد الهليلجة ، لشجرة هليلجة كانت فيه وسقطت من قريب ، وهو المتعارف عند أهل مكة على ما ذكره سليمان بن خليل ، وفيه حجارة مكتوب فيها ما يؤيد ذلك ، وقيل : هو المسجد الذى بقر به بئر ، وهو بين هذا المسجد وبين المسجد الذى يقال له « مسجد على » بطريق وادى مر الظهران ، وفى هذا أيضا حجارة مكتوب فيها ما يشهد لذلك ، ورجّح المحبُّ الطبرى أنه المسجد الذى بقر به البئر ، وهو الذى يقتضيه كلام إسحاق الخزاعى وغيره ، قال : إن بين مسجد الهليلجة وأول الأعلام سبعمائة ذراع وأربعة عشر ذراعا بذراع الحديد ، وذرع ما بينه وبين المسجد الآخر ثمانمائة ذراع واثنان وسبعون ذراعا بالذراع المذكور ، اهـ .

والأقرب لكلام الأسدى أن مسجد عائشة رضى الله تعالى عنها هو مسجد الهليلجة ؛ لكونه أقرب إلى أعلام الحرم من الثانى ، ولعل المنسوب للنبى صلى الله عليه وسلم هو مسجد علىّ أو المسجد الثانى .

عمرات الرسول

ورأيت عن بعضهم : روى ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم اعتمر أربع عمر : عمرة الحديبية ، وعمرة القضاء ، وعمرة التنعيم ، وعمرة الجِعِرّانة .

قلت : وذكر التنعيم غير معروف ، والمعروف فى الرابعة أنها التى مع حَجَّته ، فلعل المراد من نسبتها إلى التنعيم أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل مكة فيها من جهته .

مسجد ذى طوى

ومنها : مسجد ذى طوى — قال البخارى ، عقبَ ما تقدم عنه فى مسجد بطن مرّ من رواية نافع : وأن عبد الله حدثه أن النبى صلى الله عليه وسلم « كان ينزلُ بذى طوى ، ويبيت حتى يصبح يصلى الصبح حين يقدم مكة » ومُصَلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك على أكَمَةٍ غليظةٍ ليس فى المسجد الذى بنى ثم ، ولكن أسفل من ذلك ، على أكمة غليظة ، وأن عبد الله حدثه أن النبى صلى الله عليه وسلم « استقبل فُرْضَتَيِ الجَبَلِ الذى بينه وبين الجبل الطويل

نحو الكعبة فجعل المسجد الذى بنى ثم يَسَار المسجد بطرف الأكمة ، ومصلى النبى صلى الله عليه وسلم أسفل منه على الأكمة السوداء ، تَدَعُ من الأكمة عشرة أذرع أو نحوها ، ثم تستقبل الفرضتين من الجبل الذى بينك وبين الكعبة ، انتهى .

قال المطرى ، وتبعه مَنْ بعده : وادى ذى طوى هو المعروف بمكة بين الثنيتين .

قلت : ويعرف عند أهل مكة اليوم كما قال التقى بما بين الحَجُونين ، وهو موافق لقول الأزرقى : بطن ذى طوى ما بين مهبط ثنية المقبرة التى بالمعلى إلى الثنية القصوى التى يقال لها الخضراء تهبط على قبور المهاجرين ، انتهى .

وقال الأسدى ، فى وصف ما بين مسجد عائشة رضى الله تعالى عنها ومكة : فج بعد مسجد عائشة رضى الله تعالى عنها بنحو ميلين ، وعقبة المذنبين بعد فج بميل يسرة عن الطريق ، وطريق ذى طوى إلى المسجد نحوا من نصف ميل ، وقال فى موضع آخر : يستحب الصلاة بمسجد ذى طوى ، وهو بين مسجد ثنية المذنبين المشرفة على مقابر مكة وبين الثنية التى تهبط على الحصحاص ، وذلك المسجد ثنية زبيدة ، انتهى .

الفصل الرابع

فى بقية المساجد التى بين مكة والمدينة بطريق الحاج فى زماننا ، وبطريق المشبان ، وماقرب من ذلك ، وماحل صلى الله عليه وسلم به من المواضع ، وإن لم يُبْنَ مسجدا

دبة المستعجلة

فمنها : موضع بدَبَّة المستعجلة ـ بفتح الدال المهملة وتشديد الموحدة ـ وهو الكثيب من الرمل .

روى ابن زبالة عن محمد بن فضالة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بالدَّبَّة دبة المستعجلة من المضيق ، واستقى له من بئر الشعبة الصابةِ أسفلَ من الدبة ، فهو لا يفارقها أبدا

قال المطرى : والمستعجلة هى المضيق الذى يصعد إليه الحاج إذا قطع النازية وهو متوجه إلى الصفراء ، يعنى من أعلى فركان خيف بنى سالم .

شعب سير

قال : وذكر ابن إسحاق أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم نزل بشعب سَيَر ـ وهو الشعب الذى بين المستعجلة والصفراء ـ وقسم به غنائم أهل بدر ، ولا يزال فيه الماء غالبا ، انتهى .

قلت :الذى قاله ابن إسحاق كما فى تهذيب ابن هشام : ثم أقبلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من بدر حتى إذا خرج من مضيق الصفراء نزل على كثيب بين المضيق و بين النازية يقال له سَيَر إلى سرحة ، وقسم هناك النَّفَلَ .

قلت : وهو صريح فى أن سَيَر بعد مَضِيق الصفراء للجائى من بدر ، و بعده النازية ، فإن كانت المستعجلة هى مضيق الصفراء فهو يقتضى أن سير بينها و بين النازية ، فهو مخالف لما ذكره المطرى من أنه بين المستعجلة والصفراء ، فليحمل مضيق الصفراء على غير المضيق الذى هو المستعجلة ، ويكون مضيق الصفراء هنا من ناحية أسفل الخيف ؛ لأن الذى ذكره المطرى فى شعب سير هو المعروف اليوم ، ولأنى رأيت فى أوراق لم أعرف مؤلفها أن شعب سير هو النزلة التى كانت للحاج إذا رجع عن المستعجلة ونزل فى فركان الخيف .

قال : وهناك بركة قديمة ، وهو الشعب بين جبلين يعرف بجبال المضيق علو الصفراء ، بينه و بين المستعجلة نحو نصف فرسخ ، انتهى . والبركة والموضع معروفان كما وصف ، ولعل سَيَر هذا هو المعبر عنه فى رواية ابن زبالة بالدبة ؛ لأنها مجتمع الرمل ، وقد سماه ابن إسحاق كثيبا ، ويؤخذ منه أن الخيف كله أعلاه ، وأسفله هو مضيق الصفراء .

ذكر عدة مساجد

ومنها : مسجد بذات أجدال ، ومسجد بالجيزتين من المضيق ، ومسجد بذفران ، وموضع بذنب ذفران المقبل .

وروى ابن زبالة عن ابن فضالة قال : صلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم

بمسجد بذات أجدال من مضيق الصفراء ، ومسجد بالجيزتين من المضيق ، ومسجد بذفران المدبر من البناء ، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذنب ذفران المقبل الذى يَصُبُّ فى الصفراء ، قال : فحفرت بئر هنالك يقال : إنها فى موضع جبهة النبى صلى الله عليه وسلم ، فلها فضل فى العذوبة على ما حواليها .

قلت : مضيق الصفراء تقدمت الإشارة إليه قريبا ، وذفران : وادٍ معروفٌ قبل الصفراء بيسير ، يصب سَيْله فيها ، ويسلكه الحاج المصرى فى رُجُوعه من المدينة إلى ينبع ، فيأخذ ذاتَ اليمين ويترك الصفراء يسارا .

قال ابن إسحاق ، فى وَصْف مَسِيره صلى الله عليه وسلم إلى بدر : فلما كان بالمنصرف ـ أى عند مسجد الغزالة ـ ترك طريق مكة بيسار ، وسلك ذات اليمين على النازية يريد بدرا ، فسلك فى ناحية منها حتى جَزَع ـ أى قطع ـ واديا يقال له رجفان بين النازية وبين مضيق الصفراء ثم على المضيق ، ثم انصب حتى إذا كان قريبا من الصفراء ، ثم ذكر أنه بعث من يتجسس له الأخبار .

قال : ثم ارتحل ، فلما استقبل الصفراء ـ وهى قرية بين جبلين ـ سأل عن جبليها : ما أسماؤهما ؟ فقالوا : يقال لأحدهما المسلح ، وقالوا للآخر : هذا مجرى ، وسأل عن أهلهما فقيل : بنو النار وبنو حراق ، بطنان من بنى غفار ، فكرههما صلى الله عليه وسلم والمرور بينهما ، وتفاءل بأسمائهما وأسماء أهلهما ، فترك الصفراء يسارا ، وسلك ذات اليمين على وادٍ يقال له ذفران .

مسجد ذفران

قلت : وبذفران اليوم مسجد يتبرك به على يسار من سلكه إلى ينبع ، فأظنه مسجد ذفران ، ورأيت قبل الوصول إلى طرف ذفران الذى يلى الصفراء على يمين السالك فى طريق مكة يريد الصفراء ، رأيت عليها مسجدا مبنيا بالجص مرتفعا عن الطريق يسيرا ، يتبرك الناس بالصلاة فيه ، وليس بقربه مساكن ؛ فالظاهر أنه أحد المساجد المذكورة ، ورأيت أمام محرابه قبرا قديما محكم البناء ، ولعله قبر عبيدة بن الحارث بن المطلب [1] ، فقد ذكر ابن إسحاق وغيرُه أنه

(١) فى الأصول « بن عبد المطلب » والصحيح ما ذكرناه (عن حسب الله) .

مات بالصفراء من جِرَاحته التى أصابته فى المبارزة ببدر ، ولم يذكروا محل دفنه ، إلا أن ابن عبد البر قال عقبه : ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل مع أصحابه بالنازيين قال له أصحـــابه : إنا نجد ريح مسك ، فقال : وما يمنعكم وههنا قبر أبى معاوية ؟ يعنى عبيدة بن الحارث ، انتهى . والنازيين غير معروف اليوم .

وقال المطرى ، عقب ذكر وفاة عبيدة بالصفراء : فدفنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بها ، وكان أسَنَّ بنى عبد مناف يومئذ ، وأظن مستنده فى ذكر الدفن بها موته بها مع قول هند بنت أثاثة فى رثائه على ما نقله ابن إسحاق :

لَقَدْ ضُمِّنَ الصَّفْرَاء مجداً وسُودَداً ... وحِلْماً أصِيلاً وَافِرَ اللُّبِّ وَالْعَقْلِ
عُبَيْدَةَ ، فَابْكِيهِ لأضْيَافِ غُرْبَةٍ ... وأرْمَلَةٍ تَهْوِى لأشْعَثَ كَالْجَدْلِ[1]

وقال الزين المراغى : إنه مات بالصفراء من جراحته ، فإن قبره بذفران ، هكذا رأيته بخطه ، ولم أقف على مستنده فى ذلك ، والنبىُّ صلى الله عليه وسلم لم يسلك ذفران فى رجوعه من بدر ؛ لأنه رجع على الصفراء ، لـكنه مرّ بطرف ذفران الذى يصب فيها .

مسجد الصفراء

ومنها : مسجد بالصفراء ـ روى ابن زبالة عن طلحة بن أبى حدير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى فى مسجد الصفراء .

قلت : ذكر لى بعضُ الناس أن هذا المسجدَ معروف بالصفراء يتبرك به .

مسجد ثنية مبرك

ومنها : مسجد بثنية مبرك ـ روى ابن زبالة عن الأصبغ بن مسلم وعيسى ابن مَعْن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلَّى مَطْلعه من ثَنِية مبرك ، فى مسجد هناك بينه وبين دعان ستة أميال أو خمسة .

قلت : ثنية مبرك : معروفة تسلك إلى ينبع فى المغرب من جهة أسفل خيف بنى سالم من ذات اليمين ، وطريق الصفراء ذات اليسار .

---

(١) الجدل ـ بفتح الجيم وسكون الدال ـ كل عضو وكل عظم موفر لا يكسر ، فهو كناية عن الشدة وقوة العصب اهـ .

مسجد بدر

ومنها : مسجد بدر — كان العريشُ الذى بنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر عنده ، وهذا المسجد معروف اليوم بقرب بطن الوادى بين النخيل ، والعينُ قريبة منه ، و بقربه فى جهة القبلة مسجد آخر يسميه أهل بدر مسجد النصر ، ولم أقف فيه على شىء .

مسجد العشيرة

ومنها : مسجد العشيرة — معروف ببطن ينبع ، وهو مسجد القرية التى ينزلها الحاج المصرى بينبع ، فى وِرْده وصَدَره.

روى ابن زبالة عن علىّ بن أبى طالب أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى مسجد ينبع بعين بولا .

قلت : والعينُ اليومَ جاريةٌ عنده ، لكن لا تعرف بهذا الاسم .

قال المجد : وهذا المسجد اليوم من المساجد المقصودة المشهورة ، والمعابد المشهودة المذكورة ، تحمل إليه النذور ، ويُتقرب إلى الله بالزيارة له والحضور ، ولا يخفى على النفس المؤمنة روح ظاهرة على ذلك المكان ، وأنس يشهد له بأنه حضرة سيد الإنس والجان .

مساجد الفرع

ومنها : مساجد ثلاثة بالفُرْع — بضم الفاء — يمر بها من سلك طريقها إلى مكة .

روى ابن زبالة عن أبى بكر بن الحجاج وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل الأكَمَة من الفُرْع ، فقال فى مسجدها الأعلى ، ونام فيه ، ثم راح فصلى الظهر فى المسجد الأسفل من الأكَمَة ، ثم استقبل الفُرْع فبرَك فيها ، وكان عبد الله ابن عمر ينزل المسجد الأعلى فيقيل فيه ، فيأتيه بعضُ نساء أسلم بالفراش ، فيقول: لا ، حتى أضَعَ جنبى حيث وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم جنبه ، وأن سالم ابن عبد الله كان يفعل ذلك ، وروى أيضاً عن عبد الله بن مكرم الأسلمى عن مشيخته أن النبى صلى الله عليه وسلم نزل فى موضع المسجد بالبرود من مضيق الفُرْع ، وصلى فيه .

مسجد الضيقة

ومنها : مسجد بالضيقة وكهف أعشار - روى ابن زبالة عن أبي بكر بن الحجاج وسليمان بن عاصم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلّى فى مسجد فى الضيقة مَخْرَجَه من ذات حماط . وذكر الزبير ذات الحماط فى الأودية التى تَصُبُّ فى وادى العقيق فى القبلة مما يلى المغرب قرب البقيع ، ثم روى هذا الحديث . وذكر أيضاً فى هذه الأودية كهف أعشار ، كما سيأتى عنه ، ثم روى عن أبى بكر ابن الحجاج وسليمان بن عاصم عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة بنى المُصْطَلَقِ نزل فى كهف أعشار وصلى فيه .

مسجد مقمل

ومنها : مسجد مقمل ، بوسط النقيع حمى النبى صلى الله عليه وسلم ، على يومين من المدينة فى جهة درب المشبان .

روى ابن زبالة عن محمد بن هيصم المزنى عن أبيه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم أشرف على مقمل ظرب وسط النقيع ، وصلى عليه ، فمسجده هنالك .

قال أبو هيصم المدنى : وكان أبو البحترى وهب بن وهب فى سلطانه على المدينة بعث إلىّ بثمانين درهما فعمرته بها .

قال أبو على الهجرى : إن مقملا على ظرب صغير ، على غَلْوة من برام ، عليه المسجد المذكور ، ووهم المجد فعدّه فى مساجد المدينة .

الفصل الخامس

فى بقية المساجد والمواضع المتعلقة به صلى الله عليه وسلم

مسجد العصر

فمنها : مسجد العصر [1] ، وعصر سيأتى أنه على مَرْحلة من المدينة .

قال ابن إسحاق : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من المدينة إلى خيبر سَلَكَ على عصر ، فبنى له فيها مسجد ، ثم على الصهباء .

---

(١) فى الخلاصة «مسجد بعصرة» .

قال المطرى : مسجد عصر من مشهورى المساجد التى صَلى فيها النبى صلى الله عليه وسلم عند خروجه إلى خيبر .

مسجد الصهباء

ومنها : مسجد بالصهباء ، وهى على روحة من خيبر .

روى مالك عن سويد بن النعمان رضى الله تعالى عنه أنه خرج مع النبى صلى الله عليه وسلم عامَ خَيبر ، حتى إذا كانوا بالصهباء ـ وهى من أدنى خيبر ـ نَزَل فصلى العصر ، ثم دعا بالأزواد ، فلم يُؤتَ إلا بالسويق ، فأكل وأكلنا ، ثم قام إلى المغرب فمضمض ومضمضنا ، ثم صلى ولم يتوضأ ، قال المطرى : والمسجد بها معروف .

قلت : وقد قدمنا قصة رد الشمس هنا عند ذكر مسجد الفضيخ من مساجد المدينة .

مسجدان قرب خيبر

ومنها : مسجدان بقرب خيبر أيضاً ـ قال الإقشهرى ، ومن خطه نقلت : وبنى له صلى الله عليه وسلم مسجد بالحجارة حين انتهى إلى موضع بقرب خيبر يقال له المنزلة ، عَرَّسَ [بها] ساعة من الليل فصلى فيها نافلة، فعادت راحلته تجرُّ زمامها ، فأدركت لترد فقال : دعوها فإنها مأمورة ، فلما انتهت إلى موضع الصخرة بركت عندها ، فتحوَّلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الصخرة ، وتحوَّلَ الناسُ إليها ، وابتنى هنالك مسجداً ، فهو مسجدهم اليوم .

مسجد بين الشق ونطاة

ومنها : مسجد بين الشق والنطاة من خيبر روى ابن زبالة عن حسن بن ثابت بن ظهير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتَى خيبر ، ودليله رجل من أشجع ، فسلك به صُدُورَ الأودية ، فأدركته الصلاة بالقرقرة ، فلم يصل حتى خرج منها ، فنزل بين أهل الشق وأهل النطاة ، وصلى على عَوْسَجة هناك ، وجعل حولها الحجارة .

مسجد ثمران

ومنها : مسجد بثمران ـ روى ابن زبالة عن إبراهيم بن جعفر عن أبيه

قال : صلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على رأس جبل بخيبر يقال له شمران ، فثم مسجده من ناحية سهم بنى النذار[1] ، قال المطرى : ويُعْرف هذا الجبل اليوم بشمران .

مساجد تبوك

ومنها : مساجد غزوة تبوك ـ قال ابن رشد ، فى بيانه : بنى النبىُّ صلى الله عليه وسلم بين تبوك والمدينة نحو ستة عشر مسجدا ، أولها بتبوك وآخرها بذى خشب ، وذكر ابن زبالة نحو هذه العدة ، وقال ابن إسحاق : كانت المساجد معلومةً مسماة ، وسَرَدها أربعة عشر مسجدا ، وخالف فى تعيين بعض مواضعها لما ذكره ابن زبالة ، وذكرها الحافظ عبد الغنى وزاد عن الحاكم مسجدا .

وقد اجتمع لنا من مجموع ذلك عشرون مسجدا

فالأول بتَبُوك ، قال ابن زبالة : ويقال له مسجد التوبة ، قال المطرى : وهو من المساجد التى بناها عمر بن عبد العزيز ، قال المجد : دَخَلْته غير مرة ، وهو عقود مبنية بالحجارة .

الثانى : بثنية مدران ـ بفتح الميم وكسر الدال المهملة ـ تلقاء تبوك .

الثالث : بذات الزراب ـ بكسر الزاى ـ على مرحلتين من تَبُوك .

الرابع : بالأخضر ، على أربع مراحل من تبوك .

الخامس : بذات الخطمى ، كذا فى تهذيب ابن هشام ، ومشى عليه المجد ، وفى كتاب المطرى « بذات الخطم » ـ بفتح الخاء المعجمة ثم طاء مهملة ـ على خمس مراحل من تبوك .

السادس : ببَأْلَى ـ بالموحدة المفتوحة ، ثم همزة ولام مفتوحتين ـ على خمس مراحل أيضاً منها ، قاله المطرى ، وكذا هو فى تهذيب ابن هشام ، وفى نسخة ابن زبالة بنقيع بولا .

السابع : بطرف البتراء ، تأنيث أبتر ، قال ابن إسحاق : من ذنب كواكب وقال أبو عبيدة البكرى : إنما هو كوكب جبل هناك ببلاد بنى الحارث بن كعب

(١) فى الخلاصة « البراز » وفى نسخة « النزار » .

الثامن : بشق تاراء ـ بالمثناة الفوقية والراء ـ زاد ابن زبالة : من جويرة .

التاسع : بذى الحليفة ، قاله ابن زبالة وغيره أيضاً ، وهو غريب لم يذكره أصحاب البلدان .

العاشر : بذى الخليفة ، لم أر من جمعه مع الذى قبله إلا المجد ، وقال : إنه بكسر الخاء المعجمة ، وقيل بفتحها ، وقيل بجيم مكسورة ، وقيل بحاء مهملة مفتوحة ، واقتصر فى أسماء البقاع على كسر الجيم ، والذى فى تهذيب ابن هشام ذكر هذا المسجد بدل الذى قبله ، وعكس ابن زبالة .

الحادى عشر : بالشوشق ، قاله الحافظ عبد الغنى عن الحاكم ، قال المجد : وكأنه تصحيف .

الثانى عشر : بصدر حوضى ـ بالحاء المهملة ، والضاد المعجمة ، مقصوراً كما وجد بخط ابن الفرات ، واقتصر عليه المطرى ، وقال المجد ـ مع ذكره لذلك فى أسماء البقاع : إنه بفتح الحاء والمد موضع بين وادى القرى وتبوك ـ قال : وهناك مسجده صلى الله عليه وسلم ، انتهى . وهو مخالف لما ذكره هناك من المغايرة بين مسجد ذى الحليفة و بين مسجد صدر حوضى فى ذنب حوضى ومسجد آخر فى ذى الحليفة من صدر حوضى ، والمغايرة هى التى فى تهذيب ابن هشام ، ولعل صدر حوضى هو المعبر عنه بسمنة فى رواية ابن زبالة ، فإنه كما سيأتى ماء قرب وادى القرى ، وفى نسخة المجد فى حكاية روايته : ومسجد بذنب حويضى بدل قوله بسمنة .

الثالث عشر : بالحجر ، وذكر ابن زبالة بدله العلاء ، وكلاهما بوادى القرى .

الرابع عشر : بالصعيد صعيد قرح .

الخامس عشر : بوادى القرى ، وقال الحافظ عبد الغنى ، فى مسجد الصعيد : وهو اليوم مسجد وادى القرى .

قلت : فهذا والذى قبله بوادى القرى ، وفى رواية ابن زبالة : ومسجدان

بوادى القرى أحدهما فى سوقها والآخر فى قرية بنى عذرة ، فلعل هذا هو الذى بقرية بنى عذرة ، والذى قبله هو الذى بالسوق ، لكن المجد غاير بين الثلاثة أخذا بظاهر العبارة ، ولأن فى رواية أخرى لابن زبالة « صَلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد الذى بصعيد قزح من الوادى ، وتعلمنا مصلاه بأحجار وعظم ، فهو المسجد الذى يجتمع فيه أهل الوادى » .

السادس عشر : بقرية بنى عذرة ، لم يذكره ابن إسحاق ، وذكره ابن زبالة كما تقدم .

السابع عشر : بالرقعة ، على لفظ رقعة الثوب ، قال أبو عبيد البكرى : أخشى أن يكون بالرقة ـ بالميم ـ من الشقة شقة بنى عذرة ، وقال ابن زبالة بدلَه : بالسقيا ، قال المجد فى أسماء البقاع : والسقيا من بلاد عذرة قريبة من وادى القرى

الثامن عشر : بذى المروة ، قال المطرى : وهو على ثمانية بُرُدٍ من المدينة ، كان بها عيون ومزارع و بساتين أثرُها باقٍ إلى اليوم .

قلت : وسيأتى فى ترجمتها ما جاء فى نزوله صلى الله عليه وسلم بها .

التاسع عشر : بالفيفاء فيفاء الفحلتين ، قاله المطرى ، كان بها عيون و بساتين لجماعة من أولاد الصحابة وغيرهم .

قلت : وسيأتى فى ترجمة الفحلتين أنهما قنتان تحتهما صخر على يوم من المدينة .

العشرون : بذى خشب على مرحلة من المدينة ، ولفظ رواية ابن زبالة أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلّى تحت الدومة التى فى حائط عبيد الله بن مروان بذى خشب ، فهنالك يجتمعون .

وفى سنن أبى داود أن النبى صلى الله عليه وسلم نَزَل فى موضع المسجد تحت دومة ، فأقام ثلاثا ، ثم خرج إلى تبوك ، و إن جهينة لحقوه بالرحبة ، فقال لهم : من أهلُ ذى المروة ؟ قالوا : بنو رفاعة من جهينة ، فقال : قد قطعتها لبنى رفاعة ، فاقتسموها ، فمنهم من باع ومنهم من أمسك فعمل .

وسنتكلم على هذه الأماكن بأوفى من هذا فى محلها إن شاء الله تعالى .

مسجد الكديد

ومنها : موضع مُصَلاَّه بنخل ، ومسجد على مِيلٍ من الكديد ـ روى ابن زبالة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بنخل تحت أُثَلَةٍ لرجل من أشجع من بنى نعيم فى مزرعة له فى وسطها نخل ، وصلى تحتها ، فأضرَّ الناس بتلك المزرعة ، فقطع صاحبُ المزرعة تلك الأثلة ، قال : ثم أصعد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى بطن نخل حتى جاوز الكديد بميل ، فنزل تحت سَرْحَة وصَلَّى تحتها ، فموضع مسجده اليوم معروف ، وأنه صلى الله عليه وسلم صلى بالجبل من بلاد أشجع .

قلت : نخل موضع بنجد كما سيأتى فى محله ، والكديد : موضع بقربه ، لا الكديد الذى بين خليص وعسفان ، وذكر الأسدى هذا المسجد فى وصف الطريق بين فيد والمدينة ، فقال بعد ذكر ذى أمر : إن الكديد وادٍ ، والطريق يقطعه ، فلما يفارقه ماء عذب مستنقع ، وفيه مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبه خيام أعراب من بنى كنانة ، والنخيل قريب منها ، وذكر أن بين النخيل وبئر السائب اثنين وأربعين ميلا ؛ فعبر عن نخل بالنخيل مصغرا ، وذلك هو المعروف اليوم قرب الكديد .

مسجد الشجرة بالحديبية

ومنها : مسجد بالحديبية يقال له مسجد الشجرة ـ وهو غير معروف ، بل قال المطرى : لم أر فى أرض مكة من يعرف اليوم الحديبية إلا الناحية لا غير ، انتهى . وهو الموضع الذى نزل به النبى صلى الله عليه وسلم فى عُمْرَة الحديبية يريد مكة فعاقه المشركون .

قال ابن شبة ، فيما نقل عن ابن شهاب : الحديبية وادٍ قريبٌ من بلدح ، وقال صاحب المطالع : هى قرية ليست بالكبيرة ، سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة ، وقال التقى الفاسى : يقال إن الحديبية الموضع الذى فيه البئر المعرف ببئر شميس بطريق جدة .

مسجد ذات عرق

ومنها : مسجد دون ذات عرق بميلين ونصف ـ قال الأسدى فى وصف طريق ذات عرق من جهة نجد والعراق : إن بركة أوطاس يسرة عن الطريق بائنة عن المحجة ، وبعدها مسجد يقال إن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فيه ، ودون ذات عرق بميلين ونصف مسجدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو ميقات الإحرام ، وهو أول تهامة ، فإذا صِرْت عند الميل الثامن رأيتَ هناك بيوتاً فى الجبل خراباً يمنة عن الطريق ، يقال : إنها ذات عرق الجاهلية ، وأهل ذات عرق يقولون : الجبلُ كله ذات عرق ، و بعض أهل العلم كان يحب أن يحرم من ذات عرق الجاهلية .

مسجد الجعرانة

ومنها : مسجد بالجِعِرَّانة ـ عن محرس الكعبى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من الجِعِرَّانة ليلا مُعْتمراً ، وجاء مكة ليلا ، فقضى عمرته ، ثم خرج من ليلته وأصبح فى الجِعِرَّانة كبائت ، فلما زالت الشمس من الغد خرج فى بطن شرف حتى جامع الطريق ، فمن أجل ذلك خفيت عمرته على الناس ، رواه أحمد والترمذى وحسَّنه .

وذكر الواقدى أن إحرامه صلى الله عليه وسلم من الجِعِرَّانة كان ليلة الأربعاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة ، وأنه أحرم من المسجد الأقصى الذى تحت الوادى بالعُدْوَة القُصْوى ، وكان مُصَلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان بالجعرانة به ، فأما الأدنى فبناه رجل من قريش ، واتخذ الحائط عنده ، ولم يَجُز رسول الله صلى الله عليه وسلم الوادىَ إلا محرما .

وعن مجاهد أن النبى صلى الله عليه وسلم أحرم من الجعرانة من وراء الوادى حيث الحجارة المنصوبة ، و إنى لأعرف مَنِ اتخذ هذا المسجد على الأكَمَة ، بناه رجل من قريش ، واشترى مالا عنده ونخلا . وبَيَّن فى رواية أخرى أن المسجد الأقصى الذى من وراء الوادى بالعُدْوة القصـــوى مُصَلى رسول الله صلى

الله عليه وسلم ما كان بالجعرانة ، وأن المسجد الأدنى بناه رجل من قريش ، رواه الأزرقى .

مسجد لية

ومنها : مسجد لية ، و بين وادى لية ووادى الطائف نحو ثمانية أميال .

قال ابن إسحاق : سلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ من حُنَين متوجها إلى الطائف على نخلة اليمانية ، ثم على قرن وهو مُهَلُّ أهل نجد ، ثم على المليح ، ثم على بحرة الرُّغا من لية ، فابتنى بها مسجداً وصلى فيه .

قال المطرى : وهو معروف اليوم وسط وادى لية ، رأيته وعنده أثر فى حجر يقال به أثر خف ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال ابن إسحاق عن حديث عمرو بن شعيب له: إنه صلى الله عليه وسلم أقاد يومئذ ببحرة الرُّغا ، وحين نزلها ندم ، وهو أول دم أقيد به فى الإسلام ، رجل من بنى ليث قَتَلَ رجلا من هُذَيل، فقتله به.

مسجد الطائف

ومنها : مسجد بالطائف ـ قال ابن إسحاق بعدما تقدم عنه : ثم سلك صلى الله عليه وسلم فى طريق يقال له الضيقة ، وسأل عن اسمها فقيل: الضيقة ،فقال بل هى اليسرى ، ثم خرج منها على نَخَب ـ وهي عقبة فى الجبل ـ حتى نزل تحت سِدْرَة يقال لها الصادرة ، قريباً من مال رجل من ثقيف ، ثم مضى حتى نزل قريباً من الطائف ، فقتل ناس من أصحابه بالنبل لاقتراب عسكره من حائط الطائف ، فوضع عسكره عند مسجده الذى بالطائف اليوم ، فحاصرهم بِضْعاً وعشرين ليلة ، ومعه امرأتان من نسائه إحداهما أمُّ سَلَمَة ، فضرب لها قُبَّتين ، ثم صلى بين القبتين ، فلما أسلمت ثَقِيفٌ بنى على مُصَلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية بن وهب مسجداً ، وكانت فى ذلك المسجد سارية فيما يزعمون لا تَطْلع الشمسُ عليها يوماً من الدهر إلا سُمِع لها نَقِيضٌ ، انتهى .

وذكر الواقدى بناء عمرو بن أمية للمسجد على مُصَلَّى رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، قال : وكان فيه سارية لا تطلع الشمس عليها يوما من الدهر إلا يسمع لها نقيض أكثر من عشر مرار ، فكانوا يرون أن ذلك تسبيح .

قال المطرى : وهو جامع كبير ، فيه منبر عالٍ عمل فى أيام الناصر أحمد بن المستضىء ، وفى ركنه الأيمن القبلى قبر عبد الله بن عباس بن عبد المطلب فى قبة عالية ، ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صَحْن هذا الجامع بين قبتين صغيرتين يقال : إنهما بُنيتا فى موضع قبتى زوجتيه عائشة وأم سلمة رضى الله تعالى عنهما .

قلت : قال التقى الفاسى : إن المسجد الذى يُنْسَبُ للنبى صلى الله عليه وسلم هناك فى مؤخر المسجد الذى فيه قبر عبد الله بن عباس ؛ لأن فى جداره القبلى من خارجه حجراً فيه : أمَرَتْ أمُّ جعفر بنت أبى الفضل أمُّ وُلاَة عهد المسلمين بعمارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطائف . وفيه أن ذلك سنة اثنتين وسبعين ومائة ، قال : والمسجد الذى فيه قبر ابن عباس أظن أن المستعين العباسى عمره مع ضريح ابن عباس ، انتهى . فإن كان المسجد الذى ذكر الفاسى أنه فى مؤخر الجامع المذكور فى صحنه فلا مخالفة فيه لما ذكره المطرى ، وإلاَّ فيخالفه .

قال المطرى : ورأيت بالطائف شجراتٍ من شجر السِّدْر يذكر أنهن من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ينقل ذلك خلفُ أهل الطائف عن سلفهم ، فمنهن واحدة دور جذرها خمسة وأربعون شبراً ، وأخرى أزيد على الأربعين ، وأخرى سبعة وثلاثون ، وأخرى يذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم مر بها وهو على راحلته فانفرق جذرها نصفين ، وأن ناقته دخَلَتْ من بينهما وهو ناعس ، قال : رأيتُها قائمة كذلك سنة ست وتسعين ، وأكلت من ثمرها ، وحملت منه للبركة ، ثم فى سنة تسع وعشرين وسبعمائة رأيتها وقعت ويبست وجذرُها مُلْقَى لا يغيره أحد لحرمته بينهم ، انتهى .

وكأنه بقى منها بقية ؛ فإن التقى الفاسى ذكرها ، وقال : إنها انفرجتْ للنبى صلى الله عليه وسلم نصفين لما اعترضته وهو سائر وَسْنان ليلا فى غزوة الطائف وثقيف على ساقين، على ما ذكر ابن فورك فيما حكى عنه عياض فى الشفاء، وبعضُ هذه السِّدْرة باقٍ إلى الآن ، والناسُ يتبركون به ، انتهى .

وقال المرجانى : ورأيت بوَجّ من قُرى الطائف سدرةً محاذية للجبر قريبة أيضاً يذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم جلس تحتها حين أتاه عديس بالطبق العنب وأسلم ، وقالوا : سَحَره محمد ، والقصة مشهورة ، قال : ورأيت فى جبل هناك عند آخر الحبرة تحته العين يذكر أنه صلى الله عليه وسلم جلس فيه ، انتهى .

وعن الزبير قال : أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من بلية ـ قال الحميدى : مكان بالطائف ـ حتى إذا كنا فى السدرة وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم عند طرف القرن الأسود عندها ، فاستقبل نخباً ـ قال الحميدى : مكان بالطائف ـ ببصره ، ثم وقف حتى اتفق الناس ، ثم قال : إن صيْدَوَجّ وعضاهَهُ حِرْمٌ محرم لله عز وجل ، وذلك قبل نزوله الطائف وحصاره ثقيفاً ، كذا فى نسخة العيسوى عن الحميدى ومسند أحمد وسنن أبى داود أيضاً ، وضعفه النووى .

وختم ابنُ زبالة الكلامَ على المساجد بحديث عائشة رضى الله تعالى عنها مرفوعاً « مَنْ بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً فى الجنة ، ولو مثل مَفْحَصِ القَطَاة » قالت : فقلت : يا رسول الله والمساجدُ التى بين مكة والمدينة ؟ قال : نعم ، ورواه البزار . وفيه كثير بن عبد الرحمن ، ضعفه العقيلى ، وذكره ابن حبان فى الثقات ، ولفظه « مَنْ بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً فى الجنة ، قلت : وهذه المساجد التى فى طريق مكة ؟ قال : وتلك » ، والحديث فى الصحيح عن عثمان بدون هذه الرواية ، ولفظه « مَنْ بنى مسجداً يبتغى به وَجْهَ الله بنى الله له بيتاً فى الجنة » .

قلت : فينبغى الاعتناء بما دمر من المساجد التى بالمدينة وغيرها وعمارتها ، والله الموفق .

الباب السابع

فى أوديتها ، وأحمائها ، وبِقَاعها ، وجبالها ، وأعمالها ، ومضافاتها ، ومشهور ما فى ذلك من المياه والأودية ، وضَبْط أسماء الأماكن المتعلقة بذلك ، وفيه ثمانية فصول

الفصل الأول

فى فضل وادى العقيق ، وعَرْصَته ، وحُدُوده

ماورد من الأحاديث فى فضل وادى العقيق

روينا فى الصحيح عن ابن عمر قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بوادى العقيق : « أتانى الليلةَ آتٍ فقال : صَلِّ فى هذا الوادى المبارك ، وقل عمرة فى حجة » .

وتقدم فى مسجد المَعرس فى رواية له « أُرِىَ وهو فى مُعَرَّسه بذى الحُليفة ببطن الوادى قيل له : إنك ببطحاء مباركة » .

وروى ابن شبة عن عمر رضى الله تعالى عنه مرفوعا « العقيقُ وادٍ مبارك » .

وعن هشام بن عروة قال: اضطجع النبىُّ صلى الله عليه وسلم بالعقيق ، فقيل له: إنك فى وادٍ مبارك .

وروى ابن زبالة عن عامر بن سعد بن أبى وقّاصٍ أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم « نامَ بالعقيق ، فقام رجل من أصحابه يُوقِظه ، فحال بينه و بينه رجل من أصحابه آخر ، وقال : لا تُوقِظه فإن الصلاة لم تفته ، فتدارآ حتى أصاب بعضُ أحدِهما رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأيقظه ، فقال : مالكما ؟ فأخبراه . فقال : لقد أيقظتمانى

و إنى لأرانى بالوادى المبارك » وعن زكريا بن إبراهيم بن مطيع قال : باتَ رجلانِ بالعقيق ، ثم أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أين بتما ؟ فقالا : بالعقيق ، فقال : لقد بِتُّما بواد مبارك .

وتقدم أن عمر رضى الله تعالى عنه قال : احْصِبُوا هذا المسجد ـ يعنى مسجد المدينة ـ من هذا الوادى المبارك ، ورواه صاحب الفردوس مرفوعا .

وقال أبو غسان : أخبرنى غيرُ واحدٍ من ثقات أهل المدينة أن عمر رضى الله تعالى عنه كان إذا انتهى إليه أن وادىَ العقيق قد سَالَ قال : اذهبوا بنا إلى هذا الوادى المبارك ، و إلى الماء الذى لو جاءنا جاء من حيث جاء لتمسَّحْنَا به .

وروى ابن زبالة عن عامر بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « رَكِبَ إلى العقيق ، ثم رجع فقال : يا عائشة جِئْنَا من هذا العقيق ، فما أَلْيَنَ موطئه ، وأعْذَبَ ماءه ، قالت : فقلت : يا رسول الله أفلا ننتقل إليه ؟ قال : وكيف وقد ابتنى الناسُ ؟ » .

وعن خالد العدوانى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى عرصة العقيق « نعم المنزل العرصة لولا كثرة الهوام » .

وعن محمد بن إبراهيم التيمى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « خَرَجَ فى بعض مَغَازيه ، فأخذ على الشارعة حتى إذا كان بالعَرْصَة قال : هى المنزل لولا كثرة الهوام » .

وروى السيد أبو العباس العراقى فى ذيله على ابن النجار عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وادى العقيق ، فقال : يا أنس خذ هذه المِطْهَرَةَ امْلأْها من هـذا الوادى فإنه يحبنا ونحبه ، فأخذتها فملأتها ، الحديثَ .

وروى ابن شبة عن سلمة بن الأكْوَع قال : كنت أصِيدُ الوحْشَ وأهدى لحومها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فَفَقَدَنِى فقال: يا سلمة أين كنت تصيد

الوحش ؟ فقلت : يارسول الله تباعَدَ الصيدُ فأنا أصيد بصدور قناة نحو ثيب ، فقال : لو كنت تصيد بالعقيق لَشَيَّعْتُكَ إذا خرجت وتلقيتُكَ إذا جئت ، إنى أحب العقيق ، ورواه الطبرانى بنحوه ، قال الهيثمى : و إسناده حسن

وروى ابن زبالة عن جابر قال : كان سلمة يَصِيدُ الظباء فيهدى لحومها لرسول الله صلى الله عليه وسلم جَفِيفاً وطَرِيًّا ، فافتقده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا سلمة مالك لا تأتى بما كنت تأتى به ؟ فقال : يارسول الله تباعَدَ علينا الصيدُ فإنما نصيد بثيب وصدور قناة ، فقال:أما إنك لو كنتَ تصيدُ بالعقيق لشيعتُكَ إذا ذهبتَ وتلقيتُكَ إذا جئت ، فإنى أحب العقيق .

قلت : ومحمله إن صح على ما قَبْلَ تحريم المدينة ، أو أن المراد من الصيد بالعقيق طرفه الخارج عن الحرم ، جمعا بين الأدلة .

حد العقيق

ونقل ابن زبالة والزبير بن بكار عن هشام بن عروة أنه كان يقول : العقيق ما بين قصر المَرَاجل فهلم صُعُداً إلى النقيع ، وما أسفل من ذلك ـ أى من قصر المراجل ـ فمن زغابة .

وعن المنذر بن عبد الله الحرانى أنه سمع من أهل العلم أن الجرف ما بين محجة الشام إلى القصاصين ، أى أصحاب القصة ، وأن وطيف الحمار ما بين سقاية سليمان إلى الزغابة ، وأن العرصة ما بين محجة بين إلى محجة الشام ، وأن العقيق من محجة بين فاذهب به صعدا إلى النقيع .

قلت : محجة بين تباين آخر الجروف ، أى طريقها ، وأظنها طريق درب العصرة ، ومن سلكها مغربا كانت الجماوات عن يساره .

قال : وحدثنى آخرون أن العقيق من العرصة أبداً إلى النقيع .

قال الزبير : ولم أزل أسمع أهلَ العلم والسنن يقولون : إن العقيق الكبير مما يلى الحرة ما بين أرض عروة بن الزبير إلى قصر المراجل ، ومما يلى الجماء مابين قصور عبد العزيز بن عبد الله العثمانى إلى قصر المراجل ، ثم اذهب بالعقيق صعدا

إلى منتهى النقيع ، ويقولون لما أسفل من المراجل إلى منتهى العرصة العقيق الصغير ، فأعلى أودية العقيق النقيع .

وقالت الخنساء بنت عمرو بن الحارث بن الشَّريد السُّلَمية تبكى أخاها صخرَ أبن عمرو وقد مات بالنقيع من جراحة فدفن فيه على رأس برام :

أفِيقِي من دُمُوعِكِ واستفيقى وصَبْراً إن أطَقْتِ،ولنْ تُطِيقى

وقولى : إن خير بنى سليم وغـــيرهم ببطحاء العقيق

وروى بنقعاء العقيق .

ونقل أبو على الهجرى أن النقيع يبتدئ أوله من برام ، والعقيق يبتدئ أوله من حضير إلى آخر منتهاه من العقيق الصغير ، ثم يصب فى زغابة .

ونقل أيضا أن حضيرا آخرُ النقيع وأول العقيق،وآخر العقيق زغابة،قال:وزغابة مجتمع السيول غربى قبر حمزة رضى الله تعالى عنه ، وهو أعلى وادى إضم .

قلت : فهى منتهى العقيق والعرصة ، ومبتدؤه حضير ، وهى مزارع معروفة بقرب النقيع على أزيد من يوم عن المدينة .

وقال عياض : النقيع صدر العقيق ، والعقيقُ وادٍ عليه أموال أهل المدينة ، قيل : على ميلين منها ، وقيل : على ثلاثة ، وقيل : ستة أو سبعة ، وهما عقيقانِ ، أدناهما عقيق المدينة ، وهو أصغر وأكبر ، فالأصغر فيه بئر رومة ، والأكبر فيه بئر عُرْوَة . والعقيق الآخر على مقربة منه ، وهو من بلاد مُزَينة ، وهو الذى أقطعه النبى صلى الله عليه وسلم بلالَ بن الحارث ، وأقطعه عمر الناسَ ، فعلى هذا تحمل المسافات لا على الخلاف . والعقيقُ الذى جاء فيه « إنك بوادٍ مباركٍ » هو الذى ببطن وادى ذى الحليفة ، وهو الأقرب منهما - أى من العقيقين - المنقسم أحدهما إلى الكبير والصغير فلا ينافى كون ما يلى الحرة من العقيق أقرب . على أنه سيأتى مايقتضى أن النبى صلى الله عليه وسلم أقطعَ بلالَ بن الحارث كلَّ العقيق بعيدَه وقريبه ، وأن الذى أقطعه عمر الناس هو الأدنى من المدينة ،

وهو المنقسم إلى كبير وصغير ، وكلام الزبير وغيره صريح فى ذلك ، والصواب أن مَهْبِطَ الثنية المعروفة بالمدرج أول شاطىء وادى العقيق ، على ميلين من المدينة أيام عمارتها ، كما اقتضاه اختبارى لمساحة مابين المسجد النبوى ومسجد ذى الحليفة ، وبه صرح الأسدى من المتقدمين ، فقال : إن العقيق على ميلين من المدينة ، الميل الأول خلف أبيات المدينة ، والثانى حين ينحدر من العقبة فى آخره يعنى المدرج ، وكأنَّ مَنْ عَبَّر بالثلاثة اعتبر المسافة من المسجد النبوى إلى أول بطن الوادى بعد القصر المعروف بحصن أبى هشام ، ومن عبر بالستة اعتبرها إلى طرفه الأبعد وهو الذى به ذو الحليفة ، فأدخل بطن الوادى فى المسافة ، أو هو مفرع على القول بأن الميل ألفا ذراع ، والراجح الموافق لاختبارنا أنه ثلاثة آلاف وخمسمائة ذراع

وقال المطرى : وادى العقيق أصل مسيله من النقيع قبلي المدينة الشريفة على طريق المشبان ، وبينه وبين قباء يوم ونصف ، ويصل إلى بئر علىّ العليا المعروفة بالخليقة ـ بالقاف والخاء المعجمة ـ ثم يأتى على غربى جبل عَيْر ، ويصل إلى بئر على بذى الحليفة المحرم ، ثم يأتى مشرقا إلى قريب الحمراء التى يطلع منها إلى المدينة ، ثم يعرج يسارا ، ومن بئر المحرم يسمى العقيق ، فينتهى إلى غربى بئر رومة ، انتهى .

وقوله : « ومن بئر المحرم يسمى العقيق » أى فى زمنه كزماننا ، وهو العقيق الأدنى فى كلام عياض .

وقال عقب قوله « والعقيق الذى جاء فيه إنك بواد مبارك هو الذى ببطن وادى ذى الحليفة وهو الأقرب منهما » ما لفظه : وهو الذى جاء فيه أنه مُهَلُّ أهل العراق من ذات عرق ، اهـ . وهو خطأ ، إلا أن يحمل على ماذكره بعضهم من أن عقيق ذات عرق يتصل واديه بعقيق المدينة ، والمعروف قديما امتدادُه إلى النقيع كما سبق ، قال الزبير : سألت سليمان بن عياش السعدى : لم سُمِّىَ العقيقُ عقيقا ؟ قال : لأن سيله عق فى الحرة ، وكان سليمان من أفقه مَنْ رأيتُ فى كلام العرب .

وقوله « عق » أى شقّ وقطع فى الحرة ، ولما شَخَصَ تُبَّع عن منزله بقناة ومر بالعرصة وكانت تسمى السليل قال : هذه عرصة الأرض ، فسميت العرصة ، ومر بالعقيق فقال : هذا عقيق الأرض ، فسمى العقيق ، وقيل : سمى بذلك لحمرة موضعه .

الفصل الثامن

فى أقطاعه ، وابتناء القُصُور به ، وطريف أخبارها

رسول الله يقطع بلالا العقيق

روى ابن زبالة أن النبى صلى الله عليه وسلم أقْطَعَ بلال بن الحارث العقيقَ كلَّه ، فلما ولى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يُقْطِعْكَهُ لتحجره ، وأقطعه عمرُ الناسَ .

وقال ابن شبة : حدثنا محمد بن يحيى قال : حدثنا مَنْ نثق به من آل حزم وغيرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقْطَعَ بلالَ بن الحارث المزنى العقيقَ ، وكتب له فيه كتابا نسخته : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى محمد رسولُ الله بلالَ بن الحارث ، أعطاه من العقيق ما أصلح فيه معتملا . وكتب معاوية ، قال : فلم يعمل بلال فى العقيق شيئاً ، فقال له عمر فى ولايته : إن قويتَ على ما أعطاك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من معتمل العقيق فاعتمله ، فما اعتملت فهو لك كما أعطاكه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن لم تعتمله أقطعتُه بين الناس ولم تحجره عليهم ، فقال بلال : تأخذ منى ما أعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اشترط عليك فيه شَرْطا ، فأقطعه عمر رضى تعالى عنه بين الناس ، ولم يعمل فيه بلال شيئاً ؛ فلذلك أخذه عمر رضى الله تعالى عنه ، ورواه الزبير بن بكار ، وأسند نسخة القطيعة المذكورة عن هشام بن عروة .

وروى عن محمد بن سلمة المخزومى قال : أقْطَعَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لبلال بن الحارث المزنى معادنَ القبلية والعقيق ، فبلغنا أنه باع رومة من عثمان بن

عفان ، وانتزع منه عمر بقية العقيق وأقطعه للناس ، وقال : إنما أعطاك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تعمر ولم يعطك تحجر .

وعن هشام بن عروة وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم أقْطَعَ لبلال بن الحارث العقيقَ ، فلم يزل على ذلك حتى ولى عمر فَدَعَا بلالاً فقال : قد علمتَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يمنع شيئاً سُئِله ، و إنك سألتَه أن يعطيك العقيقَ فأعطاكه ، فالناسُ يومئذٍ قليل لا حاجة لهم ، وقد كثر أهل الإسلام واحتاجوا إليه ، فانظر ما ظَنَنْتَ أنك تَقْوَى عليه فأمسكه وارْدُدْ إلينا ما بقى نُقْطِعه ، فأبى بلال ، فترك عمر بيد بلال بعضَه وأقطع ما بقى للناس .

وذكر فى روايةٍ مع العقيق « معادن القبلية وحيث يصلح الزرع من قدس » وهى فى سنن أبى داود بدون ذكر العقيق .

وروى ابن شبة عن عبد الله بن أبى بكر أن عمر لما ولى قال : يابلال ، إنك استقطعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أرضا طويلة عريضة ، فأقطعها لك ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يمنع شيئاً سُئِله ، و إنك لا تُطِيقُ ما فى يدك ، فقال : أجَلْ ، فقال : فانظر ما قَوِيتَ عليه منها فأمسكه ، ومالم تطق فادفعه إلينا نقسمه ، فأبى ، فقال عمر : والله لنفْعَلَنَّ ، فأخذ منه ماعجز عن عمارته فقسمه بين المسلمين .

خبر قصر عُرْوَةَ ، و بئره

عن عروة بن الزبير قال : لما أخذ عمرُ بن الخطاب من بلال بن الحارث ما أخذ من العقيق وقَفَ فى موضع بئر عُرْوَة بن الزبير التى عليها سِقَايته ، وقال : أين المستقطعون ؟ فنعم موضع الحفيرة ، فاستقطعه ذلك خَوَّاتُ بن جُبَير الأنصارى ، ففعل ، قال مصعب بن عثمان : فقرأت كتاب قطيعته أرض عروة بن الزبير بالعقيق فى كتب عروة ما بين حرة الوبرة إلى ضفيرة المغيرة بن الأخنس .

وعن هشام بن عروة عن أبيه قال : لما أقطع عمرُ العقيقَ فدنا من موضع قصر عروة وقال : أين المستقطعون منذ اليوم ؟ فوالله مامررت بقطيعة شِبْهِ هذه القطيعة ، فسألها خَوّات ، فأقطعها له ، وكان يقال لموضعها « خيف حرة الوبرة » فلما كانت سنة أحد وأربعين أقطع مروان بن الحكم عبد الله بن عياش بن علقمة ما بين الميل الرابع من المدينة إلى ضفيرة أرض المغيرة بن الأخنس بالعقيق إلى الجبل الأحمر الذى يطلعك على قباء ، قال هشام : فاشترى عروة موضع قصره وأرضه وبئاره من عبد الله بن عياش ، وابتنى واحتفر وحجر وضفر ، وقيل له : إنك لست بموضع مُدِر ، فقال : يأتى الله به من النقيع ، فجاء سيل فدخل فى مَزَارعه فكساها من خليج كان خَلَجه ، وكان بناه جنابذ ـ أى جمع جنبذ بضم الجيم ، وهو ما ارتفع واستدار كالقبة ـ قال: وكان لعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان الناحية الأخرى المراجل وقَصْرُ أمية والمنيف والآبار التى هناك والمزارع ، فاستفتى عبدُ الله عبدَ الله بن عبد الله بن عَمْرو على عروة وقال : إنه حَمَل على حق السلطان، فهدم عمر بن عبد العزيز جنابذه وضفائره ، وسد بئاره ، فقدم رجل من آل خالد ابن أسيد بن أبى العِيص بن أمية يريد الوليد ، فسأل عن عروة ، فأخبر قصته ، فقدم على الوليد فسأله عن عروة وحاله ، فأخبره ، فكتب إلى عمر بن عبد العزيز ما عروة ممن يُتَّهَمُ فَدَعْه وما انتقص من حق السلطان ، فبعث إليه عمر وقال : كتبتَ فىّ إلى أمير المؤمنين ؟ فقال : مافعلت ، فقال : اذهب فاصنع ما بدا لك فقال عروة : جزعُوا من جَنَابِذَ نبنيها ، والله لأبنينه بناء لا يبلغونه إلا بِشِقِّ الأنفس ، فبنى قصره هذا البناء ، وهيل بئاره ، فقال له ابنه عبد الله : يا أبتاه لو تبدَّلْت بئارا فاحتفرتها لكان أهون فى العزم ، فقال : لا والله إلا هى بأعيانها وأنشأ عروة يقول :

بَنَيْنَاهُ فأحْسَنَّا بنـــاه * بحمـــد الله فى خير العَقِيقِ
نراهم يَنْظُرُون إليـــه شَزْراً * يَلُوحُ لهم على وَضَحِ الطَّرِيقِ

فساء الكاشحين وكان غيظاً * لأعدائي وسرّ به صديقي
يراه كلّ مرتفق وسارٍ * ومعتمرٍ إلى بيت العقيق

وعن مصعب بن عثمان قال : لما كتب الوليدُ إلى عمر بن عبدالعزيز فى ذلك ولى عروة عمر بن عبد الله بن عروة بناء قصره ، فلما كثرت النفقة فيه لقيه عمه يحيى بن عروة فقال : يا ابن أخى ، كم أنفقت فى القصر ؟ قال : كذا وكذا ، قال : هذه نفقة كثيرة لو علم أبى بها لا قتصر فى بنائه ، فأخبره بذلك ، فأخبر عمر جده ،فقال : لقيك يحيى ؟ قال : نعم ، قال : إنما أراد أن يعوق علىّ بنائى ، أنفق ولا تحسب ، فأنفق ولم يحسب حتى فرغ ،وحفر بئارا إحداهن بئر السقاية ، و بئر يدعى العسيلة ، و بئر القصر .

وقال مصعب : وسبب هَدْم عمر بن عبد العزيز وتهوره البئر أن عروة أراد أن يرفع فى رأس عينه محلا فمنعه عبد الله بن عمرو بن عثمان إلا أن يسأله ذلك ، وكان له حقيقٌ به ، فقال عروة : مثلى يُكلَّف ذلك ؟ وتركها ، فلما بنى عبد الله قصره المراجل وعمل مزارعه عمل له خليجا ، فلما بلغ به مزارع عروة حال بينه و بين ذلك ، فاستفتى عبدُ الله بن عبد الله عمر بن عبد العزيز على عروة ،وقال: بنى وحفر فى غير حقه ، وكانت جَنَابذه سبعا ، وكانت الركبان ينزلون على بئر مروان ، فلما حفر عروة بئره وأعذب اختاروا السهل والعذوبة فتركوا النزول على بئر مروان وكان فى نفس عمر بن عبد العزيز شىء من ذلك ، مع ما كان فى نفسه على جميع بنى الزبير .

وعن ابن أبى ربيعة أنه مرّ بعروة وهو يبنى قصره بالعقيق فقال : أردت الحرب يا أبا عبد الله ؟ قال : لا ، ولكن ذكر لى أنه سيصيبها عذاب ، يعنى المدينة ، فقلت : إن أصابها كنت منتحيا عنها .

وعن عروة مرفوعا : يكون فى آخر أمتى خَسْف وقَذْف ومَسْخ ، وذلك عند ظهور عمل قوم لوط ، قال عروة : فبلغنى أنه قد ظهر شىء منه ، فتنحّيتُ

عنها ، وخشيت أن يقع وأنا بها ، و بلغنى أنه لا يصيب إلا أهل القصبة قصبة المدينة ، وفى نسخة المجد « القُصَيبة » مصغراً ، فأوردوه فى ترجمة القصيبة، وهو وهم.

وعن هشام قال : لما اتخذ عروة قصره قال له الناس : قد جَفَوْتَ مسجدَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، قال : إنى رأيتُ مساجدهم لاهية ، وأسواقهم لاغية ، والفاحشةَ فى فجاجهم عالية ، فكان فيما هناك عما هم فيه عافية .

وتصدق عروة بقصره وأرضه و بئره على المسلمين ، وأوصى بذلك إلى الوليد ابن عبد الملك ، فولاه ابنيه يحيى وعبد الله ، ثم توفى يحيى وأقام عبدُ الله فى القصر نحوا من أربعين سنة ، ثم توفى عبد الله ، ثم وليها هشام بن عروة بالسن ، ثم عبد الله بن عروة ، وقيل له : مالك تركت المدينة ؟ قال : لأنى بين رجلين حاسد لنعمة أو شامت بمصيبة ، وهو القائل :

لو كان يدرى الشيخُ عذرى بالسحر ... نَحْوَ السقاية التى كانَ احْتَفَرْ
لِفِتْيَةٍ مثـــل الدَّنانيرِ غُرَرْ ... وقَاهُمُ اللهُ النِّفَاقَ وَالضَّجَرْ
بَيْنَ أبى بكرٍ وَزَيْدٍ وَعُمَرْ ... ثمّ الحَوَارِىُّ لَهُمْ جَدٌّ أغَرْ
فَهُمْ عَلَيْهَا بِالْعَشِىِّ وَالْبُكَرْ ... يَسْقُونَ مَنْ جَاءَ وَلاَ يؤذوا بَشَرْ
* لَزَادَ فى الشُّكْرِ وَكَانَ قَدْ شَكَرْ *

ولما ولى إبراهيم بن هشام المدينة لهشام بن عبد الملك أراد أن يدخل فى حقوق بنى عروة بالفُرْع ، فحال عبد الله ويحيى بينه و بين ذلك فهدم قصرَ عروة وشَعَّثه ، وطرح فى بئر عروة جملا مطليا بقطران ، فكتب عبدُ الله إلى هشام ابن عبد الملك بذلك ، فكتب إلى ابن أبى عطاء عامله على ديوان المدينة أن يردَّ ذلك على ما كان حتى يَضَعَ الوتد فى موضعه ، فكان غرم ذلك ألف دينار وثلاثين ألف درهم .

وكان عبد الله يتحيَّنُ ركوب ابن هشام ، فإذا أشرف على الحرَّة قال للناس : كبروا ولكم جزور ، فيفعلون ، فينحرها ، فيغيظ بذلك ابن هشام و يبلغ منه .

وقال فى ذلك يحيى بن عروة أبياتا منها :

ألا أبلغ مُغَلْغَلَةً بَرِيدا وأبلغ إن عَرَضْتَ أبا سعيد
وأبلغ معشراً كانت إليهم وَصَايا ما أريد بنى الوليد
فإن لا تعتنى قُرْبَاىَ منكم فَوُدِّى غيرذى الطمع الكدود

ولما قدم الوليد بن يزيد فى خلافة هشام بن عبد الملك ليدفع بالناس فى الموسم وأقام عبد الله بن عروة بالعقيق ، حتى قيل : هذا ولى العهد[قدركم فى بركة مكة؟]فلقيه عبد الله وهو على ظهر الحرة،فلما نظر الوليدُ إلى قصور بنى أمية عَنْبَسة ابن سعيد ومروان بن سعيد بن العاص وعبد الله بن عامر جعل يقول لعبد الله ابن عروة : لمن هذا ؟ فيخبره ، فلما نظر إلى قصر عُرْوة قال : لمن هذا ؟قال : هذا قصر عروة ، قال : عامر بن صالح فى قَصْر عُرْوَة و بئره :

حَبَّذَا القَصْرَ ذو الظِّلال وذو البِئْرِ ببَطْن العقيق ذَاتِ السُّقَاة
ماء مُزْنٍ لم يبغ عُرْوَة فيها غير تَقْوَى الإلٰهِ فى المفظعات
بمكانٍ من العقيق أنيسٍ باردِ الظل طَيِّبِ الغُدُوَاتِ

وقال أيضا :

يا حَبَّذَا القَصْرُ لذى الإملاق ذو البئر بالوادى عليها الساق

وقال أيضا :

ولقصر عروة ذو الظلال و بئره بشقا العقيق البارد الأفْيَاء
أشهى إلىّ من العيون وأهلها والدور من فخلين والفرعاء

وقال جابر الزمعى فى بئر عُرْوَة :

يعرضها الآنى من الناس أهله ويجعله زادا له حين يذهب

وقال الزبير بن بكار : رأيت الحرّاج من المدينة إلى مكة وغيرها ممن يمر بالعقيق يخففون من الماء حتى يتزودوه من بئر عروة ، وإذا قدموا منها بماء يَقْدَمُون به على أهلهم يشربونه فى منازلهم عند مقدمهم .

وقال : ورأيت أبى يأمر به فيغلى ، ثم يجعل فى القوارير ثم يهديه إلى أمير المؤمنين هارون بالرقة .

وعن نوفل بن عمارة قال : لما بَنَتْ أمى قصرها أرسل إليها هشام بن عروة يقول : إنك نزلت بين الطيبين بئر عروة و بئر المغيرة بن الأخنس ، فأسألك برحمى إلا جعلت شرابك من بئر عروة ووضوءك من بئر المغيرة ، فكانت أمى لا تشرب إلا من بئر عروة ، ولا تتوضأ إلا من بئر المغيرة، حتى لقيت الله تعالى .

وعن مرزوق بن والاة[؟] أنه قال لهشام بن عروة : رأيت أن عينا من الجنة تصب فى بئر عروة .

وقال السَّرِىُّ بن عبد الرحمن الأنصارى :

كَفنُونِى إن مُتُّ فى دِرْعٍ أرْوَى واسْتَقُوا لى من بئر عُرْوَةَ مائى

سخنة فى الشتاء باردة الصيـــف سِرَاج فى الليـــلة الظلماء

وقال على بن الجهم :

هـــذا العقيق فَعَدِّ أيـ * دى العِيسِ عن غلوائها

وإذا أصفت بـبئر عُرْ * وَةَ فاسْقِنِى من مائها

إنا وعيشـــك ما ذممـ * نا العيش فى أفنائها

قال المجد : إنه لم يَجِدْ من يعرف هذه البئر من أهل المدينة .

قلت : سيأتى فى قصر عاصم أن جماء تضارع مُشْرِفَةً على قصر عروة ، وتسيل إلى بئره .

وقال الأسدى : إن الميل الثالث من المدينة وراء بئر عروة بقليل ؛ فيظهر أنها البئر المطمومة اليوم على يمينك وأنت متوجه إلى ذى الحليفة إذا جاوزت الحصن المعروف بأبى هاشم بنحو ثلث ميل وقريب من الجماء .

قصر عاصم

قصر عاصم بن عمرو بن عمر بن عثمان بن عفان ، وهو فى قبل الجماء جماء

تضارع المشرفة على قصر عروة وعلى الوادى يُوَاجه بئر عروة بن الزبير ، والجماء تسيل على قصر عاصم وعلى بئر عروة .

وكان عبد الله الجعفرى وعمر بن عبد الله بن عروة تعاونا فى هجاء قصر عاصم ، فقالا :

ألا يا قَصْرَ عاصم لو تُبِينُ ... فتستعدى أمير المؤمنين
فتذكر ما لقيت من البلايا ... فقد لاقيت حزنا بعد حين
بنيت على طريق الناس طرا ... يَسُبُّكَ كل ذى حسب ودين
ولم توضع على غمض فتخفى ... ولم توضع على سهل ولين
يرى فيك الدخان لغير شىء ... فقد سميت خَدَّاع العيون

فى أبيات آخرها :

قبيح الوجه منعقد الأواسى ... خبيث الخلق مطرود بطين

فاشترى عاصم قصة فطرَّه بها وغرم فيه ألفى درهم ، وقال يرد عليهما :

بَنَوْا و بَنَيْتُ واتخذوا قُصُوراً ... فما ساوَوْا بذلك ما بَنَيْت
بنيت على القرار وجانبوه ... إلى رأس الشواهق واستويت
على أفعالهم وعلى بناهم ... علوت وكان مجدا قد حويت
وتلك صلاصل قد فلستهم ... وذاك وديهم فيها يموت
فليس لعامل فيها طعام ... وليس لضيفهم فيها مبيت

وقيل : البيتان الأخيران لزيد بن عاصم ، قال الزبير : وهو أشبه .

وصلاصل : أرض كانت لعروة بحرة بطحان ، ثم صارت لابنه يحيى ، فوقفها فى بنيه ، وكان يقال لها المقترية ، فكانت فتاتان لبعض نساء بنيه تختصمان بها عند اجتناء الرطب ، وتضرب إحداهما الأخرى ، فغلب عليها اسم صلاصل لكثرة صلاصلهما بالخصومة ، وفيها يقول عروة :

مآثر أخوالى عدىّ ومازنٍ * تخيرتها ، والله يعطى الرغائبا

فمن قال فيها قيل صدق فلم يقل ومن قال فيها غيره كان كاذبا

ومر ابن أبى البداح — وكان أعلم الناس بالنخيل — على عُرْوة وهو يغرسها ألوانا، فقال له : إن كنتَ ولا بد غارسا فعليك بعذق ابن عامر ، فإنه ليس عذق أحسن للتنزه ولا أصبر على المالح منه .

قصر المغيرة

قصر أبى هاشم المغيرة بن أبى العاص وبئره — روى عنه الزبير : أنه قال : لما أردت أن أبنى قصراً بالعقيق قلت : أبنيه بيتين ، ثم مضيت للنزهة العشرة الأيام وما أشبهها ، قال : فدخلت على مولاة لى فقالت : يا أبا هاشم ، أردتَ بناء قصر بالعقيق ؟ فقلت لها : نعم ، فقالت : ابْنِهِ على أنه لم يبن بالعقيق مُغِيرى غيرك ، فبنيته هذا البناء ، وغرمت فيه غرما كبيرا ، قال : وهو القصر الذى يعرف بقصر بنت المرازقى .

وعن عبد الله بن ذَكْوَانَ قال : كانت بنو أمية تجرى فى الديوان ورقا على من يقوم على حوض مروان بن الحكم بالعقيق ، فى مصلحته وفيما يصلح بئر المغيرة من علقها ودلائها .

قال : ومر هشام بن عبد الملك وهو يريد المدينة بحر هشام بن إسماعيل بالرابع فقيل له : يا أمير المؤمنين ، جر جدك هشام ، فأمر بمصلحتها وما يقيمها من بيت المال ، فكانت توضع هنالك جرار أربع يسقى منهن الناس ، وسيأتى ذكر الرابع فى شعر فى القصر الآتى .

قصر عنبسة ابن عثمان ابن عفان

قصر عنبسة بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وهو إلى جنب الجَمَّاء بعد أن تجاوز المصعد تريد البطحاء ، وهو الذى قيل فيه :

يا قصر عَنْبَسَةَ الذى بالرابع لا زلْتَ تُؤْهَلُ بالحَيَا المتتابع

فلقد بنيت على الوطاء ، وبنيت تلك القصور على رُبًا ورفائع

يارب نعمة ليلة قد بتها بفنائك الحسن المنيف الواسع

وقال شاعرهم :

خذل ابن عنبسة بن عمرو وعده وكذبت حين أقول مالم يفعل

وبنى قصيرا بالعقيق ملعنا لا بالكريم ولا جميل المدخل
ودعا المهندس فاختفى فى جوفه بئرا فأنبطها كطعم الحنظل

قصر عنبسة ابن سعيد ابن العاص

قصر عنبسة بن سعيد بن العاص بالعقيق الصغير ـ ركب هشام بن عبد الملك ومعه عَنْبَسة بن سعيد ، فمر بموضع قصر عنبسة ، فقال : نعم موضع القصر يا أبا خالد ، قد أقطعته لك ، قال : يا أمير المؤمنين مَنْ يقوى على هـذا ؟ قال : فإنى أعينك فيه بعشرين ألفَ دينار ، فدفعها عنبسة إلى ابنه عبد الله وقال : إنك أنزلت بين الأشياخ ، فانظر كيف تبنى ؟ وكان أول من قارب بين القصور ، ونزل إلى جنب عبد الله بن عامر ، فلما فرغ من القصر بنى ضفائره بالآجر المطبق ، فقال له عنبسة : أما علمتَ أن متنزهى أهـل المدينة يدقون عليه العظام ، ابنِهِ بالحجارة المطابقة ، ففعل ، وبعث إليه هشام بأربعين بُخْتيا ، فـكان ينضح عليها فى مزارعه وصهريجه .

قلت : ولعل الموضع المعروف اليوم بالعنابس مزارع عنبسة هذا .

وعن بعض ولد عنبسة قال : بينا عبد الله بن عنبسة نائم فى قاعة القصر ، وعنده خصى يذبُّ عنه ، وكان له غلام صُغْدى يسقيهم الماء ، فدخل فرآه نائما ، فنزع القربة وشد عليه بخنجر كان معه ، وثار الخصى يحول بينهما ، فقتل الخصى ، وانتَبَه عبد الله والقاه بوسادة ، وتداعى عليه أهل القصر وأخذوه ، وأمر به عبد الله فقتل وصلب بفناء القصر .

وكان قصر عنبسة فيما أخِذَ من أموال بنى أمية ، ثم رد على ابن عنبسة .

وكان جعفر بن سليمان إذ كان والياً بالمدينة نزله ، وابتنى إليه أرباضا ، وأسكنها حَشَمه ، ثم تحول منه إلى العرصة فابتنى بها وسكنها حتى عزل فخرج منها ، ولذلك يقول ابن المزكى :

أوحشت الجماء من جَعْفَرٍ وطالما كانت به تُعْمَرُ
كم صارخ يدعو وذى كُرْبَةٍ يا جَعْفَرَ الخيراتِ ياجعفر

أنت الذى أحْيَيْتَ بذْل الندى وكان قد مات فلا يذكر
ثم لعباس وصىّ الهدى ومن به فى المحل يُسْتَمْطر

وقال شاعر :

إنى مررت على العقيق وأهله يشكون من مطر الربيع نزُورَا
ما ضركم أن كان جعفر جاركم أن لا يكون عقيقكم ممطورا

وقال محمد بن الضحاك : خرج أبى وابن عبد الله بن عَنْبَسة فى جماعة من لِتهِمْ إلى قصر عنبسة بالعقيق الصغير ، وخرج بى أبى معهم وأنا حَدَثُ السن ، ونحروا جَزُورا ، فجعلوا يمزحون به فيما بينهم ، يقول هذا بيتا وهذا بيتا ، فكان مما حفظت من ذلك قولُ أحدهم :

حبذا ثم حبـذا فِىْ قصر ابن عنبسه
ولمـات تجمعوا وجَزور مُكَرْدَسَه
والتوالِيـدُ عندنا كالرباط المورَّسَهْ

قصر أبى بكر الزبيرى المعروف بالمستقر

قصر أبى بكر بن عبد الله بن مصعب الزبيرى الذى يعرف بالمستقر ـ اشتراهُ وهو بيت أو بيتان ، فهدم ذلك ، وبناه قصرا ، ففيه يقول القائل :

يا قصر لو كان خالداً أحد بالجود والمجد كان مولاكا
ولو تفدى المنون ذا كرم كان أبو بكر الندى ذاكا

وفيه يقول أيضاً حين بيع فى تركة أبى بكر :

أوْحَشَ المستَقَرُّ بعد أبى بكر فأضحى ينوح فى كل حين
بعـد عز وبهجة وبهاء تاه [يوما] به على الثقلين
فاعذروه يا هؤلا ؛ إن ذا الشجـو ليجرى دموعه من معين

قصر عبد الله ابن أبى بكر العثمانى

قصر عبد الله بن أبى بكر بن عمرو بن عثمان بن عفان ـ قال محمد بن معاوية : كنت أنا ومحمد بن عبد الله البكرى ـ وكان قاضيا على المدينة ـ متنزهين بالعقيق فى قصر ابن بكير ، فكتب محمد بن عبد الله فى الجدار :

أين أهل العقيق أين قريش أين عبد العزيز وابن بكير
* وَلَوَ أنَّ الزمان خلد حيا *

ثم كتب تحته : من أتم هذا النصف فله سبق ، قال: فتنزه عمر بن عبد الله بن نافع فى قصر ابن بكير ، فقرأ الكتابة ، فأتم النصف ، فكتب :

* كان فيه يخلد ابن الزبير *

قال محمد بن معاوية : فعاد محمد بن عبدالله للنزهة ، فوجد البيت قد أتم ، فسأل من أتمه ، فقلت له : عمر بن عبد الله ، فقال : لو كنت أكمله وفيت له بسبقه ، أحسن وصدق.

وكان عمر بن عبد الله له هاجرا .

وستأتى قصور أخرى فى الجمّاوات ، قال أبو على الهجرى : إن سيل الوادى يُفْضِى إلى الشجرة التى بها مُحْرَمُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يلى ذلك مزارع أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ، ثم تتابع القصور يَمْنَة ويَسْرَة بها منازل الأشراف فيها يبتدئون ، منها منازل عن يمين الجائى من مكة بسفح عير.

جملة من القصور والآبار

ومنها قصر لإسحاق بن أيوب المخزومى ، وقصر لإبراهيم بن هشام ، وقصر لآل طلحة بن عمر بن عبيد الله ، ومنازل أسفل منها عن يمين الطريق أيضاً لآل سفيان بن عاصم بن عبد العزيز بن مروان ، ووجاه ذلك فى قبالة جماء تضارع منازل لعبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، ثم يليها منازل لعبد الله بن بكير ابن عمرو بن عثمان ، وهو قصر طاهر بن يحيى ومنازل ولده .

ووجاهها فى صير حرة الوبرة مزارع عروة بن الزبير و بئره ، وأسفل منها البئر التى تعرف ببئر المغيرة بن أبى العاص ، وأسفل منها بئر زياد بن عبد الله المَدَانى وحوضها ، وضفائر قصر مراجل والزبينى قصر سكينة بنت حسين ، وقصور فوق الزبينى لإسحاق بن أيوب متتابعة ، وفوقها قصور كثيرة لغير واحد ، ثم قصور ابنة المرازق الزهرية ، ثم منازل جعفر بن إبراهيم الجعفرى ، ثم يُفْضى إلى

بئر رومة ، وقصور كثيرة يَمْنة ويَسْرة منها قصور عبد الله بن سعيد بن العاص ، و يبطن الوادى بئار لعبد الله بن على بن عبد الله بن العباس والقصور يمنة و يسرة .

ثم ذكر ما بالعرصة من القصور ، وقال : ثم يُفْضِى ذلك إلى الجرف ، وفيه سقاية سليمان بن عبد الملك ، وهى على ميمنة من خرج إلى السلام يعسكر بها الخارج من المدينة إليها ، ثم الزغابة وبها مزارع وقصور أيضاً ، انتهى .

الفصل الثالث

فى العرصة وقصورها ، وشىء مما قيل فيها وفى العقيق من الشعر

قصر خارجة

قصر خارجة — روى ابن زبالة أن بنى أمية كانوا يمنعون البناء فى العرصة حيالها ، وأن سلطان المدينة لم يقطع فيها قطيعة إلا بإذن الخليفة حتى خرج خارجة ابن حمزة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن العوام إلى الوليد بن عبد الملك ، فسأله أن يقطعه موضع قصر فيها ، فكتب إلى عامله بالمدينة أن أقْطِعْهُ موضع قصر فيها وألحقه بالسواد ، أى الحرة ، فلم يزل بأيديهم حتى صار ليحيى بن عبد الله بن حسين ابن على بن حسين .

قصر عبد الله بن عامر

قصر عبد الله بن عامر برومة — قال الواقدى : إنه بَنَاه هناك من أول ما بنى بذلك العقيق إلا قصرا بعَرْصَة البقل ، ولما قتل أهل الحرة وعسكر مشرف بالجرف أمر بالعسكر ، فحول إلى عرصة البقل ، وأمر بالأسرى فحبسوا هناك .

وقال ابن أبى عوف : إنه بعد أن نهب المدينة خرج إلى قصر ابن عامر ، وقتل من قتل .

قصر مروان

قصر مروان بن الحكم — روى الزبير أن مروان ابتنى بعرصة البقل ، واحتفر وضرب لها عينا فازدرع .

قصر سعيد ابن العاص

قصر سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية ، أحد مشاهير الأجواد

ـ ابتنى سعيد بالعرصة قصرا فى سرتها ، واحتفر بها ، وغرس النخل والبساتين ، وكان نخلها أبكر شىء بالمدينة ، وكانت تسمى عرصة الماء .

وعن يحيى بن كعب مولى سعيد قال : كان نخل سعيد بالعرصة لا يطير حمامها ، وكانت فيها بثار ثلاث ، العليا منهن اليمانية تدعى الشمردلية ، والتى تليها أسفل منها تدعى الواسطية ، قال : وأنسيتُ السفلى ، و بنى بالعرصة عند نخله قصره الذى يقول فيه أبو قطيفة عمر بن الوليد بن عقبة :

والقَصْرُ ذو النخل فَالْجَمَّاء بينهما أشهى إلى النفس من أبواب جَيْرُونِ

وقال الهجرى : ثم يُفْضِى ـ يعنى سيل العقيق ـ إلى العرصة عرصة البقل ، وعرصة الماء ، وعرصة جعفر بن سليمان بقبل الجماء العاقر مرتفعة فى حصن الجبل . و بالعرصة الكبرى قصرى سعيد بن العاص الذى امتدحه الشاعر بقوله ، وذكر البيت المتقدم .

والذى ذكره الزبير وغيره أن قصر سعيد بعرصة الماء ـ وهى العرصة الصغرى ـ لأنهم قالوا : وفى عرصة الماء يقول داود بن سَلْم :

أبْرَزْتَهَا كالقمر الزاهر فى عصفر كالشرر الطائر

بالعَرْصة الصغرى إلى موعد بين خليج الواد والظاهـــر

قالوا : إنما قال لها العرصة الصغرى لأن العقيق الكبير ينيفها من أحد جانبيها ، و ينيفها عرصة البقل من الجانب الآخر ، وتختلط عرصة البقل بالجرف فيتسع ، والخليج الذى ذكر خليج سعيد بن العاص ، انتهى ؛ فالعرصة الكبرى هى عرصة البقل ، والصغرى هى عرصة الماء ، فهى عرصة سعيد بن العاص ، وأطمها التى فيها البناء المعروف اليوم بعقد الأرقطية ، ولعله قصر سعيد بن العاص وموضع آباره و بستانه فيما يليه ، ويلى ذلك عرصة البقل لجهة بئر رومة .

وقال فضالة بن عثمان : لما حضر سعيدا الموت قال لابنه عمرو وهو الأشْدَق : أوصيك بثلاث: علىّ دين عظيم ، فأكثر فيه مالى حتى تؤديه ،وانظر إخوانى فإن

فقَدُوا وجهى فلا يفقدوا معروفى ، ولا تزوج بناتى إلا فى الأكفاء ، ثم مات ، فركب عمرو إلى معاوية ، فقال الحاجب له : عمرو بالباب ، فقال معاوية : هَلَكَ والله سعيد ، فأدخله ، فنعى له سعيدا وأخبره بوصيته ، فقال : نحن قاضون عنه الدين قال : إنما أوصى إلىّ أن يكون من صُلْبِ ماله ، فقال : بِعْنِي بعض ضِيَاعه ، و إنى أكره إحَنَ صَدْرِ مروان وذويه من قريش بقضاء دين أبيك ، فباعه العرصة بألف ألف ، فقالت قريش : أيخدع معاوية نفسه أو يكيدنا ؟ وقال مروان : يا أمير المؤمنين مادون الله يد تحجرك عن هواك ، ولنحن أهون عليك فيما تريد ، فعلام تخدع نحلك وتكيدها ؟ هلا جعلت ما أعطيت عمرا صِلَةً ؟ فقال : إنك عاديت سعيدا حيا وميتا ، وما بلغ من إثمانى لضيعته مكيدة قريش ، ولقد علمت قريش أنى أحفظ الميت فى الحى وأصل الحى للميت ، ولهو خير لكم أن أكون كذلك ، فأخذ عمرو المالَ ، فأتى به المدينة فقضى دين أبيه ، ثم أمر بأخوال أبيه فدخلوا عليه ، فوصَلَهم ، ثم أدخل إخوانه ، فوقع الشر بينه و بين مروان ومروان خاله ، فقال :

يُكَايِدُنَا معاويةُ بن حَرْبٍ ولسنا جاهلين بما يكيد

فى أبيات بلغت معاوية ، فأنشد :

ألا لله دَرُّ غُواة فِهْرٍ أريدُ سوى الذى فهرٌ تريد
أرانى كلما أخلقت ضغنا أتانى منهمُ ضغن جديد

فى أبيات ، قال الزبير : ولم يصح عندى الشعرانِ .

وروى عن سعيد أنه قال لابنه : إن منزلى هذا بالعرصة ليس من العقد ، إنما هو منزل نزهة ، فبِعْهُ من معاوية ، واقْضِ دينى ومواعيدى ، ولا تقبل من معاوية قضاء دينى .

وعن نوفل بن عمارة أن سعيدا قال لابنه : إنى مُوصِيك بأربع ، لا تنقلنى

من موضعى ـ يعنى قصره ـ حتى أموت فيه ؛ فإنه أحب المواضع إلىّ ، وقليل لى من قومى فى برى بهم أن يحملونى على رقابهم إلى موضع قبرى ، وذكر الوصايا الثلاث المتقدمة ؛ فلما توفى حَمَلَه رجال قريش حتى دفنوه بالبقيع ، وقصره على ثلاثة أميال من المدينة ، ثم رحل ابنه إلى معاوية ، فدخل وهو أشْعَث ، فقال له معاوية : مابالك ؟ قال : هَلَكَ أبو عثمان ، فترحَّم عليه ، ثم قال : حاجَتَكَ فذكر وصاياه ، فسأله عن دينه ، فقال : ثلاثة آلاف ألف ، قال : هو علىّ ، قال : إنه أمرنى أن لا يكون إلا من صُلْب ماله ، قال : فبِعْنِي ، قال : بعتك العَرْصَة ، قال : قد أخذت القصر بألف ألف ، والنخيل بألف ألف ، والمزارع بألف ألف ، ثم قال : يا أهل الشام ، اكْتُبُوا عليه لئلا يَنْدَم ، وفى رواية أنه قال : أمرنى أن أبيع فى دينه ما استباع من أمواله ، قال معاوية : فعرضنى ماشئت قال : أنفسها وأحبها إلينا منزلُه بالعَرْصة ، فقال : هيهات لايبيعونه ، انظر غيره ، قال : تحب تعجيل قضاء دينه ؟ قال : قد أخذته بثلثمائة ألف ، قال : اجعلها بالوافية يعنى الدرهم زنة المثقال ، قال : قدفعلت ، قال : وتحملها إلى المدينة قال : ونفعل ، فقدم عمرو فجعل يفرقها فى الديوان ، ويحاسبهم بما بين الدراهم الوافية وهى البغلية والدراهم الجواز ، حتى أتاه فتى من قريش بذكر حق له من أديم فيه عشرون ألف درهم بخط مولى لسعيد وشهادة سعيد على نفسه ، فعرف الخط وأنكر أن يكون لذلك الفتى الصعلوك ذلك ، فقال : ماسببُ مالك ؟ قال : رأيته وهو معزول وهو يمشى وَحْده ، فمشيت معه لباب داره ، فوقَفَ وقال : هل لك حاجة ؟ قلت : رأيتك تمشى وحدك فأحببت أن أصل جناحك ، فقال : وصَلَتْكَ رحم ، يعنى قطعة أديم ، فأتيته بهذه القطعة ، فكتب غلامه هذا الكتاب وفيه شهادته ، ثم قال: يا ابن أخى ، ليس عندنا اليوم شىء ، فخذ هذا الكتاب ، فقال عمرو : لاجَرَمَ لا يأخذها إلا وافية ، ودفعها إليه بَغْلية .

ولما أصغت العرصتان عن بنى أمية استقطع خنجر ـ وهو كثير بن العباس

ابن محمد ـ عرصة سعيد بن العاص ، فأقطعه إياها أبو العباس المنصور ، فقال زياد ابن عبد الله الحارثى ـ وكان واليا على المدينة ـ بخ بخ ياخنجر ، صارت لك عرصة سعيد ، فقال : وما ينكر من ذلك ؟ فأعجب منه دار معاوية بن سفيان بالبلاط لزياد بن أم زياد ، واقتطع السلطان فى سلطان بنى هاشم فى العرصة،وابتنوا عرصة الماء ، وفى ذلك يقول ذؤيب الأسلمى :

قد أقر الله عينى بغزال يا ابن عون
طاف من وادى دجيل بفتى طَلْق اليدين
بين أعلى عرصة الما ء إلى قصر زبين
فقضانى فى منامى كل موعود ودين

وفيها يقول أبو الأبيض سهل [بن أبى كثير] :

قلت من أنت فقالت بكرة من بكرات
ترتعى نبت الخزامى تحت تلك الشجرات
حبذا العرصة ليلا فى ليال مقمرات
طاب ذاك العيش عَيْشاً وحديث الفتيات
ذاك عيشى أشتهيه وحديثى مع لمات

وفيها يقول بعض المدنيين :

وبالعرصة البيضاء إن زرت أهلها مَهاً مهملات ما عليهن سائس
يدرن إذا ما الشمس لم يخش حرها خلال بساتين خَلاَهن يابس
إذا الحر آذاهن لذن ببحرة كما لاذ بالظل الظباء الكوانس

وقال عامر بن صالح فى العرصتين :

أهوى البلاط فجانبيه كليهما فالعرصتين إلى نخيـــل قباء

وقال حكيم بن عكرمة الديلى فيهما وفى العقيق وجوانب المدينة :

لعمرك للبَلاَطُ وجانبـــاه ... وحرة واقِم ذات المنـــار
فجماء العقيـــق فعرصتاه ... فمفضى السيل من تلك الحرار
إلى أحد مدى حرض فمبنى ... قبـاب الحى من كنفى صرار
أحبّ إلى من ريح و بصرى ... بلا شك على ولا تمـــارى
ومن قريات حمص و بعلبك ... لَوَ انّى كنت أجعل بالخيـار

وفيهما وفى العقيق يقول الوليد بن زيد :

لم أنس بالعرصتين مجلسنا ... بالسفح بين العقيق والسند

وقال عبد الله بن مصعب فى ذلك وفى الصلصل :

أشرف على ظهر القُدَيمة هل ترى ... برقا سرى فى عارض متهلل
نضح العقيق فبطن طيبة موهنا ... ثم استمر يؤم فضل الصلصل
فكأنمـا ولعت مخائل برقه ... بمعالم الأحبـــاب ليست تأتلى
فالعرصتين فسفح عـير فالربا ... من بطن خاخ ذى المحل الأشهل

وقال سعيد المساحقى فى ذلك [وهو] ببغداد ،وذكر أنه ابتلى بعد أخيه بمحادثة غلامه زاهر :

أرى زاهرا لما رأى من تَوَحُّشِي ... وأن ليس لى من أهل ودى زائر
فظل يعاطينى الحديث و إننـــا ... لمختلفان حين تبـــلى السرائر
يحدثنى مما يجمِّعُ عقـــله ... أحاديثَ منهـا مستقيم وجائر
وما كنت أخشى أن أرانىَ راضياً ... يُعَلِّلُنِي بعـــد الأحبة زاهر
و بعد المصلى والبلاط وأهله ... و بعد العقيق حيث يحلو التزاور
إذا اعشوشبت قُرْيَانُه وتزينت ... عراص بهـا نبت أنيق وزاهر

وقال أيضاً :

ألا قل لعبد الله إما لقيته ... وقل لابن صفوان على النأى والبعد
ألم تعلما أن المصلى مكانه ... وأن العقيق ذا الظلال وذا الورد
وأن رياض العرصتين تزينت ... بنوارها المصفر والأشكل الوردى
وأن بها لو تعلمان أصائلا ... وليلا رقيقا مثل حاشية البرد
وأن غدير اللابتين مكانه ... وأن طريق المسجدين على العهد
فهل منكما مستأذن فسلم ... على وطن أو جاذب لذوى الود
فما العيش إلا مايسر به الفتى ... إذا لم يجد يوما سبيل ذوى الرشد

فأجابه عبد الأعلى بن عبد الله بن محمد بن صفوان :

أتانى كتاب من سعيد فشاقنى ... وزاد غرامَ القلب جهدا على جهد
وأذرى دموع العين حتى كأنما ... بها رمد عنه المراود لاتُجْدِى
بأن رياض العرصتين تزينت ... وأن المصلى والبلاط على العهد
وان غدير اللابتين ونبته ... له أرج كالمسك فى عنبر الهند
فكدت لما أضمرت من لاعج الهوى ... ووجد بما قد قال أقضى من الوجد

وقال إبراهيم بن موسى الزبيرى:

ليت شعرى هل العقيق فسلع ... فقصور الجماء فالعرصتان
فإلى مسجد الرسول فما حا ... ز المصلى فجانبا بطحان
فبنو مازن على العهد أم لي ... س كعهدى فى سالف الأزمان

وأنشد عبد السلام بن يوسف وهو فى غاية العذوبة :

على ساكنى بطن العقيق سلامُ ... وإن أشْهَرُونى بالفراق وَنَامُوا
حظرتم علىّ النوم وهو محلل ... وحللتم التعذيب وهو حرام
إذا بنتُم عن حاجر وحجرتم ... على السمع أن يدنو إليه كلام

فلا مَيَّلَتْ ريح الصبا فرع بانة ولا سجعت فوق الغصون حمام
ولا قهقهت فيه الرعود، ولا بكى على حافتيه بالعشيِّ غمـــام
فمـــالى ومالربع قد بان أهله وقد قوضت من ساكنيه خيام
ألاليت شعرى هل إلى الرمل عودة وهـــل لى بتلك البانتين لمام
وهل نهلة من بئر عروة عذبة أداوى بهـــا قلبا براهُ أوام
ألا يا حمامات الأراك إليكمُ فما لى فى تغريدكن مَرَام
فوجدى وشوقى مسعد ومؤانس ونوحى ودمعى مطرب ومدام

وقال أعرابى :

أيا سَرْحَتَىْ وادى العقيق سُقيتما حَيَاً غضة الأنفاس طيبة الورد
تَرويكما مج الـــثرى ، وتغاغلت عروقكما تحت الندى فى ثرى جعد
ولا يهنين ظلاكما أن تباعدت بى الدار من يرجو ظلالـكما بعدى

وعن محمد الزهرى قال : ركب عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وعبد الله ابن حسن بن حسن ومحمد بن جعفر بن محمد على بغلاتٍ لهم ، حتى إذا كانوا بالعقيق أصابهم المطر ، وهنالك سَرْحَة عظيمة ، فدخلوا تحتها ، فقال عبد العزيز ابن عمر :

خبرينا ياسَرْحَ ـ خصصت بالغيـــث ـ بصدق فالصدق فيـه شفاء
هل يموت المحب من لاعج الحـــب ويشفى من الحبيب اللقاء

ثم إن السماء أقلعت ، فساروا ساعـة ، ثم رجعوا للسَّرْحة فإذا فى أصلها كتاب فيه :

إن جهلا سؤالك السرح عما ليس يوما به عليك خفـــاء
فاستمع تخبر اليقين وهـــل يشـــفى من الشك نفسك الأنباء
ليس للعاشق المحب من الحـــب سوى رؤية الحبيب شـــفاء

وعن رجل من الأنصار أنه كان نازلا تحت سَرْحَة ببطن العقيق إذ وقف عليه ابن عمر ، فسلم، ثم قال : مَنْ دَلَّك عليها ؟ قال : الذى دَلَّك عليها ، قال ابن عمر : فهل تدرى لم يستحب ظلال السرح ؟ قال الرجل : إنه ظَلِيل ، وليس له شوك ، قال ابن عمر : ولغيره ، أرأيت إذا كنت بين الأخشبين من مِنًى فإن بينك و بين مطلع الشمس واديا يقال له وادى سرر ، سُرَّ به سبعون نبيا ، وقد سر نبى منهم تحت سرحة فدعا للسرح ، فهى لا تقيل كما يقيل الشجر [؟].

وعن محمد بن معن الغفارى قال : أراد محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أن يخرج إلى مكة ، فذكر ذلك لعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، قال له عبد العزيز : هل لك أن تَقِيلَ عندى أنت وأصحابك ثم تروحون من عندنا وهو بالبطحان فى قصر عمر بن عبد العزيز ؟ فقال محمد : نعم ، فهيأ لهم نزلا ، فقال محمد : ما بقى شىء يبر به أحد أحدا إلا وقد أنزلتناه إلا طعام البادية ، قال : وما هو ؟ قال : التمر والزبد ، قال : أما الغنم فإنها لعاصم بنت سفيان بن عاصم بن عبد العزيز ، يعنى امرأته ، ولست مقدما على شىء منها إلا بإذنها ، ولكنى سأستطعمها لكم ، وكتب إليها :

إن عندى قَدْ تُكِ نفسى ضُيُوفاً ... واجبٌ حَقُّهُم كُهُولاً ومُرْدَا
عمدوا جارك الذى كان قدما ... لا يرى من كرامة الضيف بدا
فلديه أضيافه قد قَرَاهم ... وهمو يشتهون تمرا وزبدا
فلهذا جرى الحديث ، ولكن ... قد جعلنا بعض المزاحة جدا

فقال له محمد : مازال هذا العيش بينكما ، قال : نعم والله مامست غيرها ، ولا احتلمت بغيرها قط ، ولا خالفتها فى شىء هويته قط ، فبعثتْ إليهم بتمر وزبد .

وعن عبد العزيز بن أبى حازم قال : كان عروة بن الزبير قائما بفناء قصره نصف النهار ، إذ أقبل شيخ من أهل المدينة معه حمام ، فوقف عند الميل ، فمسح

حمامه ، وسوّى ريشه ثم أرسله ، ثم أقبل على بئر عروة فشرب من مائها ، فقال له عروة : جئت فى مثل هذه الساعة كأنك صبى ، فأرسلت حماما ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « شيطان يتبعه شيطان » فقال الشيخ :

ياخليلى لا تكلم ليس فيه من ملام

وعن عبد العزيز بن عبد الله قال : بينا أنا بالعقيق إذ أقبل رجل له موضع يحمل حماما ، فقلت له : مثلك يحمل هذا الحمام ؟ ولا أراك إلا قد راهنت به ، قال : أجل ، وما فى ذلك ؟ قلت : إنه حرام ، قال : فهذه الخيل يُرَاهَنُ بها ، قلت : تلك سنة ، قال : وهذه رعلة ، ثم انصرف ، انتهى .

والرعلة : نوع من تمر المدينة ، وكذا السنة ، فحمل السنة على ذلك .

الفصل الرابع

فى جَماواته ، وأرض الشجرة ، وثنية الشريد وغيرها من جهاته

نقل ابن زبالة وغيره أن الجماوات ثلاث :

جماء تضارع

الأولى : جماء تضارع التى تسيل على قصر عاصم و بئر عروة ، وقال الهجرى : أول الجماوات جماء تضارع التى تسيل على قصر عاصم وهو منزل أبى القاسم طاهر ابن يحيى وولده ، وفيها يقول أُحَيْحَةُ بن الجُلاح :

إنى ولِلمَشْعَرِ الحرام وما حَجَّتْ قريشٌ له وما نحروا
لا آخذ الخطة الدنيَّة ما دام يُرَى من تضارع حَجَرُ

وتحته للكيمن مكيمن الجماء[1] .

وعن محمد بن إبراهيم مرفوعاً : إذا سالَتْ تضارع فهو عام ربيع .

وروى ابن شبة حديث « لا تسيل تضارع إلا عام ربيع » قال : وتضارع الجبل الذى بسفحه قصر ابن بكير العثمانى ، وقصور عبد العزيز بن عبد الله العثمانى على ثلاثة أميال من المدينة ، على يمين الذاهب إلى مكة .

(١) فى الأصول « مكين » محرفا ؛ وصوابه عن ياقوت .

قلت : هذا الجبل هو الذى يقابلك وأنت بالمدرج تريد مكة ، فإذا استبطنت العقيق صار عن يمينك ، والجبل المعروف بمكيمن الجماء متصل به ، آخذ منه على يمين الذاهب أيضاً .

جماء أم خالد

الثانية: جماء أم خالد التى تسيل على قصر محمد بن عيسى الجعفرى وما والاه، وفى أصلها بيوت الأشعث ، وقصر يزيد بن عبد الملك بن المغيرة النوفلى ، وفيفاء الخَبَار من جماء أم خالد ، قاله الزبير .

ونقل ابن شبة عن عبد العزيز بن عمران نحوه ، إلا أنه قال : فى أصلها بيوت الأشعث وفيفاء الخبار ، وبينها وبين جماء العاقر طريق من ناحية بئر رومة وفيفاء الخبار من جماء أم خالد فى مَهَبِّ الشمال من الأولى مما يلى مسيل وادى العقيق منحدرا ، وفيفاء الخبار منهما .

وقال المجد : فى أصل جماء أم خالد جبل يقال له سفر كما سيأتى فى ترجمته .

روى الزبير عن موسى بن محمد عن أبيه قال : وجد قبر آدمى على رأس جماء أم خالد مكتوب فيه : أنا أسود بن سوادة رسول رسول الله عيسى بن مريم إلى أهل هذه القرية .

وعن ابن شهاب قال : وجد قبر على جماء أم خالد أربعون ذراعا فى أربعين ذراعا ، مكتوب فى حجر فيه : أنا عبد الله من أهل نِينَوَى رسولُ رسولِ الله عيسى بن مريم عليه السلام إلى أهل هذه القرية ، فأدركنى الموت ، فأوصيت أن أدفن فى جماء أم خالد .

قال عبد العزيز بن عمران : نينوى موضعان : أحدهما من أرض السواد بالطف حيث قتل الحسين رضى الله تعالى عنه . والآخر قرية بالموصل ، وهى التى فيها يونس النبى صلى الله عليه وسلم ، ولسنا ندرى أى الموضعين عنى . وتقدم فى أوائل الباب الثالث روايتان جاءتا فى ذلك قال فى إحداهما : فإذا فيه « أنا عبد الله الأسود رسول رسول الله عيسى بن مريم عليه السلام إلى أهل قرى عربية »

وقال فى الأخرى « و إذا فيه أنا عبد الله رسول نبى الله سليمان بن داود إلى أهل يثرب ، وأنا يومئذ على الشمال » .

جماء العاقر (العاقل)

الثالثة جماء العاقر ـ بالراء كما فى كتاب ابن شبة وغيره ، وفى بعض نسخ ابن زبالة والهجرى ومعارف العقيق للزبير باللام ـ قال ابن شبة ، عقب ما تقدم عنه : وجماء العاقر الجبلُ الذى خلفه المشاش ، و إليه قصور جعفر بن سليمان بن على بالعرصة ، وقال الهجرى : الثالثة جماء العاقل ، فيها طريق إلى جماء أم خالد ، تسيل على قصور جعفر بن سليمان ، خلفها المشاش وهو وادٍ يصبُّ فى العرصة ، وقال الزبير : جماء العاقل طريقٌ بينها و بين جماء أم خالد خلفها المشاش .

وفى المشاش يقول عُرْوة بن أُذَيْنَةَ :

إذ جرى شعب المشاش بهم ... وعضيف تلمـــة الرخمة [؟]

ومنَ البطحاء قـد نزلوا ... دارَ زيدٍ فوقهـا العجمة [؟]

وأورد ابن زبالة هنا حديث « لا تقوم الساعة حتى يقتل رجلان موضع فسطاطيها فى قبل الجماء » وحديث « نعم الجماء المنزل لولا كثرة الأساود » . وقد قدمنا فى الفصل الأول نحوه فى العرصة ، وقدمنا ماجاء فى ذى الحليفة و بطحانها والمعرس ومسجد الشجرة ، وروى البيهقى فى المعرفة عن الشافعى قال : كان سعيد ابن زيد وأبو هريرة يكونان بالسحر على أقل من ستة أميال فيشهدان الجمعة و يَدَعانها .

وروى الزبير عن نافع أنه لما استصرخ على سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيْل يوم الجمعة بعدما ارتفع الضحى أتاه ابن عمر بالعقيق ، وترك الجمعة.

وعن العَلاَء بن عبد الرحمن عن أبيه أن أرْوَى بنتَ أويس أسعدت مروان ابن الحكم على سعيد بن زيد فى أرضه بالشجرة ، فقالت : إنه أدخل ضفيرتى فى أرضه ، فقال : كيف أظلمها وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من اقتطَعَ شبراً من الأرض طُوِّقه من سبع أرَضِينَ يوم القيامة » ؟ وترك لها سعيد

ما أدَّعتْ ، وقال : اللهم إن كانت أروى ظلمتنى فأعْمِ بَصَرَها ، واجعل قبرها فى بئرها ، فعميت أرْوَى ، وجاء سيل فأبدى عن ضفيرتها خارجا عن حق سعيد ، فأقْسَمَ سعيدٌ على مروان ليركَبَنَّ معه وينظر إلى ضفيرتها ، فركب والناس حتى نظروا إليها، ثم إن أروى خرجَتْ لبعض حاجتها فوقعت فى البئر فماتت.

وفى رواية أنها سألت سعيداً أن يَدْعُوَ لها ، وقالت : إنى ظلمتك ، فقال : لا أردُّ على الله شيئاً أعطانيه .

قال إبراهيم بن حمزة : وكان أهل المدينة يدعو بعضهم على بعض فيقول : أعماك الله كما أعمى أروى ، يريدونها ، ثم صار الجهال يقولون : أعماك الله كما أعمى الأروى ، يعنون أروى الجَبَلِ ، يظنونها شديدة العمى .

وفى رواية أن سعيدا قال : اللهم إن كانت أرْوَى كاذبة فلا تخرجهامن الدنيا حتى تعمى ، وتجعل منيتها فى بئرها ، فعميت ، فكانت لها جارية تخرج بها تَقُودها ، فتقول لها : أخبِرينى ما يعمل العمال ، فتخبرها ، فتقول لهم : أنتم تفعلون كذا وكذا ، وتصيح عليهم ، فغفلت الجارية عنها يوما ، فخرجت إلى العمال فوقَعَتْ فى بئرها فماتت ، فلذلك يقولون : عمى أرْوَى .

وعن يحيى بن موسى قال : كان أبو هريرة نَزَلَ الشجرة قبل أن تكون مزدَرَعاً ، فمرَّ به مروان وقد استعمله معاوية على المدينة فقال : مالى أراك ههنا ؟ قال : نزلت هذه البرية مع أبى أصلى فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى الحليفة ، فأقطعه مروان أرضه وضفرها له ، فتصدق بها أبو هريرة على ولده ، ولم يزل العقيق نخلا حتى عملت العيون .

ثنية الشريد

ونقل ابن زبالة أن ثنية الشريد كانت لرجل من بنى سُلَيم كان بقية أهل بيته ،فقيل له : الشريد ، وكانت أعنابا ونخلا لم يُرَ مثلها ، فقدم معاوية المدينة ، فطلبها منه ، فأبى ، ثم ركب يوما فوجَدَ عماله فى الشمس،فقال : مالكم ؟ فقالوا:

نسجم البثار ، فركب إلى معاوية فقال : يا أمير المؤمنين إنه لم يزل فى نفسى منعى إياك ماطلبت منى ، فهو لك بما أردت ، فكتب إلى ابن أبى أحمد أن يدفع إليه الثمن ، قال : وسمعتهم يكثرونه جدا ، فقال له ابن أبى أحمد : إن أمير المؤمنين لم يَسُمْكَ بها وهى على هذه الحال ، فقال : إنى رجوت حين صار امرى إليك التيسير على ، فدفع إليه الثمن .

ومزارع ثنية الشريد من أرض المحرمين إلى أرض المنصور بن إبراهيم ، وقال الهجرى : إن سيل العقيق يُفْضِى إلى ثنية الشريد ، وبها منازل وبثار كثيرة ، وهى ذات عضاه وآكام ، تُنْبِتُ ضروبا من السكلأ ، صالحة للمال ، تحف الثنية شرقى عير الوادى وغربى جبل يقال له الفراء ، ثم يُفْضى إلى الشجرة التى بها المحرم والمعرس .

وقال ابن النجار عن أهل السير : إن النبى صلى الله عليه وسلم ولى العقيق لرجل اسمه هيصم المزنى ، وأن وُلاة المدينة لم يزالوا يولُّون عليه ، حتى كان داود ابن عيسى فتركه فى سنة ثمان وتسعين ومائة .

قلت : هذا إنما ذكره ابن زبالة والزبير فى حمى النقيع كما سيأتى .

وروى ابن زبالة عن يحيى بن سعيد أن رجلا كان لا يعرف والدُه كان يوما بالعقيق ، فنهاه عمر بن عبد العزيز .

وفى رواية : كان يصلى لهم الجمعة بالشجرة ، فنهاه عمر بن عبد العزيز أن يؤمهم لأنه لا يعرف له أبٌ ، وهو يقتضى أن الجمعة كانت تقام بالعقيق ، فآثار أبنية مكان العقيق موجودة إلى اليوم ، وهى دالة على ما كان به من القُصُور الفائقة ، والمناظر الرائقة ، والآبار العذبة الحسان ، والحدائق الملتفة الأغصان ، دَثَرَتْ على طول الزمان ، وتكرر الحدثان ، وبقى هناك بعض الآبار ، وبقايا الآثار ، فترتاح النفوس برؤيتها ، وتنتعش الأرواح بانتشاق نَسْمتها ، فهى كما قال حَبيبُ ابن أوْس :

ما ربع مَيَّـــةَ معمورا يُطِيف به غَيْلاَن أَبْهَى رُبًا من رَبْعها الخرِب
ولا الخـدود وإن أدمينَ من نَظَرٍ أَشْهَى إلى ناظرٍ من خـدها التربِ

وقال أعرابى :

ألا أيها الركب المُحِثُّونَ هل لسكم بأهـــل عقيق والمنازل من عِلْم
فقالوا : نعم تلك الطلولُ كعَهْدها تَلوحُ ، وما يغنى سُـؤَالُكَ عن عِلْم

خاتمـــة

فى سرد مايدفع فى العقيق من الأودية ، وما به من الغُدْرَان

قال فى جزيرة العرب لأبى عبيدة رواية أبى عبد الله المازنى عنه ، مالفظه : والعقيق يشق من قبل الطائف ، ثم يمر بالمدينة ، ثم يلقى فى إضم البحر ، انتهى

وسيأتى فى وادى قَنَاة أنه من وَجِّ الطائف أيضا ، ولـكن قال الزبير وغيره : أعلى أودية العقيق النقيع ، ثم ذو العش ، ثم ذو الضرورة ، ثم ذو القرى ، ثم ذو الميت ، ثم ذو المـكبر ، ثم ذات القطب ، ثم حد المولى ، ثم حد الأبانى ، ثم ذو تنقية ، ثم القويع ، ثم ذو الصوابر ، ثم الفلجة ، ثم الوشيحة ، ثم مخايل الوغائر ، ثم مخايل الرمضة ، وكلاهما يصب فى حصين ، ثم ذوالعشيرة ، ثم الرتاحة ، ثم ذو سمر ، ثم مرخى الحرة اليمانى والشامى محتذيان جميعاً ، ثم يجتمع ذو سمر ومرخان فيقال لمجتمعهن : المجتمعة ، ثم ذات السليم ، ثم ذو الغصين ، ثم شوظى ، ثم خاخ ، ثم المناصفة ، ثم شعاب الحمرى والفراء وعيرين .

وقال الزبير : وأوديته مما يلى القبلة فى المغرب أعلاها ذات الرابوقة ثم نفعا

وعن مشيخة مربية أن صدور العقيق ما يبلغ فى النقيع من قدس وما قبل من الحرة وما دبر من النقيع وثنية عمق ، فهو يصب فى الفرع ، وما قبل من الحرة مما يدفع فى العقيق يقال له بطاويح ، قال : ثم فرش موزد ، ثم راية الأعمى ، ثم راية الغراب ، ثم الخائع ، ثم ذو عاصم ، ثم بلغة السرح ، ثم بلغة برام ، ثم بلغة رماد ، ثم بلغة المعيرا ، ثم بلغة الرمس ، ثم نبعة العشرة ، ثم نبعة الطوى ، ثم الحنينة ،

ثم النبعة ، ثم ضاف ، ثم بلغة التمر ، ثم نبع الأضاة ، ثم الأتمة أتمة عبد الله بن الزبير ، ثم ذات الحماط ، وفى حديث تقدم أنه صلى الله عليه وسلم « صلى فى مسجد بالضيقة مَخْرَجَه من ذات الحماط » ثم هاوان ، ثم فريقان ، ثم الساهية ، ثم أعشار ، وتقدم فى حديث نزوله صلى الله عليه وسلم بكهف أعشار وصلاته فيه ، ثم ريم ، ثم لاى ، ثم ذو سلم النظيم ، ثم ذو بدوم ، ثم حفية ، ثم قسبان ، ثم الصهوة ، ثم بقرة ، ثم ذو سنية ، وسنية : قوم من مزينة ، ثم الرمامية ، ثم الموقية ، ثم ضبع ، ثم مهر ، ثم الملحاء ، ثم المليحة ، ثم النخيل ، ثم الرديهة ، ثم أنفة ، ثم المنتقبة ، ثم مراح الصحرة ، ثم سائلة أبى يسار التى تسيل على قصر المخرمى ، ثم شعاب الفراء ، ثم ذات الجيش ، وتقدم حديث الأعلام فى حَرَم المدينة على شرف ذات الجيش ، ثم وادى أبى كبير بن سعيد بن وهب بن عبد ابن قصى ، وذات الجيش يدفع فيه ، وبه قصر الرماد لآل أبى كبير ، وكانت لهم بئر بطرف الفراء يُورِدُون عليها سبعين أو ثمانين بعيرا لهم ، قال الزبير : وأنا رأيت بئر أحد طرف الفراء مكبوسة ، وما قبل من الصلصلين يدفع إلى بئر أبى عاصية ، ثم يدفع فى ذات الجيش ، ثم يدفع فى وادى أبى كبير ، وما دبر منهما يدفع فى البطحاء ، فطرف عظيم الغربى يدفع فى ذات الجيش ، وطرفه الشامى يدفع فى البطحاء بين الجبلين فى وادى العقيق ، ثم الجاوات ثلاث ، وتفصيل مسائلها كما قدمناه فيها .

ثم ذكر مجتمع سيول المدينة بزغابة ، وذلك أعلى وادى إضم ، قال : وأعلى غُدُر مسيلات العقيق التى فى درج الوادى مما يلى الحرة موكلان من أعلى ذى العش ، ثم غدير سليم ، ثم ذو التحاميم ، ثم الأعوج ، ثم غدير الجبال ، ثم يماحم ، ثم غدير الذباب ، ثم غدير الحبر ، ثم غدير فليج الأعلى ، ثم غدير فليج الأسفل ، وهذه الثلاثة تعرف بمنحنيات فليج الزبيرى ، ثم غدير السيالة ، ثم الطويل ، ويُعد من منحنيات فليج أيضا ، ثم غدير البيوت بيوت عبد الله العمرى ،

ثم غدير رتيجة ، ثم بكين ، ثم غدير سلافة ، ثم غدير الرعاء ، ثم غدير الأحمى مقصوراً والأحمى : طرب العدس فى أصله ، ثم غدير حصير ، ثم الثدبة من أسفل حصير ، ثم العرابة فى أعلى مرج ، ثم مرج ، ثم غدير السدر ، ثم غدير الخم ، ثم المستوجبة ، ثم حُليف ، ثم حليف ، ثم الحقن ، ثم ذو الطفيتين ، ثم ذواللحبين ، ثم ذو الابنة ، ثم غدير مريم ، ثم غدير المجاز ، ثم غدير المرس ، ثم رابوع ، وقلما يفارقه ماء و إذا قل ماؤه احتسى ، وهو أسفل شىء من غُدُرَان درج العقيق إلا غدير أسفل منه يقال له غدير السيالة ، هذا كلام الزبير .

ونقل ابن شبة أن سيل العقيق يأتى من موضع يقال له بطاويح ، وهوحرس من الحرة ، وغربى شطاى حتى مضيا جميعاً فى النقيع وهو قاع كبير الدر ، وهو من المدينة على أربعة بُرُد فى يمانيها ، ثم يصب فى غدير يَلْبَن و برام ، ويدفع فيه وادى البقاع ، و يصب فيه لقعا فيلتقين جميعاً بأسفل من موضع يقال له نقع ، ثم يذهب السيل مشرقا فيصب على رواوتين يعترضهما يسارا ، و يدفع عليه واد يقال له هلوان ، ثم يستجممن فيلقاهن بوادى دبر بأسفل الحليفة العليا ، ثم يصب على الأتمة وعلى الجام ، ثم يُفْضِى إلى وادى الحميراء فيستبطن واديها و يدفع عليه الحرتان شرقياً وغربيا حتى ينتهى إلى ثنية الشريد إلى أن يُفْضِى إلى الوادى فيأخذ فى ذى الحليفة حتى يصب بين أرض أبى هريرة رضى الله تعالى عنه و بين أرض عاصم بن عدى بن العجلان ، ثم يستبطن الوادى فيصب عليه شعاب الجماء ونمير حتى يُفْضِى إلى أرض عُرْوَة بن الزبير و بئره ، ثم يستبطن بطن الوادى فيأخذ منه شطيب إلى خليج عثمان بن عفان الذى حفر إلى أسفل العرصة التى يقال لها خليج بنات نائلة وهن بنات عثمان منها ، وكان عثمان ساقه إلى أرض اعتملها بالعرصة ، ثم يفترش سيل العقيق إذا خرج من حوافر عبد الله بن عَنْبَسة ابن سعيد يمنةً ويسرةً ، ويقطعه نهر الوادى ، ثم يستجمع حتى يصب فى زغابة ، انتهى .

ونقل الهجرى أن سيل العقيق إذا أفضى من النقيع أفضى إلى قراره أسفل قاع لا شجَرَ فيه ، وأسفل منه حصير ، ثم يُفْضِى إلى مرج ، ثم إلى المستوجبة ، ثم إلى غدير يقال له ديوا الضرس ، ثم إلى غدير المجاز ، ثم إلى غدير يقال له رواوة ، ثم إلى غدير الطفيتين ، ثم الابنة ، ثم أسفل من ذلك رابوع ، ثم يلقاه وادى بريم فإذا التقيا دفعا فى الحليفة حليفة عبد الله بن أبى أحمد بن جحش ، ثم سطح سيول النقيع والصخرة ومراج وأنفة عند جبل يقال له واسطة المسطح ، ثم يُفْضِى إلى الجبخانة صدقة عباد الزبيرى ، وله دوافع من الحرة مشهورة منها شوظى وروضة الجام ، ثم يُفْضِى إلى حمراء الأسد ، ثم إلى ثنية الشريد ، ثم إلى الشجرة التى بها المحرم ، اهـ .

الفصل الخامس

فى بقية أودية المدينة ، وصدورها ، ومجتمعها ، ومغايضها

وادى بطحان

فمنها وادى بطحان ـ روى ابن شبة والبزار عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن بطحان على ترعة من ترع الجنة » قال ابن شبة : وأما سيل بطحان ـ وهو الوادى المتوسط بيوت المدينة ، أى فى زمنه ـ فإنه يأخذ من ذى الحدر ، والحدر قرارة فى الحرة يمانية من حلبات الحرة العليا حرة معصم ، وهو سيل يفترش فى الحرة حتى يصب على شرقى ابن الزبير وعلى جفاف ومرفية والحساة حتى يُفْضِى إلى فضاء بنى خطمة والأعرس ، ثم يستنُّ حتى يرد الجسر ، ثم يستبطن وادى بطحان حتى يصب فى زغابة .

وسيأتى فى مذينب من رواية ابن زبالة أن بطحان يأتى من الحلابين حلابى مصعب على سبعة أميال من المدينة أو نحو ذلك ، وفى رواية له أن بطحان يأتى من صدر جفاف .

فيتلخص أنه يأتى من الحلابين فيصل أولا إلى وادى جفاف ، ثم إلى

بطحان ، ولهذا استغنى ابن زبالة وغيره ببطحان عن إفراد جفاف بالذكر ، وجعل المطرى ومَنْ تبعه الترجمة لجفاف ، قالوا : ووادى جفاف على موضع فى العوالى شرقى مسجد قباء ، اهـ .

ويفهم من أطراف كلام ابن شبة أن ابتداء وادى بطحان من جسر بطحان ، وذلك بقرب الماجشونية وآخره فى غربى مساجد الفتح ، ويشاركه رانونا فى المجرى من الموضع الذى فى غربى المصلى وما والاه من القبلة ، لأنها تصبُّ فيه كما سيأتى ، والذى يقتضيه كلام غيره أن الماجشونية وتربة صعيب من بطحان .

وادى رانونا

ومنها : رانونا ، ويقال رانون ـ قال ابن شبة : وأما سَيْلُ رانون فإنه يأتى من مقمة فى جبل فى يمانى عير ومن حرس شرقى الحرة ، ثم يصب على قرين صريحه ثم سد عبد الله بن عمرو بن عثمان ، ثم يفترق فى الصفاصف فيصب فى أرض إسماعيل ومحمد ابنى الوليد بالقصبة ، ثم يستبطن القصبة حتى يعترض قباء يمينا ، ثم يدخل غوسا ثم بطن ذى خصب ، ثم يجتمع ما جاء من الحرة وما جاء من ذى خصب ، ثم يقترن بذى صلب ، ثم يستبطن السرارة حتى يمر على قعر البركة ثم يفترق فرقتين ؛ فتمر فرقة على بئر جشم تصب على سكة الخليج حتى تفرغ فى وادى بطحان ، وتصب الأخرى فى وادى بطحان ، اهـ .

وفى رواية لابن زبالة عن عبد الله بن السائب قال : رانونا تأتى من بين سد عبد الله بن عمرو بن عثمان وبين الحرة وتلتقى هى ووادٍ آخر عند الجبل الذى يقال له مقمن أو مكمن .

وقال ابن زبالة : وأما ذو صلب فيأتى من السد ، وأما ذو ريش فيأتى من جوف الحرة ، ثم قال فى رواية أخرى : إن صدر سيل ذى صلب من رانونا ، وصدر رانونا يأتى من التجنيب ، ثم يسكب ذو صلب ورانونا فى سد عبد الله ابن عمرو بن عثمان ، ثم فى ساخطة وأموال العصبة ، ثم فى غوسا ، ثم فى بطحان ،

ثم يلتقى هو وبطحان عند دار الشواترة ، وهى فى عداد بنى زريق ، ويزعمون أنهم من عاملة ، اهـ .

والسد موجود فى تلك الجهة ، ولكنه لا يُضَاف اليوم لعبد الله المذكور ، قال المراغى : والسد لا يعرف اليوم بهذا الاسم ، ولعله المعروف بسد عنتر ؛ لانطباق الوصف عليه ، وساخطة لا تعرف ، ولعلها مزرعة السد ، وغوسا غير معروفة ، ولعله أراد حوسا ـ بالحاء المهملة ـ وهى معروفة بقباء ، ويشرب من رانونا ، ووقع فى الاسم تغيير ، اهـ . وقال نصر : عوسا قريب قباء .

قلت : وقرين صريحه ينطبق وصفه على القرين المعروف اليوم بقرين الصرطة ، وقال المطرى : إن رانونا ينتهى إلى مسجد الجمعة ببنى سالم ، ثم يصب فى بطحان . قال المراغى : الذى رواه ابن زبالة أنه صلى الله عليه وسلم صلى ببنى سالم فى ذى صلب ، لا رانونا ، وأن كلام ابن زبالة السابق يدل على المغايرة بينهما .

قلت : هما وإن افترقا فى بعض الأماكن فينتهيان إلى مجتمع واحد ، ولذا قال ابن شبة : ثم يقترن بذى صلب ، كما سبق ، فيسمى برانونا لمرورها عليه ، ولذا قال ابن إسحاق فى أمر الجمعة : فأدركته فى بنى سالم بن عوف فصلاها فى المسجد الذى فى بطن الوادى وادى رانونا ، فعبر به عن ذى صلب ، بل فيما تقدم عن ابن زبالة أنه يأتى من جَوْف الحرة ، فلعله المعنىُّ بقول ابن شبة : ثم يجتمع ما جاء من الحرة ـ ويعنى بالحرة حرة بنى بياضة لما تقدم فى منازلهم من أن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن عضب بن جشم ابتنى الأطم الذى فى أدنى بيوت بنى بياضة الذى دونه الجسر الذى عند ذى ريش .

وأما السرارة المذكورة فى كلام ابن شبة فتقدم ذكرها أيضا فى منازل بنى بياضة ، فليست هى الحديقة المعروفة اليوم بالسرارة .

وأما بئر جشم فغير معروفة اليوم ، ولعلها مضافة إلى جُشَم بن الخزرج الأكبر ،

كما حدثنى مالك بن عضب ، وهم ببنى بياضة ، وسيأتى ما يرجّحه ، ويحتمل أن تكون مضافة إلى جشم بن الحارث ، ومنازلهم بالسنح ، وهو بعيد .

وادى قناة

ومنها : وادى قناة ـ سمى بذلك لأن تبعا لما غزا المدينة نزل به ، فلما شخص عن منزله قال : هذه قَنَاة الأرض ، فسميت قناة ، وتسمى الشظاة ، وفى القاموس أن هذا الوادى عند المدينة ، أى ما حاذاها منه تسمى قناة ، ومن أعلى منها عند السد أى الذى أحدثته نار الحرة تسمى بالشظاة .

وقال ابن شبة : وادى قناة يأتى من وَجّ أى وج الطائف .

وعن شريح بن هانئ الشيبانى أنه قَدِمَ على عمر بن الخطاب ومعه امرأته أم الغمر فأسلمت ، ففرق بينهما عمر ، فقال : يا أمير المؤمنين ارْدُدْ على زوجتى ، فقال : إنها لا تحل لك إلا أن تسلم ، فنزل شريح بقَنَاة وقال :

ألا يا صاحِبَىَّ ببَطْنِ وَجٍّ ... رَوَادِف لاَ أرَى لَكُمُ مُقَامَا

ألا تَرَيانِ أم الغَمْرِ أمْسَتْ ... قَرِيباً لاَ أُطِيقُ لها كَلاَمَا

فجعل بطن قناة بطن وج لأن السيل يأتى منه .

وقال المدائنى : قناة وادٍ يأتى من الطائف ، ويصب فى الأرخصية وقرقرة الكدر ، ثم يأتى بئر معاوية ، ثم يمر على طرق القدوم فى أصل قبور الشهداء بأحُد

وقال ابن زبالة : إن سيول قَنَاة إذا استجمعت تأتى من الطائف ، قالوا : ومحول أودية العرب قناة وإضم ، أى اللاتى فى مجتمع السيول ووادى نخلة ، وإنما سميت محولا لبعد صدورها وكثرة دوافعها ، ويأتى وادى قناة من المشرق حتى يصل السد الذى أحدثته نار الحجاز المتقدم ذكرها آخر الجناب الثانى ، وتقدم هناك أن هذا الوادى كان قد انقطع بسبب ذلك ، وانحبس السيل حتى صار بحرا مدّ البصرِ عرضا وطولا ، كأنه نيل مصر عند زيادته ، قال المطرى : شاهدته كذلك سنة سبع وعشرين وسبعمائة ، وتقدم أنه انخرق من تحته سنة تسعين وستمائة ، فجرى الوادى سنة ، فملأ ما بين الجانبين ، وسنة أخرى دون ذلك ،

ثم انخرق بعد السبعمائة فجرى سنة أو أزيد ، ثم انخرق سنة أربع وثلاثين وسبعمائة بعد تواتر الأمطار فكثر الماء وجاء سيل لا يُوصَف كثرة ، ومجراه على مشهد سيدنا حمزة ، وحَفَر واديا آخر قبلى الوادى والمشهد . وقبلى جبل عينين فى وسط السيل ، ومكثنا نحو أربعة أشهر لا يقدر أحد على الوصول إليهما إلا بمشقة ، ولو زاد مقدار ذراع فى الارتفاع وصل إلى المدينة ، ثم استقر فى الواديين القبلى والشمالى قريبا من سنة ، وكشف عن عين قديمة قبلى الوادى جَدَّدها الأمير ودى ، وهذا الوادى هو المراد بقوله فى حديث الاستنشاق من رواية الصحيح « وسال وادى قناة شهرا » ويتهى سيل قناة إلى مجتمع السيول ترعا أيضا .

وادى مذينب

ومنها : وادى مذينب ، ويقال : مذينيب ـ قال ابن زبالة عن غير واحد من الأنصار : مذينب شعبة من سيل بطحان ، يأتى مذينب إلى الروضة روضة بنى أمية ، ثم ينشعب من الروضة نحوا من خمسة عشر جزءا فى أموال بنى أمية ، ثم يخرج من أموالهم حتى يدخل بطحان وصدير ، مذينب وبطحان يأتيان من الحلابين حلابى صعب على سبعة أميال من المدينة أو نحو ذلك ، ومصبهما فى زغابة حيث تلتقى السيول ، اهـ .

وقوله « من سيل بطحان » يعنى من أصله من الحلابين كما بينه أخيرا ، وسبق بيان منازل بنى أمية وأن من أموالهم بئر العهن .

وسيأتى عن ابن شبة ما ظاهره المخالفة لهذا ، حيث قال فى مهزور : حتى حلاة بنى قريظة ، ثم يسلك منه شعيب فيأخذ على بنى أمية بن زيد بين البيوت فى وادٍ يقال له مذينب ، ثم يلتقى هو وسيل بنى قريظة بالمشارف فضاء بنى خطمة ، ثم يجتمع الواديان مهزور ومذينب ، فمقتضاه أن مذينب من أصل مهزور ، ولهذا قال المجد : قال أحمد بن جابر : ومن مهزور إلى مذينب شعبة تصبُّ فيه .

قلت : لكن أعلى صدر سيل بطحان ومذينب ومهزور من حرة واحدة ، فيصح تشعب مذينب من كل منهما .

ولهـذا نقل المجد عن أبى عبيدة أن اليهود لمـا نزلوا المدينة نزلوا بالسافلة ، فاستوبؤها ، فبعثوا رائداً إلى العالية ، فرأى بطحان ومهزورا يهبطان من حرة ينصبُّ منهما مياه عذبة ، فرجع فقال : وجدت بلداً طيبا وأودية تنصب إلى حرة عذبة ، فتحولوا ؛ فنزل بنو النضير على بطحان ، وقريظة على مهزور ، اه . مع أن الذى تقدم فى المنازل أن بنى النضير نزلوا بمذينب ، ومنازلهم النواعم ، فمن أطلق نزولهم على بطحان راعى اتحاد الأصل وأن مذينب يصب فى بطحان أيضا ، كان فى زماننا يشق فى الحرة الشرقية قبلى بنى قريظة ، ويمر فى وسط قرية قديمة كانت شرقى العهن والنواعم ، ويتشعب فى تلك الأموال ، ويخرج ما فَضَل منه من الموضع المعروف بنقيع الرديدى ومن الناصرية ، فيصب فى الوادى الذى يأتى من ضفاف شرقى مسجد الفضيخ ، حتى يأتى الفضاء الذى عند بؤور النورة خلف الماجشونية فتلقاه هناك شعبة من مهزور ، ثم يصبان جميعا فى بطحان .

وقال المطرى : مذينب شرقى جفاف ، يلتقى هو وجفاف فوق مسجد الشمس ، ثم يصبان فى بطحان ، ويلتقيان مع رانونا ببطحان ، فيمران بالمدينة غربى المصلى ، اه . ومراده جفاف أصل مسيل بطحان .

وادى مهزور

ومنها : مهزور ـ نقل ابن زبالة أنه يأتى من بنى قريظة ، ثم قال فى هذه الرواية ما لفظه : وأما معجب فيأتى سيله ، وكان يمر فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم ، وقالت الأنصار : إنما الذى يمر فى المسجد مهزور ، ولم يبين أصل سيل معجب ، وكذا ابن شبة ، فقال : وأما بطن مهزور فهو الذى يتخوف منه الغرق على أهل المدينة فيما حدثنا به بعض أهل العلم ، ثم ذكر رواية ابن زبالة السابقة .

وقال ابن زبالة عقب ما تقدم عنه فى مذينب ، مالفظه : وسيل مهزور وصدره من حرة سوران ، وهو يصب فى أموال بنى قريظة ، ثم يأتى بالمدينة فيسقيها ، وهو السيل الذى يمر فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يسكب فى زغابة ، ويلتقى هو وبطحان بزغابة حيث تلتقى السيول ، اه .

واجتماعه فى بطحان بزغابة من مَجْرَى قناة ، ولهذا قال ابن شبة : وسيل مهزور يأخذ من الحرة من شرقيها ومن هكر ، وحرة صفة ، حتى يأتى أعلى حلاة بنى قريظة ، ثم يسلك منه شعيب فيأخذ على بنى أمية بن زيد بين البيوت فى وادٍ يقال له مذينب ، ثم يلتقى وسيل بنى قريظة بفَضَاء بنى خطمة ، ثم يجتمع الواديان جميعا مهزور ومذينب فيتفرقان فى الأموال ويدخلان فى صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها إلا مشربة أم إبراهيم ، ثم يُفْضِى إلى السورين على قصر مروان بن الحكم ، ثم يأخذ بطن الوادى على قصر بنى يوسف ، ثم يأخذ فى البقيع حتى يخرج على بنى حديلة ، والمسجد ببطن مهزور ، وآخره كومة أبى الحرة ، ثم يمضى فيصبُّ فى وادى قناة ، انتهى .

ومقتضاه أن الشعبة التى تجتمع من مهزور بمذينب بالفضاء المذكور تسقى بعد ذلك ، فكأنها صرفت عن جهة الصدقات إلى بطحان ، أو أن كلامه مُؤوَّل ؛ لأن المعروف اليوم أن الشعبة التى تلقى مذينب من مهزور تصبُّ بعد اجتماعهما فى بطحان كما سبق ، والذى يسقى ماذكر من الصدقات ويمر بالبقيع إنما هو شعبة أخرى من مهزور ، ولا تجتمع بمذينب ، بل تمر على الصافية وما يليها من الصدقات ، ثم تغشى بقيع الغرقد والنخيل التى حوله خصوصاً الجزع المعروف بالحضارى ، فاتخذ لذلك شيخ الحرم الزينى مرجان التقوى حفظه الله تعالى طريقاً إلى بطحان ، وحفر له مجرى من ناحية الصدقات ، فصارت الشعبة المذكورة تصب أيضاً فى بطحان ، ولا تمر بالبقيع ، ولم يتعرض ابن شبة للشعبة التى تشق من مهزور إلى العريض وهو معظمه بسبب السد المبنى هناك ، وقد اقتصر عليها المطرى فقال : مهزور شرقى العوالى ، شمالى مذينب ، ويشق فى الحرة الشرقية إلى العريض ، ثم يصب فى وادى الشظاة .

قال الزين المراغى عقب نقلهِ : وكأن حَرَّةَ شوران أى المذكورة فى كلام ابن زبالة هى الحرة الشرقية .

وقال ابن شبة : وكان مهزور سال فى ولاية عثمان رضى الله تعالى عنه سيلا عظيما على المدينة خيف على المدينة منه الغرق ، فعمل عثمان الردم الذى عند بئر مدرى ليرد به السيل عن المسجد وعن المدينة .

وذكره ابن زبالة فقال : وأما الدلال والصافية فيشربان من سَرْح عثمان ابن عفان الذى يقال له مدرى الذى يشق من مهزور فى أمواله ويأتى على أريس وأسفل منه حتى يتبطن الصورين، فصَرَفَه مخافة على المسجد فى بئر أريس، ثم فى عقد أريم ثم فى بَلْحَارث بن الخزرج ، ثم صرفه إلى بطحان ، انتهى .

وقال ابن شبة عقب ما تقدم : ثم سال وعبدُ الصمد بن على وال على المدينة فى خلافة المنصور سنة ست وخمسين ومائة ، فخيف منه على المسجد فبعث إليه عبدُ الصمد عبيد الله بن أبى سلمة العمرى ، وهو على قضائه ، ونَدَبَ الناس فخرجوا إليه بعد العصر ـ وقد طغي وملأ صدقات النبي صلى الله عليه وسلم ـ فدلوا على مصرفه ، فحفروا فى برقة صدقة النبي صلى الله عليه وسلم ، فأبْدَوْا عن حجارة منقوشة ففتحوها فانصرف الماء فيها وغاض إلى بطحان . دلهم على ذلك عجوز مُسِنة من أهل العالية، قالت : إنى كنت أسمع الناس يقولون : إذا خيف على القبر من سيل مهزور فاهدِموا من هذه الناحية ، وأشارت إلى القبلة ، فهدمها الناسُ فأبْدَوْا عن تلك الحجارة ، انتهى .

وذكره ابن زبالة مع مخالفة في التاريخ فقال : وفى ليلة الأربعاء هلال المحرم سنة ثمان وخمسين ومائة فى إمارة عبد الصمد لما أصيب المسجدُ بتلك الغَرْقَةِ استغاث الناسُ على سيل مهزور مخافة على القبر ، فعمل الناس بالمَساحى والمَكاتل والماء فى برقة إلى أنصاف النخل ، فطلعت عجوز من أهل العالية فقالت : أدركتُ الناسَ يقولون : إذا خيف على القبر فاهدموا من هذه الناحية ، يعنى القبلة ، فدار الناسُ إليها فهدموا وأبْدَوْا عن حجارة منقوشة ، فعدل الماء إلى هذا الموضع اليوم وأمِنُوا ، وهى الليلة التى هدمت فيها بيوت بطحان و بنى جشم ، انتهى .

ونقله المراغى إلا أنه قال كما رأيته بخطه : وأبدوا حجارة منقوشة ، وضبط

الباء بالتشديد ، والذى فى كلام ابن زبالة وابن شبة ماقدمته ، قال المراغى عقبه : و بنو جشم لاتعرف ، و إنما المعروف دشم ـ بالدال ـ بستان شامى مسجد الفعلة على نحو رميتى سهم منه ، فلعلها منازلهم ، ووقع فى الاسم تغيير .

قلت : والظاهر أن المراد منازل بنى جشم بن الحارث بالسنح لقربها من بطحان ، فطغى الماء إليها لما صَرَفُوه .

قضاؤه بين رجل من الأنصار والزبير

تتمـــة

فيما قضى به النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه الأودية

روينا فى الصحيحين وغيرهما عن عبد الله بن الزبير أن رجلا من الأنصار خاصَمَ الزبير فى شراج الحرة التى يَسْقُونَ بها النخل ، فقال الأنصارى : سرح الماء يمر ، فأبى عليه ، فاختصما عند النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير : اسْقِ ياز بير ثم أرسِلِ الماء إلى جارك ، فغضب الأنصارىُّ ، فقال : أنْ كانَ ابنَ عمتك ؟ فتَلَوَّنَ وجهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : اسْقِ ياز بير ثم احْبِسِ الماء حتى يرجع إلى الجدر .

وفى رواية للبخارى : حتى يرجع الماء إلى الجدر ، فكان ذلك إلى الكعبين ، وفي أخرى له : كان النبى صلى الله عليه وسلم أشار على الزبير برأى فيه سَعة ، فلما أحْفظَ الأنصارى النبىَّ صلى الله عليه وسلم ـ أى أغضبه ـ استوفى للزبير حقه فى صريح الحكم .

والجدر قيل : أصل الشجرة ، وقيل : جدور المشارب التى يجتمع فيها الماء فى أصول النخل ، وقيل : المسحاء وهو ما وقع حول المزرعة كالجدار ، وقال ابن شهاب : قدرت الأنصارُ والناسُ ماقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ذلك إلى الكعبين .

قضاؤه فى سيل مهزور

وفى سنن أبى داود عن ثعلبة بن أبى مالك أنه سمع كُبَرَاءهم يذكرون أن رجلا من قريش كان له سهم من بنى قريظة ، فخاصم إلى النبى صلى الله عليه

وسلم فى مهزور السيل الذى يقسمون ماءه ، فقضى بينهم رسول الله صلي الله عليه وسلم أن الماء إلى الكعبين لايحبس الأعلى على الأسفل .

وفى رواية له : قضى فى السيل المهزور أن يمسك حتى يبلغ الكعبين، ثم يرسل الأعلى على الأسفل ، كذا قال فى « السيل المهزور » والمشهور كما قال السبكى « فى سيل المهزور » .

وفى الموطأ أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى سيل مهزور ومذينب : يمسك حتى الكعبين ، ثم يرسل الأعلى على الأسفل .

وروى ابن شبة : قَضَى فى سيل مهزور أن يمسك الأعلى على الأسفل حتى يبلغ الكعبين والجدر ، ثم يرسل الأعلى على الأسفل ، وكان يسقى الحوائط .

وعن جعفر قال : قضَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى سيل مهزور أن لأهل النخيل إلى العقيق ، ولأهل الزرع إلى الشراكين ، ثم يرسلون الماء إلى مَنْ هو أسفل منهم .

وهو صريح فيما قاله المتولى والماوردى من أن التقدير بالكعبين ليس على عموم الأزمان والبلدان والزرع والشجر ؛ لأن الحاجة تختلف ، ولم يقف السبكى على هذه الرواية فقال : وهو قوى ، والحديث واقعة حال ، ولولا هَيبَة الحديث لكنت أختاره .

خاتمـــة

فى مجتمع الأودية ومَغَائضها

مجتمع سيول العالية

قال الزبير : ثم يلتقى سيل العقيق ورَانُونَا بوادٍ آخرَ وذى صلب وذى ريش وبطحان ومعجف ومهزور وقناة بزغابة ، وسيولُ العَوَالى هذه يلتقى بعضها ببعض قبل أن يلتقى العقيق ثم يجتمع ، فيلتقى العقيق بزغابة .

قلت : والحاصلُ أن سيول العالية ترجع إلى بطحان وقَنَاة ، ثم تجتمع مع العقيق بزغابة عند أرض سعد بن أبى وقاص كما صرح ابن زبالة .

قال الزبير : وذلك أعلى وادى إضم ، وفيه يقول إسحاق الأعرج :

غَشِيتُ ديارًا بأعلى إضَمْ محاها البِلَى واختلافُ الدَّيَمْ

قال الهجرى : سمى إضم لانضمام السيول به واجتماعها فيه ، وقال ابن شبة : تجتمع هـــذه الأودية بزغابة ، وهو بطرف وادى إضم ، سمى بإضم لانضمام السيول به .

قلت : ويسمى اليوم بالضيقة ، ويسمى زغابة بمجتمع السيول ، ولهـذا أورد الزبير هنا حديث أن النبى صلى الله عليه وسلم « رَكِبَ إلى مجتمع السيول فقال : ألا أخبركم بمنزل الدجال من المدينة ـ الحديث » .

قال الزبير : ثم تمضى هذه السيول إذا اجتمعت فتنحدر على عين أبى زياد والصورين فى أدنى الغابة، ثم تلتقى هذه السيول فى وادى نقمى ووادى نعمان أسفل من عين زياد ، ثم تنحدر هـذه السيول فتلقاها سيول الشعاب من كنفيها ، ثم يلقاها وادى ملك بذى خشب وظلم والجنينة ، ثم يلقاها وادى ذى أوان ودوافعه من الشرق ، ويلقاها من الغرب وادٍ يقال له بواط والحزار ، ويلقاها من الشرق وادى الأثمة ، ثم تمضى فى وادى إضم حتى يلقاها وادى برمة الذى يقال له ذوالبيضة من الشام ، ويلقاها وادى ترعة من القبلة ، ثم يلتقى هو ووادى العيص من القبلة ، ثم يلقاه دوافع وادٍ يقال له حجر ووادى الجزل الذى به السقيا والرحبة فى نخيل ذى المروة مغربا ، ثم يلقاه وادى عمودان فى أسفل ذى المروة ، ثم يلقاه وادٍ يقال له سفيان حين يُفْضِى إلى البحر عند جبل يقال له أراك ، ثم يدفع فى البحر من ثلاثة أودية يقال لهـا اليعبوب والنقيحة وحقيب ، وذكر ابن شبة نحوه، وكذا الهجرى .

وقال المطرى : إن السيول تجتمع بدومة ســـيل بطحان والعقيق والزغابة والنقمى وسيل غراب من جهة الغابة فيصير سيلا واحدا ويأخذ فى وادى الضيقة إلى إضم جبل معروف، ثم إلى كرى من طريق مصر ويصب فى البحر ، انتهى .

وفيه أمور : الأول : جعله مجتمع السيول برومة ، وإنما مجتمعها بزغابة كما سبق ، وذلك أسفل من رومة غربى مشهد سيدنا حمزة كما قاله الهجرى ، وهو أعلى وادى إضم ، ومأخذ المطرى قول ابن إسحاق فى غزوة الخندق : أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع السيول من رومة بين الجرف وزغابة ، وهو مخالف لما سبق .

الثانى : جعله لزغابة سيلا ينصب لرومة ، ورومة هى التى تنصب إلى زغابة .

الثالث : جعله النقمى مما يجتمع مع السيول برومة ، مع أنه المعبر عنه فيما سبق بنقمى ، وإنه يجتمع مع السيول بالغابة .

الرابع : جعله لغراب سيلا يجتمع برومة ، ولم أقف له على مستند ، وغراب جبل فى تلك الجهة على طريق الشام .

الخامس : جعله إضَمَ اسم جبل ، ومغايرته بينه وبين وادى الضيقة ، خلاف ما تقدم ، واختلف اللغويون فى أن إضم اسم لموضع أو جبل هناك ، والظاهر أنه اسم للجبل ووادية .

الفصل السادس

فيما سمى من الأحماء ، ومَنْ حماها ، وشرح حال حمى النبى صلى الله عليه وسلم

معنى الحمى

والحمى ، لغةً : الموضع الذى فيه كلأٌ يُحْمَى ممن يرعاه ، وشرعاً : موضع من المَوَات يمنع من التعرض له ليتوفر فيه الكلأ فترعاه مواشٍ مخصوصة . وهو بالقصر ، وقد يمد ، ويكتب المقصور بالألف والياء ، قال الأصمعى : الحما حِمَيَان : حمى ضَرِيَّة ، وحمى الرَبَذَة ، وكأنه أراد المشهور من الحمى بنجد ، قال صاحب المعجم : ووجدت أنا حمى فيد ، وحمى النير ، وحمى ذى الشرى ، وحمى النقيع .

حمى النقيع

قلت : وهى عدا النقيع بنجد ، وهى متقاربة ، بل سيأتى ما يؤخذ منه دخول النير فى حمى ضرية . والنقيع بالنون المفتوحة والقاف المكسورة والياء التحتية

الساكنة والعين المهملة على الصحيح المشهور ، وهو كل موضع يستنقع فيه الماء ، وبه سمى هذا الوادى . وحكى عياض عن أبى عبيد البكرى أنه بالباء كبقيع الغَرْقَد ، قال : ومتى ذكر دون إضافة فهو هذا .

قلت : الذى نقله السهيلى عن أبى عبيد أنه بالنون ، قال عياض : وأما الحمى الذى حَمَاه النبى صلى الله عليه وسلم ثم الخلفاء الأربعة فهو الذى يضاف إليه غور النقيع ، وفى حديث آخر « أتى بقدح لبن من النقيع » . وحمى النقيع على عشرين فرسخاً من المدينة ، وهو صَدْرُ وادى العقيق ، وهو أخصب موضع هناك ، وهو ميل فى بريد ، فيه شجر ، ويستأجم حتى يغيب فيه الراكب ، فاختلف الرواة وأهل المعرفة فى ضبطه: فوقع عند أكثر رواة البخارى بالنون، وذكر نحو ماتقدم، وهو موافق فى ذكر المسافة لأبى على الهجرى ، وقد تقدم عنه أنه ينتهى إلى حضير ، وأن العقيق يبتدىء من حضير ، ولعل المراد من رواية ابن شبة فى أن النقيع على أربعة بُرُدٍ من المدينة طرفه الأقرب إليها ، ومراد الهجرى طرفه الأقصى .

وقال نصر : النقيع قرب المدينة كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، حَمَاه ، وهو من ديار مزينة ، وهو غير نقيع الخضمات ، وكلاهما بالنون ، وأما الباء فيهما فخطأ صُرَاح .

وقال الهجرى : الطريق إلى الفرع وسيارة وسنانة والصابرة والقرنين جند والأكحل وأموال تهامة ؛ تعترض النقيع يساراً للخارج من المدينة ، وبعض الناس يجعلها إلى مكة ، وهى طريق التهمة .

ونقل أيضاً أن أول الأحماء وأفضلها وأشرفها ما أحمى النبي صلى الله عليه وسلم من النقيع ، أحماه لخيل المسلمين وركابهم ، فلما صلى الصبح أمر رجلا صَيِّتاً فأوفى على عسيب وصاح بأعلى صوته ، فكان مَدَى صوته بريدا ، ثم جعل ذلك حمى

طولُه بريد وعرضُه الميل فى بعض ذلك وأقل ، وذلك فى قاع مدر طيب ينبت أحرار البقل والطرائف ويستأجم - أى يستأصل أصله ويغلظ نبته حتى يعود كالأجمة - يغيب فيه الراكب إذا أحيا ، وفيه مع ذلك كثير من العِضَاهِ والغَرْقد والسَّدْر والسَّيَال والسَّلَم والطَّلْح والسَّمُر والعَوْسج ، ويحف ذلك القاع الحرة حرة بنى سليم شرقاً ، وفيها رياض وقيعان ، ويحف ذلك القاع من غربيه الصخرة ، وفى غربيه أيضاً أعلام مشهورة مذكورة : منها برام ، والوائدة ، وضـــاف ، والشقراء ، وببطن قاع النقيع فى صير الجبل غُدُر تضيف ، فأعلاها يراجم ، ثم ألبَن ، وبعضهم يقول : يَلْبَن ، وهو أعظمهما وأذكرهما .

وفى سنن أبى داود بسند حسن عن الصَّعْب بن جَثَّامة أن النبى صلى الله عليه وسلم حمى النقيع وقال « لا حِمَى إلا لله » .

وفى رواية له : « لا حمى إلا لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم » من غير ذكر حمى النقيع كما فى الصحيح ، ورواه الزبير بلفظ الرواية الأولى ، وزاد « ولرسوله » وسنده حسن .

وروى أحمد بسند فيه عبد الله العمرى - وهو ثقة ، وإن ضعَّفه جماعة ، وقال الذهبى : إنه حسن الحديث - عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم حمى النقيع للخيل ، فقلت له : لخيله ؟ قال : لخيل المسلمين .

وفى رواية لابن شبة عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم حَمَى قاع النقيع لخيل المسلمين .

وفى رواية أخرى أن النبى صلى الله عليه وسلم حمى النقيع للخيل ، وحمى الربذة للصدقة ، وفى الكبير للطبرانى ، برجال الصحيح عن ابن عمر قال : حَمَى النبى صلى الله عليه وسلم الربذة لإبل الصدقة .

وروى ابن شبة فى ترجمة ما جاء فى النقيع بسند جيد عن رجاء بن جميل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حَمَى وادىَ نخيل للخيل المُضَمَّرة ، وهى تقضى أن

النقيع تسمى بذلك ، ولم أر من صرح به ، نعم تقدم فى الفصل الثالث قول ذؤيب الأسلمى فى عرصة العقيق :

* طاف من وادى دجيل *

الأبيات وهو بالدال فى عدة نسخ ، والذى فى نسخة ابن شبة بالباء بدل الدال ، ولعله تصحيف ، فيكون ذلك اسماً للنقيع ، ويؤيده قول مصعب الزبيرى يتشوق إلى رومة من العقيق فى أبيات :

أعِرْنِي نظرةً بقرى دجيل ... نخائلها ظلاماً أو نهارا

فقال: أرى برومة أو بسَلْعٍ ... منازلَهَا مُعَطَّلة قفَارا

وروى الزبير بن بكار عن مراوح المزنى قال : نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنقيع على مقمل وصليب ، وقال فى حمى النقيع : « نِعْمَ مَرْتَعُ الأفراس ، يُحْمى لهن ، ويجاهد بهن فى سبيل الله » وحَماه ، واستعملنى عليه .

وعن غير واحد من الثقات عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه « صَلّى على مقمل ، وحماه وما حوله من قاع النقيع لخيول المسلمين » ثم زادت بنو أمية بعد والأمراء أضعافَ ما حَمَى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنقيع .

وعن محمد بن هيصم المزنى عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أشرف على مقمل طرف وسط النقيع ، فصلى عليه ، فمسجده هنالك » .

قال ابن هيصم عن أبيه : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى ، وقال : إنى مُسْتَعْمِلُكَ فى هذا الوادى ، فما جاء من ههنا وههنا ـ يشير نحو مطلع الشمس ومغربها ـ فامْنَعْهُ ، فقال : إنى رجل ليس لى إلا بنات ، وليس معى أحد يعاوننى ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل سيرزقك ولداً ، ويجعل لك ولياً » قال : فعمل عليه ، وكان له بعد ذلك ولد ، فلم تزل الوُلاَة يولون عليه والياً منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يستعمله والى المدينة ، حتى كان داود بن عيسى فنزله سنة ثمان وتسعين ومائة ، وإنما تركه داود

لأن الناس جَلَوْا عنه للخوف ذلك الزمان ، فلم يبق فيه أحد يستعمله عليه ، قال الزبير : وربما كَتَب إلىّ عبدُ الله بن القاسم وهو فى ماله بنعف النقيع يقول لى: إن ناساً عندنا بالنقيع قد عاثُوا فى حِمَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكلم الأمير يكتب فى التشديد فيه .

وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم « صَلى فى موضع مسجده على موضع مقعل ثم بعده إلى ما بينه و بين يلبن من قاع النقيع » .

وقال : فحمى لأفراس تغدو وتروح فى سبيل الله ، ومد رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ، وقارَبَ بينهما ، ولم يضمهما ، وحَمَاه ، واستعمل عليه جد أبى الحليس ، فقال : يا رسول الله ، أولادى النساء ، وليس معى غناء ، قال : فقم بهن معك فاردُدْ ما جاء من الحرة فى الحرة ، واردد ما جاء من الصحرة فى الصحرة ، قال يعقوب المزنى : ثم تزايَدَ الناسُ بعدُ فى الحمى ، فحموا ما بين تراجم إلى يلبن ، واتخذوا المرابد يحبسون فيها ما رعى الحمى من الإبل ، حتى رأيت بعضها يأكل دبر بعض ، قال الزبير : وقال لى : لقد رأيتُ لأبيك أكثرَ من ثلاثة آلاف شاة بالنقيع ، وهو إذ ذاك أمير المدينة ، ما يرعى رعاؤه منها شيئاً فى الحمى ، حتى يكتمل العشب ويبلغ نهايته ، فيرسل عامل الحمى صائحاً يصيح فى الناس يُؤذنهم باليوم الذى يأذن لهم يرعون الحمى ، فيسرع فيه رعاء أبيك والناس يداً واحدة كفَرَسَىْ رِهانٍ .

حكم الحمى

قلت : مقتضاه جواز رَعْى الحمى للناس إذا استووا فيه، وهو مخالف لمذهبنا ؛ إذ لا يَدْخُله سوى العاجز عن النُّجْعَة من الناس .

قال الشافعى : قوله صلى الله عليه وسلم : « لا حمى إلا لله ورسوله » يحتمل معنيين :

أحدهما : ليس لأحد أن يحمى للمسلمين غير ما حمى صلى الله عليه وسلم ؛ فلا يكون لوالٍ أن يحمى .

والثانى : أنه لا يحمى إلا على مثل ما حمى رسول الله صلى الله عليه وسلم فللخليفة أن يحمى على مثل ما حمى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والثانى هو أظهر القولين ، وهو قول الأزهرى ، وقال : يعنى للخيل التى تُرْكَبُ فى سبيل الله ، وقيل : معناه ليس لأحد أن يحمى لنفسه إلا النبى صلى الله عليه وسلم ، فإن ذلك من خصائصه ، وإنْ لم يقع منه ، ولو وقع لكان من مصالح المسلمين ؛ لأن مصلحته مصلحتهم .

وقال فى الأم : كان الرجل العزيز من العرب إذا استنجع بلدا مُخْصِباً أوْفَى بكلبٍ على جَبَل إن كان أو نَشَز إن لم يكن جبل ، ثم استَغْواه ووقف له من يسمع منتهى صوته ، فحيث بلغ صوتُه حَمَاه من كل ناحية ، ويرعى مع العامة فيما سواه ، ويمنع هذا من غيره لضعفى سائمته ، وما أراد قربه منها ؛ فيرى أن قوله صلى الله عليه وسلم والله أعلم « لا حمى إلا لله ولرسوله » لا حمى على هذا المعنى الخاص ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم إنما كان يحمى إن شاء لمصالح عامة المسلمين ، لا لما حمى له غيره من خاصة نفسه ، وذلك أنه لم يملك إلا ما لا غنى به و بعياله عنه ، وصير ما ملكه الله من خمس الخمس مردوداً فى مصلحتهم ، وماله ونفسه كان مفرغا فى طاعة الله .

حمى أبى بكر وعمر

قال : وقد حمى بعده عمر رضى الله تعالى عنه أرضاً لم يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حماها ، وقال غيره : حمى أبو بكر رضى الله تعالى عنه ، وحمى عمر الشرف ، قيل : والربذة ، وقيل : حماها أبو بكر ، وقيل : النبى صلى الله عليه وسلم ، ولعله حمى بعضها ثم زاد كل منهما بعده فيها شيئاً .

وسيأتى عن الهجرى أن عمر أول ما أحمى بضرية ، وأن عثمان زاد فيه .

وما حماه رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجوز تغييره بحال ، بل ينسحب عليه حكم الحمى و إن زالت مَعَالِمه على الأصح ، بخلاف حمى سائر الأئمة ، قال

الشافعى : ويكره أن يقطع الشجر بالمدينة ، وكذا بوجّ من الطائف ، وكذا بكل موضعٍ حَماه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والموضع الذى حماه رسول الله صلى الله عليه وسلم لا شك فيه بالنقيع ، وأما الصيد فلا يكره فيه ، انتهى .

والمراد بالكراهة هنا كراهة التحريم .

وروى ابن عبد البر أن عمر رضى الله تعالى عنه بلغه عن يَعْلَى بن أمية — ويقال : أمينة ، وكان عاملا على اليمن — أنه حمى لنفسه ، فأمره أن يمشى على رجليه إلى المدينة ، فمشى أياماً إلى صَعْدة ، فبلغه موت عمر ، فركب .

وروى الشافعى وغيره أن عمر استعمل مولاه هنيا على الحمى ، فقال له : ياهنى ضم جناحك للناس ، واتّقِ دعوة المظلوم فإن دعوة المظلوم مُجابة ، وأدخل رب الصريمة والغنيمة ، وإياك ونَعَم ابن عفان وابن عوف ، فإنهما إن تهلِكْ ماشيتُهما يرجعا إلى نخل وزرع ، وإن رب الغنيمة يأتينى بعياله فيقول : يا أمير المؤمنين ، يا أمير المؤمنين ، أفتاركهم أنا لا أبالك ؟ فالماء والكلأ أهون علىّ من الدنانير والدراهم ، ألا وايم الله لعلىّ ذلك ، إنهم ليرون أنى قد ظلمتهم ، إنها لَبِلادهم قاتلوا عليها فى الجاهلية وأسلموا عليها فى الإسلام ، ولولا المال الذى أحمل عليه فى سبيل الله ماحميتُ على المسلمين من بلادهم شبرا .

قال الشافعى : وإنما نسب الحمى إلى المال الذى يحمل عليه فى سبيل الله لأنه كان أكثر ماعندهُ مما يحتاج إلى الحمى .

وعن مولى لعثمان بن عفان أنه كان معه فى ماله بالعالية فى يوم صائف ، إذ رأى رجلا يسوق بَكْرَيْنِ ، وعلى الأرض مثل الفراش من الحر ، فقال : ما على هذا لو أقام بالمدينة حتى يبرد ثم يروح ، انظروا مَنْ هذا ، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب ، فقلت : هذا أميرُ المؤمنين ، فقام عثمان فأخرج رأسه من الباب ، فإذا لفحُ السَّموم ، فأعاد رأسه حتى حاذاه فقال : ما أخرجك هذه الساعة ؟ فقال : بَكْرَان

من إبل الصَّدَقه تخلفا فأردت ألحقهما بالحمى ، وخشيت أن يضيعا فيسألنى الله عنهما ، فقال عثمان : هَلُمَّ إلى الماء والظل ونكفيك ، فقال : عُدْ إلى ظلك ، ومَضَى ، فقال عثمان : مَنْ أحَبَّ أن ينظر إلى القوى الأمين فلينظر إلى هذا ، فعاد إلينا فألقى نفسه .

وفى الموطأ عن يحيى بن سعيد أن عمر رضى الله تعالى عنه كان يحمل فى العام الواحد على أربعين ألف بعير ، يحمل الرجل إلى الشام على بعير ، ويحمل الرجلين إلى العراق على بعير .

وعن مالك قال : بلغنا أن الخيل التى أعَدَّها عمر رضى الله تعالى عنه ليحمل عليها فى الجهاد ومَنْ لا مركوب له عدتها أربعون ألفا .

وروى بعضهم أن عمر رضى الله تعالى عنه رأى فى رَوْثِ فرسِهِ شعيرا فى عام الرَّمادة ، فقال : لأجعلن له من عرر النقيع ما يكفيه .

وفى رواية « المسلمون لا يشبعون والشعير فى رَوْثك ، لتعالجن عرر النقيع » قال الخطابى : العرر نبت ينبته الثمام .

وقال عبد الرحمن بن حسان فى قاع النقيع :

أرقْتُ لبرق مستطير كأنه ... مصابيح تخبو ساعة ثم تَلْمَحُ
يضىء سَنَاه لى سروراً ووَدْقُهُ ... بقاع النقيع أو سَنَا البرق أبْرَحُ

وقال كُثَيِّر بن عبد الرحمن :

فَهَلْ أرَيَنْ كما قد رأيتُ ... لعزَّةَ بالنعف يوماً حُمُولاَ
بقاع النقيع بصَحْن الحمى ... يُبَاهين بالرقم غيما مخيلا

وقال عبد العزيز بن وديعة المزنى :

ولنا بقدس فالنقيع إلى اللِّوَى ... رَجْع إذا لهث السبىّ الواقع
وادٍ قرارةُ ماؤه ونبـــاته ... يرعى المخاض به ووادٍ فارعُ
سعد يحرر أهلنـــا بفروعه ... فيه لنا حِرْزٌ وعَيْش رافع

وقال أبو سلمى :

لنا منزلان مؤلف الماء مونق كريم ، ووادٍ يحدر الماء قارع
ودار ان دار يرعد الرعد تحتها ودار بها ذات السلم فرابع

وهذا وماقبله يشير إلى ما سبق فى العقيق من أن صدوره مادفع فى النقيع من قدس وماقبل من الحرة وما دبر ، فهو يصب فى الفرع .

وقال أبو قطيفة :

ليت شعرى وأين منى لَيْتٌ أَعَلَى العهدِ يَلْبن فَبَرَامُ[1]
أم كعهدِى النقيعُ أم غَيَّرته بعدنا المُعْصِرَات والأيام

وقال عبد الله بن قيس الرقيات :

أزجرت الفؤاد منك الطروبا أم تصابَيْتَ إذ رأيت المشيبا
أم تذكرت آل سلمة إذ حَلُّوا رياضا من النقيع ولوبا
ثم لم يتركوا على ماء عمق للرجال الورّاد منهم قلوبا

الفصل السابع

فى شرح حال بقية الأحماء ، وأخبارها .

حمى الشرف

منها : الشرف ، حماه عمر رضى الله تعالى عنه ، وليس هو شرف الروحاء ، بل موضع بكبد نجد .

قال نصر : الشرف كبد نجد ، وقيل : وادٍ عظيم تكتنفه جبال حمى ضرية والظاهر أنه مُرَاد مَنْ غاير بينه و بين حمى ضرية والربذة .

قال الأصمعى : الشرف كبد نجد ، وكانت منازل بنى آكل المُرَار ، وفيها

---

(١) يلبن — بفتح الياء المثناة تحت وسكون اللام ثم باء موحدة مفتوحة ثم نون — غدير بنقيع الحمى ، وبرام بفتح الباء الموحدة أوله ، وقد تكسر — جبل من أعلام النقيع اهـ .

اليوم حمى ضرية ، وفى أول الشرف الرَّبَذَة ، وهى الحمى الأيمن ، والشريف إلى جَنْبه يفصل بينهما السرير ، فما كان مُشْرِقاً فهو الشريف ، وما كان مغربا فهو الشرف ، انتهى .

ويحتمل أن المراد بقولهم « حمى الشرف والربذة » حمى ضَرِية والربذة لما سيأتى فى حمى ضَرِيَّةَ أنه كان يقال لعامله عامل الشرف ، ولم يفرد الهجرى فى أحماء نجد الشرف ، ولم يبين له محلا ، وإنما ذكر الربذة وضرية مع ماسيأتى فيهما.

وقال الأصمعى : كان يُقَال : من تَصَيَّفَ الشرف ، وتربَّعَ الحزم ، وشَتَّى الصمَّان ؛ فقد أصاب المرعى .

حمى الربذة

ومنها : حمى الرَّبَذَة ـ قرية بنجد من عمل المدينة ، على ثلاثة أيام منها ، قاله المجد ، وفى كلام الأسدى مايقتضى أنها على أربعة أيام ، قال المجد : وكان أبوذَر الغفارى خرج إليها مُغَاضباً لعثمان رضى الله تعالى عنهما ، فأقام بها إلى أن مات ، وتقدم قول الأصمعى إنها فى الشرف وإنها الحمى الأيمن ، وقال نصر : هى من منازل الحاج بين السليلة والعقيق ، أى الذى بذات عرق .

وفى تاريخ عبيد الله الأهوازى أنها خَرِبَتْ فى سنة تسعَ عشرة وثلمائة ؛ لاتصال الحروب بين أهلها وأهل ضرية ثم استأمَنَ أهل ضريَّة إلى القَرَامطة ، فاستنجدوهم عليهم ، فارتحل أهلُ الرَّبَذَة عنها فخربت ، وكانت أحسن منزل بطريق مكة .

وقال الأسدى : الرَّبَذَة لقوم من ولد الزبير ، وكانت لسعد بن بكر من فَزَارة ، ووصف ما بها من البرك والآبار ، وقال : إن بها بئرا تعرف ببئر المسجد بئر أبى ذر الغفارى .

وتقدم أن النبى صلى الله عليه وسلم حَمَى الربذة لإبل الصدقة ، وقيل : أبو بكر ، وقيل : عمر ، وهو المشهور .

وروى ابن أبى شيبة بإسناد صحيح عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن عمر حمى الربذة لنعم الصدقة ، ولهذا نقل الهجرى عن جماعة أن أول من أحمى الحمى

بالربذة عمر بن الخطاب لقصاص الصدقة ، وأن سَعَة حماه الذى أحمى بريد فى بريد ، وأن سُرَّة حمى الربذة كانت الحرة ، ثم زاد الوُلاَة بعدُ فى الحمى ، وآخر من أحماه أبو بكر الزبيرى لنَعَمِه ، وكان يرعى فيه أهلُ المدينة ، وكان جعفر بن سليمان فى عمله الأخير على المدينة أحماه لظهره بعدَ ما أبيحت الأحماء فى ولاية المهدى ، ثم لم يَحْمِه أحد منذ عزل بكار الزبيرى .

وأول أعلامه رحرحان جبل غربى الربذة على أربعة وعشرين ميلا منها فى أرض بنى ثعلبة بن سعد كثير القُنَان ، وأقرب المياه منه ماء يقال له الكديد حفائر عادية عِذاب ، ثم أروم جبل عن يَسَار المُصْعد ، ويدعى الجندورة فى أرض بنى سُليم ، وأقرب المياه منه ماء لبنى سليم يدعى ذنوب داخل فى الحمى على اثنى عشر ميلا من الربذة ، ثم اليعملة ، وبها مياه كثيرة ، بينها وبين الربذة ثلاثة عشر ميلا ، ثم عن يسار المصعد هضبات حُمْر يدعين فوافى بأرض بنى سُليم ، على اثنى عشر ميلا من الربذة ، ثم عمود المحدث ، وهو عمود أحمر فى أرض محارب ، بأصله مياه تدعى الأقعسية ، على أربعة عشر ميلا من الربذة ، وهو بلد واسع .

حمى ضرية

ومنها : حمى ضرية ـ قرية سميت باسم بئر يقال لها ضرية ، وقال ابن الكلبى : سميت ضرية بضرية بنت نزار ، وهى أم حلوان بن عمران بن إلحاف بن قضاعة ، وقال الأصمعى : ويقال ضرية بنت ربيعة بن نزار ، وقال نصر : ضرية صقع واسع بنجد ، ينسب إليه حمى ضرية ، يليه أميرُ المدينة ، وينزل به حاج البصرة ، قال أبو عبيد البكرى : ضرية إلى عامل المدينة ، وقال غيره : هى قرية عامرة قديمة فى طريق مكة من البصرة ، وهى إلى مكة أقرب ، غير أنها من أعمال المدينة يحكم عليها واليها .

وذكر الأسدى فى وصف طريق البصرة مايقتضى أن ضرية على نحو عشرة

أيام من مكة ، وأخبرنى أهل المعرفة بها أنها من المدينة على نحو سبع مراحل ، وأنها إلى المدينة أقرب .

وقال ابن سعد : سرية محمد بن مسلمة إلى القرطاء بطن من أبى بكر كانوا ينزلون البكرات بناحية ضرية ، وبين ضرية والمدينة سبع ليال ، انتهى .

وتقدم قول الأصمعى فى الشرف إن به حمى ضرية ، قال : وضرية : بئر ماؤها عذب طيب ، قال الشاعر :

ألا ياحبذا لَبَنُ الخلايَا بماء ضَرِيَّةَ العَذْبِ الزلال

ونقل المجد أن أشهر الأحماء وأشيرَها ذكراً حمى ضرية ، وكان حمى كليب ابن وائل فيما يزعم بعض بادية طيىء ، قال : وذلك مشهور عندنا بالبادية يَرْوِيه كابر عن كابر ، وفى ناحية منه قبر كليب معروف إلى الآن .

قلت : وأخبرنى بذلك رئيس أهل نجد ورأسُها سلطان البحرين والعطيف فريد الوصف والنعت فى جنسه صلاحا وإفضالا وحسن عقيدة أبو الجود أجود ابن جبر أيده الله تعالى وسدده ، وقال : إن قبر كليب هناك معروف عند العرب يقصدونه ، قال : ودلنى عليه بعضُهم لأقصده ، فقلت : هو واحد من الجاهلية .

ونقل الهجرى أن أول مَنْ أحمى الحمى بضَرِية عمر بن الخطاب ، أحماه لإبل الصدقة وظهْرَان الغُزَاة ، وأن سُرُوحَ الغنم العادية من ضرية ترعى على وجوهها ثم تؤوب بضرية ، وذلك ستة أميال من كل ناحيه ، وضرية فى وسط الحمى ؛ فكان على ذلك حياةَ عمر وصَدْراً من ولاية عثمان ، ثم كثر النعم حتى بلغ أربعين ألف بعير ، فضاق عنه الحمى ، فأمر عثمان أن يُزَاد ما يسع إبل الصدقة وظهران الغزاة ، فزاد زيادة لم يحددوها ، إلا أن عثمان رضى الله تعالى عنه اشترى ماء من مياه بنى ضبيعة[1] كان أدنى مياه غنى إلى ضَرِية يقال له البكرة عند هضبات يقال لها البكرات على نحو عشرة أميال من ضرية يذكرون أن البكرة دخلت فى حمى عثمان ، ثم لم تزل الولاة تزيد فيه ، واتخذوه مأكلة ، ومن أشدهم فيه انبساطا ومنعاً إبراهيم

(١) فى الخلاصة « بنى ضبيبة » .

ابن هشام المخزومى ، زاد فيه وضَيَّقَ على أهله ، واتخذ فيه من كل لون من ألوان الإبل ألف بعير ، ولم تزل حواط الحمى يقاتلون عليه أشدَّ القتال ، ويكون فيه الدماء ، وقاتل مرة حواط ابن هشام ورُعيان أهل المدينة وهم أكثر من مائتى رجل ناسا من غنى على ماء لغنى يقال له الساه قتالا شديداً ، فظفر الغنويون ، فقتلوا منهم اثنى عشر رجلا ، ثم صالحوهم على العقل ، لكل واحد مائة من الإبل ، فقال بعض الغنويين :

يال غنى إنه عقل النَّعَمْ وليس بالنَّوْم وترجيل اللِّمَمْ

وكان ناس من الضباب قدموا على ولد عثمان ، فاستسقوهم بالبكرة فأسقوهم ، فلم تزل بأيديهم .

وحفر عثمان عَيْناً فى ناحية أرض غنى خارجة عن الحمى بناحية الماء الذى يقال له نقى على نحو خمسة عشر ميلا من أضاخ ، وفقرت لها بها فقر كبيرة ، وابتنى عماله عندها قصراً أثره بين قرب واردات مقبل ، ولم تَجْرِ ، فتركها العمال ، فلم يحرك ذلك السيح إلى اليوم .

ودفنت غنى فى فتنة ابن الزبير عنصر العين وتلك الفقر ، فنسيت عيونه وكل ما سلف من أضاخ فى شرقيها تميمى .

وأدنى مياه بنى تميم إلى أضاخ ماء يقال له أضيح لبنى الهجيم ، وقد دفن منذ دهر ، فقال ناس من بنى عبد الله بن عامر لأصهارٍ لهم من بنى الهجيم : نحن نستسقى لكم آل عثمان فنسقى ، فرغبوا فى ذلك ، فأجابهم آل عثمان ، فاستظعن الهجيميون قومهم إليه ، فلقيهم رعاء غنى ، فسألوهم ، فقالوا : إن بنى عثمان وَلَّوْنا أمره ، وبلغ الخبر مَنْ بينهم من غنى ، فتواعدوا أن ينزلوا أدنى منازلهم من بقى ، فاجتمع منهم جمع كثيف ، وعلم بنو الهجيم أنهم إن ثبتوا يعظم البلاء ، فظعنوا ليلا إلى بلادهم ، وخاف بعضهم أن يُدْرَكَ فتركوا به الرحال وما ثقل وبَهْماً فى أرباقه يعنى العُرَى التى يشد بها البَهْمَ ، فغضب أصهار الهجيميين ، واستغضبوا آل عثمان ، فلما قدم

الحسن بن زيد المدينة ومعه بعض أصهار الهجيميين فقالوا لآل عثمان : نجىء لكم بخيار تميم ومشايخ أضاخ يشهدون لكم ، فاستعدى آل عثمان الحسنَ بن زيد على غنى ، وسألوه المحاكمة بأضاخ لقربها من بنى تميم ، وكلم آلُ عثمان عبدَ الله بن عمرو بن عبسة العثمانى ، فاجتمعوا عند أبى مطرف عامل الجيش بأضاخ ، وولى الخصومة من غنى الحصين بن ثعلبة أحد بنى عمرو الذين امتدحهم ابن عرندس بالأبيات الآتية ، فصار كلما جاء العثمانى بشاهدٍ من تميم جاءه الغَنَوِى بشاهدين يخرجانه من قيس ، فلحق العثمانى بأهله ، فلم يزل بقى مَوَاتاً . وهذه الخصومة فى سنة خمسين أو إحدى وخمسين ومائة .

واحتفر عبدُ الله بن مُطيع حفيرةً هى فى أيدى الضباب على بريد من ضرية على طريق أضاخ للمدينة فى ناحية شُعَبَى ، وكان الكِنْدِيُّونَ يسقون ، وماؤهم يسمى الثريا ، ومنهم العباس بن يزيد الذى هجاه جرير بقوله :

أعَبْداً حَلَّ فى شُعَبَى غَرِيبا ... أُلُؤْماً لا أبالَكَ واغترابا

إذا حَلَّ الحجيجُ على قنيع ... يبيت الليل يسترق العتابا

وقنيع : ماء للعباس الكندى على ظهر محَجَّة أهل البصرة فى دارة من دارات الحمى يقال لها دارة عسعس ، فلما أجلى الكنديون عن قنيع تنازعت بنو أبى بكر بن كلاب و بنو جعفر ، فقالت أبو بكر : نحن أحق بماء حلفائنا ، وقال الجعفريون : هو عند بيوتنا فنحن أحق به ، فجمع بعضهم لبعض بملتقى قنيع ، وكان سيد بنى جعفر عبود بن خالد ، ورأس أبى بكر معروف بن عبد الكريم وأخته زوجة عبود أم ولده طفيل ، وكان طفيل من أشد بنى جعفر على أخواله ، فخرجت أمُّهُ ليلا لقومها ، فقالت : أشد بنى جعفر لكم عداوةً ابنُ أختكم ، فإنه معلم بحبه حر مر ، فليكن أول قتيل ، ثم تداعى القومُ للصلح على تحكيم سلمة ابن عمرو العريقى ، وكتبوا بذلك وأشهدوا وتواعدوا أن يتوافَوْا عنده بأربعين من كل بطن ، ثم نزلوا بسلمة عند الأجل ، فأقام أياما ينحر لهم كل يوم جزورا ،

و يعطف بعضهم على بعض، و يزهدهم فى قنيع ، فقالوا : إنا لم نجئ لتنحر لنا إبلك . فقال : حياكم الله يا بنى كلاب ، أتيتمونى فى أمر عار ذكره وأهجن ، ولست بحاكم حتى أعقد لنفسى أن لا تردُّوا أنتم ولا مَنْ وراءكم حكمى ، فأخذ عليهم الطلاق والعتاق والمواثيق ، ثم قال : أراكم يا بنى كلاب كلكم ظالم ، تقطعون أرحامكم فى غير مائكم ، لا أرى لأحد منكم فيه حقا ، فرَضُوا جميعاً ، فامتدحه شعراؤهم ، وكان شريفا حسن العلم بالسنن .

قال عقيل بن عرندس الكلابى يمدحه وأهلَ بيته بنى عمرو بقصيدة منها :

يا أيها الرجـــل المعنى شبيبته ... تبكى على ذات خَلْخَال وأسْوَار
خيرتنا و بنى عمرو فإنهمُ ... ذوو فضول وأحـــلام وأنظار
هَيْنُون لَيْنُون أيْسَار بنو يَسَر ... سُوَّاسُ مكرمة أبناء أيْسَار
مَنْ تَلْق منهم فقد لاقَيْتَ سيدَهم ... مثل النجوم سَرى فى ضوئها السارى

وقال فيه وفى أخيه جامع أحد بنى بكر :

إذا ماغنى فاخَرْتَهَا قبيـــلة ... فإن غنيًّا فى ذَرَى المجد أفْخَرُ
وكم فيهمُ من سيد وابن سيد ... ومن فارس يوم الكريهة مِسْعَرُ
همُ رتَقُوا الفَتْقَ الذى كان بادياً ... وقامُوا بأفق الحق ، والحقُّ أنورُ
فرحنا جميعا طائعين لحكمه ... وهل يدفع الحكم الجليل المنور

واحتفر بعض بنى حسن بن على بالحمى ، واتخـذ إلى جنب حفرته عينا ساحت ثم خرجت فى غربى طخفة بشاطىء الريان على ثلاثة عشر ميلا من ضرية ، وهى بيد ناس من بنى جعفر ثم من بنى ملاعب الأسنة من جهة بنى أختهم الحسنيين .

وكان لبنى الأردم — وهم من بنى تميم بن لؤى — ماء قديم على طريق أهل ضرية إلى المدينة على ثمانية عشر ميلا من ضرية يسمى الجفر ، ومعهم نفر من بنى عامر بن لؤى ، فاحتفر سعيد بن سليمان الساحقى العارى عينا وأساحها وغَرَسَ

عليها نخلا كثيرا على ميل أو نحوه من حفر بنى الأدرم بدارة الأسود جبل عظيم أسود ، وهى عامرة كثيرة النخل .

ولما ولى إبراهيم بن هشام المدينة احتفر بالحمى حفيرة [با]لهضب اليمنى على ستة أميال من ضرية على طريق البكرة إلى ضرية ، سماها النامية ، وأخرى بفاحية شعبى بين ضرية وحَفْر بنى الأدرم على سبعة أميال من ضرية بواد يقال له فاضحة لأنه انفضاح أى انفراج واتساع بين جبال .

ولما هلك ابن هشام احتفر جعفر بن مصعب بن الزبير حفيرة إلى جنب حفيرة ابن هشام بفاضحة ، ونزلها بولده حتى مات ، فأقام ابنه محمد بمنزلة أبيه حتى خرج محمد بن إبراهيم بن عبدالله بن حسن فخرج مع محمد ، فلما قتل هرب إلى البصرة ، ثم رجع إلى فاضحة ، وتزوج من بنى جعفر ثم بنى الطفيل فأولد عبد الله فزوّجه ابنة القاسم بن جندب الفزارى ، وكان علما من أعلام العرب ينزل باللواء ، وكان القاسم لا يسير أبدا ، ولم يكن حج قط ، ولا يكاد يقدم ضرية ، وأولاد عبد الله من ابنته فى بقية من أموالهم بفاضحة .

واحتفر عبد الله حفيرة إلى جنب حفيرة جده ، ودفن حفيرة ابن هشام ، وأخفى مكانها .

واحتفر جُرْش مولى ابن هشام حفيرة على ميلين أو ثلاثة من حفر بنى الأدرم وحفرة المساحق سماها الجرشية ، ثم اشتراها ناس من ولد رافع بن خديج من الأنصار ، وأحدثوا بقربها حفيرة بقطيعة السلطان ، فنازعهم محمد بن جعفر ابن مصعب بحق بنى الأدرم ، وكان من أشد الرجال ، فقاتلهم وحده ، فاجتمعوا فأصابه رجلان منهم بفرعين خفيفين فى رأسه ، فأخذهما أسرى حتى أقدمهما ضرية ، واستَعْدَى عليهما الحسن بن زيد بالمدينة ، فضربهما بالسياط ، ثم عفا عنهما ، واختصموا فى الجرشية والحفيرة حتى قضى لبنى الأدرم والمساحقى ، فكلمهم الناسُ فسبقوهم بهما ، وكان الأنصاريون أهل عمود وماشية ، فلما كانت الفتنة

أكلتهم لصوص قيس من كلاب وفزارة ، فلحقوا بطيء وناسبوهم ، فأمنوا مدة ، ثم غارت عليهم لصوص طيء فتفرقوا وتركوا البادية ، وكانت بنو الأدرم و بنو بحير القرشيون قد كثروا بالحفر ، ثم وقع بينهم شر ، وكان جيرانهم من قيس يكرمونهم ، فلما تفاسدوا جعل بعضهم يهيج اللصوص على بعض ، فنهبهم بنو كلاب وفزارة ، وقتلوا بعض رجالهم ، فلحقوا بالمدينة ، وتفرقوا ، وقال عبد الجبار المساحقى لبنى فزارة فيما فعلوا بالقرشيين :

مهلا فزارة مَهْلاً لا أبالكُمُ مَهْلاً فقد طال إعذارى وإنذارى

فى أبيات

وكانت ضرية من مياه الضباب فى الجاهلية لذى الجوشن الضبابى والد شمر قاتل الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما ، وكانت مسلمة الضباب يروون أن ذا الجوشن قال فى الجاهلية :

دَعَوْتُ الله إذ سَغِبَتْ عيالى لِيَجْعَلَ لى لَدَى وسط طعاما
فأعطانى ضَرِيَّةَ خيرَ بئرٍ تمجُّ الماء والحب التؤاما

ووسط : جبل على ستة أميال من ضرية يطأ الحاج المُصْعِد خيشومه ، و بناحيته اليسرى دارة سعتها ثلاثة أميال أو أربعة ، وقنيع فى أعلاها ، وهى بين وسط وعَسْعَس ويقال لها أيضا : دارة عَسْعَس ، وعسعس : جبل أحمر مجتمع فى السماء بهيئة رجل جالس له رأس ومنكبان .

وأما عين ضرية وسَيْحُها فيقال : إنه كان لعثمان بن عنبسة بن أبى سفيان ، وهو الذى حفرها واغترس النخل وضفر بها ضفيرة بالصخر لينحبس الماء ، وهو سد يعترض الوادى فيقطع ماءه وينحبس زمانا ليكون أغزر للعين ، فلما قام أبو العباس كان ذلك فيما قَبَضُوا ، فنى آخر ولاية أبى العباس وكانت تحته أم سلمة المخزومية من بنى جعفر بن كلاب وقد أحالها معروف بن عبد الله عليه فأكرمه فسأله أن يقطعه عين ضرية فأقطعه ، وكان بدويا ذا زرع ، فلما أرْطَبَ نخلها

نزلها بأهله ، وكانت نعمه تَرِدُ عليه ، وسأله ناسٌ من ضَرِيَّةَ أن يعريهم من نخلِهِ ، فأعراهم ، وصار يجنى للضيفان من الرطب ، ويحلب لهم من إبله ، فمكث نحو شهرين ، فأتاه ضيفان بعد ماولى الرطب ، فأرسل فلم يؤت إلا بقليل ، وقال له الرسول : ذَهَبَ الرطب إلا ما ترى ، فقال : يسوءنى أن أعود على ضيفانى من نخلكم ، وكان قيمه على العين زَرَع قثاء و بطيخا ، فأتاه بشىء منه ، فقال : قبح الله ماجئت به ، أحذر أن يراه عيالى ، وكره النخل ، وأراد بيعه ، فاشتراه منه عبدُ الله الهاشمى عاملُ اليمامة بألفى دينار ، ثم ولاه جعفر بن سليمان إذ سأله إياه ، فأحدث بسوق ضرية حوانيت جعلها سماطين داخلين فى سماطَىْ ضرية الأولين فيهما نيف وثمانون حانوتا ، فربما جمعت غلة الحوانيت والنخل والزرع ثمانية آلاف درهم فى السنة ، وكان شأن الحمى عند ولاة المدينة عظيما ، كانوا يستعملون عاملا وحده ، وكانت إصابته فيه عظيمة ، وكان لحواطه سلطان عظيم ، وحواط كل ناحية : سادةُ القوم وأشرافهم ، وكان يقال لعامل الحمى : عامل الشرف .

وأقرب أجْبُلِ الحمى للمصعد ـ أى أقرب ما ترى من جباله ـ جبل الستار على طريق البصرة ، أحمر مستطيل فيه ثنايا تسلك ، ومنه طريق البصرة ، بينه وبين أمرة خمسة أميال ، وهو فى دار غنى فى ناحية هضب الأشق ، و بالأشق مياه : منها الريان فى أصل جبل أحمر طويل ، ومن هضب الأشق هضبة فى ناحية عرفج يقال لها الشيماء ، وفى غربى الأشق سواج الطريق تطأ خيشومه .

ومتالع : جبل أحمر عظيم عن يمين أمرة ، على ثلاثة أميال منها البناءة بينها من أكرم أعلام العرب موضعا .

ولما ولى أبو خليد العبسى خال الوليد عمل ضَرِية نزلها وحَفَر فى جوف النُّتَاءة فى حق غنى فقيره ، فلما ولى بنو العباس هدمت غنى تلك الحفرة وسَوَّوْها بالأرض.

ولبنى عبس ماء فى شعب يقال له الأسودة، ولهم بالحمى ماء يقال له ضحح[؟]

فى إبط رميلة الحسى حسى بنى حصبة ، ولهم الحاء بها نخل كثير ، ولهم مياه أخرى ، ثم الأقعس ، ثم تليه هضبات تدعى قطبيات فى إقبال البئر ، ثم يليها هضبات يقال لها العرائس فى بلد كريم من الوضح فى إقبال البئر أيضا ، و بين العرائس جبل يقال له عمود الكور .

شعر : جبل عظيم فى ناحية الوضح ، وعنده ماء يقال له الشطون ، أكثر الشعراء من ذكره ، قال الخضرى : شعر

سَقَى الله الشطون شطون شعر وما بَيْنَ الكواكب والغَدِير

وعن يسار العرائس بالوضح جبال بينهن آبار صغار سود علاهن الرمل مشرفات على مهزول ، وهو وادٍ فى إقبال البئر ، وهن تسمين العثاعث ، ذكرهن ابن شوذب فى شعر مدح به السرى ، فقال من أبيات :

بربا العثاعث حيث واجهت الربا سند العروس وقابلت مهزولا

ثم يلى العثاعث ذو عثث وادٍ يصبُّ فى التسرير ، و يصب فيه وادى مرعى وهو بناحية الحمى ، ثم يليه نضاد ، وهو بطرف البئر الشرقى فى حقوق غنى ، و يلى البئر جبال كثيرة سود بعضها إلى بعض ، ومنها تخرج سيول التسرير ، و بنضاد وذى عثث تلتقى سيولها ، والحثحاث والبقر بأقبال نضاد ، وهما المعنيان بالحمى ، ثم يلى الأقعس عن يسار المصعد هضب اليلبين ، وأقرب المياه إليه ماء يقال له اليلبين ، و بين هضب اليلبين والربذة نيف وعشرون ميلا ، ثم يلى هضب اليلبين عن يسار المصعد الجمارة قنان سود بينها و بين الربذة خمسة عشر ميلا ، فى مهب الشمال عن الربذة ، و بينهما هضب يقال لها سنام ، ثم يلى الجمارة جبال سود تدعى الهاربية ، بينها و بين الربذة أربعة عشر ميلا ، ثم هضب المنحر ، ثم رحرحان .

انتهى ما لخصته مما نقله الهجرى ، وقد أكثر الشعراء وغيرهم من ذكر هذا الحمى وأعلامه وأخباره .

وحكى ابن جنى فى النوادر الممتعة عن المفضل بن إسحاق قال هو أو قال بعض المشيخة : لقيتُ أعرابيا فقلت : ممن الرجل ؟ فقال : من بنى أسد ، فقلت : فمن أين أقبلت ؟ قال : من هذه البادية ، قلت : فأين مسكنك منها ؟ قال : مساقط الحمى حمى ضرية بأرض ها لعمر الله ما نريد بها بدلاً ولا عنها حِولا ، قد نصحتها الغدوات ، وحفتها الفَلَوات ، فلا يَمْلَوْلح ترابها ، ولا يمعر جنابها ، ليس فيها أذى ولا قذى ، ولا وعك ، ولا موم ، ولا حُمى ، فنحن فيها بأرْفَهِ عيش وأرغد معيشة . قلت : وما طعامكم ؟ قال : بخ بخ ، عيشنا والله عيش يعلل حاديه ، وطعامنا أطيب طعام وأمرؤه وأهناه : الفَثُّ والهبيد والفطس والصليب والعنكث والعلهز والذآنين والطرائيث والحِسَلَة والضباب ، وربما والله أكلنا القد ، واشتوينا الجلد ، فما نرى أن أحداً أحسن منا حالا ، ولا أخصب جنابا ، ولا أرخى بالا ، فالحمد لله على ما بسط علينا من النعمة ، ورزق من حسن الدَّعَة ، أو ما سمعت قائلنا يقول :

إذا ما أصبنا كلَّ يوم مذيقة ... وخَمْسَ تميرات صِغَارٍ كوانِزِ

فنحن ملوك الناس شرقا ومغربا ... ونحن أسود الناس عند الهزاهز

وكم مُتَمَنٍّ عيشَنَا لا ينالُه ... ولو نالَهُ أضْحَى به جِدَّ فائز

قلت : فما أقدمك هذه البلدة ؟ قال : بغية ليه ، قلت : وما بغيتك ؟ قال : بَكَرَات أضللتهن ، قلت : وما بكراتك ؟ قال : أبقات عرصات هبصات أرِنَات أوَابٍ ، عِيط عَوَائط ، كُومٌ فَوَاسج ، أعزبتهن قفا الرحبة رحبة الخرجا ، ضجعن منى فحمةَ العشاء الأولى ، فما شعرت بهن إلى أن ترجل الضحى ، فقفوتهن شهرا ما أحِسُّ لهن أثراً ، فهل عندك جالبة عين أو جابية خبر ؟ لَنِعْمَ المَرَاشد وكفيت المفاسد .

الموم ـ بالضم ـ البرسان . والفث ـ بالفاء ثم المثلثة ـ حب يعالج ويطحن ويؤكل فى الجدب .

والهبيد : حب الحنظل ينقع فى الماء ويعالج حتى يحلو . والفطس ـ بالسكون ـ حب الآس . والصليب ـ آخره موحدة ـ الوَدَك . والعنكث ـ بالمثلثة ـ نبت خشن شائك يعالجه الضب بذنبه حتى يتحات ويلين ثم يأكله . والعلهز : دم ووبر يلبك ليؤكل فى الجدب. والذآنين ـ بالمعجمة ـ جمع ذؤنون ، نبت معروف ، والطرائيث ـ بالطاء المهملة ومثلثتين بينهما مثناة تحتية ـ جمع طرثوث نبت أحمر . والحسلة ـ كقردة ـ جمع حِسْل ، وهو ولد الضب ، والعرص والهبص والأرَنُ : النشاط ، أوَابِ : جمع آبية ، وهى التى ضربت فلم تلقح ، عيط عوائط : بمعناه . وكوم فواسج: سمان . وأعزبتهن : بيتُ بهن عازبا عن الحى . قفا الرحبة : خلفها الخرجا : موضع به حجارة فيها سواد وبياض . وضجعن : عدلن وملن ؛ وجابية خبر : أى طريق خارقة .

حمى فيد

ومنها : حمى فَيْد ـ بالفاء ثم المثناة التحتية ـ منزل بنجد فى طريق الحاج العراق ، فيه سوق وبرك ونخيل وعيون ، قيل : سميت بفيد بن حام ؛ لأنه أول من سكنها .

وقال ابن جبير : إنه خرج من المدينة النبوية يوم السبت صحبة الركب العراق فوَصَلوا فيدا صبيحة الأحد التاسع من خروجهم ، وقال الأسدى : فيد بطيء لبنى نَبْهَان ، وبه أخلاط من أسد وهمدان وغيرهم ، وبه ثلاث عيون : عين النخل احتفرها عثمان بن عفان ، والأخرى تعرف بالحارة فى وسط الحصن والسوق احتفرها المنصور ، والثالثة تعرف بالباردة على الطريق خارج المنزل حفرها المهدى ، وبفيد آبار كثيرة قصيرة الرشا ، انتهى .

وقال الهجرى : وأما حمى فيد وصفته فلم أجد أحداً عنده علم ممن كان أول من أحماه ، ولا كم كانت منعته أول ما أحمى ، إلا أن فيدا كان موضعه الذى هو به اليوم فلاة من الأرض بين بنى أسد وطيء ، وكانت إلى جبل طيء أقرب ، فذكر أهل العلم ممن لقيت من أهله أنه التقطت به ركبتان كانتا جاهليتين ، التقطهما

أناس من بنى أبى سلام ومعهم نفر من طيىء وهم يرعون هناك فى ولاية بنى مروان، وأن أول من حفر به حفراً فى الإسلام أبو الديلم مولى لفزارة ، فاحتفر العين التى هى اليوم قائمة وأساحَها وغَرَسَ عليها ، وكانت فى يده حتى قام بنو العباس فقبضوها ، فهى اليوم فى أيديهم .

قلت : وكأنه لم يقف على ما ذكره الأسدى من عين عثمان رضى الله تعالى عنه ، ولعله أول مَنْ أحماه .

قال الهجرى : وأما أجبل حمى فيد فأولها على طريق الكوفة بين فيد والأجفر جبل يقال له الجبيل أحمر عظيم ، على ستة عشر ميلا من فيد فى أرض بنى أسد ، ليس بين فيد والكوفة جبل غيره ، ثم يليه الغمر جبل أحمر طويل على عشرين ميلا من فيد ، عن يسار المصعد لمكة ، وإلى جنبه ماء يقال له الرخيمة ، وماء يقال له الثعلبية ، وكل ذلك فى الحمى ، ثم عن يسار المصعد قبة سوداء تدعى أذنة ، على ستة عشر ميلا من فيد ، فى أرض بنى أسد ، وفى ناحيتها فى الحمى مياه يقال لها الوراقة . ثم عن يسار المصعد هضب الوراق لبنى أسد، وفى ناحيته مياه يقال لها أنعى ، ومياه يقال لها الوراقة ، ثم جبلان أسْوَدَانِ يُدْعَيَان القرنين فى أرض بنى أسد ، على ستة عشر ميلا من فيد ، والطريق إلى مكة تتوسطهما ، ثم عن يمين الطريق للمصعد جبل أسود يقال له الأحول فى أرض طيىء ، على ستة عشر ميلا من فيد ، وأقرب مياهه أبضة فى حرة سوداء ، ثم عن يمين المصعد جبل يقال له دخنان بأرض طيىء ، على اثنى عشر ميلا من فيد ، ثم جبل يقال له الغبر ، ثم جبلان يقال لهما جاش وجلذية لطيىء ، على أكثر من ثلاثين ميلا من فيد ، وههنا اتسع الحمى وكرم ، ثم الصدر على سبعة أميال وثلاثين ميلا من فيد ، ثم صحراء ليس بها جبل يقال لها صحراء الخلة ، عن يمين الأجفر ، على ستة وثلاثين ميلا من فيد وأقرب مياهها الجثجاثة . ثم يليها على المحجة أكمة مشرفة على الأجفر . ثم سويقة هضبة حمراء طويلة

فى السماء ، وهى فى الحمى فى أرض الضباب ، على ثلاثين ميلا أو أكثر من ضرية . وهى التى عنت جمل بنت الأسود الضبابية ، وذلك أنها جاورت بنى الهدر فى أعلى بلاد الضباب ، وهى متعالية لهم واد رغاث يقال له كراء فى علياء دار بنى هلال على ليلتين من الطائف ، وكانت بنو هلال ينهضون على أهله ، حتى جمعت لهم الضباب جمعا وقتلوا منهم وسَبَوْا ، وجاؤا ببعضهم إلى الحمى فهابوهم .

وللضباب ملك آخر يقال له العَرَّى بناحية بيشة قرب تبالة ، فجاورت جمل بنى الهدر فى تلك الناحية ، وأغارت لصوصهم على عكرة لها يوم الأضحى ، واغتنموا تشاغل الناس بالعيد ، فقالت جمل وكانت بليغة :

بنى الهدر ماذا تأمرون بعكرة ... قَلَائد لم تُخْلَطْ بخبث نصابها
تظل لأبناء السبيل مُناخَةً ... على الماء يُعْطَى دَرُّهَا ورقابها
أقول وقد وَلَّوْا بهيت كأنه ... مَنَاكِبُ حوضى رملُها وهضابُها
أَلَهْفَ على يوم كيوم سُوَيْقَةٍ ... شفى غل أكباد فساغ شرابها
بنى الهدر لو كنتم كراما وفَيْتُمُ ... لجارتِكم حتى يحينَ انْقِلَابُهَا
ولكنما أنتم حمـــير حساءة ... مُجَدَّعَةُ الأذناب غُلْبٌ رقابُهَا

فأشارت بقولها « كيوم سويقة » إلى وقعة كانت للضباب مع عامل ضرية مهروب الهمدانى من قبل زياد بن عبيد الله الحارثى ، وذلك أن عاملا له مع حواط الحمى وجدوا نعما للضباب فى الحمى بناحية سويقة فطردوها أقبح الطرد ، فركبوا فى أثره ، فأصابوه بضرب ، وعَقَرُوا راحلته ، فأتى عامل ضرية ، فخرج بجنده وسخر رجالا معه من أهل ضرية كرها حتى لقى نعما للضباب فيها بعضهم ، فأسر نفرا منهم ، فبلغ الضباب ، فأدركوه بسويقة ، فكر عليهم ، فنادوا : يا أهل ضرية ، أنتم مُكْرَهُون فاعتزلوا ، وناداه أن خل سبيل أصحابنا وما أصيب منا بالذى أصبنا منك ، فتراموا بالنبل حتى فنيت ، ثم اقتتلوا فانهزم ، وأدركوه فقطعوه بالسيوف ، وقتلوا نفرا من أصحابه ، ورجعوا بالأسرى .

ثم يلى سويقة جبل ذو قنان كثيرة ، ليس بالحمى أكبر منه إلا أن يكون شُعَبَى ، وهو جبل أسود ، فى أرض الضباب ، كثير المعادن من التبر ، كان به معدن يقال له النجادى ، كان لابن أبى نَجَّاد[1] ، لم يعلم فى الأرض مثله؛ فعن شيخ من موالى خُزَاعة أنه خرج منه مالم يسمع بمثله ، ورخص الذهب بالعراق والحجاز لما أن كثر حتى قل نيله لغلبة الماء عليه . وقر به قرية عظيمة ، وكان له عامل مفرد يخرج من المدينة .

كبد منى

ثم كبد منى : قنة عظيمة مفردة شرقى منى ، وهو جبل يشرف على ما حوله ينظر إليه الحجاج حين يصدرون عن أمرة ، و بين حليت ومنى جبل يقال له قادم ، و إلى جنبه قويدم ، و بهما مياه يقال لها القادمة من أطيب ماء بالحمى وأرقه ، يضرب بها المثل فى العذوبة ، بينها و بين منى دارة الفهيدة التى عقرت لها ناقة المنسرح وعقر لها ما عقر ، وذلك أنه كان تمثالا لا يكاد يبين ، وله صريمة يحلب عقيلتها لأمه ، فكانت حياتها لأن الناس أشتوا ، فبينا هو بدارة الفهيدة فى ولاية ابن هشام إذ دخلت الحمى فتركها فباتت فرآها بعض الحواط من الموالى ، فطرد الصريمة أقبح الطرد ، فعرض له المنسرح ليكفه ، ولا سلاحَ معه ، فطعَنَ الناقةَ التى يحلبها المنسرح لأمه فى ضَرْعها فاختَلطَ لبنُها بدمها ، فحلف لا يسكن الحمى ولا يمس رأسه دُهْن حتى يعقر إبل مَنْ عقر ناقته ، فتوجه إلى قومه ، فأخبرهم خبره ، وطلب سيفا قاطعا لا يقع فى شئ إلا خرج منه ، فأعطوه إياه ، فأتى إبلا للمولى مهارى ، فقال الراعى : أنا رسولُ مولاكم وهو بضرية يأمركم أن تَعْقِلوا خيار إبلكم فإنه نصيحكم لأمر حدث ، وأخرج لهم عُقلا ، فصدقوه وحلبوا له ناقة ، فوضع الإناء ، فقالوا : ألا تَغْتبق ، قال : دعوه حتى يبرد ، قال : و إنما كرهتُ أن أشرب اللبن وأعقر إبله .

فلما غَفَلُوا عنه أهْرَاقَه ، وعقلوا من خيار الإبل نحو ثلاثين ، فلما ناموا استلَّ سيفَه وضرب ناقة على حقيبتها فمضى حتى فَلَقَ ضرعها ، وتواثبت الإبل ، فطفق

(١) فى معجم البكرى « لرجل من ولد سعد بن أبى وقاص يقال له نجاد بن موسى »

فى المُعَقْلَةِ عَقْراً حتى أتى عليها ، وقطع بعضها العُقُلَ فتبعها فما أدرك بعيراً إلا عقره ، وفطِنَ الرعاء فرأوا ما يعمل السيف ، فولوا هَرَباً ، ثم دفن سيفه بالحمى ، وكان أعز عليه من نفسه ، وأرسل يخبر أهله ، وركب صاحب الإبل فى الناس حتى نظروا إليها ، وقال الرّعاء : لا نعرفه إلا أنه بمقام ، فعرف أنه المنسرح ، فأمر ابن هشام بطلبه ، وأُخِذَ إخوتُه وأهلُ بيته فحبسوا ، فسمع ، فجاء إلى العامل فقال : خُلَّ هؤلاء فأنا بِغْيَتُك ، فحبسه وخَلاَّهم ، ورفعه فى وَثاق إلى ابن هشام ، وخرج معه بعضُ أهل بيته ، قالوا : فلما قدمنا المدينة جعل يأتينا الرجلُ الشريف فيسألنا عن السيف ، ويقول : أرأيتم إن خَلَّصْتُ صاحبكم وضمنت عنه تأتونى بالسيف ، فننكر ولا نقر بشىء من أمر السيف ، فتوعَّدَه ابنُ هشام وسأله أن يقر ، فأبى ، وكلم أصحابه نفر من بنى مخزوم فى أن يؤخذ صاحبهم بالبينة أو يحلف ، فسأل ابن هشام خصمه البينة ، فلم يقمها ، فأمر بيمينه عند المنبر الشريف .

فلما قرب من المنبر وذكر له ما يحلف عليه ، واندفع يحلف ، شرح الله لسانه فقال : أحْلِفُ بالله لأنا عقرت إبل فلان بيدى ، ولقد برىء منها غيرى ، فردوه إلى ابن هشام ، وابتدرته قريش كل يقول : علىّ الإبل ، طمعاً فى السيف ، ثم اختلف علماء غنى ؛ فقال بعضهم : احتمل ذلك رجل من قريش ، وخلى سبيله ، وخرج معه رسول للسيف ، فطلبه فلم يقدر عليه ، وانطلق لسانه من يؤمئذ فسمى المنسرح .

ثم يلى كبد منى هضب الأشق . هذا آخر ما لخصته من كتاب الهجرى .

قد تم — بحول الله تعالى ، وقوته ، ومَعُونته — الجزء الثالث من كتاب «وفاء الوفا ، بأخبار دار المصطفى » للعلامة السمهودى ، ويليه — إن شاء الله سبحانه — الجزء الرابع ، وهو نهاية الكتاب ، ومطلعه « الفصل الثامن ، فى بقاع المدينة ، وأعراضها ، وأعمالها ، ومضافاتها ، وأنديتها ، وجبالها ، وتلاعها » نسأل الذى لا يعين على الخير سواه أن يمن علينا بإكماله ، ويوفقنا بفضله إلى إتمامه ؛ إنه ولى ذلك كله ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

فهرست الجزء الثالث

من كتاب « وفاء الوفا ، بأخبار دار المصطفى »
لنور الدين على بن أحمد ، المصرى ، السمهودى ، نزيل المدينة المنورة

ص	الموضوع
٧٧٩	الباب الخامس فى مصلى النبى فى الأعياد وغير ذلك من المساجد التى صلى فيها ، وفيه سبعة فصول
—	الفصل الأول فى الأماكن التى صلى فيها
—	أول عيد صلاه النبى فى المصلى
٧٨٠	مكان مصلى العيد
—	تعدد موضع صلاة العيد
٧٨١	المسافة بين مصلى العيد وباب السلام
٧٨٢	المواضع التى صلى فيها العيد
٧٨٤	مصلى العيد بالصحراء
٧٨٧	كيف صلى الرسول العيد ؟
٧٨٨	ذكر من أحدث المنبر فى مصلى العيد
٧٨٩	أول من خطب قبل صلاة العيد
٧٩١	ماجاء فى فضل المصلى الشريف
٧٩٢	بيان طريق النبى فى ذهابه إلى مصلى العيد وعودته منه
٧٩٧	الفصل الثانى ، مسجد قباء ، وفضله وخبر مسجد الضرار
—	تأسيس مسجد قباء
٧٩٨	الخلاف فى بيان المسجد الذى أسس على التقوى

ص	الموضوع
٨٠٠	ماجاء فى فضل الصلاة فى مسجد قباء
٨٠٢	إتيان الرسول مسجد قباء
٨٠٥	موضع صلاة الرسول فى مسجد قباء
٨٠٩	تجديد مسجد قباء
٨١٢	ما ينبغى أن يزار من آثار قباء
—	دار سعد بن خيثمة
٨١٣	دار كلثوم بن الهدم
—	بئر أريس
—	ماجاء فى طريق ذهاب النبى إلى قباء وعودته منه
٨١٤	ذرع الطريق
—	مسجد الضرار
٨١٦	أسماء بناة مسجد الضرار
٨١٨	الخلاف فى موضع مسجد الضرار
٨١٩	الفصل الثالث ، فى بقية المساجد المعلومة العين
—	مسجد الجمعة
٨٢١	مسجد الفضيخ
٨٢٣	مسجد بنى قريظة
٨٢٥	مشربة أم إبراهيم
٨٢٧	مسجد بنى ظفر
٨٢٨	مسجد الإجابة

ص	الموضوع
٨٣٠	مسجد الفتح
٨٣٦	المساجد التى حول مسجد الفتح
٨٣٨	مسجد بنى حرام الكبير
٨٣٩	كهف بنى حرام
٨٤٠	مسجد التمبلتين
٨٤٣	مسجد السقيا
٨٤٥	مسجد ذباب (الراية)
٨٤٨	مسجد الفسيح اللاصق بجبل أحد
--	مسجد فى ركن جبل عينين
٨٤٩	مسجد العسكر
٨٥١	مسجد أبى ذر الغفارى
٨٥٢	مسجد أبى بن كعب (بنى جديلة = البقيع)
٨٥٤	مساجد المصلى
--	مسجد ذى الحليفة
٨٥٤	الفصل الرابع ، فى المساجد التى علمت جهتها ولم تعلم عينها
٨٥٤	مسجد أبى بن كعب
--	مسجد بنى حرام
--	مسجد الخربة
٨٥٥	مسجد جهينة ويلى
٨٥٦	مسجد بنى غفار
٨٥٧	مسجد بنى زريق
٨٥٨	مسجدان لبنى ساعدة
٨٥٩	سقيفة بنى ساعدة
٨٦٠	مسجد بنى خدارة
٨٦١	مسجد رانج
٨٦١	مسجد واقم
٨٦٤	مسد القرصة
٨٦٥	مسجد بنى حارثة بن الأوس
--	« الشيخين (البدائع)

ص	الموضوع
٨٦٦	مسجد بنى دينار
٨٦٧	« « عدى، ومسجددار النابغة
٨٦٨	« « مازن
--	« « عمرو بن مبذول
٨٦٩	« بقيع الزبير
--	« صدقة الزبير
٨٧٠	« بنى خدرة
٨٧١	« « الحارث بن الخزرج ومسجد السمح
--	مسجد بنى الحبلى
٨٧٢	« « بياضة
--	« « خطمة
٨٧٣	« « أمية الأوسيين
٨٧٤	« « وائل
--	« « واقف
٨٧٥	« « أنيف
--	« دار سعد بن خيثمة
٨٧٦	« التوبة
٨٧٧	« النور
--	« عتبان بن مالك
٨٧٨	« ميثب (صدقة النبى)
--	« المنارتين
٨٧٩	مسجد فيفاء الخبار
٨٨٠	« بين الجثجاثة وبئر شداد
--	الدور التى صلى بها الرسول
--	دار الشفاء
٨٨١	دار الضمرى
--	دار بسرة
--	دار أم سليم
٨٨٢	دار أم حرام

ص	الموضوع
٨٨٣	الفصل الخامس ، فى فضل مقابرها
—	خروج النبى ليلا إلى البقيع
٨٨٦	فضل البقيع
٨٩١	الفصل السادس ، فى تعيين قبور بعض من دفن بالبقيع
—	قبر إبراهيم ابن رسول الله
٨٩٣	قبر عثمان بن مظعون
٨٩٤	قبر رقية بنت رسول الله
٨٩٥	قبر فاطمة بنت أسد
٨٩٧	القبور التى نزلها رسول الله خمسة
٨٩٩	قبر عبد الرحمن بن عوف
—	قبر سعد بن أبى وقاص
٩٠٠	قبر عبد الله بن مسعود
—	قبر خنيس بن حذافة
—	قبر أسعد بن زرارة
٩٠١	قبر فاطمة بنت الرسول
٩٠٥	قبر بعض أبناء على بن أبى طالب
٩٠٦	المتوكل العباسى يأمر بهدم قبر الحسين بن على
٩٠٨	قبر الحسن بن على
٩٠٩	تسمية من دفن مع الحسن بن على
—	دفن على بن أبى طالب بالبقيع
—	دفن رأس الحسين بن على
٩١٠	قبر العباس بن عبد المطلب
—	قبر صفية بنت عبد المطلب
—	قبر أبى سفيان بن عبد المطلب
٩١١	قبر عبد الله بن جعفر الطيار
—	قبور أمهات المؤمنين
٩١٣	قبر عثمان بن عفان
٩١٥	قبر سعد بن معاذ

ص	الموضوع
٩١٥	قبر أبى سعيد الخدرى
٩٢٠	مشهد مالك بن أنس الإمام
—	مشهد إسماعيل بن جعفر الصادق
٩٢١	مشهد حمزة بن عبد المطلب
٩٢٣	مشهد مالك بن سنان الخدرى
—	مشهد النفس الزكية
٩٢٥	الفصل السابع ، فى فضل أحد
—	الأحاديث الواردة فى فضل أحد
٩٢٧	موقع أحد من المدينة المنورة
٩٢٨	وجه تسمية أحد وحبه
٩٣٠	زعموا أن هارون عليه السلام مدفون بأحد
—	مزاعم فى مواضع من جبل أحد
٩٣١	شهادة الرسول لشهداء أحد
٩٣٢	زيارة الرسول وخلفائه قبور الشهداء بأحد على رأس كل عام
٩٣٣	تسمية شهداء أحد
٩٣٥	سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب
٩٣٦	قبر عمرو بن الجموح وعبد الله بن حرام
٩٤٠	من دفن بالمدينة من قتلى أحد
٩٤١	الباب السادس فى آبارها المباركات ، وفيه خمسة فصول
٩٤٢	الفصل الأول فى الآبار
—	بئر أريس
٩٤٦	من فضل بئر أريس
٩٤٨	ذرع بئر أريس
٩٤٩	بئر الأعواف
٩٥٠	بئر أنا
—	بئر أنس
٩٥٢	بئر إهاب

ص	الموضوع
٩٥٤	بئر البصة
٩٥٦	بئر بضاعة
٩٥٩	بئر جاسوم
٩٦٠	بئر جمل
٩٦١	« حاء
٩٦٥	ضبط بئرحاء
٩٦٦	« حلوة
—	« ذرع
٩٦٧	« رومة
٩٧١	« السقيا
٩٧٦	« العقبة
٩٧٧	« أبى عنبة
—	« العهن
٩٧٨	« غرس
٩٨١	« القراصة
٩٨٢	« القريصة
—	« اليسرة
٩٨٤	« تتمة ، فى العين المنسوبة للنبي
—	عين كهف بنى حرام
٩٨٨	الفصل الثانى ، فى صدقات الرسول وما غرسه بيده الشريفة
—	أصل هذه الصدقات
٩٨٨	أسماء صدقات الرسول، ومواضعها
٩٨٩	وقف الرسول لأمواله
٩٩٣	تحديد مواضع الصدقات والمعروف منها
٩٩٥	طلب فاطمة من أبى بكر صدقات أبيها
١٠٠١	الفصل الثالث فيما ينسب إلى الرسول من المساجد التى بين مكة والمدينة
١٠٠٢	مسجد الشجرة (ذى الحليفة)
١٠٠٥	مسجد آخر بذى الحليفة
—	« المعرس
١٠٠٧	« آخر بالروحاء
١٠٠٨	« عرق الظبية
١٠١٠	« شرف الروحاء
١٠١٠	« المنصرف (الغزالة)
١٠١٢	« الروثة
—	« ثنية ركوبة
—	« الأثاية
١٠١٣	« العرج
١٠١٤	« المنبجس
—	« لحى جمل
١٠١٥	« السقيا
١٠١٦	« مدلجة تعهن
—	« الرمادة
—	« الأبواء
١٠١٧	« البيضة
—	« عقبة هرشى
—	« الجحفة
١٠١٨	مسجد غديرخم
—	مسجد طرف قديد
—	مسجد عند حرة خليص
١٠١٩	مسجد خليص
—	مسجد بطن مر الظهران
١٠٢٠	مسجد سرف
—	مسجد التنعيم
—	الخلاف فى مسجد عائشة
١٠٢١	عمرات الرسول
—	مسجد ذى طوى

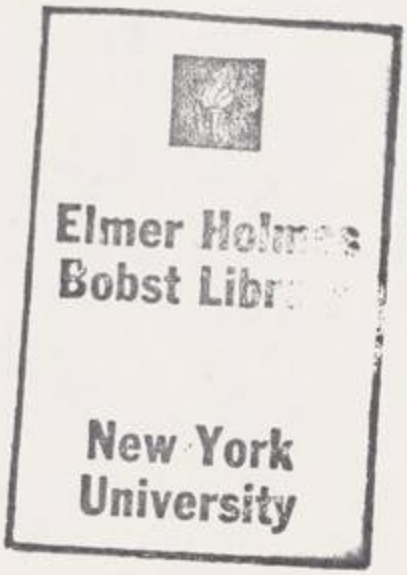
ص	الموضوع
١٠٢٢	الفصل الرابع ، فى بقية المساجد التى بين مكة والمدينة
—	دبة المستعجلة
١٠٢٣	شعب سير
—	ذكر عدة مساجد
١٠٢٤	مسجد ذفران
١٠٢٥	مسجد الصفراء
—	مسجد ثنية تبوك
١٠٢٦	مسجد بدر
—	مسجد العشيرة
—	مساجد الفرع
١٠٢٧	مسجد الضيقة
—	مسجد مقمل
١٠٢٧	الفصل الخامس ، فى بقية المساجد والمواضع المتعلقة بالرسول
١٠٢٧	مسجد العصر
١٠٢٨	مسجد الصهباء
—	مسجدان قرب خيبر
—	مسجد بين شق والنطاة
—	مسجد شمران
١٠٢٩	مساجد تبوك
١٠٣٢	مسجد الكديد
—	مسجد الشجرة بالحديبية
١٠٣٣	مسجد ذات عرق
—	مسجد الجعرانة
١٠٣٤	مسجد لية
—	مسجد الطائف
١٠٣٧	الباب السابع ، فى أوديتها وبقاعها

ص	الموضوع
	وقصورها .
—	ما ورد فى فضل وادى العقيق
١٠٣٩	حد العقيق
١٠٤٢	الفصل الثانى ، فى أقطاعه
—	رسول الله يقطع بلال بن الحارث العقيق
١٠٤٣	قصر عروة بن الزبير وبئره
١٠٤٨	قصر عاصم بن عمرو بن عمر بن عثمان ابن عفان
١٠٥٠	قصر المغيرة بن أبى العاص وبئره
—	قصر عنبسة بن عمرو بن عثمان ابن عفان
١٠٥١	قصر عنبسة بن سعيد بن العاص
١٠٥٢	قصر أبى بكر بن عبد الله بن مصعب بن الزبير
—	قصر عبد الله بن أبى بكر بن عمرو ابن عثمان
١٠٥٣	جملة من القصور والآبار
١٠٥٤	الفصل الثالث ، فى العرصة
—	قصر خارجة
—	قصر عبد الله بن عامر
—	قصر مروان بن الحكم
—	قصر سعيد بن العاص
١٠٦٣	الفصل الرابع ، فى جماوات العقيق
—	جماء تضارع
١٠٦٤	جماء أم خالد
١٠٦٥	جماء العاقر (العاقل)
١٠٦٦	ثنية الشريد السلمى

ص	الموضوع
١٠٦٨	خاتمة ، فى سرد ما يدفع فى العقيق من الأودية ، وما به من الغدران
١٠٧١	الفصل الخامس ، فى بقية أودية المدينة .
—	وادى بطحان
١٠٧٢	وادى رانونا
١٠٧٤	وادى قناة
١٠٧٥	وادى مذينيب
١٠٧٦	وادى مهزور
١٠٧٩	تتمة ، فيما قضى به الرسول فى هذه الأودية
—	قضاؤه بين الزبير ورجل من الأنصار
—	قضاؤه فى سيل مهزور
١٠٨٠	خاتمة ، فى مجتمع الأودية ومغائضها
١٠٨٢	الفصل السادس ، فيما سمى من الأحماء
—	معنى الحمى
١٠٨٢	حمى النقيع
١٠٨٦	حكم الحمى
١٠٨٧	حمى أبى بكر وعمر
١٠٩٠	الفصل السابع ، فى شرح حال بقية الأحماء
—	حمى الشرف
١٠٩١	حمى الربذة
١٠٩٢	حمى ضرية
١١٠٢	حمى فيد

تمت ـ بحمد الله تعالى وتوفيقه ـ فهرس الجزء الثالث من كتاب « وفاء الوفا ، بأخبار دار المصطفى » .

والحمد لله أولا وآخراً ، وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه


Elmer Holmes
Bobst Library
New York
University